المؤلّف الأكثر مبيعاً
رقم 1 في نيويورك تايمز

مارك غريني

"أعشق الرجل الرمادي."
—لي تشايلد، المؤلف الأكثر مبيعاً رقم 1 في نيويورك تايمز

عين الموت

رواية من سلسلة الرجل الرمادي

عين الموت

DEAD EYE





ترجمة / كاميليا

مارك غريني

MARK GREANEY

عين الموت

DEAD EYE

إشادات بسلسلة "الرجل الرمادي"

الجزء 1: الرجل الرمادي (THE GRAY MAN)

"قاسية، سريعة، ولا تعرف التردد... هذا هو التعريف الدقيق لما يجب أن تكون عليه روايات الإثارة."

— لي تشايلد، مؤلف سلسلة جاك ريتشر المتربع على عرش المبيعات

"إليكم رواية أولى تشبه الخنجر المشحوذ بعناية: حادة، لا ترحم، ومميتة. 'الرجل الرمادي' لمارك غريني هو بمثابة 'جيسون بورن' للألفية الجديدة... لم يسبق أن صُور قاتل بهذه الواقعية وهذه الخطورة من قبل. تضرب الرواية بقوة رصاصة تستقر في الصدر... انطلاقة أولى لا يُسمح بتفويتها."

— جيمس رولينز، مؤلف كتاب The Eye of God الأكثر مبيعاً

"منذ الصفحات الأولى، تتطاير الرصاصات وتتراكم الجثث. ووسط هذه المذبحة، يبرز 'جينتري' كبطل مثير للاهتمام تحكمه شيفرته الأخلاقية الخاصة. دوافع الشرير تبدو ضبابية، رغم كونه خبيثاً لأبعد الحدود. ستُعقد بلا شك مقارنات مع 'جيسون بورن'، لكن 'الرجل الرمادي' يقف كشخصية مستقلة بذاتها. النهاية تصرخ مطالبة بجزء ثانٍ، رغم صعوبة الحفاظ على مستوى الكثافة المذهل لهذه البداية القوية."

— مجلة بوكليست (Booklist)

الجزء 2: الهدف (ON TARGET)

"يكتب 'غريني' روايات إثارة ذكية، حادة، ومضبوطة الإيقاع بامتياز. مكثفة، عبقرية، ومليئة بالمتعة الخالصة. التقط إحداها ولن تقوى على تركها حتى تطوي صفحتها الأخيرة."

— ستيفن جيمس، مؤلف كتاب Placebo الأكثر مبيعاً

"اكتشاف 'الرجل الرمادي' كان أشبه بالوقوع في الحب للمرة الأولى. أما قراءة 'الهدف' فهي بمثابة الخروج في موعد غرامي ثانٍ، وإدراكك التام بأن هذه العلاقة ستدوم طويلاً."

— إريك ويلسون، مؤلف كتاب Three Fatal Blows الأكثر مبيعاً

الجزء 3: انتقام (BALLISTIC)

"القصة تندفع بقوة عارمة، وجرائم القتل فيها متفجرة لدرجة أن تقليبك للصفحات سيُشعرك وكأنك تخوض غمار أقوى ألعاب الفيديو على الإطلاق."

— صحيفة نيويورك تايمز (The New York Times)

"يضخ 'غريني' دماءً جديدة مرة أخرى في قوالب الإثارة المألوفة عبر روايته الثالثة من سلسلة 'الرجل الرمادي'... بصفته محارباً فائق الكفاءة يمتلك ترسانة من الحيل وتقنيات التجسس (Tradecraft)، يحمل 'كورتلاند' ماضياً معقداً وقائمة طويلة من الأعداء اللدودين، مما يضمن للقراء الترقب المشوق للمزيد من المغامرات المحفوفة بالمخاطر."

— مجلة بابليشرز ويكلي (Publishers Weekly)

DEAD EYE

MARK GREANEY



BERKLEY BOOKS, NEW YORK

"ولكن من المؤكد أن الأشجع على الإطلاق هم أولئك الذين تتجلى أمامهم الرؤية بوضوح تام لما ينتظرهم، من مجدٍ أو خطرٍ على حدٍ سواء، ومع ذلك كله، يمضون قُدماً لمواجهته."

— ثوقيديدس (Thucydides)

تمهيد

انطلق ليلاند بابيت كالسهم عبر أبواب فندق «هاي آدمز»، هابطًا الدرجات نحو الشارع وكأن خلفه موعدًا لا يقبل التأجيل.

كان «البيت الأبيض» يربض في الجهة المقابلة لساحة «لافاييت»، سابحًا في الأضواء ومتألقًا وسط عتمة المساء البارد الممطر، لكن بابيت تجاهل هذا المشهد الخلاب، وانعطف ببصره يمينًا ليهرع نحو سيارة الليموزين التي كانت بانتظاره.

لم يكن السائق يتوقع وصول راكبه قبل ساعة ونصف، لكنه – بحكم احترافيته – قفز سريعًا من سيارته الدافئة وفتح الباب الخلفي. لاحظ فورًا أن الرجل بدا في عجلته وكأنه نسي معطفه، ناهيك عن نسيان زوجته أيضًا.

حشر الراكب ضخم البنية نفسه داخل الليموزين، فعاد السائق ليتمركز خلف عجلة القيادة، ناظرًا في المرآة الخلفية انتظارًا للتعليمات.

بصوت جمع بين نبرة الأمر والعجلة، هتف بابيت:

– "عنوان 1626، كريسنت بليس. انتهك كل قوانين المرور التي تحتاج لانتهاكها، المهم أن توصلني إلى هناك الآن!"

لم يكن السائق يعرف هوية راكبه؛ فقد تم استئجاره لهذه الليلة فقط لنقل السيد بابيت وزوجته من منزلهما في حي تشيفي تشيس إلى حفل رسمي هنا في فندق «هاي آدمز»، ثم إعادتهما إلى المنزل. لكن

السائق كان يحفظ هذه المدينة عن ظهر قلب؛ فقد قضى ربع قرن يجوب شوارع العاصمة واشنطن مُقلاً كبار الشخصيات، ولم تكن هذه المرة الأولى التي يأمره فيها "رجل ذو بدلة رسمية" بتجاوز إشارات المرور للوصول إلى وجهته بأقصى سرعة.

أدار المحرك وسأل وهو يرمق الرجل في المقعد الخلفي عبر المرآة:

– "هل معك شارة رسمية؟"

أجابه بابيت:

– "تصرف وكأن الإجابة نعم."

ارتفع حاجبا السائق، فقد خاض هذا الغمار من قبل، فسأل:

– "أمن قومي؟"

– "يمكنك المراهنة بحياتك على ذلك."

هز السائق كتفيه قائلاً:

– "هذا يكفي."

ثم وضع ناقل الحركة في وضع القيادة وانطلق لتصدر الإطارات صريرًا عاليًا. في الخلف، كان الراكب قد رفع هاتفه المحمول إلى أذنه قائلاً:

– "أنا في الطريق."



لم يستطع السائق تخيل ما الذي قد يكون بهذه الأهمية في شارع «كريسنت بليس»، وهو طريق ذو مسارين تصطف على جانبيه منازل جورجية وكولونية فخمة، وكان يوقن أنه لن يعرف السبب أبدًا. فهذه

هي العاصمة واشنطن على أية حال؛ أمور خطيرة تحدث خلف بوابات المساكن الفاخرة في جميع أنحاء المدينة، وهي أمور تفوق بكثير مستوى راتب سائق بسيط.

كانت وظيفته تبدأ عند الباب الأمامي لمبنى، وتنتهي عند الباب الأمامي لمبنى آخر، وما يحدث في الداخل ليس مشكلته.

كان بابيت يضغط بالهاتف على أذنه، ورغم السرعة، تمكن السائق من سماع صوته بوضوح فوق صوت محرك اللينكولن الهادئ؛ عبارات استفهامية قصيرة وخافتة، تتبعها أوامر حازمة. بذل الرجل خلف المقود قصارى جهده لكي لا يسترق السمع، وهو الإجراء القياسي لسائقي الليموزين في واشنطن. خمسة وعشرون عامًا قضاها في نقل الدبلوماسيين، والسياسيين، والجواسيس، وحثالة «شارع كيه[1]»، وكبار الشخصيات الأجنبية في العاصمة، علّمته التكتم، وتجاهل صوت الراكب ما لم يكن الحديث موجهًا إليه شخصيًا.

كان بإمكانه التنصت؛ فمن المؤكد أن مصير دول قد تقرر في المقعد الخلفي لسيارته أكثر من مرة خلال مسيرته المهنية.

لكن السائق – بصراحة تامة – لم يكن يكترث.

والليلة، حتى لو حاول التقاط أي طرف من حديث راكبه، لم يكن ليسمع سوى عبارات عامة، ولغة مشفرة، وإشارات غامضة بالأرقام والحروف. فالرجل الجالس في الخلف قضى وقتًا طويلاً في سيارات الليموزين، وكان لديه إجراءاته القياسية الخاصة عند تنقله؛ فإذا لم يكن متأكدًا تمامًا من أن السائق يحمل تصريحًا أمنيًا عالي المستوى، وخضع لجهاز كشف الكذب، ويملك "كود" الوصول للبرنامج المعني، فإن الحديث سيكون مشفرًا أو لا حديث على الإطلاق.

---

[1] شارع كيه (*K Street*): شارعٌ شهير في العاصمة الأمريكية واشنطن.

لقد كان ليلاند بابيت في هذه اللعبة لفترة أطول من أن يعتمد على التكتم المهني لسائق ليموزين لعين.



1

انحرفت سيارة اللينكولن بحدة يسارًا لتصدر عجلاتها صريرًا مدويًا، وانزلقت قليلاً عند التقاطع الزلق الذي غمرته أضواء المصابيح الأمامية لسيارات قادمة بغضب في الاتجاه المعاكس. صعدت السيارة مسرعة شارع كريسنت بليس متجاوزة لافتة صغيرة غير مضاءة كُتب عليها «تاونسند للخدمات الحكومية». وبعد أن انسلّت عبر بوابات حديدية إلكترونية كانت لا تزال في طور الفتح، صعدت ممرًا متعرجًا تحفّه أشجار الكرز الجرداء وصولاً إلى قصر ضخم قرميدي اللون يسبح في الأضواء الكاشفة.

ترجل ليلاند بابيت من السيارة دون أن ينبس بكلمة للسائق، وركض تحت المطر البارد صاعدًا الدرجات الحجرية للمبنى، ليدلف عبر باب أمسك به رجل نحيل يرتدي سترة رياضية.

في البهو الرخامي المستدير، وقف شابان آخران بقصات شعر عسكرية وملابس مدنية، تتدلى من أكتافهما بنادق آلية من طراز Koch & Heckler. وقبل أن يتفوه أحد بكلمة، هرع رجل في أواخر الثلاثينيات – يصغر بابيت بعقد من الزمان تقريبًا – قادمًا من ممر طويل يؤدي إلى الجزء الخلفي من المبنى. كان يرتدي سترة صوفية

وبنطالاً مخمليًا، وتتدلى على صدره مجموعة من المفاتيح والشارات المعلقة من سلسلة حول رقبته.

التقى بابيت بالرجل الأصغر في وسط البهو، وتردد صدى صوته بين الجدران الرخامية:

– "هل بدأ الأمر؟"

أكد الرجل ذو السترة الصوفية:

– "لقد بدأ."

– "الهجوم جارٍ؟"

– "يتم التسلل إلى الهدف بينما نتحدث."

– "رجل واحد؟ هل سيهاجم رجل واحد ذلك الحصن اللعين؟"

– "نعم يا سيدي."

– "وهل هو ذلك الشخص؟ هل هو صاحبنا؟"

أمسك جيف باركس بذراع رئيسه وقاده بسرعة عائداً عبر الممر وهو يقول:

– "نظن ذلك."

قال بابيت وهو يفك ربطة عنقه ويفتح الزر العلوي لقميصه ليحرر عنقه الغليظ بينما يمشيان:

– "عليك أن تكون أكثر دقة من ذلك. هناك أكثر من وغد في الخارج يود غرس سكين في عنق غريغور سيدورينكو."

كان الممر الطويل مكسوًا بخشب الكرز المعتق، وتزينت جدرانه المضاءة بذوق رفيع بلوحات فنية تجسد الغرب الأمريكي. كانت هناك لوحات مائية لرسامين مثل «راسل» تصور رعاة البقر وهم يسوقون الماشية، وصور ملكية للهنود الحمر بريشة «جورج كاتلين»، ولوحتان صحراويتان للفنان «فريدريك ريمنجتون» تساويان مئات الآلاف من

الدولارات، بالإضافة إلى تمثال برونزي لجاموس بري من أعمال «ريمنجتون» أيضًا موضوع على طاولة جانبية تضيئها مصابيح مصممة من قرون الوعل.

بينما كانا يسرعان في الممر، خلع بابيت سترته المبللة وعلقها على ذراعه، ثم سأل:

– "كيف رصدناه؟"

أجاب باركس:

– "كانت إحدى طائرات UAV[2] في رحلة معايرة. لم يتوقع أحد أي نشاط الليلة. اليوم هو السبت؛ وكانت هناك حفلة صاخبة في موقع الهدف حتى ساعة مضت، مما يعني وجود ثلاثة أضعاف عدد الأفراد المعتاد في الموقع. أضف إلى ذلك أن الطقس سيئ للغاية ودورة الإضاءة القمرية التالية لن تحين قبل يومين."

– "مفهوم."

– "رصد مشغل طائرة ScanEagle حركة على بعد نصف ميل من الساحل. تتبعنا البصمة لأقل من دقيقة قبل أن نحدد أننا على الأرجح نشاهد هجومًا فرديًا على ممتلكات سيدورينكو."

– "هجوم بزورق سريع؟"

– "لا."

– "بالغوص؟ المياه لابد أنها أقل من أربعين درجـ..."

– "إنه لا يسبح."

– "إذن كيف..."

توقف باركس عند باب ونظر إلى رئيسه بابتسامة قائلاً:

---

2 *UAV* : اختصار لعبارة *Unmanned Aerial Vehicle*، وهي طائرة تُدار عن بُعد أو تعمل ذاتيًا دون طيار بشري على متنها، وتُعرف شائعًا باسم الطائرة المُسيَّرة (الدرون).

– "يجب أن ترى هذا بنفسك."

مرر باركس بطاقة من سلسلته عبر قارئ إلكتروني بجوار باب بلوطي ثقيل، ثم فتح الباب ليكشف عن درج. تبع رئيسه إلى الأسفل، حيث تردد صدى حذاء الرجل الأكبر سنًا اللامع في بئر السلم.

عند أسفل الدرج كان هناك ممر آخر؛ يمتد في الاتجاه المعاكس، وكان – على النقيض من الرواق العلوي – ضيقًا، خافت الإضاءة، وعمليًا بحتًا، وإن كانت جدرانه مزينة أيضًا.

بينما هرع الرجلان في الممر، مرّا بجوار عدة صناديق عرض مضيئة بأحجام مختلفة. احتوت الصناديق الأولى على صور «تِنتيب» وصور فوتوغرافية قديمة لرجال صارمين ذوي لحى، يرتدون معاطف سوداء وقبعات طويلة، ويحملون بنادق صيد، ويقفون بجوار توابيت مسنودة، بداخلها موتى في صناديق صنوبرية ينظرون إلى المصور وعيونهم مغطاة بقطع نقدية معدنية. وُضعت مع هذه الصور قطع أثرية من الغرب القديم: برقيات باهتة، مسدسات، رِكَاب سروج وأصفاد، وحتى قميصٌ رجالي رسمي ممزق وملطخ بدماء سوداء قديمة.

تجاهل بابيت وباركس صناديق العرض وهما يمشيان؛ فقد مرّا بها مرات لا تحصى. سأل بابيت:

– "إذن ليس لدينا أي عناصر في الموقع؟"

– "لقد أجريت اتصالاً مع قائد فريق «تريسل»، وأخبرته أن لديه عشرين دقيقة لجمع رجاله وتجهيز عتادهم. إنهم على بعد ثلاثين ميلاً في سانت بيت في فترة استراحة، لكن لا داعي للقلق. ستقوم طائرة UAV بتتبع الهدف طوال عملية الانسحاب. لقد وجدناه." ارتسمت ابتسامة رضا على وجهه وهو يضيف:

– "وسننال منه."

على يسارهما الآن صندوق عرض يحتوي على لحية تنكرية ورزم من الماركات الألمانية أُخذت من مجرم حرب صربي تم أسره، وعلى يمينهما صورة لرجلين بابتسامتين عريضتين يرفعان إبهامهما، وقد طُمست عيونهما بأشرطة سوداء، يقفان بجوار مانويل نورييجا[3] المكبل والمحمرّ العينين في مؤخرة طائرة شحن.

كان هناك مسدس آلي ذهبي أُخذ من أحد قصور صدام معروضاً في خزانة قرب نهاية الممر، وصف من الصور لمزيد من الرجال وحتى بعض النساء – عيونهم مطموسة بالسواد أيضاً – يقفون حول رجال مقيدين ومغطى رؤوسهم بأكياس.

كان هذا الرواق يعرض التاريخ السري لهذه المنظمة، وهي قوة من **صيادي الخارجين عن القانون**[4] يمتد تاريخها لمئة وخمسين عامًا، ورغم أن أيًا من الرجلين المسرعين في الممر لم يكن يفكر في ذلك الآن، إلا أنهما كانا يتوقعان تمامًا بناء نصب تذكاري جديد قريبًا جدًا لتخليد ذكرى النهاية الناجحة لمطاردتهما الحالية.

في نهاية الممر كانت هناك ردهة مضاءة جيدًا، حيث وقف رجل آخر بقصة شعر عسكرية في وضع الاستعداد بجوار مكتب صغير. تدلى رشاش HK من على كتفه، وإلى يمينه باب فولاذي ثقيل مستوٍ مع الجدار.

---

[3] **مانويل نورييجا**: حاكم بنما العسكري الذي أطاحته الولايات المتحدة في غزو ١٩٨٩، أُلقي القبض عليه وسُلِّم للسلطات الأمريكية، ونُقل جواً إلى الولايات المتحدة حيث حوكِم وسُجن بتهم تتعلق بتهريب المخدرات.

[4] **صيادي الخارجين عن القانون – *Outlaw hunters***: هي شركات أمنية خاصة -حقيقية وليست خيالاً- تمارس مهام التعقّب والقبض على الفارّين وتعقّب المطلوبين دولياً بالتنسيق مع السلطات، ومن أمثلتهم منظمات أو فرق تعمل بغطاء قانوني مثل *U.S. Fugitive Recovery Teams* في الولايات المتحدة، وبعض الوحدات المتخصصة في تعقّب المطلوبين التابعة لـ *U.S. Marshals Service*.

كانت هناك لافتة صغيرة على الباب تقول: «غرفة الإشارة – الدخول بالبصمة الحيوية فقط».

قال الحارس عند الباب:

– "مساء الخير سيد بابيت. بدلة سهرة رائعة."

وضع ليلاند بابيت يده على شاشة صغيرة مثبتة على الحائط بجوار الباب. وبينما كان ينتظر قارئ البصمة لتأكيد هويته، رد التحية للرجل:

– "آل."

– "فقط أعطنا الإشارة وسننطلق."

هز بابيت كتفيه وهو ينتظر بفارغ الصبر:

– "إنه دور فريق «تريسل» الآن يا آل. فريق «جامبر» هو التالي. ستحصلون على فرصتكم في المرة القادمة."

صوت نقرة مكتومة صدر من داخل الباب، فمد آل يده للمقبض وفتحه سامحًا لبابيت وباركس بالدخول.

بمجرد دخول الرجلين، أغلق الحارس الباب خلفهما وعاد القفل الثقيل للإغلاق.

كانت الغرفة مضاءة فقط بوهج شاشات الكمبيوتر وشاشات الفيديو؛ الجدار المقابل كان مغطى بشاشة بلازما ضخمة بعرض عشرة أقدام وارتفاع سبعة أقدام، وتفرعت مكاتب زجاجية صغيرة يمين ويسار المنطقة الرئيسية. ظهرت شابة ترتدي بنطال جينز وكنزة رياضية تحمل شعار «جورج تاون» وسط الضوء الخافت وناولت بابيت وباركس سماعات رأس لاسلكية ارتداها كلاهما. ساد الغرفة هدوء نسبي، رغم أنها كانت تعج بالحركة على كل شاشة. كان هناك رجال ونساء، حوالي اثني عشر شخصًا في المجمل، يجلسون إلى

مكاتبهم، متصلين عبر أسلاك سماعات الرأس بأجهزة الاتصالات والحواسيب.

كان بابيت لا يزال يضبط سماعة الأذن ويسحب الميكروفون ليضعه فوق شفتيه حين سأل:

– "الوقت المتبقي للوصول للهدف؟"

جاءه صوت نسائي عبر سماعة الراسل:

– "الوصول إلى اليابسة خلال عشر ثوانٍ. سيكون في موقع الهدف (On the X) خلال أقل من خمس دقائق."

حدق بابيت في الشاشة المركزية. كانت هناك صورة بالأشعة تحت الحمراء معروضة في المنتصف، تحيط بها قراءات رقمية: *الارتفاع، درجة الحرارة، الضغط الجوي، اتجاه البوصلة، وسرعة الرياح.*

مال بجسده مقتربًا، مضيقًا عينيه ليرى الصورة التي تتبعها الكاميرا. تابعت الشابة حديثها بعد إرسالها الأخير:

– "تم الوصول لليابسة (Feet dry). الساعة 03:56 بالتوقيت المحلي."

كانت برودة البحر قد زادت من حدة وضوح الهدف أثناء تحركه فوق الماء، لكن الآن، وفوق اليابسة، أصبحت الصورة أقل وضوحًا. ضغط مشغل أجهزة الاستشعار زرًا فانعكست بصمة الأشعة تحت الحمراء. تحول الجسم المتحرك الأبيض الساخن إلى أسود ساخن، وتحولت الأرض تحته إلى درجات أفتح من الرمادي، وأوضحت الصورة الجديدة الهدف تمامًا: رجل تحت جناح مثلثي صغير، مع محرك ينفث حرارة في الهواء البارد خلفه.

سأل بابيت الغرفة، وفي صوته مسحة من الذهول:

– "بحق الجحيم، ما الذي أنظر إليه؟"

أجابه باركس بجواره:

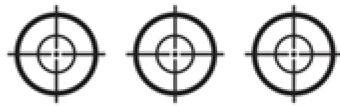
– "إنه يطير يا لي. إنها غارة جوية يشنها رجل واحد."

تمتم بابيت وهو يقترب أكثر من الشاشة:

– "يطير بماذا؟ هذه ليست طائرة. وليست مروحية أيضًا."

أكد باركس بابتسامة:

– "لا يا سيدي، ليست كذلك."



2

على بُعد أربعة آلاف وأربعمائة واثنين وخمسين ميلاً شرقيّ مدينة واشنطن العاصمة، كانت طائرة صغيرة تطنُّ على ارتفاع ستمائة قدم فوق قمم الأشجار المكسوّة بالثلوج. كانت أجنحتها الرقيقة المرفرفة تمتدُّ على اتساعها لتستمدَّ قوّة الرفع من الهواء المضطرب، بينما يشير أنفها المدبب نحو نقطة العبور التالية، على بُعد أقل من كيلومتر واحد.

كانت مدينة (سان بطرسبرج–روسيا) تتوهج بلون رمادي في جهة الشرق، وأضواء واجهتها البحرية تكاد تخترق حجاب الثلوج والظلمة. أما جهة الغرب، فلم تكن سوى سوادٍ حالك؛ إنه خليج فنلندا، مياه مفتوحة تمتدُّ حتى مدينة هلسنكي على بُعد مائتي ميل تقريبًا.

وأمامه مباشرة، تراءت بضع نُقاط ضوئية ضئيلة. لم تكن قرية أوشكوفو شيئًا يُذكر؛ مجرد دزينة من المنازل والمباني ومحطة سكة حديد، لكن غابة لينتولا لارش كانت تطوقها، لذا كانت تلك الأضواء

المنبعثة في الرابعة صباحًا بمثابة علامة استدلال واضحة للرجل الذي يشقُّ عباب السماء المظلمة.

كانت الطائرة من نوع "ميكرولايت ترايك[5]"؛ وهي طائرة شراعية معلقة مزودة بمقصورة مكشوفة صغيرة من الألياف الزجاجية في الأسفل للطيار، ومحرك خلفي يدفعها للطيران. كان كورتلاند جينتري يحلق واضعًا يديه المكسوّتين بالقفازات على قضيب التحكم، بينما كانت عيناه تنتقلان بلمح البصر بين الأضواء الممتدة أمامه وجهاز لوحي صغير ثُبِّت بشريط "فيلكرو" على فخذه. كان الجهاز يطلعه باستمرار على ارتفاعه، وسرعته، وموقعه عبر خارطة متحركة تعتمد على نظام تحديد المواقع (GPS).

كما ثُبِّت مقياس لسرعة الرياح على الكونسول المركزي، يطلعه على سرعة الهواء كل خمس ثوانٍ. كانت القراءات تتفاوت بمقدار عشر عُقد بين المرة والأخرى، بفعل نسيم الساحل الذي كان يلطم الجناح المثلثي؛ مما جعل تلك المعلومات غير ذات قيمة فعلية لاتخاذ قرار محكم.

كان كورت يضع منظارًا للرؤية الليلية، لكن العدسة الأحادية كانت مرفوعة الآن فوق جبهته، مما منحه مظهرًا يشبه وحيد القرن. ومع أن تقنية الرؤية الليلية تظل أفضل من العدم، إلا أن هذه الوحدة كانت قديمة وبسيطة، لا توفر له سوى مجال رؤية يبلغ أربعين درجة فقط. هذا المجال الضيق، والعدسة التي تبللت بلا شك بفعل الثلوج المتطايرة، جعلا المنظار غير فعال على هذا الارتفاع، لكنه كان يدرك أنه سيُضطر لاستخدامه مع اقترابه من هدفه.

---

[5] الصورة الواقعية لطائرة المايكرولايت في ملحق الصور بنهاية الكتاب

مرَّ كورت غربيَّ أوشكوفو مباشرة، وكان طنين محركه بعيدًا عن مسامع القرويين النائمين، ثم مال بطائرته بزاوية عشرين درجة شرقًا نحو وجهته الجديدة، متوغلًا في أعماق غابة لينتولا لارش. زاد من قوة المحرك ودفع القضيب للأمام قليلاً، لتبدأ طائرته في الصعود عاليًا في الهواء الثلجي.

أمامَه في الأفق، كبرت نقطة ضوء جديدة حتى صارت في حجم ظفر الإبهام مع اقترابه منها. كانت تلك هي بلدة روتشينو، وإلى الشرق منها مباشرة، برز قصر باذخ من بين الأشجار، بارتفاع أربعة طوابق، تحيط به مبانٍ ملحقة ومنشآت أخرى.

كان هذا هو الهدف، نقطة الوصول المنشودة.

كانت هي "**النقطة X**".

ومع اقترابه من روتشينو، نزع كورت على مضض بطانية صوفية كان قد لفّها حول ساقيه وألقى بها جانباً، لتسقط متوارية في الغابة بالأسفل.

أمرَّ يديه الآن على جسده وفي أرجاء المقصورة، يتفقد كل قطعة من معداته الحيوية بتركيز منهجي؛ ليتأكد للمرة الأخيرة من أن كل شيء محكم في مكانه ويسهل الوصول إليه.

فوق ملابس حرارية سوداء وسروال قطني أسود –لم يكن ليوفر أي حماية حقيقية من الصقيع لولا طبقات الصوف التحتية– لم يكن جينتري يحمل سوى بضعة أرطال من المعدات المثبتة على جسده. لم تكن معدات كثيرة، فقد اختصر كورت عُدّته من أجل حرية الحركة وسهولة الوصول، وخفف الوزن من أجل السرعة.

لقد أمضى شهورًا يستعدُّ لهذه الليلة، وحمولته تعكس هذا الاستعداد. كان يحمل مسدس "غلوك 19" تسعة مليمترات في جراب

على فخذه، مزودًا بكاتم صوت يصل حتى ركبته على الجانب الخارجي من ساقه اليمنى. وفي أسفل ظهره، استقرّت حقيبة نايلون تحوي كابلين، كلاهما متصل بحزام تسلق تحت ملابسه، وملفوفان حول بكرات ارتداد كهربائية. أحد الكابلين كان حبل تسلق بقطر ربع بوصة، والآخر كان حبلاً مطاطياً "بنجي" أكثر سماكة. كما ثُبِّتت خطافات تسلق قابلة للطي وتعمل بالتحكم عن بُعد في نهاية كل حبل، تبرز رؤوسها التيتانيومية المكسوّة بالمطاط من الحقيبة لسرعة الاستخدام.

وعلى حزامه، ثبّت أدوات التحكم في البكرات والخطافات؛ وهي لوحة بحجم الهاتف المحمول تتكون من أربعة أذرع صغيرة ثلاثية الأوضاع. كما زان حزامه أداة متعددة الاستخدامات في جرابها، وسكينان قتاليتان بنصال سوداء في غمدين سريعي الوصول.

كان يحمل حقيبة ظهر صغيرة محشوة بالملابس وحقيبة إسعافات أولية. وعلى صدره، في حمالة صدرية سوداء، رُصَّت مخازن مسدسه في جيوب "فيلكرو"، إلى جانب مسدس إشارة عيار 26.5 ملم بطلقة واحدة، يشبه المسدس "الريفولفر" قصير الماسورة بسبطانة سميكة. كان محشوًا بقنبلة دخانية، وتوزعت عدة قنابل دخانية باليستية أخرى على صدره، مثبتة بأشرطة "فيلكرو".

وعلى كاحله الأيمن، وضع كورت مسدس "غلوك 26" صغير الحجم. كان يأمل ألا يضطر لاستخدامه لكونه غير مزود بكاتم صوت، لكن كورت كان في هذا المجال طويلاً بما يكفي ليعرف معنى الاستعداد.

حينما كان في "وكالة الاستخبارات المركزية"، كان اسم مدربه الأساسي موريس، وكان موريس يعظه دائماً بأهمية الاستعداد مقابل

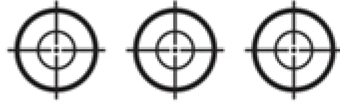
الحظ، مكرراً عبارته الشهيرة التي كان يصرخ بها في أذن جينتري كلما ترك شيئاً للصدفة:

اجعل الأمل في يد، والقذارة في الأخرى، وانظر أيهما ستمتلئ أولاً!

لم تفارق تلك الصورة ذهن كورت أبداً حينما يأمل في الأفضل، أو حينما يستعد للأسوأ.

ارتجف كورت من البرد؛ فقد افتقد تلك البطانية بالفعل، لكنه تجاهل انزعاجه، وتفقد ارتفاعه، ثم دفع قضيب التحكم للأمام مرة أخرى لزيادة قوة الرفع.

وبفكّين مطبقين بعزيمة، نظر إلى هدفه في الأفق، ومدَّ يده إلى الكونسول المركزي، وأطلق العنان لكامل قوة المحرك.



في "منزل تاونسند" بواشنطن، كان أربعة عشر رجلاً وامرأة في غرفة الإشارة يراقبون بصمة حرارية سوداء تطفو فوق غابة بيضاء ضبابية في الجانب الآخر من العالم. وبعد أمرٍ من فني مراقبة عبر رابط الاتصال لطيار الطائرة بدون طيار، انطلق شعاع ليزر من الطائرة المسيرة (UAV). لمس الطائرة المتحركة كإصبع غير مرئي، ثم نقل السرعة والارتفاع إلى مشغل المستشعرات.

انبعث صوت ذكر رخيم عبر سماعات الراسل:

– "إنه في مرحلة الصعود، والسرعة تتزايد."

كان بابيت لا يزال يحاول استيعاب المشهد الذي يتكشف أمامه، فسأل:

– "كيف يتوقع الوصول إلى منطقة الهدف دون أن يسمعه الروس وهو في ذلك الشيء؟"

أجابه شاب من مكتبه في مقدمة الغرفة:

– "نفترض أنه سيقطع الطاقة ليستطيع التسلل. الرياح تهبُّ من الماء نحو الداخل، وهي في ظهره. حتى مع وزن المحرك والمقصورة، فإن نسبة انزلاق تلك الطائرة جيدة. إذا صعد إلى ارتفاع ألف قدم تقريبًا، يمكنه الإبحار لمسافة كيلومترين أو ثلاثة بصمت تام."

– "وماذا بعد؟ يهبط ببساطة على العشب؟"

بدا ذلك لـ بابيت فكرة كارثية. ورغم أن أولى خيوط الفجر لن تظهر فوق شمال غرب روسيا إلا بعد أربع ساعات، كان الجميع في غرفة الإشارة يعلمون أن ملكية سيدورينكو تعجُّ بالمسلحين.

قالت امرأة:

– "نعتقد أنه سيحاول الهبوط في الجانب الشمالي من الملكية؛ وربما 'الهبوط الاضطراري' هو الوصف الأدق. الحراسة هناك أقل، ولكن مع ذلك، سيتعين عليه إخراج بضع حيل من جعبته لإنجاح الأمر."

لم يشح بابيت بنظره عن الشاشة، وقال:

– "لقد فكر في الأمر جيداً. هو يعرف ما يفعله. إذا وجد طريقاً للدخول، فسيجد طريقاً للخروج."

كان احتمال خسارة هذه الفرصة للنيل من هدفهم (الرجل الرمادي) أمراً لا يطاق.

– "فريق الطائرات المسيرة في الموقع، كم يبعدون؟"

كان جيف باركس لا يزال إلى جانب رئيسه:

– "إنهم في روتشينو، على بُعد كيلومترين من النقطة X."

صاح ليلاند بابيت بصوت عالٍ بشكل غير ضروري:

– "من على اتصال بفريق الطائرات المسيرة في روتشينو؟"

– "أنا يا سيدي،" أجابت امرأة سمراء في منتصف العمر، ووقفت عند محطة عملها على يمين بابيت:

– "أريد طائرتهم الثانية في الجو تحلق فوق الموقع. أنزلوا طائرة 'سكان إيغل' الأخرى وزودوها بالوقود. لا يمكننا أن نفقد أثره عندما ينتهي هذا الأمر."

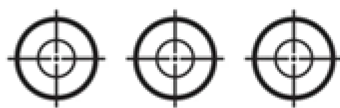
– "عُلم، سأفعل."

قال باركس:

– "لي، هناك خمسون مسلحاً حول ذلك القصر. يجب أن نضع في الحسبان أن هذا قد ينتهي الليلة، هناك، داخل تلك الأسوار."

تنهد بابيت بضيق:

– "إذا قتله رجال 'سِيد'، فلن نحصل على أتعابنا. الليلة، أنا أشجع كورت جينتري."



نظر كورت إلى الخارطة المتحركة على فخذه للمرة الأخيرة، ثم انتزع الجهاز اللوحي وألقى به فوق جانب الطائرة. مدَّ يده بين ركبتيه إلى الكونسول الصغير وقلب مفتاحاً، قاطعاً الطاقة عن المحرك خلفه. تباطأت المروحة، ثم توقفت؛ تلاشت ضوضاء المحرك تماماً، وباستثناء رفرفة الرياح الناعمة فوق نسيج الجناح، غرق جينتري في سكون الليل وهدوئه وظلمته.

كان الإحساس مذهلاً. حلق بهدوء عبر الهواء، مستفيداً من رياح خلفية قوية ومريحة على ارتفاع ثمانمائة وخمسين قدماً فوق قمم الأشجار، وهدفه أمامه مباشرة عند الساعة الثانية عشرة[6]. أنزل منظار الرؤية الليلية، فأضفت الضبابة الخضراء المنبعثة من معداته، والتي تشتتت بفعل العدسة المبللة، صبغة سريالية على هذه التجربة.

بدأ يهبط ببطء، مبحراً بصمت نحو نقطة هدفه، وهي بقعة تعلو مباشرة السقف القرميدي للمنزل الريفي الضخم في قلب الموقع.

كان سينخرط في نشاط محموم بعد لحظات، لكنه الآن لا يملك إلا الإمساك بقضيب التحكم بثبات وتصفية ذهنه للاستعداد للمجهول في العملية الوشيكة.

واعترف كورت لنفسه أن هناك الكثير والكثير من المجهولات.

لم يكن هنا بمحض إرادته، رغم أنه كان متعاقداً. الرجل الموجود في المنزل الريفي، غريغور سيدورينكو، كان زعيم منظمة "براتفا" (مافيا روسية) كبيرة وخطيرة. وقد قضى سيدورينكو العام الماضي في مطاردة كورت –بالمعنى الحرفي للكلمة– إلى أقاصي الأرض، ولم يبخل بأي مال في تلك المطاردة.

كان سيد يتحرك بدافع من الغضب والخوف والوسواس القهري؛ فقد علم أنه إن لم يقتل جينتري، فإن جينتري سيقتله حتماً. أدرك جينتري ذلك، وعرف أن سيد لن يتوقف عن بذل الرجال والمال لتحقيق غايته، لذا علم كورت أنه لا يمكنه الاستمرار في الهرب.

كان عليه أن يهاجم مصدر التهديد.

---

[6] تشير الساعة الثانية عشرة إلى الأمام مباشرةً ... وهو أسلوبٌ ميداني لتحديد الاتجاهات حول الشخص اعتمادًا على شكل الساعة، حيث تشير الساعة الثانية عشرة إلى الأمام، بينما تُستخدم بقية الأرقام للدلالة على الاتجاهات النسبية حول الموقع.

لأجل هذه الغاية، تواصل كورت مع منافس لـ سيدورينكو، وهو زعيم مافيا في موسكو، وتفاوض الرجلان على سعر العقد. استخدم زعيم المافيا الموسكوفية منظمته الواسعة لمساعدة جينتري بالمعدات والمعلومات الاستخباراتية، وهذا -بالإضافة إلى التدريب الذي خضع له جينتري قرب موسكو- تبلور كله في عملية هذا المساء.

لم يكن كورت يحب الشراكة مع ذلك الموسكوفي وعصابته القذرة أكثر من حبه لمواجهة سيدورينكو وعصابته القذرة، لكنه أدرك ألا خيار أمامه.

كان على كورت تصفية سيد، وبذلك يقلص العدد الهائل من التهديدات ضده بمقدار واحد فقط.

لم يكن شيئاً كبيراً، لكنه كان كافياً.

رفع كورت منظار الرؤية الليلية للحظة وأجرى تصحيحاً طفيفاً للمسار. مدَّ يده وفكَّ حزام الأمان، ثم أمسك بالخطاف المعدني في نهاية حبل "بنجي" متصل بمقصورة الطائرة. ثبّته في ثقب محفور في الجانب الأيمن من قضيب التحكم. ثم سحب حبلاً أقل توتراً في الجانب الأيسر وثبّته في الجانب الأيسر من القضيب. وربط حبلاً ثالثاً بين مركز القضيب ومقدمة المقصورة.

ترك قضيب التحكم، واستمرت الطائرة في التحليق، ثابتة في هبوطها، وأجنحتها المرفرفة مثبتة بحبال الـ "بنجي". كان في كل طرف من طرفي قضيب التحكم حبل طويل مربوط ومخزن في حقيبة؛ أخرج كورت الحبال وألقى بواحد فوق كل جانب من المقصورة.

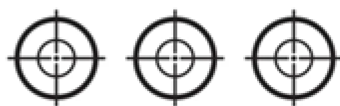
وتحت ركبتيه على أرضية المقصورة، كانت توجد حقيبة رياضية صغيرة من الفينيل. أخرجها وفتحها، وسحب سلسلة مترابطة من الألعاب النارية، ستون قطعة في المجمل. كانت بأحجام وأشكال

ووظائف مختلفة؛ صواريخ متوهجة، ومتفجرات صوتية ضخمة بلا وميض، وقذائف هوائية متعددة المراحل. ومثل أضواء عيد الميلاد، كانت كل قطعة متصلة بفتيل طويل، وينتهي الفتيل في صندوق معدني أسود صغير يحوي جهاز إشعال لاسلكي. سحب كورت السلسلة بسرعة، ثم ترك ثعبان المتفجرات الصغيرة بطول أربعة عشر قدماً يسقط من جانب الطائرة، ليشق الظلام نحو الغابة بالأسفل.

وبسرعة، فكَّ كورت سلماً من الحبال مثبتاً في الجانب الأيسر من الطائرة، ثم استدار بحذر، وأخرج ساقيه للأمام، ووجد الدرجة الأولى من السلم بقدمه.

لم ترُق للأجنحة تلك الحركة المفاجئة؛ مالت الطائرة يساراً، ثم عادت لليمين عندما اتكأ كورت عائداً فوق المقصورة لتعديل المسار. قلق جينتري من أنه قد فقد من الارتفاع في الثواني القليلة الماضية أكثر مما كان يخطط له، لكن الرياح الخلفية أبقت مساره ثابتاً بما يكفي، وعلم أنه لا يملك الآن إلا أن يأمل في الأفضل.

وبنظرة أخيرة للتأكد من ثبات قضيب التحكم، اختفى عبر الجانب، هابطاً في الظلام فوق قمم الأشجار، مبحراً للأمام بسرعة تزيد قليلاً عن خمسة وعشرين ميلاً في الساعة. وأثناء هبوطه، أمسك بحبال قضيب التحكم، مما منحه قدرة أساسية على توجيه الجناح المثلثي وهو معلق تحت المقصورة.



راقب ليلاند بابيت الشاشة البلازما الضخمة بينما كان يطلق التعليمات عبر سماعته:

– "أريد تلك الطائرة المسيرة في مستوى أدنى. لا حراري، لا أشعة تحت الحمراء. نحتاج إلى تأكيد بصري أنه هو الرجل الرمادي. هو ليس العدو الوحيد لـ 'سيد'. إذا تبين أن هذا شخص آخر..."

توقف بابيت عن الكلام عندما تحرك الشكل الأسود مبتعداً عن جانب المركبة الصغيرة ولكنه لم يسقط؛ بدلاً من ذلك، ظل معلقاً هناك تحت المقصورة، ثم تدلى في الهواء الطلق.

شهق الأربعة عشر رجلاً وامرأة في ميكروفوناتهم.

لقد كان من الواضح أن هذا ليس مجرد "شخص آخر".

قال ليلاند بابيت:

– "انسوا الأمر، إنه جينتري."

شعر بابيت بالقشعريرة تسري في جسده. لقد كان انتظاراً طويلاً، عشرات الآلاف من ساعات العمل في التحضير والانتظار، لكن الميزانية كانت تسمح بالمطاردة، وكانت هناك مكافآت تحفيزية وفواتير إضافية جعلت موظفيه يواصلون العمل وطائراته تحلق في الجو.

وتدَّفُق أموال الصناديق السوداء من "وكالة الاستخبارات المركزية CIA" جعل كل هذا ممكناً.

حوّل مشغل مستشعرات طائرة "سكان إيغل ScanEagle " الكاميرا من الوضع الحراري إلى كاميرا الرؤية الليلية، وقرّب الصورة (زوم) على الرجل المعلق تحت المقصورة، ليكشف عن سلم حبال يبلغ طوله حوالي خمسة وسبعين قدماً.

بدأ جينتري في النزول، يداً فوق يد، متسلقاً السلم بسرعة وبراعة.

سأل أحدهم:

– "من الذي يقود الطائرة بحق الجحيم؟"

قال باركس:

– "لا أحد. لقد ثبّت الأجنحة، ووازنها للحفاظ على هبوط مستقيم، ربما عن طريق ربط قضيب التحكم في مكانه. إنه يثق بأنها ستبقى على مسار انزلاقها حتى يهبط."

همس أحدهم في الميكروفون:

– "أراهن أنه يستهدف السقف." ثم أضاف بصوت خفيض: "يا إلهي، هذا الرجل جريء بشكل لا يصدق."

نزع ليلاند بابيت سماعة الرأس وأمسك بـ باركس من ذراعه، وجذبه إليه. وبقي عيناه على الشاشة وهو يتحدث بسرعة:

– "انشروا الأصول. تحركوا نحو موقع الهدف. أبلغوا قائد فريق 'جامبر' في برلين واطلبوا منه وضع فريقه في حالة استعداد، ليكونوا جاهزين للرد بناءً على معلومات الطائرة المسيرة. أريد الجميع في حالة حركة ومستعدين لتعقب كورت بمجرد مغادرته الهدف إلى منزله الآمن، أو إلى أي جحيم يقصده، قبل أن تسقط آخر رصاصة في منزل 'سيد'."

– "عُلم." ثم سأل باركس: "ماذا عن 'العميل المنفرد'؟"

التفت بابيت بعيداً عن الشاشة لأول مرة منذ دخوله الغرفة. زفر زفرة طويلة وقال:

– "لقد صدق توقعه، أليس كذلك؟ جينتري يفعل بالضبط ما قاله العميل المنفرد."

– "نعم يا سيدي."

فكر بابيت للحظة، ثم أومأ برأسه وقال:

– "حسناً. تواصلوا مع العميل 'ديد آي'. اطلبوا منه ترك عمليته الحالية. أريده في الجو خلال ساعة."

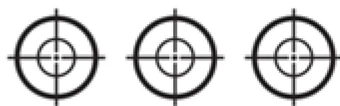
غادر باركس جانب رئيسه وتوجه إلى مكتب محاط بالزجاج بجانب غرفة الإشارة الرئيسية.

بقي بابيت مكانه؛ يراقب صورة الرجل تحت الطائرة مرة أخرى. كان جينتري الآن على ارتفاع أقل من ثمانين قدماً عن الأرض، تفصله لحظات عن عبور السور الخارجي لقصر 'سيد' الريفي.

مدَّ بابيت يده خلفه، ودون أن يشيح بنظره عن الشاشة، سحب كرسياً متحركاً من أحد المكاتب.

جلس وقال:

– "سيداتي وسادتي، لم يتبق لنا شيء نفعله سوى الجلوس ومشاهدة محترف وهو يعمل. ليس كل يوم يتسنى لكم مشاهدة 'الرجل الرمادي' وهو يقتل. على الهواء مباشرة."



3

كان كورت معلقاً في منتصف الطريق بين مقصورة الطائرة، على ارتفاع خمسة وثلاثين قدماً فوقه، والدرجة الأخيرة من سلم الحبال، على ارتفاع خمسة وثلاثين قدماً تحته. قبل بضعة أسابيع، وبطريقة حاول إظهارها كدردشة عابرة، سأل مدربه الروسي على الطيران الشراعي عما إذا كان يمكن لشخص أن يتدلى معلقاً من طائرة "ميكرولايت" أثناء الطيران، فنظر إليه الشاب وكأنه فقد عقله. وأوضح له أن الأمر ممكن "نظرياً" إذا كانت الأجنحة مستقرة ومركز ثقل الشخص المعلق أسفل المركبة مباشرة، لكن طائرة بحجم التي

يستخدمها جينتري لا يمكنها تحمل وزن شخصين، ناهيك عن أنه لا يوجد أحمق ليجرب مثل هذه الحيلة تحت طائرة لا يوجد أحد عند أدوات تحكمها. ضحك كورت من سؤاله "الأحمق"، وأومأ بأدب، ثم عاد إلى غرفته ليصنع الخطافات والأحزمة لتقوم بدور مساعد الطيار، وحمالة لسلم الحبال يمكنها السحب من جانبي المقصورة بالتساوي.

عدة مرات أثناء طيرانه وحيداً فوق حقول مكسوة بالثلوج جنوب موسكو، جلس جينتري في الطائرة ويداه في حجره، بينما تقوم الخطافات والأحزمة بمهمة الطيران. كما تدرب على الهبوط دون محرك، موجهاً الطائرة للعودة إلى الأرض دون استخدام الطاقة، وغالباً ما كان يضع عجلاته على بُعد ياردات قليلة من نقطة الهبوط المستهدفة، رغم أنه تعثر بضع مرات في الثلج بعد هبوطه بسرعة كبيرة وارتطامه بقوة.

الآن، كان جينتري يحلق عبر الليل فوق السور الجنوبي للمجمع، على المسار الصحيح تقريباً، رغم أنه كان يهبط بمستوى أقل مما خطط له. نظر إلى الأسفل ورأى عدة مبانٍ ملحقة جنوب المنزل الرئيسي، وبالقرب منها حفرتا نار جلس حولهما عدة رجال، لا يزالون مستيقظين في الرابعة صباحاً. نُصبت خيام بسيطة هنا وهناك، وعلى الطريق الطيني والعشب المغطى بالثلوج، ركنت دراجات ثلجية بشكل عشوائي، وبعضها كانت مصابيحه الأمامية مضاءة لتنير الجزء الجنوبي من المجمع. كانت الشاحنات مركونة بالقرب من حظيرة ذات سقف معدني، ورجلان يحملان مصابيح يدوية يسيران بينها.

وكورت جينتري يحلق فوقهم جميعاً. كان يعلم أنه صامت، وأنه لا سبيل لأحد بالأسفل لرؤيته دون معدات بصرية ليلية وسبب وجيه للنظر إلى السماء، لكنه تمنى لو كانت لديه يد حرة ليسحب مسدسه.

كان هناك الكثير من الرجال بالأسفل في الهواء الطلق، مما يعني وجود عدد أكبر داخل المباني الدافئة.

لكن كورت كان يعلم ذلك مسبقاً. لم يكن غريغور سيدورينكو مجرد رجل عصابات عادي؛ فبينما كان هو نفسه مهذباً وفاحش الثراء، كانت احتياجاته الأمنية الشخصية تدار بواسطة طاقم خشن من شباب "حليقي الرؤوس" (Skinheads) الروس، جميعهم مسلحون جيداً، وإن لم يكونوا مدربين باحترافية. كان سيد هو ممولهم، وفي مقابل رعايته، كانوا يعيشون في ممتلكاته وحولها، يرتكبون جرائم بسيطة لصالحه، ويبقون العصابات والمنافسين بعيداً عن منطقته.

أشارت تقارير كورت الاستخباراتية إلى وجود أكثر من أربعين بلطجياً في المجمع الليلة، ففي معظم أيام السبت، كانوا يتجمعون جميعاً في المجمع للشرب والحفلات وممارسة هوايتهم المفضلة: العراك بالأيدي المجردة، يبرحون بعضهم ضرباً حتى الدماء ثم يسقطون سكارى تماماً.

ورغم أن كورت يفضل مواجهة قوة الحرس العادية المكونة من عشرين شخصاً أو نحو ذلك، إلا أنه علم أن الكثير ممن هم في الموقع الليلة سيكونون غائبين عن الوعي أو في حالة سُكر شديد، كما أن العدد الكبير من الأجساد المسلحة سيولد شعوراً جماعياً داخل المجمع بأنه لا يوجد عاقل سيجرؤ على مهاجمة سيد هذا المساء.

وبينما كان كورت متشبثاً، محلقاً نحو السقف، وضع في اعتباره أن من يظن ذلك قد يكون محقاً تماماً.

فهو لم يكن في كامل قواه العقلية.

لكن كل انتباهه الآن كان منصباً على هدفه المباشر. كان السقف مائلاً بشدة ولونه أدكن قليلاً من الغابة المكسوة بالثلوج خلفه، وفي

وسط القصر، برزت قبة دائرية شفافة تشبه البشرة. كان كورت قد رأى القبة في الصور الجوية؛ كانت ميزة معمارية غريبة لمنزل غابة في روسيا، حتى لمنزل بضخامة هذا القصر.

مسح كورت طول السقف مع اقترابه، باحثاً عن حراس ثابتين أو مراقبين متمركزين هناك، لكنه لم يرَ أحداً.

وعندما صار على بُعد أقل من خمسين ياردة من نقطة الالتقاء، أدرك أنه ينحرف جهة اليسار ويهبط بمستوى منخفض جداً. كان يعلم أن نزوله على السلم سيؤدي لخفض مركز الثقل تحت الأجنحة ويتسبب في فقدان الطائرة لارتفاعها، وقد وضع ذلك في الحسبان، ولكن بدا الآن أنه قلل من تقدير تأثير التعلق أسفل المقصورة على مسار رحلته. وبينما كان يراقب المبنى وهو يقترب بسرعة، أدرك أنه يخاطر الآن بالمرور بعيداً جهة اليسار، وتفويت السقف تماماً، والتدحرج هبوطاً على العشب محاطاً بالبلطجية السكارى المسلحين، أو –وهذا قد يكون أسوأ– الاصطدام بجدار القصر المسطح أسفل السقف. لو حدث ذلك، لعلم أن الروس سيستيقظون في الصباح ليجدوا رجلاً ميتاً مهشماً ومتجمداً على الأرض بجانب الجدار، يحيط به ثلج بلون الدم. كان سيتم التعرف عليه كعدو سيدهم اللدود، وسيتم اكتشاف الطائرة، وسيضحك الجميع على "أعظم قاتل في العالم" وهو يموت أثناء تنفيذ "أحمق خطة في العالم".

لكن كورت لم يكن ليسمح بحدوث ذلك. تسلق السلم بسرعة البرق، واضعاً نفسه في محاذاة الجزء السفلي من السقف القرميدي. وفي الوقت نفسه، جذب حبل التوجيه الأيمن للجناح، مرغماً الطائرة على العودة لمسار الطيران الصحيح.

فعل ذلك في الوقت المناسب تماماً. على بُعد ثمانية أقدام من الارتطام، ترك السلم وقام باصطدام مدروس مع القرميد المغطى بالثلوج في الزاوية الجنوبية الغربية للمبنى. ركض صاعداً السقف المائل عدة أقدام ليبطئ حركته، مستخدماً يديه وقدميه لامتصاص الطاقة، ثم انخفض بجسده، فامتصت قفازاته وركبتاه المبطنتان معظم الصدمة والضجيج، ووجد ثباتاً بنعال حذائه المطاطية.

جرَّ سلم الحبال فوق الثلج على السقف، ولكن بصمت، منزلقاً خلف الطائرة الفارغة، التي أخطأت قمة المبنى بمسافة لا تزيد عن عشرين قدماً. ثبّت كورت نفسه ونظر للأعلى ليرى مؤخرة المركبة عبر منظار الرؤية الليلية وهي تختفي فوق القبة، مبحرة نحو الغابة الكثيفة على الجانب الآخر من السور الشمالي للمجمع.

كانت الطائرة في مستوى أدنى مما تخيله، أدنى بكثير. لم يسعه الآن إلا أن يأمل في أن تعبر السور الشمالي، وتمنى ألا تحدث ضجة كبيرة عندما تتحطم هناك في الغابة التي لا يمكن اختراقها.

التفت كورت ليواجه القصر، ومسح الأرض بأسفل طوابقه الأربعة بمنظار الرؤية الليلية، فرأى جميع الرجال على الأرض إما ثابتين أو يتحركون بكسل في الأفق.

لم تكن هناك صرخات إنذار، ولا أصوات إطلاق نار، ولا حركة تبدو غير طبيعية.

خلع كورت حقيبة ظهره، وفتح جيباً خارجياً، وأخرج فتيلاً ثانياً أصغر مليئاً بالألعاب النارية، متصلاً أيضاً بجهاز إشعال لاسلكي. كانت هذه السلسلة عبارة عن مجموعة من "الإنكشارية" (Yanisars)؛ وهي دزينة من الأنابيب الورقية بطول أربع بوصات، محشوة بعبوة دفع من البارود الأسود تحت غلاف ورقي مليء بمزيد من المسحوق

المصمم لإحداث وميض ساطع وصوت دويٍّ عالٍ. نزع الرباط المطاطي، وفكَّ السلسلة، وألقى بها فوق الجانب الجنوبي من القصر. سقطت من الطوابق الأربعة، واستقرت في الثلج.

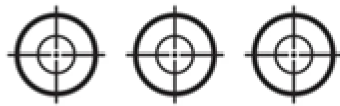
أعاد ارتداء حقيبته وتحرك صاعداً السقف، متوجهاً نحو نافذة علية تبرز من بين القرميد. جثا على ركبتيه؛ لم يكن هناك نظام إنذار يراه. كان القفل قديماً وسيكون من السهل فتحه، لولا أن يدي جينتري كانتا باردتين للغاية.

لكنه هزَّ أصابعه لتدفئتها وفتح النافذة في أقل من دقيقة، ثم انسلَّ إلى العليّة، وأغلق النافذة خلفه، وسحب مسدسه الـ "غلوك 19" المزود بكاتم صوت. رفع منظار الرؤية الليلية المبلل وشغّل ضوءاً أحمر تحت سبطانة مسدسه؛ وبدأ يبحث في المساحة الشاسعة المزدحمة عن كاشفات حركة. بدلاً من ذلك، رأى فضلات جرذان في الزوايا المتربة للغرفة، فعلم أن العليّة معتادة على الضيوف غير المرغوب فيهم الذين يجعلون استخدام كاشفات الحركة بلا فائدة.

أبقى مسدسه الصامت أمامه وهو يشق طريقه للأمام عبر العليّة نحو باب في نهايتها.

لقد فعلها. اكتملت عملية التسلل إلى الهدف.

لقد صار كورت في الداخل.



كان ليف ويفغيني يشعران بالبرد، لكن ليس بالقدر الذي كانا سيشعران به لولا كل تلك "الفودكا" في دمائهما. كانت احتفالات الليلة قد انتهت منذ زمن؛ ومعظم القوات الأمنية في المجمع كانت في الخيام

أو في ثكنات المنزل الريفي، وهي عبارة عن كوخ طويل يُدفأ بفرن فحم شمال الحظيرة مباشرة.

في الداخل، كان يوجد عشرين من "حليقي الرؤوس" النازيين الجدد نائمين، معظمهم ووجوههم للأرض فوق الأسرّة أو على الأرض بملابسهم الشتوية الزيتية الملطخة بالقيء، وكثير منهم يعانون من جروح وكدمات لم تُعالج من معارك المساء، وجميعهم غائبون عن الوعي بسبب جلسة الشرب الماراثونية التي استمرت طوال الساعات العشر الماضية.

لكن ليف ويفغيني كانا من بين الاثني عشر رجلاً الذين أُجبروا على العمل في نوبة الليل، ورغم أنهما استهلكا من الفودكا والبيرة ما يقارب ما استهلكه البقية، إلا أنه كان لديهما عمل ليقوما به. كانا في الجولة الثانية من أصل ثلاث دوريات مدتها نصف ساعة في ممرات الغابة والطرق الترابية شمال الملكية.

كان كلاهما مسلحاً ببنادق AK-47، وأجهزة لاسلكي، وقوارير "تيرموس" تحوي شاياً ممزوجاً بالفودكا. سارا عبر الثلج المبلل، ومصابيحهم اليدوية تتدلى منخفضة، لا يبحثان حقاً عن شيء، فقط يقتلان الوقت حتى يعودا إلى غرفة حراسة الشمال ليدفئا نفسيهما عند الموقد.

كان كلاهما في الحادية والعشرين من العمر، ويعملان مع منظمة سيدورينكو منذ مراهقتهما، حيث كانا يراقبان الهواتف المحمولة في سان بطرسبرج للإبلاغ عن وجود الشرطة في منطقة "الضوء الأحمر". لم يكونا يدينان بالولاء لذلك المليونير المخنث في المنزل الريفي الذي يحرسانه؛ فهما فاشيان، وسيد ليس هو من سيحكم "روسيا المثالية" التي يحلمان بها. لكن سيد كان وسيلة لغاية بالنسبة لهما؛ فهو يوفر

لهما الأمان والمال الكافي لسد احتياجاتهما الأساسية، وفي المقابل يقضيان بضع ليالٍ في الأسبوع في حراسة ملكيته عندما يكون هنا غرب المدينة.

طريق طيني وحيد متجمد يمتد عبر الغابة من بوابة المجمع نحو الشمال، ويسير بشكل مستقيم لمسافة كيلومتر تقريباً قبل أن ينتهي بمفرق. سار ليف ويفغيني على طول الطريق، يسلطان مصابيحهما أحياناً نحو أشجار اللارش الكثيفة التي تصطف على الجانبين. لم يتوقعا أي مشاكل، ولكن إن حدثت، فكلا الشابين كانا ثملين بما يكفي ومشحونين بهرمون التستوستيرون لدرجة اليقين بأنهما قادران على التعامل معها.

توقفا للحظة ليتبول ليف؛ نقل بندقيته إلى كتفه وفتح معطفه وسرواله هناك وسط الطريق بينما أخذ يفغيني رشفة من قارورته.

ومن الظلام فوقهما، جاءت حركة سريعة، مما جعل الرجلين يرتميان فوراً في الثلج. مرَّ شيء ضخم على بُعد أقدام من رؤوسهما، ثم ظهر شكل مظلم على خلفية جذوع أشجار اللارش البيضاء للحظة قبل أن يرتطم بالأشجار، مخلفاً أصوات تكسر الأغصان قبل ارتطام أخير بالأرض.

هرع الشابان الروسيان نحو الصوت. سحب يفغيني أجزاء بندقية "كلاشينكوف"، وسلط ليف مصباحه اليدوي على الكتلة المظلمة الكبيرة في الثلج.

كانت طائرة شراعية، إطارها ملتوي، وأجنحتها الزرقاء الداكنة ممزقة بفعل أغصان اللارش المكسورة. برزت مروحة من بين أغصان الأشجار المحطمة.

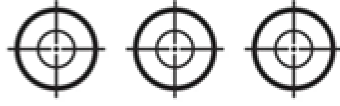
تمتم ليف:

– "ما هذا الهراء؟"

وراح يمسح بمصباحه أنحاء الغابة، بحثاً عن أي تلميح لمصدر هذا الشيء.

لم يجب يفغيني، لأنه لم يكن يعلم "ما هذا الهراء". لكنه عرف ما يجب فعله؛ مدَّ يده إلى جهاز اللاسلكي داخل معطفه:

– "دورية الشمال إلى غرفة الحراسة الشمالية! ثمة أمر مريب يحدث هنا!"



تحرك كورت في ردهة هادئة بالطابق الرابع ومسدسه مصوب أمامه. كان قد مسح الرطوبة عن عدسة الرؤية الليلية، ومن خلالها، حصل على رؤية ضيقة وخافتة وخضراء للطريق أمامه فوق كاتم صوته الطويل، ولم يرَ أي تهديدات.

المعلومات التي حصل عليها من "براتفا" موسكو لم تمنحه صورة واضحة لداخل القصر، لذا كان كورت يعتمد على حدسه في الكثير من خطواته. سبق لـ كورت أن دخل إحدى ممتلكات سيد الأخرى في سان بطرسبرج، وهناك كان سيد يحتفظ بمكتب وغرفة نوم في الطابق العلوي، لا شك لأنه يشعر بأمان أكبر هناك. قرر كورت تفتيش الطابق العلوي أولاً، متخيلاً أن وسواس سيد سيجبره على اتباع التنسيق نفسه في جميع ممتلكاته.

انتهت الردهة المظلمة عند شرفة تطل على بهو دائري واسع. نظر فوق الحافة، ورأى في الأسفل بأربعة طوابق نافورة منخفضة في وسط مساحة تشبه الفناء، إلى جانب بعض الطاولات والكراسي المتداخلة بين النباتات والأشجار المحصورة في أصص.

فوقه، وفي منتصف البهو، كانت السقف ذو القبة الزجاجية الذي يبلغ عرضه حوالي ثلاثين قدماً، محاطاً بعوارض دعم حديدية مزخرفة تتدلى منها الأضواء. كانت الأضواء مطفأة الآن، ولم يكن هناك سوى وهج خافت لليلة بلا قمر يتسلل عبر الزجاج ليظهر في عدسة رؤيته الليلية.

بمسح الشرفات المفتوحة في الطابق الذي تحته، رأى حارسين يجلسان على كراسٍ بجوار درج مفتوح. ظنَّ كورت أنه من المرجح وجود المزيد من الرجال تحته مباشرة.

لم يكن لدى جينتري خطة للعودة إلى هذا الجزء من المنزل، لكنه التقط صورة ذهنية سريعة للمكان؛ فإذا احتاج إلى خيار للتراجع، فقد يجد نفسه هنا مرة أخرى، ولن يكون لديه وقت لإلقاء نظرة مناسبة على التصميم.

بعد الانتهاء من ذلك، غادر الشرفة وبدأ يتوجه نحو ردهة تنبثق جهة يمينه. كان الظلام دامساً هنا؛ وكانت هناك مصابيح جدارية كهربائية على طول الممر، لكنها كانت مطفأة لليل. ومع ذلك، عند التفافه في الممر، رأى مصباحاً جدارياً واحداً يضيء بوضوح خارج باب خشبي ثقيل في نهاية الممر. كانت السجادة التي تمتد حتى نهاية الردهة أكثر زخرفة من الأرضية العارية للردهة التي غادرها للتو، وكانت هناك رائحة لا تخطئها الأنف من خشب الصنوبر المحترق والبخور في الهواء.

تولد لدى كورت انطباع بأنه يقترب من هدفه.

لم يكد يخطو بضع خطوات في الممر حتى انفتح باب على يمينه. انحرفت فوهة مسدسه نحو الحركة، وغادرت سبابته واقي الزناد لتسحب المسافة الضئيلة المتبقية من أمان زناد الـ "غلوك". في البداية

لم يرَ أحداً في فتحة الباب، لكنه خفض مستوى تصويبه وركز مسدسه على صبي صغير، لا يتجاوز السادسة أو السابعة من عمره. نظر إليه الصبي بعينين ناعستين غير مركزتين. وخلف الصبي، رأى جينتري غرفة نوم طفل.

كان الضوء شحيحاً في الردهة ولا يوجد ضوء في الغرفة، وشكّ كورت في أن الصبي يستطيع رؤية المسدس أو حتى التعرف على هوية الرجل الواقف في الردهة على بُعد خمسة أقدام منه.

عرف كورت لمن ينتمي هذا الصبي؛ فقد أشارت معلوماته إلى أن سيدورينكو، وهو أعزب، يعيش مع عائلته: ابنا عمومة يشكلان جزءاً من منظمته، وأخته، ولأخته عدة أطفال. هيأ كورت نفسه لمواجهة أطفال هنا في القصر، لكنه أمل أن يساعد الهجوم في جوف الليل على إبقائهم بعيداً عن مرمى سبطانة مسدسه.

لكن الحظ لم يحالفه.

قال الصبي بالروسية:

– "لا أستطيع النوم."

فهم كورت قوله. خفض مسدسه وأخفاه خلف ساقه، لكن عدسة الرؤية الليلية الطويلة كانت تبرز من بين عينيه. لاحظ الصبي ذلك وحدق بتركيز أكبر.

أجاب كورت بالروسية:

– "عُد إلى الداخل، وأغلق الباب."

سأل الصبي:

– "من أنت؟"

كرر كورت:

– "عُد إلى الداخل."

سأل الصبي:

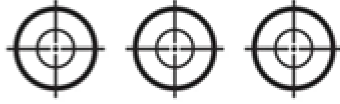
– "هل أنت وحش؟"

جثا كورت على ركبتيه، لتصبح عدسة منظاره على بُعد بوصات من وجه الصبي، وقال:

– "نعم، أنا كذلك. أنا وحش. اركض.. عُد إلى الداخل. اختبئ تحت سريرك ولا تخرج حتى تأتي والدتك لأجلك."

اتسعت عينا الصبي خوفاً؛ تراجع إلى الغرفة وأغلق الباب.

نهض كورت وبدأ يتحرك بسرعة في الردهة نحو الضوء المنبعث بجانب الباب الثقيل.



4

على بُعد ألف وواحد وتسعين ميلاً جنوب مدينة سان بطرسبرج، كان حي ليبسكاني في مدينة بوخارست بـ رومانيا قد ركن إلى السكون منذ ساعة مضت. فطوال ليلة السبت هذه، كان الحي يغصُّ بالشبان المحتفلين، إذ تكتظ أزقته المتعرجة وشوارعه الملتوية بأفضل نوادي العاصمة. غير أن الساعة بلغت الآن الرابعة فجراً، فدفعت البرودة والرياح الصقيعية الجميع إلى الاحتماء بالداخل؛ فمنهم من انزاح إلى ساحات الرقص في نوادي كولتورهاوس أو تيرمينوس، ومنهم من آثر العودة إلى شقته أو فندقه.

فوق سطح مبنى مكاتب يقع في الطابق الخامس، قبالة نهر ديمبوفيتسا في مواجهة حي ليبسكاني مباشرة، استلقى رجل بوضعية

الانبطاح خلف بندقية قنص من طراز SR-25. كان يحدق عبر المنظار، حاصراً شعيرات التصويب في مؤخرة رأس رجل يظهر بوضوح خلف ستائر حريرية شفافة، على بُعد مائتين وعشرين متراً.

كان منظار القناص، بقوة تكبيره التي تبلغ تسع مرات، يكشف له كل ما يحتاجه. ففي شقة فاخرة بالطابق الخامس بشارع سبلايول إنديبندنتسي، وقف رجل بدين في الستينات من عمره داخل غرفة نومه بملابسه الداخلية وجواربه، وهو ينزع ملابس امرأة تصغره بكثير -بل هي فتاة في مقتبل العمر- كانت تقف أمامه بطاعة، وعيناها مثبتتان على نقطة ما خارج النافذة.

كان من المفترض أن يكون الهدف وحيداً، لكن يبدو أنه أو حراسه قد استقدموا مومساً مراهقة، مما أفسد خطة القناص وأربك حساباته. لم يكن هذا الوضع مثالياً؛ فالفتاة سترى وميض الفوهة، وستشير إلى السطح الذي يتخذ منه مخبأً، وحينها سيهرع حراس الهدف نحو النافذة لمسح المنطقة بحثاً عنه، ثم يندفعون إلى الشوارع لقطع طريق هربه، كما سيبلغون الشرطة، فتُنصب الحواجز وتشرع دوريات الطرق في توقيف أي شخص يقود سيارته في الرابعة صباحاً.

أراد القناص الانتظار حتى تبتعد الفتاة، لكن الهدف كان متمهلاً في غيّه، وأدرك القناص أن الحراس في الغرفة المجاورة قد يقتربون من النافذة في أي لحظة للنظر خارجاً، مما يزيد من عدد العيون المراقبة لموقعه.

لا، لم يكن هذا الاغتيال مثالياً.. لم يكن كذلك البتة.

لكنه كان ممكناً.

قرر القناص المضي قدماً؛ سيطلق رصاصة في مؤخرة رأس هدفه، ثم يلحقها برصاصة أخرى للفتاة. مسح القناص غرفة النوم

بسرعة، مخمناً الوجهة التي قد تلوذ بها الفتاة بعد أن يتناثر دماغ عشيقها فوق جسدها العاري. ورجح أنها ستتجمد في مكانها من هول الصدمة، مما يمنحه وقتاً كافياً لتسديد الرصاصة الثانية ببندقيته نصف الآلية. لن يحتاج لأكثر من ثانية واحدة، وتوقع ألا تستوعب الفتاة الخطر في مثل هذا الوقت الضئيل. وحتى لو ارتمت أرضاً أو تحركت يمنة أو يسرة، لم يجد القناص أمامها أي ساتر قد يحميها من رصاصة عيار 5.56 ملم مكسوة بالنحاس.

لم تكن الفتاة هي الهدف، لكن قتلها صار ضرورة لضمان خروج سلس من منطقة العمليات، لذا لم يعطِ الأمر مزيداً من التفكير. وبعد أن اطمأن إلى استعداده لكل الاحتمالات، أعاد تركيز شعيرات التصويب على مؤخرة رأس الرجل، وحرك زر الأمان في بندقيته، ثم وضع إصبعه على الزناد. أبطأ وتيرة تنفسه، بل وأحكم سيطرته على نبضات قلبه عن طريق إرخاء ضغط دمه بوعي تام.

دوى طنين في أذنه اليسرى، فزفر القناص الهواء من رئتيه في تنهيدة خافتة. سمح لنفسه بلحظة لاستعادة تنفسه الطبيعي؛ وابتعد إصبعه عن الزناد ليستقر على واقيه، بينما تحركت يده اليسرى من تحت السلاح لتلمس زر سماعة البلوتوث.

قال بهدوء:

– "تفضل."

أجابه صوت عبر اللاسلكي:

– "معك ميترونوم."

تمتم القناص بضيق:

– "توقيت سيء.. أثبت هويتك يا ميترونوم."

– "اثنان، سبعة، سبعة، أربعة، تسعة، اثنان، أربعة، ثلاثة، ثمانية."

– "تم التأكيد. معك ديد آي (عين الموت)."

– "أثبت هويتك يا ديد آي."

– "أربعة، ثمانية، واحد، صفر، ستة، صفر، خمسة، اثنان، صفر."

وبعد صمت قصير من الطرف الآخر، جاءه الصوت:

– "مساء الخير يا ويتلوك."

أجاب راسل ويتلوك:

– "قد يكون المساء عندك يا باركس، أما هنا فالساعة الرابعة فجراً."

لم يلقهِ جيف باركس بالاً، بل قال:

– "ألغي عمليتك الحالية فوراً. علينا نقلك إلى المطار."

أبقى الرجل المنبطح عينه على العدسة لحظة أخرى؛ راقب الرجل وهو يجثو على ركبتيه ويبدأ في نزع ملابس الفتاة، لكن القناص لم يواصل المشاهدة؛ فما الداعي لذلك؟ لقد انتهت مهمته. انتحى جانباً بعيداً عن السلاح، وزحف للخلف بضعة أقدام، ثم سحب البندقية نحوه من أخمصها. طوى الحامل الثنائي، وأفرغ الذخيرة، وشرع في تفكيكها ببراعة اكتسبها من سنوات الممارسة الطويلة، وقال:

– "لا يوجد سوى سبب واحد يجعلك تسحبني الآن."

أكد باركس ظنه قائلاً:

– "لقد تم تحديد موقع الهدف الرئيسي."

ابتسم القناص، لكن ابتسامته لم تنعكس على نبرة صوته التي ظلت مقتضبة ومهنية:

– "في قصر سيد بـ روتشينو."

تابع باركس قائلاً:

– "بالضبط.. لقد كنتَ محقاً يا ويتلوك."

واصل ويتلوك تفكيك سلاحه وهو يقول:

– "بالطبع كنتُ محقاً. هل تتوفر لديكم رؤية فورية؟"

– "إنه داخل المنزل الرئيسي الآن. وسنراقبه عبر طائرة سكان إيغل بمجرد خروجه."

سأل القناص:

– "فهمت. هل تلتقط أجهزة التنصت أي شيء؟"

– "الهدوء يسود المكان كأنه مقبرة."

شعر القناص بالرضا لأسباب شتى. فتح حقيبة سوداء من طراز بليكان ووضع السلاح المفتت بداخلها. ظل صوته خافضاً رغم أنه وحيد على السطح والمكاتب تحته خاوية:

– "توقع أن يتغير هذا الهدوء؛ فهو لن يخرج من هناك دون جلبة صاخبة."

قال باركس:

– "سننقلك إلى سان بطرسبرج هذا الصباح. توجه إلى المطار؛ ستكون الطائرة جاهزة ومعدة بحلول وصولك."

دخل ديد آي بئر السلم وبدأ في الهبوط بسرعة وصمت في الظلام، ممسكاً بمصباح صغير في يده اليسرى يضيء له الطريق وحقيبة الـ بليكان في يده اليمنى.

سأل متسائلاً:

– "لماذا أذهب إلى سان بطرسبرج؟ جينتري لن يذهب إلى هناك."

أجابه باركس:

– "على الأرجح لن يفعل، لكننا نحتاج لوجودك في المنطقة، وسان بطرسبرج هي الأقرب. يمكننا تعديل خطة الطيران وأنت في الجو إذا تتبعناه في مكان آخر."

سأل ويتلوك:

– "هل فريق جامبر في حالة تأهب؟"

– "كلا. فريق تريسل هو المكلف بالمهمة، وهم في سانت بيت الآن، وفي طريقهم إلى النقطة X. أما فريق جامبر فسيتحرك من برلين عند الضرورة لدعمهم."

عقّب ويتلوك قائلاً:

– "هذه فكرة سيئة يا باركس. يجب أن يظل كلا الفريقين بعيداً عن الأنظار حتى يستقر جينتري في مكان ما بعد العملية. أبقِ طائرة سكان إيغل فوق رأسه وقدني إلى طريقه؛ سأقوم بالمراقبة ثم أوجّه المهاجمين بمجرد وصولي للموقع."

رد باركس بلهجة لا تخلو من الاستخفاف:

– "سأنقل مقترحاتك إلى بابيت. أما الآن يا راسل، فتحرك فحسب. انتهى الاتصال من غريفسايد."

نقر راسل ويتلوك الملقب بـ ديد آي على سماعته وواصل هبوط الدرج. كان يشعر بخيبة الأمل بسبب مهمة الليلة؛ فقد ظل يعمل على عملية بوخارست هذه لأسابيع. ونظرياً، كان بإمكانه المضي قدماً، وقتل الهدف ثم الفتاة، وبذلك ينجز مهمته في رومانيا، لكن هذا كان سيعطل قدرته على مغادرة المدينة بسرعة ونظافة، وهذا هو الأهم.

فـ كورت جينتري أهم بمائة مرة من هذا الإرهابي التابع لجماعة الإخوان المسلمين. علاوة على ذلك، سيأتي شخص آخر من شركة تاونسند للخدمات الحكومية بعد بضعة أيام أو أسابيع لإنهاء المهمة.

لم يكن الأمر يفرق مع ديد آي. لقد كان رجلاً فخوراً بنفسه، لكن في نظره، كان قد تجاوز مثل هذه العمليات منذ زمن. فبالنسبة له، لم يكن هناك تحدٍ حقيقي في هذا الاغتيال، مما يعني ألا فخر فيه؛ مجرد رصاصة من مسافة مائتين وعشرين متراً عبر زجاج النافذة في رؤوس رجل غافل ومومسه المراهقة.

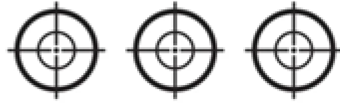
وماذا في ذلك بحق الجحيم؟

كان ديد آي يطارد صيداً أثمن؛ أهدافاً مستعصية. وقريباً جداً، سيحين الوقت لمطاردة أصعب هدف على وجه الأرض. في الطابق الأرضي من مبنى المكاتب المظلم، مرَّ بجثة حارس أمن ممدد على الأرض، أطرافه مبعثرة وعيناه جاحظتان في موته. سلط ديد آي ضوء مصباحه الصغير على الجثة بسرعة وهو يتجه نحو المخرج، فرأى كدمة داكنة عريضة حول العنق، وهي الأثر الملون الذي يتركه سلك الخنق.

تفرَّس ديد آي في الجرح وهو يمر، مقراً في نفسه ببراعة التنفيذ؛ فالحارس لم يلحظ قدومه أبداً. لكن ما إن وصل إلى باب الردهة، حتى منع نفسه من التفكير في أحداث الليلة. فأمامه عمل كثير في الأيام القادمة، وعليه أن يصبَّ كل تركيزه على مهمته الجديدة.

وبعودته إلى الشارع، استقلَّ راسل ويتلوك سيارته الـ BMW بعد أن ألقى حقيبة الـ بليكان في الصندوق. انطلق في ذلك الصباح البارد والجاف متجهاً نحو مطار برج العرب. كانت هناك طائرة تابعة لـ تاونسند بانتظاره لتقله إلى سان بطرسبرج. لكن ديد آي لن يستقل تلك الطائرة؛ بل سيستقل رحلة داخلية إلى برلين، ومن هناك سيلحق بطائرة ثانية متجهة شمالاً. سيستشيط ليلاند بابيت وجيف باركس وبقية رجال البدلات في تاونسند غضباً، لكن ديد آي لم يكن يكترث

لأمرهم. فـ راسل ويتلوك، مثله مثل هدفه الرئيسي كورت جينتري، كان عميلاً منفرداً.. والعملاء المنفردون يفعلون الأشياء بطريقتهم الخاصة.



5

جلس غريغور إيفانوفيتش سيدورينكو خلف مكتبه، غارقًا في العمل، رغم أن الساعة كانت تشير إلى الرابعة فجرًا. كان كائنًا ليليًا بامتياز، لا بفعل طباعه الطبيعية فحسب، بل نتيجة للكميات الهائلة من عقاقير «الباربيتورات» المهدئة التي كان يتناولها لعلاج أمراضه الجسدية المتعددة؛ وهي أمراض وعقاقير أثرت مجتمعةً على مزاجه وأنماط نومه. فغالبًا ما كان لا يخلد إلى الفراش إلا بعد تناول الإفطار، ليظل هناك طوال ساعات النهار.

ومن وراء ظهره، كان حليقو الرؤوس الشباب الذين يعملون لديه يلقبونه «فامباير» (أي مصاص الدماء)، وهو لقب لم يأتِ من فراغ، بل عززته بشرته الشاحبة كالعجين وعيناه الغائرتان المظلمتان.

كان مكتب «سِيد» هنا في قصر روتشينو عبارة عن قاعة رحبة مفتوحة ذات أرضية خشبية وأسقف عالية مكسوة بالجص الأملس. بدت الأرضية الجرداء مناسبة لحفلات الرقص أكثر منها لإدارة أعمال المافيا؛ إذ كانت مساحتها تبلغ نصف مساحة ملعب كرة السلة وتتمتع بصدى صوت مماثل، لكن «سيد» كان يهوى الطابع الملكي للمساحات المفتوحة الشاسعة. لم تكن الستائر الحمراء القانية على

الجدار الأيمن تكبح صدى الغرفة إلا جزئيًا، بينما كانت مدفأة ضخمة مشتعلة على يساره تجعل الجو في جانبه من الغرفة محتملاً، وإن لم يكن دافئًا تمامًا.

تمركز مكتب «سِيد» الضخم عند الجدار الخلفي، مواجهًا الباب المؤدي إلى الممر عبر الغرفة. وكان خلفه باب آخر يقود إلى غرف نومه.

تربعت مبخرة كبيرة على المكتب بالقرب من حاسوبه المحمول. وجلست هذه الأغراض، بجانب هاتف وكوب من الشاي، وسط أكوام من الأوراق، حيث كان «سِيد» يقرأ صفحة تلو الأخرى من الوثائق المكدسة، مستعينًا فقط بضوء المدفأة والوهج المنبعث من شاشة حاسوبه.

وعلى الجدار خلف مكتبه، كانت معلقة لوحة لـ«جوزيف ستالين»؛ فبدت عينا «العم جو» الداكنتان وكأنهما تختلسان النظر من فوق كتف «سِيد» أثناء عمله.

كان «سِيد» يعمل منذ وقت مبكر من المساء. ورغم أن منزله شهد حفلًا الليلة، لم يكلف نفسه عناء النزول؛ بل تناول وجبته هنا على مكتبه. كان «صبيانه» – كما يحلو له تسميتهم، بدلًا من حليقي الرؤوس – يقيمون احتفالاتهم الجامحة في الطابق الأول وفي الخارج وسط الثلوج؛ أحضروا الفتيات والخمور، وغالبًا القليل من الكوكايين، وقضوا وقتًا صاخبًا، لكن «سيد» لم يشاركهم. لم يكن مثلهم، ولم يكونوا مثله.

لم يعنِ ذلك أن الاحتفالات كانت تزعجه. على العكس تمامًا، كان بوسع رجاله أن يحتفلوا في مكانه كل ليلة طالما شاءوا. كان يروقه واقع أن حوالي خمسين أو ستين رجلًا ممن يثيرون الخوف

والاشمئزاز، وجميعهم يعملون لصالحه بشكل أو بآخر، متواجدون هنا داخل حدود العقار. كان ذلك يشعره بالأمان، قابعًا في طابقه الرابع مع عائلته الممتدة فقط – شقيقته وأطفالها وأبناء عمومته الذين يعيشون معه هنا. وكانوا هم أيضًا يتجنبون «سيرك المسوخ» المقام في عطلات نهاية الأسبوع، باقين في الأعلى بعيدًا عن حليقي الرؤوس.

ورغم الإزعاج البسيط، كان «سِيد» يعلم أن أحدًا لن يجرؤ على مهاجمته بوجود جيش صغير من الجنود المستعدين – أو شبه المستعدين – للرد على أي تهديد.

كان سيدورينكو يستمتع بقضاء وقته خلف مكتبه في عد أمواله. لقد دخل العالم السفلي في الأصل كمحاسب لزعيم جريمة كبير في أوائل التسعينيات قبل أن يتولى زمام أمور منظمة «براتفا» الخاصة به بعد بضع سنوات، ولا يزال يقضي أيامه، أو لياليه بالأحرى، في تدقيق الدفاتر المحاسبية الدقيقة لمشاريعه المختلفة.

ارتشف رشفة صاخبة من شايه المفرط في الحلاوة، ثم مرر إصبعه النحيل كالقصبة على دفتر مطبوع يعرض إيصالات من أنشطة الدعارة والاتجار بالبشر الخاصة به في جمهورية التشيك.

رن الهاتف على مكتبه فأجاب، غير متفاجئ إطلاقًا بتلقي مكالمة في الرابعة صباحًا، إذ كان لديه موظفون في جميع أنحاء العالم يعلمون أن سيدورينكو متاح طوال الليل بتوقيت سانت بطرسبرغ.

سأل «سيد» بشرود، بينما لا يزال سبابة يده اليمنى يتفحص ميزانية مكدسة فوق مئات غيرها:

– "ماذا؟"

– "سيدي. معك إيفان من البوابة الشمالية."

توقف إصبع «سيد» عن الحركة وضاقت عيناه بقلق:

- "ما الخطب؟"

- "ربما لا شيء يا سيدي. كدت ألا أتصل. لكن الأمر غريب."

صرخ «سيد» وهو ينهض من كرسيه:

- "تكلم أيها اللعين!"

كان رجلاً مصابًا بجنون الارتياب، والمسافة لديه بين الاسترخاء المريح والرعب المرتجف قصيرة جدًا. وكان قد قطع شوطًا طويلاً من الحالة الأولى نحو الثانية؛ ولم يمنعه من إيصاد الباب والوصول إلى بندقيته سوى تردد رجل الأمن.

- "آه... تحطمت طائرة شراعية لتوها في الغابة على بعد خمسة وعشرين مترًا من الجدار الشمالي. لا يوجد أحد فيها."

أمال «سيد» رأسه، واشتدت ملامحه الشبيهة بالطير في حيرة:

- "طائرة شراعية؟"

قال إيفان:

- "لدينا رجلان يقومان بتمشيط الأحراش لمعرفة ما إذا كانت هناك جثـ..."

قاطعه «سِيد» بصوت مشحون بالتوتر:

- "إنه هو! إنه (الرمادي). إنه هنا. اجمع الجميع في المنزل! أرسل رجالًا إلى مكتبي. الكثير من الرجال. وليقم الباقون بتفتيش المبنى. عليكم إيجاده قبل أن يصعد إلى الطابق العلوي!"

- "سيدي، لم يعبر البوابة. كنت لأراه. لا بد أنه لا يزال في الخار..."

- "استمع إلي! إنه في..."

توقف «سيد» عن الحديث عندما سمع الصوت: صرير بطيء لمفصلات قديمة، وصوت الباب الثقيل المؤدي للممر وهو يُفتح. لم

يستطع رؤية الباب عبر الغرفة، إذ لم يكن ضوء المدفأة يصل لأكثر من خمسة عشر قدمًا بعد مكتبه. عادةً، عندما يُفتح الباب، كان يدرك ذلك فورًا بفضل ضوء الممر الذي يلقي شعاعًا طويلاً عبر الأرضية الخشبية الباردة مصاحبًا لصرير المفصلات.

لكن ليس الآن. من الواضح أن ضوء الممر قد تم تعطيله.

اجتاحه الذعر، ووهنت ركبتاه. قاوم موجة من الغثيان ثم نطق بصوت مبحوح في الهاتف:

– "أسرعوا."

أعاد السماعة إلى مكانها بيد مرتعشة وجلس مرة أخرى.

كان سيدورينكو قد فكر في هذه اللحظة طويلًا. صحيح أنها كانت محور كل كوابيسه، لكنه خصص وقتًا أيضًا وهو مستيقظ للتفكير في الموقف. إذا فشلت جميع تدابيره الدفاعية لسبب ما، وأصبح الأمر مقتصرًا عليه وعلى كورت وحدهما في غرفة ما، فقد كانت لديه خطة.

التفت يده اليمنى حول المقبض البارد لبندقية صيد مزدوجة الماسورة مثبتة بخطاف دوار أسفل المكتب. أدار فوهة السلاح نحو اليسار، تجاه المدخل، لكنه لم يرَ شيئًا وراء وهج النار المحيط بمكتبه.

لم يسمع وقع خطوات، لكنه كان يعلم أن «الرجل الرمادي» هناك، يقترب وسط الظلام الدامس.

حين دلف كورت إلى الغرفة الكبيرة المظلمة، رأى الرجل واقفًا عند المكتب في الطرف البعيد أمام لوحة «ستالين»، مضاءً بوهج المدفأة الكبيرة. أغلق الرجل الهاتف وجلس ببطء، مدركًا بوضوح الآن أنه لم يعد وحيدًا.

بدا الرجل مثل سيدورينكو، لكن المسافة والظل الطويل الذي ألقاه كرسي أمام المدفأة جعلا التأكد من هويته أمرًا مستحيلاً.

تحرك كورت بخفة نحو اليسار، ثم بدأ التقدم محاذيًا للجدار بموازاة الستائر على يمين «سِيد»، متحركًا عبر الظلال السوداء على الجدار المقابل للمدفأة.

رأى الرجل يحدق في العتمة أمامه، ويده اليمنى تنزلق بعفوية أسفل المكتب.

تحت المكتب، كانت بندقية غريغور سيدورينكو المثبتة تدور ببطء يمينًا ويسارًا، باحثة عن هدف، مكذبة المظهر الهادئ الذي حاول رسمه بجسده العلوي. اصطنع وجهه ملامح اللامبالاة؛ حتى إنه ابتسم قليلًا وهو ينظر إلى الظلام أمامه.

وبينما كانت عيناه تبحثان عن هدف، كان عقله يسابق الزمن. ستون ثانية، حدث نفسه. بالتأكيد تلقى الرجال المتمركزون في ردهة الطابق الثاني الخبر من حارس البوابة الشمالية وهم في طريقهم الآن، ولن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة من تلقي الإنذار حتى يقتحموا الباب.

أدرك «سِيد» أنه بحاجة لأن يجد كورت في مرمى بندقيته ويفرغ فيه طلقتين من الرصاص، أو على الأقل يشغله لدقيقة إضافية.

استرخى الروسي قليلًا. يمكنه فعل ذلك. كان يعلم أنه يستطيع.

بابتسامة أوسع الآن، تحدث إلى الظلام:

– "كنت أعلم أنك ستأتي. كان أمرًا حتميًا." أطلق ضحكة عصبية مكتومة ثم تابع:

– "لقد كنت أنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر. قد يفاجئك ذلك، ولكن استمع فقط. سيسرك أن تعلم أن فرصة قد لاحت، وأنا واثق أنك ستجد من المستحيل أن..."

تحرك خيال أسود، وجهه مخفي بقناع تزلج، ليدخل في وهج ضوء النار المتراقص عند الستائر، بعيدًا إلى يمين «سيد» أمام المكتب. كان الخيال يحمل مسدسًا مزودًا بكاتم للصوت في نهاية ذراع ممدودة؛ والكاتم الطويل مصوب مباشرة نحو وجه سيدورينكو. برز جهاز رؤية ليلية أنبوبي من جبهة الشخص.

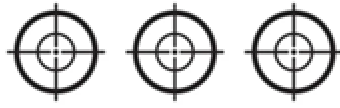
ورغم أن «سيد» لم يستطع رؤية وجه الرجل، لم يكن هناك شك في أن هذا هو كورت جينتري. فوجئ «سيد» بمدى صمت اقتراب الأمريكي. لم يكن كورت يبعد عنه ثلاثة أمتار الآن. من المستحيل أن يخطئه بالبندقية؛ كان عليه فقط تدوير السلاح إلى أقصى اليمين والانتظار حتى يتحرك الرجل قدمًا أو قدمين ليصبح في خط النار. لم يقم «سيد» بأي حركة مفاجئة؛ ضغط على المقبض بقوة أكبر وأدار البندقية ببطء إلى اليمين وهو يتحدث.

قال «سيد»:

– "ثمة مهمة لا يمكن لغيرك إنجازها. ومن خلال أفعالك الليلة، أنا أكثر يقينًا بأنك الرجل المناسب لـ..."

أطلق جينتري النار على غريغور سيدورينكو في جبهته مباشرة. تناثرت الدماء على لوحة «ستالين» خلفه بينما ارتد رأسه إلى الوراء. استدار بجسده، وترنح ساقطًا من كرسيه خلف المكتب، ليستقر مستلقيًا على ظهره، عيناه مفتوحتان على آخرهما، ميتًا على الأرضية الخشبية الباردة.

لم يقطع كورت كل هذه المسافة للاستماع إلى ثرثرة «سيد».



6

خطا «الرجل الرمادي» متجاوزًا المكتب وأطلق رصاصة ثانية على زعيم المافيا الروسي؛ انتفض الجسد وتناثرت الدماء التي لمعت تحت ضوء النار. ثم استدار كورت، معيدًا مسدسه إلى غمده، واتجه نحو الصف الطويل من الستائر. أنزلها بجرّة واحدة قوية ليصل إلى النافذة.

لكن لم تكن هناك نافذة. كانت الستائر تغطي جدارًا ضخمًا من الطوب.

لقد كان «سِيد» يخشى جينتري لدرجة أنه أزال النوافذ، بانيًا جدارًا يعزله عن أخطار العالم الخارجي.

ركض كورت عائدًا حول المكتب، وقفز فوق جثة «سيد» وبركة الدماء التي أخذت تتسع على الأرض، ثم اندفع إلى غرفة النوم.

لم تكن هناك نوافذ هنا أيضًا.

يا للمصيبة.

في لحظة، تبخرت خطة هروب كورت. كان قد خطط لكسر أو تفجير زجاج أول نافذة يجدها بعد قتل «سيد»، ثم الهبوط بالحبال أو القفز الحر على جانب المبنى، متجاوزًا كل الإجراءات الأمنية داخل جدران القصر.

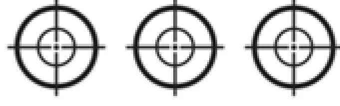
لكن جينتري لم يضع في حسبانه احتمال عدم وجود نوافذ.

الأماني في كفة، والواقع المر في الكفة الأخرى.

لم يكن هناك سوى مخرج واحد. استدار وواجه باب الممر، في اللحظة التي تناهى فيها صوت صياح الرجال قادمًا من الرواق.

وفي الوقت ذاته، بدأت صفارات الإنذار تعوي في أرجاء المكان.

انطلق كورت مسرعًا نحو الباب، ملقمًا مسدسه بمخزن جديد من عدته الصدرية بينما يتقدم نحو الخطر.



– "بدأت الأمور تحتدم."

كان جيف باركس قد أنهى مكالمته مع «ديد آي» وعاد لمراقبة الشاشة. وقف الآن عند الجدار الخلفي، خلف ليلاند بابيت الجالس مباشرة. وكانا يشاهدان العرض الرئيسي مع بقية الموجودين في غرفة الإشارة. تحركت نقاط بيضاء صغيرة، فرادى ومثنى، نحو المبنى الرئيسي، دون تنسيق حقيقي واضح، لكن بدا جليًا أن جميع الشخصيات تستجيب لأوامر ما.

قدم باركس قراءته للأحداث:

– "الرجال الذين عثروا على الطائرة الشراعية أبلغوا عنها، والمجمع الآن في حالة استنفار قصوى."

كانت امرأة قرب مقدمة الغرفة تستمع إلى البث الصوتي من أجهزة التنصت المزروعة خارج جدران «الداتشا». التفتت عن مكتبها واضعة يدها على سماعة أذنها وتحدثت في ميكروفونها:

– "صفارات الإنذار تدوي في موقع الهدف."

قال شخص آخر:

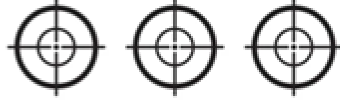
– "الوضع سيصبح صاخبًا."

تمتم باركس لنفسه، رغم أن الميكروفون التقط القلق في صوته:

– "هيا يا كورت، يا صديقي القديم. آمل بحق الجحيم أن تكون لديك خطة للانسحاب أكثر نظافة من خطة التسلل."

جلس بابيت بجانبه، وبدلته السهرة تكاد تنفجر من ضخامة جسده الممتلئ. قال بثقة مطلقة:

– "لديه خطة بالتأكيد."



في الحقيقة، لم تكن لدى كورت أية خطة.

ركض مندفعًا في الممر الضيق نحو ما بدا وكأنه صوت نصف دزينة من الرجال، خلف الزاوية مباشرة على مسافة لا تتجاوز خمسين قدمًا. نبضت أشعة الكشافات الراقصة حول المنعطف، وازداد تركيز الأضواء كلما اقترب الرجال. كان كورت يأمل في الارتجال، لإيجاد طريقة لتجنب الاشتباك مع هذا العدد من الأعداء، لكن مع اقترابه منهم، واقترابهم منه، أدرك أن فرصه في تجنب معركة مسلحة بنسبة ستة ضد واحد في ممر ضيق تتلاشى بسرعة.

انطلق كورت بأقصى سرعة، بينما وفرت له عدسة الرؤية الليلية رؤية أحادية اللون محدودة. أمسك سلاحه بثبات وعيناه تمسحان المجال خلف مهداف السلاح الأمامي، مستعدًا للاشتباك مع أول مسلح يراه.

انفتح باب على بعد عشرين قدمًا أمامه إلى اليمين، مقابل الباب الذي ظهر منه الطفل قبل بضع دقائق. خرج رجل، مواجهًا اتجاه ضجيج الرجال حول الزاوية.

اقترب جينتري من الرجل، ومسدس «غلوك» في وضع الاستعداد، ومسح بعينيه يدي الرجل. كانت اليد اليمنى فارغة، لكن اليسرى اندفعت حاملة مسدسًا آليًا فضيًا.

ضغط كورت بكف يده اليسرى على مؤخرة منزلق مسدسه من طراز «غلوك»، وأطلق رصاصة واحدة على الهدف أمامه. حافظت يده اليسرى على منع المسدس المكتوم من إرجاع الأجزاء (Cycling)، مما حبس الظرف الفارغ داخل السلاح وقلل أيضًا من ضجيج الإطلاق.

سقط الرجل منكبًا على وجهه في الردهة، وارتطم بالسجاد بصوت مكتوم.

قفز كورت فوق الرجل الساقط وعبر الباب، ثم أمسك بساقي الجثة وسحبها إلى الداخل. مد يده إلى الردهة، والتقط المسدس الفضي، وتراجع عائدًا إلى الغرفة في اللحظة التي انعطفت فيها مجموعة حليقي الرؤوس من الزاوية.

أغلق الباب قبل ثانية واحدة من وصول أشعة كشافاتهم إليه، ومروا مسرعين بعد ثوانٍ، يهرعون لنجدة ولي نعمتهم في مكتبه.

لم تكن هناك أضواء في غرفة النوم هذه، لكن جينتري مسح المكان الفارغ من خلال عدسته الأحادية. كان الرجل الميت أحد أبناء عمومة سيدورينكو وقائدًا في منظمته، لكن كورت لم يعرف ولم يهتم. كان يبحث عن نافذة، ووجد اثنتين. ركض نحوهما، وسحب الستائر الثقيلة، ليرى قضبانًا حديدية سميكة.

تبًا لك يا سيد، تمتم كورت تحت أنفاسه.

أفرغ الظرف الفارغ من مسدسه وأعاده إلى غمده، ثم مد يده إلى جيب بنطاله الجانبي، وأخرج هاتفًا محمولًا، وأضاء الشاشة. وبلمسة على كود مكون من ثلاثة أزرار– وهي عملية زادت صعوبتها رعشة

خفيفة في يده بسبب الأدرينالين – أرسل إشارة لاسلكية إلى صواعق تفجير سلسلتي الألعاب النارية.

في غضون عشر ثوانٍ، بدأت أصوات فرقعة وانفجارات في الغابة على بعد أكثر من مئة ياردة خلف البوابة الجنوبية للمجمع. كان يعلم أنه خلال خمس وأربعين ثانية سيبدأ المشعل في السلسلة الانفجارية الثانية، وستنطلق قذائف الهاون في كل مكان على الجانب الجنوبي للمبنى.

توجه عائدًا إلى الباب، وفتحه قليلًا، ثم اندفع مرة أخرى إلى الممر، وانعطف حول الزاوية وركض باتجاه الفناء الداخلي (الأتريوم). لم يرَ أحدًا أمامه، فأعاد مسدسه إلى غمده وسحب مسدس إشارة صغيرًا من جيب لاصق على عدته الصدرية. كان ملقمًا بقنبلة دخان واحدة، فرفع الجهاز وأطلق الخرطوشة بصوت فرقعة عالٍ. انطلقت قنبلة الدخان في قوس عالٍ عبر الممر الطويل، وعبرت فوق الشرفة، وسقطت في الأتريوم بعمق أربعة طوابق. وقبل أن ترتطم القنبلة الأولى بالأرض وتبدأ في نفث سحابتها الحمراء الكثيفة المتصاعدة، كان كورت قد حشر قنبلة دخان ثانية في المسدس وأغلقه، وأطلق النار مرة أخرى. تردد صدى فرقعة أخرى شبيهة بفتح زجاجة شمبانيا في الممر المظلم. لقم قنبلة ثالثة بينما بدأ يركض في الممر بأقصى سرعة ممكنة. أطلق القنبلة الثالثة، وترك مسدس الإشارة يسقط على سجاد الممر بينما سحب مسدسه «غلوك» المكتوم مرة أخرى.

ظهر رجلان عند الشرفة أمامه الآن؛ كانت خلفيتهما مضاءة بالوهج الخافت القادم من القبة الزجاجية لسقف الأتريوم، ورآهما كورت بوضوح عبر عدسة الرؤية الليلية الأحادية، ورأى البنادق في أيديهما، ورآهما يركضان باتجاهه.

كان كورت، المتشح بالسواد والراكض في ممر مظلم، غير مرئي للرجلين. كل ما رأياه أمامهما كان ومضتين برتقاليتين ساطعتين قبل أن يغرق عالمهما في الظلام.

على مسافة تقل عن خمسين قدمًا من الشرفة، أعاد كورت سلاحه الجانبي إلى غمده، ثم مد يده خلفه وسحب خطافًا من حقيبة وركه. دارت البكرة المزودة بنابض بينما سحب حبلًا مطاطيًا (بانجي) متصلًا بها، لافًا إياه في يده أثناء خروجه. وبينما كان يركض، لوّح بالخطاف في حركة أمامية، مرخيًا المزيد من طول الحبل المطاطي مع كل دورة سريعة.

سمع جينتري صراخًا في الأتريوم، وعديدًا من الرجال ينادون بعضهم بعضًا في مزيج من الحيرة والغضب والتصميم. سيرون الدخان الأحمر، الذي سيبدو أسود في الضوء الخافت، ولن يعرفوا معناه، لكن أي رجال في الطوابق العليا سيكونون قد سمعوا فرقعات قاذف القنابل أو التصدعات الأسرع من الصوت لمسدس «غلوك» المكتوم، وسيدركون أن الخطر يبعد ثوانٍ فقط.

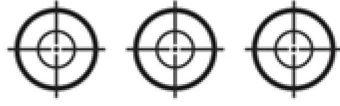
كان كورت يعلم أنهم سيكونون بانتظاره، ولم يكن بوسعه منع ذلك. الطريقة الوحيدة لمساعدة نفسه الآن هي القيام بما هو غير متوقع، والتحرك بأقصى سرعة ممكنة للخروج من خط نيرانهم.

على بعد عشرة أقدام من الشرفة، أرجح الخطاف من فوق رأسه، ثم أفلته وترك الحلقات تسقط. أبحر الخطاف المثقل بعيدًا عنه، ساحبًا الحبل الأسود المرن خلفه.

بصوت رنين معدني عالٍ، ارتطم بالعارضة الحديدية الممتدة بطول القبة فوق الأتريوم، ثم التف حول العارضة، حيث أمسك مخلبه بالحبل المطاطي.

خارج المبنى، وإلى الخلف من موقع كورت، بدأت سلسلة من الارتطامات المنخفضة بينما انطلق اثنا عشر صاروخًا من طراز «يانيسار» متصلة بالفتيل الذي أشعلته الإشارة اللاسلكية، قافزة عبر الأرض قبل أن تدوي انفجارات صاخبة كطلقات بنادق الصيد، هزت زجاج النوافذ، وأطلقت أجهزة إنذار السيارات، وتردد صداها على جدران العقار.

وخلال هذا الإلهاء، انطلق جينتري خارجًا من ممر الطابق الرابع، وبقفزة عالية واحدة، دفع بقدمه المتقدمة على الحافة العلوية لدرابزين الشرفة، ثم قفز بجسده كاملًا نحو الفراغ، فاتحًا ذراعيه كجناحين ومسدسه في يده اليمنى، بينما رسم جسده قوسًا فوق الفناء بالأسفل.



7

استسلم لقوة الجاذبية، فهوى في غيابة الظلام؛ مارًّا بشرفة الطابق الثالث، متجاوزًا المسلحين الراكضين على السلم المكشوف، والآخرين الذين يقتحمون الأروقة في الطابق الثاني.. هبط مباشرة وسط الدخان الأحمر الكثيف.

كان الحبل المطاطي مُعدًّا للقفز من نافذة في الطابق الرابع؛ إذ يبلغ طوله ثلاثين قدمًا ويمتد ليصل إلى أربعين قدمًا تمامًا، مما كان سيجعله على مسافة قريبة من الأرض عند أقصى تمدد له لو أنه ثبَّت الخطاف في قطعة أثاث داخل إحدى غرف الطابق الرابع. لكن قذفه

للخطاف فوق القضبان الموجودة أسفل القبة جعل المسافة تزيد بمقدار عشرة إلى خمسة عشر قدمًا عند بلوغ الحبل أقصى تمدده.

كان ثمة ثمانية رجال كان بإمكانهم –نظريًّا– إطلاق النار على جينتري وهو يهوي أمامهم، لكن لم يجرؤ أحد على ضغط الزناد. فالظلام، والارتباك، وساعة الفجر الباكر، والعقول التي أثقلها الخمر، فضلًا عن الخوف من إخطاء الهدف وإصابة زميل في الشرفة المقابلة؛ كل ذلك ألقى بظلال من التردد على أصابعهم، فضاعت منهم تلك الفرصة الضئيلة والملثم يهوي كالحجر متجاوزًا مواقعهم.

شعر كورت بضغط الأحزمة حول جسده حتى قبل أن يتوارى في الدخان؛ فقد انشدَّ الحبل المطاطي بقوة، لتتحول سرعة سقوطه من ثمانين ميلًا في الساعة إلى توقف تام في أقل من عشرين قدمًا، مما جعل الأحزمة تحت ملابسه تضغط بعنف على باطن فخذه وصدره. سقط منظار الرؤية الليلية عن رأسه، وشعر بمعداته تئن من وطأة الجاذبية داخل الحقائب والجيوب الموزعة على جسده.

وعند وصول الحبل لأقصى تمدده، مدَّ يده إلى وركه الأيسر ليحرك ذراع فصل الخطاف اللاسلكي في لوحة التحكم. كانت نقرة واحدة لهذا المفتاح الصغير كفيلة بإرسال إشارة لاسلكية إلى الخطاف، لتنفتح مخالبه مثل مظلة تمزقها الرياح العاتية؛ وهو ما سيحرر الخطاف ويسمح لـ كورت بالهبوط على الأرض تحته.

لقد نفذ هذه المناورة في التدريبات عشرات المرات، وكانت التقنية موثوقة وبسيطة.

لكن الأمور تعقدت هذه المرة؛ فقد انفصلت لوحة التحكم عن حزامه في لحظة ما أثناء الحركة، وصارت تتأرجح الآن بحرية معلقة بشريط "نايلون"، وهي تخبط في نسيج صدره ومخازن المسدس. لم

يكن أمامه سوى أقل من ثانية ليعثر عليها ويحرك الذراع ليحرر نفسه؛ وهو وقت لا يكفي أبدًا للبحث عنها وسط أكوام المعدات المثبتة على جسده.

كان كورت قد هيأ نفسه لسقوط حر من ارتفاع عشرة أقدام نحو الأرض، لكن الحبل المطاطي ظل متمسكًا به بقوة، ليرتفع به للأعلى من جديد مثل رصاصة في مقلاع، منطلقًا من حماية الدخان المظلم ليعود ثانية إلى جوف البهو الخافت.

أما الرجال الأربعة في الطابق الأول، فقد حجب الدخان رؤيتهم، ولم يسعفهم الوقت للرد. انطلق جينتري متجاوزًا إياهم على بُعد أقدام قليلة، وحاول أثناء مروره أن يلف جسده ليوجه مسدسه نحوهم. لكن لا جينتري ولا "حليقي الرؤوس" تمكنوا من إطلاق رصاصة واحدة في ذاك الجزء من الثانية الفاصل بين خروجه من الدخان الأحمر واختفائه فوقهم.

تزايدت الآن سرعة صعود كورت؛ فتجاوز شرفة الطابق الثاني مدفوعًا بقوة سقوطه الطويل ومرونة الحبل المطاطي. كان هناك رجلان يصوبان بنادق الكلاشينكوف نحو موقعه؛ وأثناء اندفاعه للأعلى، أمسك كورت بسبطانة إحدى البنادق وأزاحها بعيدًا، ثم أطلق رصاصة واحدة على الرجل الآخر أصابت الدرع الواقي على صدره. أما الرصاصة الثانية فأطلقها على "حليق الرأس" الذي لا يزال واقفًا، لتصيب جهاز اللاسلكي المثبت على كتفه. اخترقت الرصاصة جلد الروسي بمقدار بوصة واحدة، مما أدى لكسر عظمة ترقوته وطرحه أرضًا؛ وكان ذلك بفعل ذعر الإصابة أكثر من كونه نتيجة لقوة اندفاع الرصاصة.

كان هناك أربعة رجال يقفون في شرفة الطابق الثالث، يميلون بأجسادهم للأمام في اللحظة التي صار فيها كورت في مستوى أعينهم. أخبرته علامات الصدمة المرتسمة على وجوه الروس أن الكفة تميل لصالحه؛ ففتح النار عليهم، مفرغًا رصاصة تلو الأخرى من مسدسه الصامت، فأردى اثنين منهم قتيلين، بينما ارتمى الآخران بحثًا عن ساتر.

توقفت قوة اندفاع كورت عند الطابق الثالث، وظل معلقًا في الهواء للحظة قبل أن يبدأ في الهبوط مجددًا. كان مخزن مسدسه "غلوك 19" قد فرغ؛ لذا وبينما كان يهوي مستعدًّا للمرور عبر "حقل الرماية الرأسي" مرة أخرى، ترك مسدسه وسحب سلاحه الآخر من كاحله الأيمن.

وعلى شرفة الطابق الثاني، اندفعت مجموعة من المسلحين من الرواق أمامه مباشرة. رأوا هدفهم يهوي متجاوزًا إياهم على بُعد لا يزيد عن عشرين قدمًا. أطلق أحدهم وابلًا من الرصاص باتجاه كورت أثناء سقوطه، بينما ركض البقية نحو حافة الشرفة مستعدين لإمطار جسده بالرصاص من الأعلى.

عاد كورت إلى داخل سحابة الدخان مجددًا، وكان قد انتزع مسدسه الاحتياطي "غلوك 26" بيده اليمنى، بينما أمسك بيده اليسرى الحبل المطاطي المشدود والمتصل بأسفل ظهره، ليجذب نفسه ويواجهه.

كانت أمامه فرصة واحدة لا غير لإصابة الهدف؛ فمن المستحيل أن يرتد للأعلى مرة أخرى وهو في مرامى عشرات البنادق دون أن يمزق رصاص الكلاشينكوف جسده إربًا. وعندما وصل الحبل لأقصى شدّه، وضغطت الأحزمة على صدره لتخرج الهواء من رئتيه، غرز فوهة

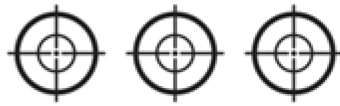
مسدسه الصغير في الحبل المشدود، على بُعد قدم واحدة من جسده، وأطلق النار.

انقطع الحبل إلى نصفين؛ فهوى كورت كالحجر، محاولًا امتصاص صدمة السقوط بذراعيه وساقيه، لكنه ارتطم بعنف بالأرض بجانب النافورة على جنبه الأيمن.

شعر بضيق في التنفس وكأن الهواء قد طُرد من رئتيه، لكنه أدرك أنه لا يملك ترف البقاء مكانه؛ فبدأ يتدحرج غريزيًّا. سقط المسدس من يده عند الارتطام، لكنه تحسس مكانه وأمسكه، وواصل التدحرج وهو لا يزال يصارع لالتقاط أنفاسه، مصطدمًا بالطاولات والكراسي ومزيحًا إياها من طريقه بينما يزحف للأمام ثم ينتصب واقفًا بصعوبة. لم يكن يبصر طريقه وسط الدخان الأحمر الكثيف، لكنه واصل الحركة بكل قوته.

من فوقه، كان يسمع قعقعة الرصاص، ومن حوله، كان يسمع دويَّ ارتطام طلقات عيار 7.62 ملم بالأسطح.

خرج من سحابة الدخان التي تخنق أرضية البهو، مندفعًا نحو قاعة مآدب كبيرة تقع في الجانب الشمالي، وهو يأمل بشدة أن يجد مخرجًا أو يصنع واحدًا لنفسه.



– "ذاك هناك! إلى أين يتجه؟"

ركض جيف باركس نحو الشاشة في مقدمة غرفة الإشارة، مشيرًا بسن قلم جاف إلى بصمة حرارية بيضاء متوهجة تخرج من مدخل جانبي في الجانب الشمالي للمنزل الريفي الضخم. مرَّ ذاك الظل المنفرد برجلين كانا يركضان نحو المدخل، دون أن يبطئ من سرعته.

صاح أحدهم:

- "لقد مرَّ بجانبهما مباشرة!"

قال باركس:

- "إنه هو.. لا بد وأنه يرتدي ثيابًا تشبه ثياب هؤلاء الأوباش."

واصل الظل سيره. وفي أرجاء غرفة الإشارة، انطلقت الأوامر لطياري الطائرات المسيرة لتضييق الخناق على ذاك الشخص، وللفنيين للتركيز على الميكروفونات المخبأة في الغابة الشمالية، وللمتواصلين مع وحدة "تريسل" لإبلاغهم أن الرجل الرمادي يغادر الموقع مترجلًا، متخفيًا في زيٍّ ما.

على الشاشة، كانت الحشود تتدفق الآن من المبنى، معظمهم من الباب الرئيسي في الجنوب، والبعض من الغرب والشمال. كان الرجال يركضون في كل اتجاه؛ والتقطت أجهزة التنصت أصوات انفجارات وصيحات ونباح كلاب، ثم أصوات محركات البنزين وهي تشتعل، وبعدها بقليل صُدِّر عبر الميكروفونات الدقيقة صوت رشقات الكلاشينكوف المتتابعة. كان أحدهم يطلق النار بجنون في الجانب الجنوبي من المبنى، مستهدفًا –على ما يبدو– لا شيء في الظلام.

أحصى أحد الفنيين أربعة وعشرين فردًا يتحركون في الملكية وأعلن ذلك عبر شبكة الاتصال. لكن تلك البصمة الحرارية المنفردة واصلت طريقها، مارة أولًا بين كوخ معدني وصفوف غير منتظمة من الدراجات الثلجية، ثم توجهت مباشرة نحو البوابة الشمالية، حيث كان ثلاثة رجال يقفون عند الجدار بجانب غرفة الحراسة، ووجوههم باتجاهه.

طالب بابيت بصرامة:

- "أخبروا مشغل الطائرة المسيرة أن يقرب الصورة لأقصى حد. لا يهم جودة الصورة؛ أريد أن أرى هذا عن قرب."

بعد لحظة، زوّمت الكاميرا على الرجل المنفرد وهو يقترب من غرفة الحراسة بمحاذاة الجدار عند البوابة الشمالية. ولأول مرة، تمكن طاقم الغرفة من تمييز طيات الثياب، ورؤية غطاء الرأس فوق رأسه، كما رأوا أن يديه كانتا فارغتين.

تمتم صوت امرأة في ميكروفونها:

- "سيحاول شق طريقه بالكلام.."

قاطعها صوت ذكر بلهجة جنوبية:

- "هذا الرجل لا يشق طريقه بالكلام!"

ساد الصمت الغرفة والظل يقترب على بُعد عشرة أقدام من المسلحين عند البوابة. لم يتوقف، بل واصل التحرك نحوهم. كان الحراس الثلاثة يمسكون ببنادقهم في وضع الاستعداد المنخفض، لكن يبدو أن شيئًا ما أثار ريبتهم؛ إذ رفع الثلاثة أسلحتهم دفعة واحدة وتراجعوا للخلف، حتى ارتطم أحدهم بالجدار. تحرك الرجل المقترب في تلك الأقدام العشرة الأخيرة بلمح البصر، أزاح الكلاشينكوف الأول جانبًا ودفع ذراعه للأعلى؛ بدا وكأن راحة يده المفتوحة قد اصطدمت بحنجرة الحارس الأول، لكن كان من الصعب الجزم بذلك. ارتفع الروسي عن الأرض، وتراجع للخلف ليسقط فوق الحارس الثاني؛ فسقطت بندقيتان على الأرض، وقفز جينتري -وبالطبع كان هذا جينتري- للأمام، دافعًا ساقه اليمنى ضد الجدار الحجري ليحصل على قوة رفع أكبر، والقى بنفسه على الرجل الثالث. صار في مواجهة الحارس مباشرة والآخر يطلق النار؛ وميض من فوهة السبطانة وصوت ارتطام عبر ميكروفون المراقبة في الغابة الشمالية. لكن

الرصاصة أخطأت؛ فقد أحكم الرجل الرمادي قبضته على الحارس في عناق عنيف وهما يدوران في الثلج، بينما طارت بندقية الكلاشينكوف في الهواء. تخبط الحارس، لكن الرجل الرمادي لفَّ ذراعيه حول رأس الرجل، وأداره، ثم دفعه بعنف ليرتطم وجهه بالجدار.

قفز الرجل الثاني على الرجل الرمادي من الخلف، لكن ضربة بمرفق يده اليمنى أفقدته توازنه، ثم أتبعها بـ"ركلة دائرية" عالية للوجه أسقطت الرجل في الثلج جثة هامدة.

صرخ أحدهم:

– "يا إلهي!"

سقط الحراس الثلاثة الآن دون حراك. سقط الرجل الرمادي على ظهره بعد ركلته الأخيرة، لكنه وثب واقفاً، ساحبًا معه بندقية كلاشينكوف من الثلج.

بدا وكأنه ينظر للأعلى، نحو الفوضى القائمة قرب المنزل، ثم استدار مغادرًا، معلقاً البندقية على ظهره ومتجهًا نحو البوابات.

راقب بابيت وباركس والآخرون في غرفة إشارة تاونسند ذاك الظل المتوهج وهو يقطع الطريق ويدخل الغابة؛ كانت بصمته تتقطع الآن وهو يمر تحت الأشجار، لكن في غضون ثوانٍ صار من الواضح أنه يتحرك بسرعة أكبر.. أسرع بكثير.

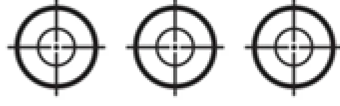
ضيقت الطائرة المسيرة نطاق رؤيتها؛ وكانت حركة الأذرع والأرجل وهي تضخ الدماء في الجسد واضحة عند هذا التكبير.

– "إنه يركض."

تقدم ليلاند بابيت إلى مقدمة الغرفة ووقف أمام شاشة البلازما مواجهًا طاقم المراقبة:

– "وبهذه البساطة، أيها السيدات والسادة، لقد أفلت من الهدف. سيدورينكو هالك؛ ولن نحتاج لانتظار المصادر الرسمية لنسمع ذلك."

تعالت صيحات الإعجاب والتصفيق في الغرفة. لقد تتبع هذا الفريق آثار جينتري لشهور دون جدوى، والآن صار لديهم إحداثيات دقيقة لموقعه.



لقد فقد كورت منظار رؤيته الليلية أثناء قفزته في البهو، وكان الضوء هنا تحت أغصان غابة اللارش المكسوة بالثلوج شحيحًا، لكن الضوء الخافت والمظلة الكثيفة للأشجار كانت عونًا له أكثر منها عائقًا.

وبينما كان لا يزال داخل المبنى، أخرج قطعة الملابس العلوية من حقيبة ظهره؛ وهي قميص "بولوفر" رقيق مموه. نزع قناع التزلج وارتدى القطعة الخضراء والسوداء، فبدا في هذا الظلام تمامًا مثل أي شخص آخر يركض في الثلج. تمكن من تجاوز غرفة الحراسة والخروج من البوابة الأمامية في اللحظة التي خرج فيها الرجال المذعورون، وهم يبحثون بيأس عن القاتل.

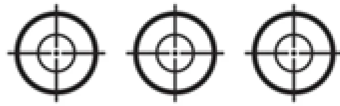
عند تلك النقطة، صرخ الرجال الذين يحملون أجهزة اللاسلكي بأعلى أصواتهم، وصرخ من لا يحملونها بصوت أعلى، وتحولت عملية البحث عن القاتل في وسطهم إلى فوضى عارمة؛ إذ ركض شبان محتقنون بالهرمونات والخمر والمخدرات في أرجاء الملكية، وهم يصوبون بنادقهم نحو بعضهم البعض في الظلام.

أدت المطاردة أخيرًا إلى خارج الأسوار، لكن معظم الرعاع توجهوا نحو الجنوب، متتبعين ضجيج وأضواء الألعاب النارية هناك، وأطلق عدة رجال النار على شاحنات مركونة، وظل حاوية قمامة،

وحتى على دورية مكونة من رجلين في الغابة كانت قد انفصلت عن بقية المجموعة. بحلول ذلك الوقت، كان كورت قد قضى على الحراس الثلاثة عند البوابة الشمالية ودخل الغابة. وبمجرد وصوله لساتر الأشجار، مدَّ يده تحت قميصه المموه وأخرج سترة رياح "نايلون" بيضاء بقلنسوة، وارتداها فوق طبقات ملابسه الأخرى.

بعد ذلك، أدرك أن مهمته الوحيدة هي الحركة والمضي قدمًا. أراد أن يضع مسافة بينه وبين المنزل الريفي، وكان بحاجة للحرارة المتولدة من الحركة ليبقى على قيد الحياة.

كان لدى رجال سيد كلاب، لكنها لم تكن مدربة، وكان كورت يرتدي طبقة ملابس مبطنة بالفضة تحجب 90% من روائح جسده الطبيعية، مما يجعله خفيًّا عن متتبعي الأثر. أخرج كيسًا من حقيبة ظهره واستخرج منه ست قطع من لحم الدب الخام المتعفن، وبينما كان يركض، راح يقذف اللحم في كل الاتجاهات. ستنشغل الكلاب باللحم، ليس لفترة طويلة، لكنه أمل أن يربك ذلك عملية المطاردة بما يكفي ليقطع مسافة بعيدة عن الموقع، ويجعل القليل من رائحته التي قد تنفذ باهتة ولا يمكن تعقبها.



التقى جينتري بفريق الإخلاء قبل ساعة من الفجر، بعد ما يقرب من ثلاث ساعات من السير والركض والتعثر والسقوط في الثلج. كان قد سمع أصوات مركبات على الطريق وصيحات رجال ونباح كلاب، لكن التهديد المباشر الوحيد له كان قرصة الصقيع. واصل الحركة، محافظًا على درجة حرارة جسده، مدركًا أن جسده سيعود للدفء بمجرد وصوله لوجهته.

كانت الشاحنة التي جاءت لتقلّه يقودها محلي استأجرته عصابة "براتفا" موسكو. لم يكن الرجل يعلم سوى أن مهمته تتضمن جمع شخص من الغابة قبل التاسعة صباحًا بقليل، عندما تكون السماء لا تزال سوداء كالفحم، ثم قيادته لمسافة عشرين كيلومترًا إلى خليج صغير حيث ينتظره قارب سريع. تم هذا الجزء من عملية إخلاء جينتري دون أي عوائق. لم يتبادل الرجلان أي كلمة؛ وقد قام السائق، من تلقاء نفسه، بإحضار "تيرموس" شاي لـ كورت. أمسكه كورت بين يديه ليدفئهما، وقربه من وجهه لتذيب الحرارة أنفه المتجمد، لكنه لم يشرب منه ولو رشفة واحدة.

قدر كورت تلك اللفتة، لكنه لم يكن يعرف هذا النذل. فمن يدري، ربما كان الشاي سمًّا زعافًا.

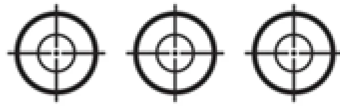
فـ جينتري لم يكن من النوع الذي يضع ثقته في أحد.

ومع تحول السماء للرمادي فوق السحب المنخفضة في خليج فنلندا، وجد جينتري نفسه على متن قارب الإخلاء. لم يكن وصف "القارب السريع" ملائمًا تمامًا؛ فقد كان زورقًا بطول أربعة عشر قدمًا بمحرك ضعيف وقبطان يبدو في السابعة عشرة من عمره. لكنهما شقا المياه الساكنة للخليج بسهولة كافية، وقبل الظهر بقليل، وصل بجانب السفينة هلسنكي بولاريس، وهي سفينة شحن بضائع جافة ترفع العلم الروسي في طريقها إلى فنلندا.

وبينما كان يغادر الزورق، مدَّ القبطان يده تحت المقعد وسلم جينتري حقيبة ظهر وحقيبة صغيرة. أخذها كورت دون كلمة. كانت حقيبة الظهر ملكه؛ فقد حزمها بنفسه في موسكو، ملأها بأشياء سيحتاجها للهرب بعد عملية سيدورينكو. مسدس جديد، حقيبة إسعافات أولية، ملابس، وبعض الأغراض الأخرى. أما الحقيبة

الصغيرة فكانت تحوي مائتين وخمسين ألف يورو في رزم من فئة المائة يورو؛ كانت تلك أموال العمليات التي وُعِد بها من أجل هروبه، وتخيل أنه سيحتاج إليها كلها أو معظمها ليختفي بشكل لائق.

بحلول الظهر، وقف في غرفته الصغيرة في مؤخرة السفينة؛ كان قد وضع المال في حقيبة الظهر وجيوب معطفه الثقيل، ووقف الآن عاريًا أمام مرآة قذرة، يتفحص الكدمات والخدوش التي خلفتها أحداث الصباح. كان مجهدًا بلا شك، لكنه في حالة أفضل مما توقع أن يكون عليه في نهاية هذه الرحلة. والأهم من ذلك، أنه فعلها؛ لقد تخلص من سيد سيدورينكو وأزاح أكثر من يطاردونه حماسة وعنادًا. لقد كان يوم عمل ناجحًا، وهو يتطلع الآن للاختفاء لفترة، يعيش بعيدًا عن الأنظار ويتحين الفرصة حتى يقرر وجهته القادمة.



ظلت الطائرة المسيرة "سكان إيغل" التابعة لشركة تاونسند للخدمات الحكومية تحلق فوق رأسه طوال فترة إخلاء جينتري. قرر بابيت سحب فريق الهجوم الخاص به في غضون دقائق من دخول جينتري الغابة؛ فـ سِيد كان لديه الكثير من الأوباش المنتشرين في كل مكان. ورغم أن أعضاء فريق "تريسل" الثمانية كان بإمكانهم التعامل مع ثلاثة أضعاف عددهم من "حليقي الرؤوس" الروس، إلا أن هدفهم كان قتل جينتري، وجينتري كان تحت المراقبة بأمان. كان بإمكان فريق "تريسل" انتظاره بسهولة حتى يبتعد عن الروس ثم يضربونه لاحقًا عندما يكون وحيدًا.

تتبعت طائرة "سكان إيغل" هدفها حتى الشاحنة، ثم استُبدلت الطائرة الأولى بطائرة ثانية، تتبعت الشاحنة حتى القارب الصغير وظلت تحلق عاليًا بينما يقترب الزورق من سفينة تبحر غربًا في خليج فنلندا. التقطت الكاميرا الموجودة على متن الطائرة اسم السفينة – هلسنكي بولاريس. قام محققو تاونسند بالبحث عن اسم السفينة في قاعدة بيانات السفن العالمية، وهو ما أظهر تفاصيل السفينة ومسارها المجدول؛ ومن هناك علموا أن السفينة كانت ناقلة بضائع جافة حمولتها 1,800 طن، ورغم أن هلسنكي كانت ميناءها الرئيسي، إلا أنها مملوكة لروس وترفع علم أنتيغوا وبربودا. كانت في طريقها لتسليم شحنة إلى فنلندا وسترسو في ماريهامن في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي.

قال بابيت لـ باركس عندما تأكد كل شيء:

– "لقد وقع في قبضتنا. سننال منه هناك على متن السفينة. أبلغ فريق 'تريسل' أنهم سيقومون بعملية اعتراض بحرية."

– "عُلم يا سيدي. لدينا القوارب السريعة وكل المعدات اللازمة لهجوم بحري في ميناء سان بطرسبرج. سننقلهم جوًّا إلى هلسنكي لنسبق السفينة بولاريس."

– "جيد."

سأل باركس:

– "ماذا عن ديد آي؟ هل أصرف النظر عنه؟"

– "كلا.. دعه يتوجه إلى ماريهامن. أريده منتظرًا في الميناء في حال حدوث أي خطأ."

رنَّ الهاتف الموجود على ورك جيف باركس؛ وضعه على مكبر الصوت واستقبل المكالمة من أحد موظفي الاتصالات في غرفة الإشارة.

– "معك جيف."

– "جيف، طيار طائرة 'بيتشكرافت' المكلفة بنقل ديد آي اتصل للتو.. العميل لم يظهر. كان من المفترض أن يكون في المطار قبل ساعتين. يريد الطيار أن يعرف كم من الوقت يجب أن ينتظره."

التفت باركس نحو بابيت، الذي كان ينظر بالفعل إلى السقف في تعبير عن الإحباط.

تنهد بابيت قائلًا:

– "أنا أكره هؤلاء العملاء المنفردين.. اتصل به. لن يجيب، لكن افعلها على أي حال. أريد من الجميع في غرفة الإشارة مواصلة إرسال بيانات العملية إلى هاتف ديد آي. حتى لو لم يتحدث إلينا، أريده أن يعرف ما يحدث في المطاردة."

– "وبعد ذلك؟" سأل باركس.

– "وبعد ذلك ننتظر ظهور ديد آي في منطقة العمليات. هو يريد جينتري بقدر ما نريده نحن. سيظهر هناك، لكنه لن يتبع خطتنا."

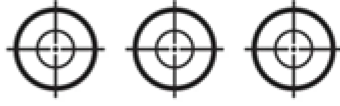
هزَّ باركس رأسه وهو يغلق الخط وتمتم:

– "يا له من مغرور."

قال بابيت:

– "جزء من إدارة أشخاص فرديين مثل ويتلوك هو معرفة متى نتراجع. دعه يظن أنه العقل المدبر لهذه العملية؛ لا يهمني ذلك أبدًا. الشيء الوحيد الذي يهمني هو الحصول على صورة لوجه كورت

جينتري القبيح داخل صندوق من خشب الصنوبر عندما ينتهي كل شيء."



8

كانت المرأة جميلة، رغم أن الحزن يكسو ملامحها. جلست هناك، وحيدة، متوارية في ظلال شجرة برتقال في مقهى خارجي، تتجاهل الزبائن الجالسين تحت أشعة الشمس، كما تجاهلها الجميع عدا القليل من الرجال. كان وجهها شبه مخفي خلف نظارات شمسية ضخمة، ورأسها يميل فوق فنجان "إسبريسو" صغير تمسكه بيديها فوق الطاولة. بدت بين الحين والآخر وكأنها ترنو بنظرها عبر الشارع أمامها، متجاوزة أربعة مسارات من حركة المرور المتوسطة، نحو زقاق يمتد خلف مبنى سكني مكون من أربعة طوابق ومرآب للسيارات.

كانت ظهيرة يوم مثالي من أيام ديسمبر في مدينة فارو بالبرتغال؛ سماء مشمسة ودرجات حرارة معتدلة. ورغم أن هذا التقاطع لم يكن يتمتع بأي منظر خلاب، ولا تمتلك تلك المنطقة الحضرية أي قيمة سياحية تُذكر، إلا أن الطاولات التي افترشت الرصيف أمام المقهى كانت مشغولة بأكثر من نصفها، معظمهم من المتسوقين والسكان المحليين من المبنى السكني المجاور والزقاق الخلفي.

لكن المرأة تحت شجرة البرتقال ظلت جالسة بمفردها، بعيدة عن بقية الزبائن، ترتشف قهوتها ببطء. أزاحت شعرها البني متوسط الطول عن وجهها وألقت نظرة أخرى نحو المبنى السكني.

ظهرت رسالة نصية على هاتف الـ "آيفون" الملقى بجوار حقيبتها على الطاولة. التقطت الهاتف وألقت نظرة عليه.

أين أنتِ؟

نقرت بإبهامها ردًّا سريعًا.

أشاهد التلفاز على الأريكة.. لماذا؟

أعادت الهاتف إلى الطاولة واستأنفت نظراتها الهائمة عبر الشارع، لكنها سمعت بعد ثوانٍ صرير أرجل كرسي معدني يُجرُّ فوق الرصيف بجانبها. جلس رجل وسيم في منتصف العمر يرتدي حلة رمادية، واضعًا هاتفه على الطاولة بجوار هاتفها. رأت الرسالة التي أرسلتها للتو معروضة على شاشة هاتفه.

تحدث بهدوء وهو يستقر في جلسته:

– "يؤلمني حقًا عندما تكذبين عليَّ."

كانت لكنته ثقيلة، لكن لغته الإنجليزية كانت مثالية.

ابتسمت المرأة قليلًا الآن، لكنها لم تلتفت للنظر إلى الرجل.

– "أنت تعرفني جيدًا يا يانيس."

كان يانيس قد اشترى بالفعل كوبًا من الشاي، وراح يحرك السكر فيه وهو يتحدث. وبخلاف المرأة، لم يبتسم.

قال:

– "ليس من المفترض أن تكوني هنا."

– "أعرف."

– "فعلتِ الشيء نفسه في بوينس آيرس، وفعلتِ الشيء نفسه في طنجة."

– "وفي مانيلا أيضًا.. لكنك لم تمسك بي في مانيلا."

التفتت إليه؛ ولم تعد ابتسامتها خجولة، بل تحولت إلى نظرة تحدٍّ جذابة.

– "ماذا عساي أن أقول؟ أنا أحب المشاهدة."

لم يكن يانيس يميل للمزاح.

– "هذا مخالف للبروتوكول، وأنتِ تعلمين ذلك. الأمر قد يكون خطرًا."

عادت بنظرها نحو المبنى عبر الشارع وقالت:

– "هل كنتَ قلقًا على سلامتي في أي وقت خلال الأسابيع الستة الماضية؟ لا أذكر أنك سألتني مرة واحدة عما إذا كنتُ أحافظ على مسافة آمنة من هذين الوغدين في تلك الشقة هناك. في الواقع، ألم تكن تضغط عليَّ لأقترب منهم أكثر؟"

خفف يانيس ألفي من نبرة صوته:

– "لقد انتهى التحقيق يا روث.. دوركِ اكتمل. لنرحل من هنا ونترك المهمة للرجال الأشداء ليقوموا بدورهم."

– "أنا لستُ في طريق أحد.. ولن أذهب إلى أي مكان."

تنهد يانيس. لقد خاض هذه المعارك مع روث إيتنغر من قبل، وكان يخسرها دائمًا. كان هو الأعلى رتبة منها في منظمتهما، لكنها كانت عنيدة للغاية وبارعة جدًّا في عملها لدرجة أنه كان يسمح لها بتجاوز أمور صغيرة كهذه.

أدرك يانيس أنه سيخسر الجولة ما لم يعلن النصر بنفسه.

– "حسناً.. يمكنكِ البقاء. أظن أنكِ تستحقين ذلك."

تفحص يانيس الشارع ذهابًا وإيابًا، ثم تحدث في هاتفه:

– "الطريق آمن."

وضع الهاتف والتفت نحو السمراء الجميلة قائلًا:

– "يبدو تنفيذ المهمة في وضح النهار أمرًا غريبًا."

– "كان هذا اقتراحي.. فالأهداف ظلت مستيقظة طوال الليل، وعملت حتى ما بعد الظهيرة. الآن هو أفضل وقت لضربهم."

– "آمل أن تكوني على حق." تنحنح قائلًا: "لستِ مسلحة، أليس كذلك؟"

– "معي رذاذ فلفل في حقيبتي."

– "لا بد أن هذا يمنحكِ شعورًا عظيمًا بالأمان."

كان تهكمه واضحًا.

– "أنا مسلح بالطبع.. إذا حدثت أي مشكلة، ابقي بجانبي."

– "شكرًا لك يا يانيس."

قالتها بصدق. ثم أضافت:

– "كيف ستقومون بالعملية؟"

ارتشف يانيس شايَه، ومن فوق حافة الكوب، ألقى بنظره نحو المبنى السكني المجاور لمرآب السيارات.

– "بعد لحظة ستصل سيارتا سالون، كل منهما تحمل ثلاثة رجال وسائقًا. وستقوم حافلة ثالثة بسد المخرج العلوي للمرآب. سيصعد الستة للطابق الثالث وينفذون المهمة."

أومأت روث برأسها وقالت:

– "تتمنى لو كنتَ مع الفريق المقتحم، أليس كذلك؟"

– "بالطبع أتمنى." قالها دون تردد. "لقد استمتعتُ بذلك الجزء من حياتي كثيرًا. لكنني الآن الرجل الذي يجلس عبر الشارع للمراقبة بدلًا من أن يكون أحد الرجال الذين ينقضّون لتحقيق العدالة."

قالت:

– "أنا متأكدة أنك لا تزال قادرًا على فعل ذلك."

لوَّح بيده مستبعدًا التعليق:

– "لا بد لأحد ما أن يقيّم المحيط لإعطاء إشارة الأمان. بالإضافة إلى أن أيًّا من هؤلاء الفتية لا يحظى بمتعة قضاء الظهيرة في مقهى مع امرأة جميلة.. لا بد أنهم جميعًا يحسدونني."

اكتفت روث بابتسامة ناعمة. نظر إليها لوقت طويل وسأل:

– "تشعرين بالارتياح تجاه هذه المهمة، أليس كذلك؟"

– "نعم.. بالطبع أشعر."

– "جيد.. أعلم أن الأمر كان صعبًا عليكِ منذ.."

– "اششش." أسكتته، ثم أشارت برأسها إشارة خفيفة نحو المبنى عبر الشارع.

انعطفت سيارتان رماديتان نحو الزقاق واختفتا. تبعتهما حافلة توقفت عند مدخل الزقاق، فسدَّت الطريق على أي شخص يحاول الخروج من الزقاق أو من مخرج المرآب على اليمين.

قال يانيس بهدوء:

– "أراهنكِ بخمسين يورو أنها ستنتهي بالدماء."

هزت روث رأسها وقالت:

– "رهان خاسر.. ستنتهي بالدماء حتمًا. ثمة شخص على وشك أن يموت في الطابق الثالث من ذاك المبنى."

جلسا صامتين للحظة؛ وكان يانيس ينقر بأصابعه على الطاولة. كان يفكر في مدى اشتياقه لتلك اللحظات؛ الأكشن الذي يدور عبر الشارع. مدت روث يدها ووضعتها فوق يده فتوقف النقر، ثم أعادت لفَّ أصابعها الرقيقة حول فنجان القهوة.

عبر الشارع، حاولت سيارة "تويوتا هاتشباك" الخروج من المرآب المجاور للمبنى لكن الحافلة منعتها. أطلق سائق التويوتا بوق سيارته، لكن الحافلة لم تتحرك.

أدركت روث أن هذا –على الأرجح– هو كل الإثارة التي ستراها من العملية الجارية عبر الشارع. لم يكن بالكثير، لكنها لم تكن تهتم. فكما أخبرت يانيس ألفي، هي تحب المشاهدة.

كانت روث إيتنغر في السابعة والثلاثين من عمرها، ورغم أنها تحمل مسمًّى وظيفيًّا رسميًّا يبدو بيروقراطيًّا ونظيفاً، إلا أن وصف وظيفتها كان في غاية البساطة: هي ضابطة استهداف في جهاز "الموساد"؛ الاستخبارات الإسرائيلية.

تدير روث فريقاً من العملياتيين ضمن واحدة من عدة وحدات مهام تابعة لـ "قسم الجمع" في الموساد، وكلها مكلفة بمهمة حماية المسؤولين الحكوميين الإسرائيليين من الاغتيال والاختطاف. وفي الواقع، كانت جميع قضاياها تقريبًا تتعلق بتهديدات ضد رئيس الوزراء الإسرائيلي، إيهود كالب، ضابط القوات الخاصة السابق في الجيش الإسرائيلي البالغ من العمر سبعة وستين عامًا والذي يقود بلادها.

لم تقابل إيتنغر كالب أبدًا، ولم تتواجد حتى في غرفة واحدة مع رئيس وزرائها، لكنها اتخذت من حمايته هدف حياتها ومسؤوليتها الكبرى؛ فكان عملها هو البحث عن المشتبه في نيتهم إلحاق الأذى به، وتقييم مدى جدية التهديد، ثم –إذا تأكد أن التهديد حقيقي– استدعاء ذراع العمليات في الموساد، وحدة "ميتسادا"، لإنهاء المهمة.

كان يانيس ينتمي لـ "ميتسادا[7]"، وهو المسؤول عن المنفذين وصلتها بقسم العمليات، بينما كانت هي صلته بقسم الجمع.

معًا، طاردوا إرهابيين وقتلة مأجورين ومعتوهين في كل أرجاء المعمورة. لأكثر من خمس سنوات، كانت روث تخدم في وحدة المهام هذه، أولًا كضابطة دعم، ثم كقائدة لفريق استهداف. صارت روث أفضل ضابطة استهداف في قسم الجمع في تحديد المواقع والتعقب وتقييم التهديدات، وكانت تدرك ذلك جيدًا.

ثم، في الربيع الماضي، حدثت واقعة روما.

تحولت حادثة في روما إلى كارثة بالنسبة لجهازها، لكن لم يتم لومها؛ فقد سمح لها طبيب نفسي في الموساد بالعودة إلى الميدان بعد أيام فقط، وسرعان ما عادت روث لإحباط المخططات الخبيثة لأعداء أمتها.

المهمة التي استحوذت على كل لحظة من حياتها خلال الأسابيع الستة الماضية كانت مطاردة شقيقين إرهابيين تعلما فن وعلم صناعة القنابل في الأراضي المحتلة، ثم فجرا عبوات في أفغانستان لصقل مهاراتهما. ورغم بشاعة ذلك، لم يكن كافيًا بحد ذاته لجذب التركيز الشديد لأكبر صائدة رؤوس في الموساد. لكن عندما غطى الشقيقان وجهيهما وظهرا على شاشة تليفزيون لبنانية معلنين أنهما الرجلان اللذان سيُركعان إسرائيل، كُلفت روث بمهمة البحث في ادعائهما الجريء لمعرفة ما إذا كان وراء هذا التبجح حقيقة. تتبعتهما من بيروت إلى أنقرة إلى مدريد ثم أخيرًا إلى فارو، وهنا وجدتهما يجمعان المواد

---

[7] وحدة "ميتسادا": وحدة إسرائيلية نخبوية، شكّلتها هيئة أركان الجيش الإسرائيلي عام ٢٠٠٣، متخصّصة في العمليات الميدانية والاستخباراتية عالية الخطورة، وتشمل الاستطلاع وجمع المعلومات وتنفيذ عمليات الاغتيال السوداء خارج الحدود.

الكيميائية وأجهزة التوقيت ويبحثان في خطط سفر رئيس الوزراء الإسرائيلي. كان من المقرر أن يحضر كالب مؤتمرًا اقتصاديًّا في لندن الأسبوع التالي، وقد حجز الشقيقان تذاكر عبَّارة إلى المملكة المتحدة.

قررت إيتنغر وفريقها أن هذا يمثل بالفعل تهديدًا جديًّا لرئيس وزرائهم، فاستدعوا يانيس وفريقه من "ميتسادا"، ثم صدرت الأوامر لـ روث وفريقها بالبقاء بعيدًا عن موقع الهدف بينما ينقضُّ الرجال الأشداء من تل أبيب لإنهاء التهديد.

لكن الآن، تجلس روث على بُعد أقل من مائة ياردة من موقع الحدث، ترتشف القهوة في الظل البارد.

لم تكن قلقة على زملائها في "ميتسادا"؛ فالشقيقان صانعا القنابل كانا يخلطان المواد الكيميائية ويصنعان أجهزة التوقيت طوال الساعات الثماني عشرة الماضية وهما الآن في سبات عميق، كما أن الكاميرات التي مررها فريقها عبر فتحات التهوية في الشقة المقابلة أكدت أن الباب الأمامي لشقتهم ليس مفخخًا. علمت أن المنفذين الإسرائيليين سيقتحمون الباب مع أوامر باعتقال الرجلين إذا كان ذلك ممكنًا. لكنها علمت أيضًا أن الرجلين في تلك الشقة يمتلكان بندقية كلاشينكوف واحدة فقط، وهي موضوعة على الأرض بين سريريهما مباشرة، وسوف يستيقظان كلاهما، ويمدان يديهما نحوها، ويتخبطان في الإمساك بها.

وسيتخذ ضباط "ميتسادا" القرار في نبضة قلب واحدة؛ سيطلقون النار على الشابين بمسدساتهم الصامتة.

ثم سينسحبون من الباب ولن يتركوا أثرًا وراء فعلتهم سوى الجثث المضرجة بالدماء وبعض أغلفة الرصاص التي لا يمكن تعقبها.

عبر الشارع، توقفت سيارة التويوتا عن إطلاق البوق. نزل أحد المنفذين من حافلة السد، وشرح لسائق التويوتا ببرتغالية متعثرة أن صديقه يواجه مشكلة في ناقل حركة الحافلة، وأنه إذا تمكن الرجل من الانتظار للحظة، فسيقومون بدفع المركبة بعيدًا. امتثل سائق التويوتا، ربما لإدراكه أن هذا الأجنبي المهذب يبذل قصارى جهده لإصلاح الموقف، وربما أيضًا لملاحظته أن هذا الأجنبي المهذب يمتلك مظهرًا صارمًا ومهيبًا، ومن الأفضل عدم إغضابه.

حدث صرير إطارات قصير الآن. راقبت روث ويانيس سيارتي عملاء الموساد وهما تخرجان من الزقاق، وتتوقفان خلف التويوتا. تحركت حافلة السد جهة الغرب، وانطلقت التويوتا في الشارع جهة الشرق، ثم قامت السيارتان بالدوران بشكل مثالي في الزقاق الضيق وتبعتا الحافلة جهة الغرب.

لم يكن لدى أي شخص يجلس في المقهى الخارجي من حولهم أي فكرة بأنهم كانوا يشهدون نهاية عملية اغتيال تم التخطيط لها وتنفيذها ببراعة عبر الشارع.

قال يانيس ألفي:

– "وهكذا.. ينتهي المشهد."

قالت روث:

– "الأمر لا يفقد بريقه أبدًا." ولم يكن في صوتها أي نبرة سعادة أو مرح.

لاحظ يانيس ذلك.

– "أنتِ تكرهين اللحظة التي ينتهي فيها كل شيء."

صححت له قائلة:

– "بل أحب اللحظة التي ينتهي فيها.. طالما أننا قمنا بعملنا بشكل صحيح، ولم تقع خسائر جانبية."

بخلاف *ما* حدث في *روما*، فكر يانيس، لكنه لم يقلها.

أضافت روث:

– "ما أكرهه هو اليوم التالي.. عندما لا أجد ما أفعله."

سأل يانيس بنبرة تحمل من الأمل أكثر مما كان يود إظهاره:

– "العشاء الليلة؟"

أنهت روث قهوتها وقالت:

– "آسفة.. يجب أن أقوم بتطهير المنزل الآمن."

أومأ برأسه، حريصًا على إظهار اللامبالاة. لم يكن متفاجئًا في الواقع.

– "لا مشكلة.. أتخيل أنكِ لن تكوني رفقة جيدة لي على أي حال؛ فأنتِ تصبحين فظة للغاية ويصعب التعامل معكِ عندما لا يكون لديكِ رأس تطاردينه."

نهضت روث، ثم انحنت قليلًا، هامسة في أذن ألفي:

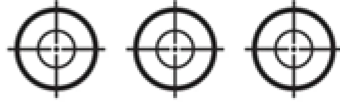
– "لا يسعني إلا أن آمل أن يعلن أحدهم نيته قتل رئيس وزرائنا في الأيام القليلة القادمة.. حتى يكون لحياتي معنى."

انسلت مبتعدة بين طاولات المقهى، ومدَّ يانيس يده لمحفظته ليدفع حسابها. لم يشعر بالإهانة من صدّها له؛ فذلك جزء من شخصيتها، قشرتها الخارجية القاسية المزيفة. كان يعلم ذلك، ويعلم أيضًا ما يكمن تحتها.

كانت شجاعة وفخورة وذكية وكفؤة.. لكنها كانت أيضًا هشة.

كان يانيس ألفي سعيدًا بنجاحها اليوم في القضاء على الشقيقين الفلسطينيين صانعي القنابل بهدوء ونظافة. لكنه بينما كان يراقبها

وهي تبتعد، فكر –وليس للمرة الأولى– أن حادثة واحدة أخرى مثل روما قد تدمرها تمامًا.



9

في تمام الساعة الواحدة صباحًا، التقت سفينة «هلسنكي بولاريس» بالسفينتين الصغيرتين اللتين كانتا تطاردانها في المياه الحالكة لبحر البلطيق، على بعد عشرين ميلاً جنوب هلسنكي.

كان عملاء «تاونسند» الثمانية، أعضاء فريق «تريسل»، يستقلون قاربين أسودين من طراز Zodiac MK2، تدفعهم محركات قوية ولكن هادئة سمحت لهم بشق أثر السفينة والتقدم نحو المؤخرة دون أن يلاحظهم أحد، وبسرعة خاطفة.

كان في كل قارب زودياك رجل يتولى الدفة، بينما تمسك الثلاثة الآخرون بمقابض الحبال المثبتة على الجدران المطاطية القابلة للنفخ. انفصل القاربان المطاطيان الصغيران خلف سفينة الشحن؛ اتجه أحدهما نحو الميسرة والآخر نحو الميمنة. حاذيا سفينة «بولاريس» في وقت واحد، ورُفعت أعمدة تسلق تلسكوبية ذات خطافات مبطنة عند أطرافها لتُعلق فوق سياج السطح الرئيسي. وفي غضون ستين ثانية، كان أول رجلين قد صعدا عبر الأعمدة وتجاوزا السياج، ثم أنزلا سلمًا من الحبال ليتسنى إزالة الأعمدة وصعود الرجلين الثاني والثالث من كل قارب بسرعة وأمان أكبر. وبعد دقيقة أخرى، فُصلت سلالم الحبال عن السياج وخُزنت على السطح، وتوارى الرجال الستة عن أنظار أي

شخص مستيقظ في الأعلى عند قمرة القيادة قد يقرر النظر نحو المؤخرة.

بعد دقيقتين من محاذاة سفينة الشحن، كانت فرقة الاقتحام المكونة من ستة رجال تتحرك على السطح، رافعين رشاشات Heckler & Koch MP7في وضع الاستعداد العالي.

وفي حي آدامز مورجان بالعاصمة واشنطن، كان طاقم غرفة الإشارة بأكمله يراقب الشاشة العملاقة أمامهم. كانت الشاشة تعرض الأحداث عبر طائرة ScanEagle UAV تحلق فوق الموقع. انطلقت الطائرة المسيرة من الفناء الخلفي لمنزل آمن في هلسنكي، وكان يديرها الفريق نفسه الذي كان يعمل، قبل عشرين ساعة فقط، من منزل آمن بالقرب من فيلا غريغور سيدورينكو.

فتش فريق التدخل المباشر السفينة، محافظين على التخفي، مستخدمين معدات الرؤية الليلية للتحرك في الظلال، واتصالات لاسلكية هامسة عبر سماعات الرأس للبقاء على تواصل أثناء تنقلهم عبر الممرات المتشعبة لسفينة الشحن.

بعد ست وعشرين دقيقة من الصعود، دخل قائد فريق «تريسل» مقصورة القبطان وجثا فوق سريره. وضع يده المغطاة بالقفاز فوق فم الروسي ذي الشعر الفضي، وسلط كشافًا تكتيكيًا في عينيه، ثم أيقظه بهزة عنيفة.

– "G’de Americanskiy?" – "أين الأمريكي؟"

اتسعت عينا الرجل، وتحولت حدقتاه إلى نقطتين صغيرتين في الضوء الساطع. حاول الابتعاد بوجهه عن الشعاع لكن اليد ثبتته بقوة. اخترق الضوء جفنيه حين أغمضهما بشدة.

– "G’de Americanskiy?"

أرخت اليد المغطاة بالقفاز قبضتها عن وجهه، فتحدث القبطان بتردد:

– "الراكب؟ قال إنه ألماني."

– "لا يهم. أين هو الآن؟"

– "لقد غادر السفينة."

– "متى؟"

– "ما... كم الساعة الآن؟"

– "الواحدة والنصف."

– "حوالي منتصف الليل، على ما أظن."

– "كيف غادر السفينة؟"

– "جاء قارب لأجله. لابد أن الأمر كان مرتبًا مسبقًا. لم نُبلغ عنه إلا حين ظهر. قالوا عبر الراديو إنهم جاءوا لأجل الراكب. كان هو بالفعل على السطح بانتظارهم."

– "أي نوع من القوارب؟"

– "قارب من طراز Bayliner، على ما أعتقد. أبيض اللون. وله مظلة قماشية." هز الرجل رأسه مضيفًا:

– "مجرد قارب عادي طوله عشرون قدمًا."

– "بأي لغة تحدث الرجل عبر الراديو؟"

– "الروسية."

– "إلى أين أخذه القارب؟"

– "أنا... لا أعلم. هلسنكي ربما؟ كانت أقرب ميناء. على بعد أربعين كيلومترًا من موقعنا في ذلك الوقت. لابد أنه اتجه إلى هلسنكي."

قيّم قائد فريق «تريسل» إجابات القبطان ووجدها ذات مصداقية. بدا الرجل مذهولًا ومرتعبًا للغاية لدرجة تمنعه من محاولة خداع الرجال المسلحين المتشحين بالسواد فوق رأسه.

نظر قائد الكوماندوز من «تاونسند» خلفه ومد يده إلى الوراء، فوضع أحد زملائه حقنة فيها. أزال غطاء الإبرة بفمه، وأبقاها بين شفتيه، ثم أعاد إطباق يده على فم القبطان، تمامًا في اللحظة التي بدأ فيها الرجل بالصراخ والتخبط، وقد تملكه الرعب مما هو وشيك الحدوث.

غرس الكوماندو المتشح بالسواد الإبرة في عنق القبطان وضغط المكبس، فسكن الرجل في سريره.

كانت الحقنة تحتوي على عقار «فيرسيد» (Versed)، وهو مرخي عضلات قوي. لن يموت القبطان، لكنه سيغيب عن الوعي لساعات. ورغم أن ذاكرته عما حدث الليلة ستكون مشوشة على الأرجح، إلا أن الهدف لم يكن محو أثر الكوماندوز، بل منع القبطان من إطلاق الإنذار حتى يبتعد فريق «تريسل» بقواربهم ويغادروا السفينة بمسافة كافية.

بعد خمس دقائق، ظهرت قوارب زودياك مرة أخرى بجوار سفينة «هلسنكي بولاريس»، وهبط فريق الاقتحام المكون من ستة رجال إلى القاربين عبر أعمدة التسلق. عندما عاد الجميع على متن القوارب، استدار كلاهما نحو الشمال، تاركين سفينة الشحن تواصل رحلتها إلى وجهتها في ماريهامن.

في واشنطن، كانت غرفة الإشارة تراقب بث الطائرة المسيرة للعملية التي لم تسفر عن شيء على الشاشة الرئيسية، لكن بقيت مهمة إبلاغ بابيت عبر الهاتف المتصل بالأقمار الصناعية بآخر المستجدات على عاتق قائد فريق «تريسل» بمجرد ابتعادهم عن الهدف.

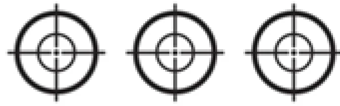
اضطر قائد «تريسل» للصراخ تقريبًا ليعلو صوته فوق هدير محرك Yamaha الخارجي الذي كان يمخض الماء خلفه بأقدام قليلة:

– "اتصال سلبي. الهدف غادر القارب منذ أكثر من ساعة. رحل على متن قارب Bayliner أبيض بمظلة. الوجهة غير معلومة."

أجابه بابيت:

– "مفهوم. عودوا إلى هلسنكي. سنتحقق من بيانات الرادار ونحدد أين ذهب، لكن قد يستغرق الأمر بضع ساعات."

– "إلى هلسنكي إذن. انتهى."



10

تساقطت الثلوج طوال الليل في تالين، عاصمة إستونيا، لكن سماء الصباح كانت صافية وزرقاء تتناثر فيها سحب بيضاء قليلة. كانت حركة المرور يوم الاثنين كثيفة؛ حولت الإطارات الشوارع إلى وحل ثلجي، وسودت عوادم السيارات الجليد والثلج على جوانب الطرق.

جلس الأمريكي راسل ويتلوك، البالغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا، على مقعد في حديقة تقع عاليًا فوق تلة، ينفث بخارًا من فمه، متجاهلًا البرد اللاسع على وجنتيه المكشوفتين، ويرتشف نبيذ «الجلوج» (glogg)، وهو نبيذ متبل يُستهلك بكثرة في منطقة البلطيق خلال الشتاء.

أطلق بصره متجاوزًا الطريق أسفله نحو البحر الممتد وراءه.

لم يأتِ راسل إلى تالين بأوامر من جهة عمله، «تاونسند للخدمات الحكومية»، بل جاء بناءً على استنتاج مدروس. كان قد وصل في وقت متأخر من مساء اليوم السابق؛ استقل سيارة أجرة من محطة القطار إلى فندق ثلاث نجوم في منطقة تومبيا، أي «تلة الكاتدرائية»؛ رمى أمتعته على سريره؛ ثم خرج فورًا تحت الثلج الخفيف لاستكشاف موقع مثالي لعمله في صباح اليوم التالي.

استغرق الأمر منه أقل من ساعة للعثور على هذا المقعد ثم العودة إلى دفء غرفته، وعاد إلى هنا مع أول ضوء للنهار، مزودًا بالطعام وترمس مليء بـ«الجلوج» وفره مطعم الفندق. كان موقعه مرتفعًا على تلة بمحاذاة شريط رفيع من الحدائق يمتد مع الجزء الشمالي من سور المدينة القديمة الذي يطوق «المدينة القديمة» و«تلة الكاتدرائية».

وخلفه تمامًا كانت كنيسة أوليفتسي وأحد أبراج السور العشرين ذات الأسقف المخروطية في المدينة، والتي بنيت في القرن الخامس عشر عندما كانت تالين عاصمة ثرية لرابطة الهانزية.

من هذا الموقع فوق التلة، كان بإمكانه رؤية ميناء تالين بأكمله أسفله، وهذا ما جعل الموقع مثاليًا لاحتياجاته.

جلست حقيبة ظهره بجانبه على المقعد. وفي حجره استقر منظار قوي من طراز Steiner 20×80. كما علق كاميرا Canon حول عنقه، ليبدو مجرد سائح آخر يلتقط صورًا للمدينة والسفن الراسية في الميناء أدناه من نقطة مراقبته العالية. كان يرتدي معطفًا أسود محشوًا بالريش اشتراه من برلين في اليوم السابق، مما أبقاه دافئًا، وإن كانت رشفات النبيذ الساخن المتبل لم تضر بالتأكيد في هذا الصدد.

كانت عبّارة سيارات بحجم مركز تسوق صغير راسية في مرساها بجانب المحطة عند مدخل الميناء، وإلى الشرق قليلًا، اصطفت عشرات

القوارب الأصغر. كانت معظم سفن الشحن الكبيرة راسية بعيدًا عن الشاطئ في خليج تالين، لكن أكثر من اثنتي عشرة سفينة شحن متوسطة الحجم كانت أقرب إلى اليابسة، وزوارقها الصغيرة تفرغ الرجال والبضائع بين الحين والآخر.

كان هناك أيضًا تدفق مستمر لزوارق أصغر حجمًا، قوارب صيد صغيرة تعود بصيد الصباح.

رفع منظار Steiner إلى عينيه ومسح البحر، مراقبًا السفن الصغيرة أثناء دخولها، ثم حول نظره إلى بقعة تقع على بعد نصف ميل أسفل موقعه. عند مدخل الميناء، بالقرب من محطة عبّارات «تالينك» الضخمة، كانت هناك نقطة اختناق يتعين على أي شخص نزل من سفينة في الميناء المرور عبرها في طريقه إلى المدينة، وكانت هذه النقطة هي المحور الرئيسي لاهتمام ويتلوك. كان معظم الناس يغادرون الأرصفة في مجموعات، تكتلات من ثلاثة إلى عشرة رجال، مدثرين بمعاطف وقبعات سميكة لحمايتهم من هواء البحر البارد. ثم يتجهون إلى الحافلات أو السيارات والشاحنات في أحد مواقف السيارات في المنطقة.

تجاهل راسل هذه المجموعات؛ كان يبحث عن شخص وحيد.

رغم أنه لم يتواصل مع رؤسائه في مقر «تاونسند» منذ أكثر من يوم، إلا أنه كان يقرأ الرسائل المشفرة حول الهدف وحالة المطاردة التي أرسلوها إلى هاتفه المحمول. من هذه البيانات، علم أن سفينة «هلسنكي بولاريس» كانت صيدًا فارغًا، وهذا لم يفاجئه أدنى مفاجأة. لم يعتقد راسل للحظة أن كورت سيجلس على تلك السفينة وينتظر أن تبيعه المافيا الروسية أو تقتفي أثره فرق الاقتحام المرسلة لشن

هجمات بحرية على جميع السفن في خليج فنلندا بالقرب من موقع اغتيال سيدورينكو.

كان كورت أذكى من ذلك بكثير، ومنحه راسل ويتلوك التقدير الكامل لذكائه. كان كورت سيرتب لطرف ثالث ليقله من السفينة، شخص غير متحالف مع الروس ولا يعلم شيئًا عن مهمة جينتري في روتشينو.

هذا ما كان ويتلوك ليفعله، ولذا قرر أن هذا ما سيفعله جينتري.

أخذ راسل استراحة قصيرة لإنهاء شرابه وتناول بضع قضمات من شطيرة بيض أعدها بنفسه من بوفيه الإفطار في الفندق، ثم أعاد المنظار إلى عينيه. انتظر حتى انقشع البخار في الهواء حول فمه، وحينها لاحظ قاربًا أبيض صغيرًا يتجه إلى رصيف يقع في المنتصف بين الجانبين الغربي والشرقي للميناء. اعتقد أنه ربما ينظر إلى قارب Bayliner بطول عشرين قدمًا، رغم عدم وجود مظلة قماشية مرئية. كان يعلم أن هدفه ربما أزال المظلة أثناء الرحلة إلى تالين، وتقريبًا على الفور رأى رجلاً وحيدًا يخطو إلى الرصيف دون أن يلتفت خلفه إلى القبطان. لم يكن معه سوى حقيبة ظهر سوداء واحدة، علقها على كتفه وسار بتصميم صعودًا عبر الرصيف نحو مخرج الميناء. تابعه ويتلوك لعدة ياردات عبر عدساته المكبرة عشرين مرة، ثم فحص المنطقة بسرعة بحثًا عن احتمالات أخرى قبل أن يعيد تركيزه إلى المسافر الوحيد في الأفق.

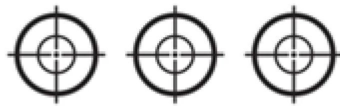
غادر الفرد الميناء، ومر بسيارات الأجرة التي تنتظر الزبائن، وتجاوز محطة الحافلات، ثم انعطف إلى الجنوب الغربي. كان يتحرك في الاتجاه العام لويتلوك الآن، سائرًا على رصيف مغطى بالثلوج بمحاذاة طريق مزدحم يؤدي نحو المدينة القديمة.

واصل ويتلوك تتبعه عبر منظاره. ومع تكبير عدسات Steiner بدا الشخص وكأنه على بعد خمس عشرة ياردة فقط من موقع ويتلوك، لكن راسل لم يتمكن بعد من تحديد هوية هدفه. كان الرجل يضع غطاء رأسه الأسود ووشاحًا صوفيًا فوق أنفه وفمه، مما جعل التعرف المؤكد مستحيلاً، بغض النظر عن المسافة.

لكن راسل كان لديه شعور داخلي. سأل بصوت عالٍ:

– "هل هذا أنت يا كورت؟"

أعاد راسل الأغطية المطاطية إلى عدسات منظاره، ثم دس المنظار وكاميرا Canon في حقيبة ظهره مع الترمس. علق حقيبته على ظهره وبدأ بالتوجه نحو مدخل المدينة القديمة، يملؤه الأمل أكثر من الثقة بأنه قد وجد رجله.



جاءت الثقة بعد خمس عشرة دقيقة. تمركز ويتلوك على طاولة في الطابق الثاني لمطعم صغير بالقرب من بوابات فيرو، المدخل الرئيسي عبر أسوار المدينة القديمة. راقب من الأسفل الرجل القادم من الميناء وهو يصعد الشارع المرصوف بالحصى. كان وجه الرجل لا يزال مخفيًا بالوشاح وغطاء المعطف الأسود، لكن ويتلوك استطاع تقدير الطول والبنية، وتطابق ذلك مع ما يعرفه عن هدفه. رفع منظاره وثبته على وجه الشخص. في هذه المسافة، ملأت العيون العدسات، وشعر ويتلوك بمعدل ضربات قلبه يزداد؛ بدا الأمر كما لو أن الرجلين يقفان على بعد بوصات فقط.

كانت عينا الرجل حادتين، تبحثان وتتفحصان.

تيقن ويتلوك. تلك كانت عيني «الرجل الرمادي».

قضى راسل ساعات يحدق في تلك العيون. أرسل له ليلاند بابيت كل صورة تملكها وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) للرجل. كانت جميعها قديمة؛ أظهرته معظمها مرتديًا نوعًا من التنكر، إما لصورة جواز سفر أو طلب تأشيرة، لكن كورت لم يستطع تغيير عينيه القاسيتين الثاقبتين.

ابتعد راسل ويتلوك عن النافذة، وقلبه يخفق من الإثارة.

– "لقد أمسكت بك. لقد أمسكت بك أيها اللعين."

غادر الطاولة قبل وصول النادلة لأخذ طلبه، ونزل درج المطعم، واتجه عائدًا إلى الخارج في البرد.

تحرك الهدف وسط الحشود مطأطأ الرأس. وفي غضون تعقب استمر دقيقتين، شاهد راسل، جينتري يرفع غطاء معطفه وينزله، ثم يضع قبعة سوداء فوق شعره البني وينزعها مرة أخرى. كل هذه التغييرات، التي نُفذت بلامبالاة فائقة، جعلت تتبعه من مسافة بعيدة شبه مستحيل.

دخل جينتري ساحة قاعة المدينة (تاون هول سكوير)، مركز النشاط في الجزء القروسطي من المدينة. كان هناك سوق شتوي مقام، وعشرات المتسوقين الصباحيين يتجولون بين أكشاك خشبية تبيع الطعام والشراب والمشغولات اليدوية. كانت رائحة النقانق المشوية والشوكولاتة الساخنة ونبيذ «الجلوج» تعبق في الهواء، لكن ويتلوك شاهد جينتري يتجاوز كل ذلك، متجاهلاً المشاهد والأصوات والروائح المبهجة للأعياد، وبقي متشبثًا بمهمته.

مهمته في البقاء على قيد الحياة.

توقف فجأة، وعبر الشارع نحو مخبز، ونظر في واجهته الزجاجية.

خفّض ويتلوك رأسه نحو الحصى أمام حذائه وواصل المشي حتى انعطف عند الزاوية، تاركًا هدفه خلفه.

التقطه مرة أخرى بعد دقيقة، عن طريق الصدفة البحتة، في شوارع المدينة القديمة المتعرجة والضيقة. وبينما كان راسل يحاول التحرك في شارع موازٍ لـجينتري، وجد نفسه يندمج خلفه بخمسين قدمًا. عبر كورت الشارع مرة أخرى، أمام سيارة دفع رباعي كانت تدمدم ببطء فوق الحصى الجليدي، وبدأ في صعود درجات عبر ممر مقنطر من العصور الوسطى، يؤدي إلى «تلة الكاتدرائية».

شاهد ويتلوك، جينتري يختفي صاعدًا الدرج الحجري المغطى بالثلوج، ولم يتبعه. كانت طريدته ماهرة للغاية، وكان يجري «مناورة لكشف المراقبة» (SDR). سيبدأ رقصة معقدة من التمويه، الدخول إلى المتاجر، الخروج من مخارج عشوائية، الانعطاف في اتجاهات مختلفة، وجعل تتبعه مستحيلاً دون أن يفقده مراقبه أو يكشف عن نفسه. كان بإمكان «ديد آي» (عين الموت) أن يلتصق خلف الكثير من المحترفين المخضرمين أثناء إجرائهم لمثل هذه المناورات ويظل غير مرئي. لكن ليس مع كورت. كان راسل يعلم أن الطريقة الوحيدة لإبقاء «الرجل الرمادي» في مرمى البصر هي الاقتراب منه والالتصاق به كالغراء، وإذا فعل راسل ذلك، فسيدرك «الرجل الرمادي» فورًا أنه مُراقَب.

وستكون تلك النهاية.

لذا تركه راسل يذهب. عاد إلى ساحة قاعة المدينة واشترى كوبًا من «الجلوج» من كشك، وراح يرتشفه ببطء وهو واقف يراقب المتسوقين ينتقلون من كشك لآخر. نساء يدفعن عربات أطفال أو يسحبن أطفالهن خلفهن على زلاجات؛ ورجال يقفون في مجموعات

صغيرة يتحدثون أو يمشون ممسكين بأيدي زوجاتهم. أخرج خريطة مطوية من جيب معطفه وبدأ في دراستها، محددًا موقعه ومكان آخر مرة رأى فيها كورت وهو يصعد الدرج. قرر راسل اختيار نقطة اختناق ذات احتمالية عالية والتوجه إليها لانتظار مرور هدفه.

رن هاتفه في أذنه، تمامًا كما كان يفعل كل ثلاث أو أربع ساعات خلال اليوم الماضي. كان قد تجاهل جميع المكالمات الواردة منذ بوخارست، لكنه كان مستعدًا للتحدث الآن. نقر على السماعة، فاتحًا الخط وموصلًا إياه عبر جهاز البلوتوث الخاص به.

– "تحدث."

– "هنا غريفسايد."

كان الاسم الحركي لليلاند بابيت هو «غريفسايد»، وميز ويتلوك صوت بابيت عبر اتصال الأقمار الصناعية، لكن كان هناك بروتوكول يجب اتباعه.

قال ويتلوك وهو لا يزال ينظر في الخريطة بيده المغطاة بالقفاز ويرتشف نبيذه الساخن:

– "اثبت هويتك."

– "مفتاح الهوية ثمانية، اثنان، أربعة، أربعة، تسعة، سبعة، اثنان، تسعة، ثلاثة."

– "تم تأكيد الهوية. هنا «ديد آي». الهوية أربعة، ثمانية، واحد، صفر، ستة، صفر، خمسة، اثنان، صفر."

– "تم تأكيد الهوية. مرحبًا يا راسل."

كان صوت بابيت مقتضبًا، لكن ويتلوك تخيل أن رئيسه لابد وأن يكون غاضبًا منه لخروجه عن النص والتصرف بمفرده خلال الثلاثين ساعة الماضية.

– "أهلاً يا لي."

دخل بابيت في صلب الموضوع فورًا:

– "أثق أنك تلقيت البيانات التي أرسلناها حول الهجوم البحري الليلة الماضية؟"

قال راسل بجمود:

– "صيد فارغ (Dry hole)."

– "نعم، لكن أعتقد أننا عدنا إلى المسار الصحيح. قام محلليّ بمراجعة ساعات من تغطية الأقمار الصناعية. ورصدوا سفينة تطابق أوصاف تلك التي وصفها قبطان «بولاريس». لقد رست في تالين، إستونيا، قبل أربعين دقيقة. أحتاج منك التوجه إلى تالين وسنوافيك بالمستجدات حالما نحصل على المزيد من المعلومات الاستخباراتية لتحديد موقع الهدف."

ارتشف ويتلوك من كوبه وبدأ بالمشي، وهو لا يزال يدرس الخريطة في يده. توجه خارج الساحة نحو «تلة القلعة»، وحذاؤه يطحن الثلج.

– "أنا أسبقك بخطوة يا زعيم. أنا في الموقع."

ساد صمت من طرف بابيت. وأخيرًا رد:

– "أنت في تالين؟"

– "نعم."

– "ماذا تفعل؟"

– "أجري مراقبة على الهدف."

كان ويتلوك يعلم أن الأمر سيستغرق لحظة ليتم استيعابه. أخذ رشفة أخرى من نبيذه وواصل المشي.

– "هل لديك رؤية بصرية للهدف؟"

– "تتبعته من الميناء. إنه يجري مناورة لكشف المراقبة حاليًا، وأتوقع أن يستمر في ذلك حتى وقت متأخر من بعد الظهر. لقد تراجعت عنه، لكنني لست بعيدًا."

ساد صمت آخر استمر بالضبط بقدر ما توقعه ويتلوك. تخيل ما يدور في ذهن بابيت. إثارة ممزوجة بقدر لا بأس به من الحيرة وحتى الشك، لكن بابيت كان رجلًا إداريًا، مما يعني، بالنسبة لويتلوك، أن عقل بابيت سيركز أكثر من أي شيء آخر على ابتكار طريقة لإظهار أنه لا يزال مسيطرًا على وضع لا يفهمه بوضوح.

وكما هو متوقع، سأل الرجل في واشنطن:

– "كيف عرفت أنه سيذهب إلى إستونيا؟"

أخذ ويتلوك رشفة أخرى من النبيذ المتبل. استمتع بالنكهة، تمامًا كما استمتع بشرح إنجازه:

– "لقد حللت المعادلة."

– "المعادلة؟"

– "نعم. حددت أفضل مسار عمل له، آخذًا في الاعتبار كل تدريباته. قررت أنه لن يجلس على تلك السفينة لمدة يومين لأسباب تتعلق بالأمن الشخصي. كنت أعلم أنه سينزل منها بطريقة ما، واستنتجت أنه سيفعل ذلك بمجرد حلول الظلام، مما يعني أنه سيكون أقرب إلى تالين في الجنوب أو هلسنكي في الشمال. كان بإمكانه الذهاب في أي اتجاه، لكنني رجحت تالين. إنه لا يتحدث الإستونية، لكنه يعرف الروسية، ويمكنك تدبر أمرك في إستونيا بالروسية. الأمر أصعب في فنلندا."

أضاف ويتلوك:

– "وكنت أعلم أنه لن يعود إلى روسيا؛ كان ذلك مفروغًا منه."

سأل بابيت:

– "ما الذي يمنعه من مغادرة تالين فورًا؟"

– "سيعجبه المكان هنا. سيرى الحشود، والسياح، والوجود الشرطي الضئيل، ووفرة الأماكن الصغيرة للنوم والأكل، وخيارات النقل الكثيرة خارج المدينة عبر السكك الحديدية والطرق والبحر، وسيركن مؤخرته هنا لبضعة أيام. هذا ما كنت لأفعله، لذا فهذا ما سيفعله."

أنهى ويتلوك ما تبقى من نبيذه الساخن بجرعة طويلة وسحق الكوب بيده المغطاة بالقفاز، ملقيًا به في حاوية عند زاوية الشارع. وصل إلى درج سيأخذه صعودًا إلى التلة عبر نفق للمشاة، وبدأ في الصعود.

قال بابيت:

– "سآمر بتحريك فريق «تريسل» إلى المنطقة. يمكنهم الطيران من هلسنكي والوصول إلى هناك قبل أن يتمكن فريق «جامبر» من التحرك من برلين."

قال ويتلوك:

– "افعل ما تراه مناسبًا، لكن أبقهم بعيدًا عن الطريق حتى أستدعيهم إلى الهدف. سيجد «الرجل الرمادي» مكانًا للمبيت الليلة، وسأعثر عليه. لا داعي لجلب «تريسل» ورجاله لمسافة قريبة جدًا. أنا أسيطر على كل شيء."

– "حسنًا جدًا."

أضاف راسل:

– "بالطبع، إذا أردت، يمكنني المضي قدمًا والتكفل بالأمر. لا داعي لاستنفار الجميع. سأقوم بذلك بنفسي."

رد بابيت بصوت حازم:

– "ليس مسموحًا لك بتصفيته بمفردك. الأخبار الواردة من الروس تقول إن جينتري قتل ثمانية رجال في منزل «سيد». وجرح عدة آخرين. ورغم ما في ذلك من إثارة للإعجاب، إلا أنه كان هناك حوالي خمسين مسلحًا في الموقع."

تنهد راسل وتأكد من أن بابيت سمعه عبر اتصال القمر الصناعي:

– "فهمت. سأكتفي بمراقبة الهدف وتوفير أي دعم يطلبه فريق الهجوم. «تريسل» هو من سينفذ المهمة."

– "جيد." ثم أردف:

– "إذا كنت تنتظر مني القول بأنني معجب بقدرتك على تمييز كل تحركاته، فأنا كذلك."

– "قراءة جينتري سهلة عليّ. أنا وهو وجهان لعملة واحدة."

بدا لي مرتبكًا من الملاحظة، ولم يكن لديه رد مباشر. بدلاً من ذلك قال:

– "سأجعلك تتواصل مع قائد فريق «تريسل» عندما يصل إلى تالين."

– "عُلم."

تحولت نبرة بابيت الآن إلى نبرة أبوية:

– "من الواضح أن مسؤولي التشغيل هنا يودون تواصلًا أكثر قليلًا منك، لكني لن أوبخك بشدة. أعلم أنك معتاد على قدر معين من المرونة العملياتية، ويمكنني احترام ذلك."

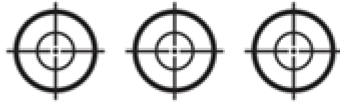
– "لكن؟"

– "لكن الشيء الوحيد الذي لن أكون مرناً بشأنه هو التصفية. سيقوم بذلك فريق العمل المباشر. أريدك بعيدًا عن الطريق عندما يحين الوقت."

– "وصلت الرسالة. سأساعد فريق «تريسل» في اتخاذ موقعه، ثم سأتنحى جانبًا."

ترك بابيت تعليق «ديد آي» المذعن معلقًا للحظة. وأخيرًا قال:

– "حسناً جدًا. انتهى الاتصال من طرف غريفسايد."



11

طاف كورت شوارع مدينة تالين لساعات، ثم أمضى ساعة أخرى في البحث عن فندق يلبي قائمة طويلة من احتياجاته. استقرَّ رأيه في النهاية على مبنى حجريٍّ من ثلاثة طوابق في شارع كولي، وهو مبنى يقع ضمن صفٍّ طويل من الأبنية المحاذية لسور المدينة الذي يعود للقرن الخامس عشر ويحيط جزئيًّا بالبلدة القديمة. كانت غرفة كورت الصغيرة باردة ورطبة، كونها تشترك في جدار حجري واحد مع التحصينات الأثرية للمدينة. ولم تكن الغرفة تتمتع بمميزات تُذكر؛ مجرد سرير فوق منصة خشبية منخفضة، ومكتب صغير، ومرحاض، ونافذة ضئيلة تطلُّ عبر الجدار الحجري على حديقة جهة الشمال.

لكن الغرفة كانت مثالية بالنسبة له؛ فهي تقع في نهاية ردهة ذات أرضية خشبية تصدر صريرًا، وكان يعلم أنه لو تعرَّض للهجوم، فسيسمع وقع أقدام أي شخص يقترب، وسيكون بمقدوره القفز سريعًا

من النافذة والهبوط إلى الأرض باستخدام الحبل الذي ربطه بالفعل في ساق سريره المزدوج وأخفاه تحته.

استمتع بحمام ساخن طويل في نهاية الردهة، محاولًا تضميد كدماته وآلام مفاصله التي أُصيب بها جراء ارتطام جسده في ملكية سيدورينكو. وبعد أن ارتدى ملابسه وحذاءه، حزم حقيبة ظهره بكل متعلقاته وثبَّت معطفه الثقيل بين الأشرطة. حينما يكون كورت في حالة "جاهزية قتالية"، فإن تدريبه يملي عليه النوم بملابسه وإبقاء كل ما يملكه مستعدًّا للالتقاط والهرب إذا اضطر للمغادرة في لمح البصر. وبما أن كورت كان دائمًا –تقريبًا– في حالة جاهزية، فقد عاش على هذا المنوال لسنوات.

جلس إلى المكتب الصغير وأكل علبة فاصوليا وعلبة سلمون اشتراهما من متجر أثناء قيامه بمناورة "كشف المراقبة"، وجرعهما بزجاجة كبيرة من "إيه. لو كوك"، وهو الجعة المحلية. كان يفضل التوجه إلى حانة صغيرة لتناول مشروب ووجبة ساخنة، لكنه كان يفضل التريث ليوم أو يومين في أي مكان جديد قبل المغامرة بالخروج. في هذه الليلة الأولى، سيظل في غرفته، يرهف السمع لأصوات الفندق، ويستشعر طبيعة الحركة من حوله.

اتكأ على السرير وشغَّل التلفاز على قناة "سي إن إن". لم تكن هناك أنباء عن أحداث سان بطرسبرج، ولم يكن ذلك مفاجئًا؛ فاشتباكات العصابات في روسيا لا تحظى بتغطية دولية إلا إذا كان هناك مقطع فيديو مثير يرافق التقرير. ورغم أن جينتري افترض وجود كاميرات مراقبة في كل ركن من قصر "سيد"، إلا أنه كان واثقًا بالقدر نفسه أن من يدير منظمة "سيد" الآن لن تكون له مصلحة في نشر ذلك الفيديو للعامة.

راح كورت يتنقل بين القنوات وهو مستلقٍ في سريره، آملًا في الحصول على قسط من الراحة؛ فهذه كانت أول فترة توقف حقيقية له عن العمل منذ أسابيع.

كان شعورًا جيدًا أن يتخلص من ملاحقة المافيا الروسية؛ فهذا يتيح له التركيز على التهديد الرئيسي الذي يواجهه: الولايات المتحدة الأمريكية. لخمس سنوات، ظل كورت هاربًا من "وكالة الاستخبارات المركزية" بعد صدور أمر بـ "القتل فور الرؤية" من قِبل أسياده في لانغلي. لم يكن يعرف لماذا يريدون موته؛ كل ما عرفه هو أنهم أرسلوا موجة تلو الأخرى من الرجال لتعقبه، ولم يكن يتوقع أن يتغير هذا الأمر قريبًا.

أبقته مطاردة الوكالة له خارج الولايات المتحدة لنصف العقد الماضي، يعيش بعيدًا عن الشبكة، في دول العالم الثالث غالبًا، ويقبل عقودًا للقتل المأجور لتمويل هروبه. عمل لصالح سلسلة من الوسطاء والداعمين على مر السنين؛ من جاسوس بريطاني عتيق خانه، إلى سيد، المجرم الروسي الذي خانه كورت وقتله الآن. كما خان زعيم عصابة مخدرات مكسيكية في طريقه.

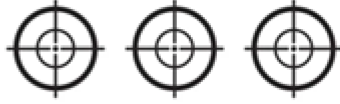
لقد اعتاد كورت تقويض أهداف الرجال الذين يدفعون له من أجل تحقيق خير أسمى.

ولم يكن جينتري يشعر بالذنب حيال خداع صاحب عمله عندما يكون هذا الأخير من حثالة الأرض. لكن تحقيق هذه الانتصارات الصغيرة لم يكن هدفه الأسمى أبدًا؛ فـ كورت كان يتوق، أكثر من أي شيء آخر في هذا العالم، إلى العودة إلى الولايات المتحدة. أن يتحرر من عقوبة "القتل بمجرد الرؤية" التي فرضتها وكالة الاستخبارات المركزية.

لكنه الآن رجل بلا وطن، قاتل مغترب مأجور.

قلَّب القنوات في الظلام، وعثر على فيلم كوميدي فرنسي، ورغم الهموم المستمرة التي تثقل كاهله، بدأ يضحك على عبثية القصة.

وفي الخارج، بدأت ندف الثلج الرقيقة تنجرف مع النسيم، وفي الطابقين اللذين تحته، دخل مسافر وحيد آخر إلى ردهة الفندق الصغيرة.



استغرق الأمر ساعات من البحث، لكن راسل ويتلوك أدرك بُغيته في محاولته الرابعة.

في أحد الفنادق، واجه صعوبة في الحصول على معلومات عن النزلاء الآخرين، فقرر استئجار غرفة، ليعلم من صاحب الفندق أنه أول نزيل جديد لهذا اليوم. صعد إلى غرفته، وبعثر فراش السرير، ثم انسلَّ فورًا من الباب الخلفي. وفي المكان الثاني، علم أن النزلاء الوحيدين هم مجموعة من الآسيويين في المدينة لحضور معرض للقوارب، فاعتذر بأدب عن السعر الليلي وغادر قبل أن تتمكن المرأة خلف المنصة من عرض سعر مخفض.

أما الموقع الثالث، فقد كان طريقاً مسدودًا هو الآخر.

كان الليل قد خيم عندما وجد الفندق الرابع الذي يتمتع بكل ما قد يبحث عنه رجل هارب بعد تنفيذ عملية. كان يقع في "البلدة القديمة"، وهي الجزء السياحي من المدينة، مما يعني تدفقًا مستمرًّا للأجانب والغرباء، لكنه كان صغيرًا ومنزويًا في الطرف الشمالي من الحي، مما يعني أنه هادئ بما يكفي ليلاً، وأي شخص يدخل المبنى قد يُلاحظ.

تطل النوافذ الأمامية على ساحة انتظار مفتوحة تحيط بها مبانٍ أخرى من ثلاث جهات، مما يخلق مساحة مربعة صغيرة أمام الفندق تضخم أصداء السيارات المقتربة والأصوات المرتفعة.

دار حول المبنى من الخلف ليجد حديقة، ورأى أن المبنى الخشبي والحجري بُني على طول السور الذي يحيط بهذا الجزء من المدينة منذ ستة قرون. كان هناك برج حجري دائري كبير، يعلوه سقف خشبي مخروطي، متصل بالمبنى، وكانت هناك نوافذ في الجدار الحجري لا بد أنها تؤدي إلى غرف الفندق في الجزء الخلفي.

فكر راسل: *أجل، يبدو هذا المكان مناسبًا.*

دخل الردهة، وطلب من الفتاة خلف المكتب غرفة، ثم نظر إلى سجل النزلاء.

ثمة شخص استأجر الغرفة رقم 301 قبل ساعة واحدة فقط. رأى راسل التوقيع، مجرد خربشة قلم على سطر. لم يتوقع أن يرى اسم كورت جينتري، ولم يره فعلاً، لكن التوقيت كان مثاليًّا. كان واثقًا أنه رجلُه المنشود.

أرادت الفتاة وضعه في الطابق الثالث أيضًا، لكنه أخبرها أنه أصاب ركبته إثر سقوطه على الجليد وسألها إن كان لديها شيء في طابق أقل. استجابت بابتسامة متعاطفة، وأعطته الغرفة رقم 201، تحت هدفه مباشرة.

دفع باليورو لثلاث ليالٍ؛ طلبت رؤية جواز سفره فأخرجه بثقة. كان راسل يعلم أن أوراقه الثبوتية لا غبار عليها، بفضل قسم الوثائق في شركة تاونسند. فعلاقتهم الخاصة بـ "وكالة الاستخبارات المركزية" تسمح لموظفي تاونسند بالعمل بهويات تأتي مباشرة من برنامج تديره الوكالة بالتعاون مع وزارة الخارجية.

ويتلوك، بخلاف جينتري، كان بإمكانه الذهاب إلى أي مكان يريده في العالم، وكان يعلم أن هوياته ستصمد أمام أي فحص.

بعد صعوده للأعلى ووضع حقيبته، تجول في الفندق لعدة دقائق أخرى ليرسم صورة ذهنية لتصميم المبنى. ثم أغلق سحاب معطفه وعاد للخارج إلى الهواء البارد. كان الثلج يتساقط بغزارة الآن، وتذروه الرياح تحت سماء ملبدة بالغيوم.

دخل المباني المجاورة، لا يزال يرسم خارطة ذهنية لمحيطه. ثم انتقل إلى الخلف نحو الحديقة الممتدة على طول سور المدينة وحدد أي نافذة تقابل غرفة جينتري. وبمجرد انتهائه من الاستطلاع، توجه إلى ساحة البلدة لتناول العشاء.

اتصل بشركة تاونسند، وأبلغهم أنه حدد موقع الهدف، وطلب التواصل مع قائد فريق الهجوم بمجرد وصوله.

جنوب البلدة القديمة مباشرة، استمتع بوجبة من حساء الأيل وزجاجة نبيذ أحمر؛ أكل وشرب ببطء، جالسًا بمفرده في ركن مظلم من المطعم. وأثناء تناوله الطعام، استخدم هاتفه الذكي لدراسة الحي المحيط بفندقه الجديد، مضيفًا منظورًا علويًّا للمنطقة التي رآها بعينيه. وعندما أتم هذه المهمة، فتح خريطة للبلاد وتتبع عدة طرق عبر خطوط القطارات والطرق السريعة التي تمكنه من مغادرة المدينة بسرعة وسهولة.

جاءه اتصال عبر سماعته عندما كان على وشك الانتهاء من وجبته.

تحدث بصوت خفيض:

– "تفضل."

– "معك قائد وحدة تريسل."

أصدر راسل تعليماته:

– "أثبت هويتك."

ثم التقط آخر قطعة خبز من طبقه، وغمسها في حساء الأيل قبل أن يلقي بها في فمه.

– "رمز الهوية: تسعة، ثلاثة، ثلاثة، صفر، ثمانية، سبعة، اثنان، خمسة، تسعة."

– "تم التأكيد. معك 'ديد آي'. رمز الهوية: أربعة، ثمانية، واحد، صفر، ستة، صفر، خمسة، اثنان، صفر."

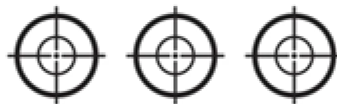
– "أنا في المطار. سأكون في منطقة العمليات خلال ساعة. هل حددت موقع الهدف؟"

– "بالطبع فعلت."

– "حسناً. يمكننا اللقاء في الساعة الثانية والعشرين."

أخرج راسل خريطته الورقية للمدينة من جيبه وتفحصها لثوانٍ.

– "افتح خريطتك. ستحتاج لتدوين هذا."



12

سار ويتلوك وحيدًا، يداه في جيبه ورأسه مطأطأ، يشق طريقه وسط تساقط الثلوج المستمر عبر "ساحة الحرية"؛ وهي ساحة واسعة تضيئها الأضواء الكاشفة لكنيسة "القديس يوحنا". كانت حركة المرور الخفيفة تضج في الشوارع، لكن المارة كانوا قلة في الساحة أو على الأرصفة في هذا الوقت من الليل.

عبر الشارع ودخل حديقة، تاركًا المسار الممهد ليمشي بين الأشجار، كادحًا في صعود تلة، وبساط الثلج الجديد يغطي الأرض المتجمدة تحت حذائه. لم يرَ أحدًا من حوله سوى حركة المرور الخفيفة في شارع "فالجي تي" وبضعة أشخاص ينتظرون عند موقف حافلات على طرف الحديقة. ابتعد عنهم مسافة كافية وتوغل في الأحراش، حتى وصل أخيرًا إلى حلقة من مقاعد الحديقة على قمة تلة صغيرة.

وقف بجانب مقعد، ينتظر في البرد، مراقبًا أنفاسه وهي تتحول إلى ضباب في الهواء تحت الضوء الخافت القادم من الشارع. كان لصوت ملايين ندف الثلج وهي تلامس الأرض ضجيج يشبه السكون الناعم.

انتظر ويتلوك بضع ثوانٍ من باب الأدب، ثم تنحنح قائلاً:

– "أين البقية؟"

لم يأته رد.

تنهد وأضاف:

– "لا أحد يتبعني. كفوا عن هذا الهراء."

بعد ثوانٍ معدودة، جاء صوت من بين الأشجار خلفه:

– "لا أحد يحب المتباهين يا راسل."

وسرعان ما سُمع صوت تحطم الجليد تحت وقع ثلاثة أزواج من الأحذية من الخلف. التفت راسل ليواجه ثلاثة رجال، كلهم في الثلاثينيات من العمر، يرتدون معدات شتوية تقنية متطورة.

قال الرجل الذي تحدث أولاً:

– "لقد وصلنا جوًّا. بقية الفريق سيصلون عن طريق البحر مع معداتنا. سيكونون في المدينة بحلول الساعة الثانية صباحًا." مدَّ يده وسأل: "كيف تجري الأمور يا راسل؟"

قال ويتلوك وهو يومئ للآخرين:

– "نيك."

كان نيك هو قائد وحدة "تريسل". عمل راسل مع كل فرق الهجوم المشاركة في عملية جينتري خلال عام عمله في تاونسند. وفي تقدير ويتلوك، كان كل هؤلاء الرجال رماة ممتازين ومقتحمين بارعين، لكنه علم أنهم لا يستطيعون قضاء أي وقت في منطقة عمليات كورت جينتري دون أن يستشعر كورت وجودهم. فهؤلاء الرجال لم يكونوا بارعين في التخفي؛ كانوا يرتدون نظارات "أوكلي" وسراويل "وولريتش إليت" وساعات "جي شوك" وأحذية "سالومون"؛ وهي معدات فعالة للعمليات القتالية، لكنها ملفتة للنظر بشدة بالنسبة لذوق راسل. كان راسل يعلم أنه على الرغم من قدرة نيك ورجاله على إصابة رأس كورت بدقة لا تضاهى، إلا أن كورت سيراهم قادمين من على بُعد ميل ما لم يكن راسل هناك ليعدَّ المسرح للعملية أولاً.

أخذ ويتلوك قلمًا ودفتر ملاحظات من أحد رجال "تريسل" ثم جثا على ركبته في الثلج. وتحت ضوء مصباح تكتيكي، رسم مخططًا سريعًا للفندق، موضحًا المخارج والسلالم وغرفة جينتري في نهاية الردهة في الطابق الثالث. تم تداول المخطط بين الرجال الثلاثة الواقفين في الثلج وهم يتفحصونه.

سأل قائد الوحدة:

– "ماذا عن الوصول إلى السقف؟"

– "لقد استطلعت الطابق الثالث والمباني المجاورة. لا توجد طريقة للصعود من الردهة أبدًا. العلية هي مساحة تابعة للمبنى السكني المجاور، وليست جزءًا من الفندق."

– "أأنت متأكد؟"

أومأ راسل برأسه.

– "لا يوجد مدخل فوق الطابق الثالث للفندق دون تفجير ثقب في السقف."

دوَّن قائد الوحدة ملاحظة في دفتره.

أضاف راسل:

– "شيء آخر. تلك الردهة خارج باب الهدف تصدر صريرًا مزعجًا. ألواح أرضية قديمة ومفككة. أقترح أن تبدأوا الهجوم من عند الدرج، في أول الممر المؤدي لغرفة الهدف، لأنه لا سبيل للوصول إلى ذلك الباب دون أن يسمعكم. تحركوا باندفاع وقوة عبر الردهة واقتحموا الباب."

– "فهمت."

نظر راسل حوله إلى الثلج الذي بدأ يتطاير بقوة أكبر مما كان عليه عند وصوله للحديقة.

– "ستواجهون مشكلة مع هذا الطقس إذا تمكن من الخروج."

قال نيك:

– "عُلم. آخر تقرير للأرصاد يقول إننا سنكون وسط عاصفة ثلجية بحلول الساعة الثالثة صباحًا. لن نحصل على دعم الطائرات المسيرة الليلة؛ حتى إننا لم نكلف أنفسنا عناء إحضار فريق التشغيل معنا من فنلندا."

– "هل تريدون إلغاء المهمة حتى يتحسن الطقس؟"

– "كلا. يمكننا التعامل مع القليل من الثلج. سأرسل أربعة رجال لغرفته، وأوزع الباقين في الطابق السفلي في حال حاول الهرب."

قال راسل:

– "سأبقى أنا عند الدرج؛ لأقطع عليه طريق الهرب إذا تمكن من تجاوز فريقكم."

هز قائد الوحدة رأسه رافضًا:

– "كلا. بابيت يريدك بعيدًا عن موقع العملية."

– "ليس علينا إخباره، أليس كذلك؟ ستكون هناك عاصفة ثلجية في الخارج. كل ما يحتاجه كورت هو الوصول إلى باب أو نافذة وستفشل عمليتكم تمامًا."

– "بابيت يريد.."

قاطعه راسل:

– "لا يهمني ما يريده بابيت. أنت القائد الميداني، والقرار لك. وأنت من سيتحمل الملامة إذا فشلت. كن مرنًا يا رجل؛ بابيت يجلس في الخلف بين المعدات، أما نحن فنفعل ما يجب فعله في الميدان."

لم يتراجع نيك:

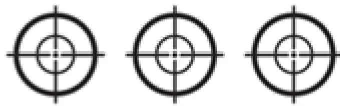
– "لا أريدك في طريقنا." أشار بإصبعه في وجه ويتلوك قائلاً: "هذا قراري النهائي."

هز ويتلوك كتفيه.

– "كما تشاء يا صاح. كنت أحاول المساعدة فقط."

أضاف نيك:

– "استرخِ يا 'ديد آي'. جينتري لن ينفد منا. سنسحق غرفته ونرديه قتيلاً هناك."



مطار "لينارت ميري تالين" ليس مطارًا صاخبًا مقارنة بمراكز النقل الجوي الرئيسية في أوروبا، لكن في صباح هذا الثلاثاء، في تمام الثالثة فجرًا، ووسط عاصفة ثلجية شعواء، لم يكن هناك أي نشاط

تقريبًا في الحظائر الخارجية شمال شرق نهاية المدرج 26، على بُعد نصف ميل من المحطة الرئيسية.

أي نشاط تقريبًا.

فإحدى الحظائر الصغيرة كانت تضاء ببضعة مصابيح، ومدفأة متنقلة ضخمة تضخ الهواء الدافئ عبر الأرضية. كانت طائرة من طراز "غولف ستريم 200" مركونة في وسط المكان، لا تزال مبللة من رحلتها القادمة من هلسنكي ومن انتظارها الطويل في ساحة التخليص الجمركي بالمطار. وبجانب الطائرة، كانت تقبع حافلة بيضاء تتسع لاثني عشر راكبًا موجهة نحو المخرج.

كان هناك ثمانية رجال في تلك الحظيرة؛ بعضهم يجلس على صناديق ويجهز الأسلحة، وآخرون يثبتون واقيات الركب والمرافق على أجسادهم، بينما وقف رجل بالقرب من أبواب الحظيرة المغلقة، يروح ويجيء، محبطًا في محاولته للحصول على إشارة من هاتفه لترتد عن قمر صناعي ما عبر غطاء السحب الكثيف.

كانت منطقة التجمع المؤقتة هذه بعيدة عن الأمن والجمارك، لكنهم جهزوا أنفسهم بأسرع ما يمكن، لأنهم علموا أن حظهم قد لا يدوم. فقد يثير الأمر فضول أحد رجال أمن المطار أو قد يأتي أحد عمال الساحة بحثًا عن مكان لاختطاف غفوة سريعة، فينكشف أمرهم.

استعد الفريق بكفاءة متناهية؛ فهم يمارسون هذا النوع من العمل لسنوات. كان كل رجل يحمل سلاحه الأساسي، "إتش كيه إم بي 7" (HK MP7 PDW)، أو سلاح الدفاع الشخصي. وهو سلاح مصمم للمعارك القريبة، فهو أقوى من المسدس الرشاش وأقل ضخامة من البندقية الهجومية.

كما حملوا مسدسات "سيج ساور" عيار تسعة مليمترات على أوراكهم، وسماعات لاسلكي "بيلتور كومتك 2" تحت خوذهم، وسترات واقية خفيفة من "الكيفلار" على صدورهم وظهورهم. كان لديهم خيار ارتداء صفائح "سابي" (SAPI) كاملة المصنوعة من السيراميك المتطور التي توقف رصاص البنادق، لكن كل معلوماتهم الاستخباراتية جعلتهم يعتقدون أن هدفهم لا يحمل بندقية معه. لذا فإن "الكيفلار" سيوقف أي رصاصة مسدس، وسيكون كافيًا لعملية هذه الليلة.

تفقد الرجال ساعاتهم، وشغلوا أجهزة التصويب بالليزر والمصابيح اليدوية على أسلحتهم لاختبارها، وأنهوا فحص جيوب "الفيلكرو" للتأكد من أن كل ما يحتاجونه في مكانه.

تمكن قائد وحدة "تريسل" أخيرًا من التواصل مع شركة تاونسند، رغم اضطراره لمغادرة الحظيرة والوقوف في الثلج للحصول على إشارة. استغرق الأمر لحظة للتحقق المتبادل من الهوية، لكن تمامًا مثل تجهيز معداتهم، كان كل من القائد ومستقبل المكالمة قد أجروا ما يكفي من فحوصات الهوية لتصبح طبيعة ثانية وسريعة للغاية.

كان ليلاند بابيت، الملقب بـ "غريفسايد" (قرب القبر)، يعرف جيدًا ألا يلقي على قائد قوته الضاربة الكثير من الأسئلة غير الضرورية. علم بابيت أن نيك يعتبره "أحد رجال المكاتب القابعين في الخلف"، وآخر شيء أراده هو إعطاء أي من رجاله في الخطوط الأمامية انطباعًا بأنه يدير التفاصيل الدقيقة من على بُعد أربعة آلاف ميل. لذا وبدلاً من طرح الأسئلة، استخدم هذه الإيجازات السريعة قبل المهمات لتزويد منفذيه في الميدان بآخر المعلومات الاستخباراتية.

– "الطقس لن يتحسن كثيرًا حتى منتصف الصباح. قد يهدأ قليلاً قبل الفجر، لكن الجبهة الهوائية مستقرة فوق البلطيق، لذا عليكم التعامل مع الثلج. لن يتوفر لنا أي رصد جوي فوقكم."

كانت معدات نيك وخوذته قد تغطت بالفعل بالبياض من وقوفه خارج الحظيرة.

– "فهمت."

– "هل تحدثت مع 'ديد آي'؟"

– "التقيت به قبل بضع ساعات. إنه وغدٌ غريب الأطوار، أليس كذلك؟"

أجاب بابيت وكأن ذلك يفسر كل شيء:

– "إنه يعمل بمفرده. لديه غرفة تحت الهدف بطابق واحد، يمكنه سماع تحركات الرجل الرمادي، وسوف يخبرنا إذا حدث أي تغيير في الوضع."

– "'ديد آي' أراد تنفيذ المهمة بنفسه."

قال نيك:

– "أجل، لقد أوضح ذلك. أخبرته أن يظل في غرفته ويبتعد عن طريقنا تمامًا."

– "جيد." صمت بابيت للحظة وتنحنح قائلاً: "سننهي أمر جينتري الليلة، مفهوم؟"

– "نعم يا سيدي."

– "كنا نأمل فعل ذلك على متن السفينة، وليس في بيئة حضرية. كان ذلك سيكون أقل فوضى."

– "عُلم. سنبقي الأمر تحت السيطرة."

اتخذ صوت بابيت نبرة أكثر انخفاضًا وخطورة، وهو تغيير كان ملحوظًا حتى عبر تشويش الهاتف الفضائي.

– "افعل ذلك، لكن اعلم هذا: الخسائر الجانبية، في هذه الحالة الخاصة جدًّا، ستُفهم على أنها شر لابد منه. السيد جينتري يمثل خطرًا جليًّا وقائمًا على الولايات المتحدة الأمريكية. لا يمكننا ولن نتنازل عن هذه الفرصة لتصفيته."

كان نيك قد تلقى إيجازًا حول هذا الأمر بالطبع. لم تكن هذه مهمة "قتل أو اعتقال". بل كانت: اقتحم، أطلق النار على هذا اللعين حتى يسقط أرضًا، ثم أطلق عليه المزيد من النار، ثم اخرج. وإذا وقف بعض المحليين في الطريق، فقد فهم نيك أن عليه شق طريقه بالرصاص من خلالهم للوصول إلى هدفه.

كان نيك، ورجال "تريسل" السبعة الآخرون، موافقين تمامًا على ذلك.

أجاب:

– "فهمت."

لم يكن بالأمر السهل أن يوطن المرء نفسه على إطلاق النار على غير المقاتلين، لكن نيك فعلها من قبل، وعلم أن شركة تاونسند للخدمات الحكومية لم تُستجلب لهذه المطاردة لأنهم قديسون، بل لأنهم ينجزون المهام القذرة.

أضاف بابيت:

– "عندما ينتهي الأمر، التقط صورًا، هذا إلزامي، لكن اترك الجثة، وعُد للمطار واخرج من هناك. إذا كان الطقس دون الحد الأدنى للطيران، فاخرج برًّا وسنقوم بإخلائكم في أسرع وقت ممكن."

– "نعم يا سيدي."

– "بالتوفيق يا نيك. تذكر.. من أجل أمريكا."

ساد صمت من جانب نيك.

– "تعلم.. لو أردت يومًا أن تخبرني بما فعله هذا الصعلوك ليستحق أمر 'القتل بمجرد الرؤية'.. فالآن هو الوقت المناسب."

أجاب بابيت بحدة:

– "فقط قم بواجبك. انتهى."

أنهى نيك المكالمة ووضع هاتفه الفضائي. وبينما كان يعود للحظة، تقدم منه العضو الثاني في الفريق؛ كان قد ارتدى خوذته ونظاراته بالفعل، وكان مكسوًّا من الرأس للقدم بمعدات قتالية سوداء، وسلاح "إم بي 7" يتدلى من صدره. حمل في يديه السلاح الأساسي لقائد الوحدة قائلاً: "نحن مستعدون"، ومدَّ له السلاح.

أخذ نيك السلاح قائلاً: "جيد."

– "لا أظن أن 'غريفسايد' قد رقَّ قلبه في النهاية وأخبرك عن حقيقة هذا الأمر؟"

هز نيك كتفيه وهو يضع حمالة السلاح فوق رأسه ويثبته على صدره.

– "كالعادة.. الإدارة لا تخبر العمال بأي شيء سوى الكلام الحماسي: 'قم بواجبك، من أجل الله والوطن، جينتري خطر جلي وقائم'."

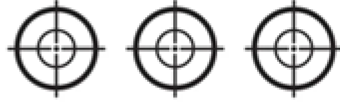
قلب العضو الثاني عينيه ساخرًا.

أنهى نيك تعديل معداته. في العادة كان سيضحك، لكن ملامح الاستعداد للقتال ارتسمت على وجهه الآن. نظر إلى نائبه قائلاً: "كل شيء على ما يرام. جينتري فعل شيئًا جعله عدوًّا للدولة. ونحن

الدولة.. حسنًا.. نوعًا ما. هذا يكفي على أي حال." ابتسم الآن وأضاف: "لنذهب ونقتل هذا اللعين."

– "أجل، لنفعل."

توجه الرجلان للانضمام إلى البقية الذين كانوا يستقلون الحافلة.



13

ظل كورت مستلقيًا، يراقب بعينيه الريح وهي تجلد نافذة غرفته الصغيرة في الطابق الثالث بحبات ثلج دقيقة تشبه الرمال. ألقى نظرة سريعة على ساعة يده؛ كانت العقارب تقترب من الرابعة فجرًا، وبقدر ما أتاحت له الرؤية المحدودة عبر النافذة أن يتبين، كانت هناك عاصفة هوجاء تضرب العالم في الخارج.

أراد النوم؛ كان يغفو ويصحو بشكل متقطع منذ ساعات، لكنه عجز عن إسكات ضجيج عقله. اعتاد أن يخصص بضعة أيام لتفريغ الضغط النفسي بعد كل عملية، ولم تكن هذه المرة استثناءً. فرغم النتيجة الجيدة لعملية اغتيال سيدورينكو، وجد نفسه يرزح تحت وطأة التوتر، يعيد عيش كل ما حدث مرارًا وتكرارًا.

ربما كان ذلك الطفل هو السبب. الطفل الصغير الذي اصطدم به في ردهة القصر. لقد بذل كورت قصارى جهده لإرعاب الصغير حتى النخاع، ليضمن عودته إلى غرفته واختباءه هناك. من المرجح أنه أنقذ حياة الصبي؛ فلو كان يتجول في الممرات المظلمة حين بدأ إطلاق

النار، لكان من السهل تخيل أحد حليقي الرؤوس المدججين بالسلاح والمنتزعين بالمخدرات يرتعد من أي حركة ويرديه قتيلاً.

أقر كورت لنفسه: نعم، لقد فعلت الشيء الصحيح، على المدى القصير على أية حال. لكن على المدى الطويل؟

هل ستطارد الكوابيس ذلك الصبي، كوابيس عن لقائه بالوحش الذي اقتحم منزله في جنح الظلام وقتل خاله؟ بالتأكيد سيدرك لاحقًا أن منافسًا ما أرسل قاتلاً مأجورًا إلى المنزل، وأن القاتل – وإن كان بارعًا بوضوح – ليس شبحًا. ولا وحشاً.

أم تراه كذلك؟

حدق كورت خارج النافذة. *ما حقيقتك يا جينتري؟*

كان كورت يُعرف بأسماء عديدة. اسمه الحقيقي بالطبع، لكن لم يعد أحد يناديه به تقريبًا. ماتت والدته وهو صغير، ولم يتحدث مع والده منذ سنوات، وفقد شقيقه قبل بضعة أعوام.

في وكالة الاستخبارات المركزية، عُرف في البداية باسم «فايوليتر» (المنتهِك)، وهو اسم رمزي مُنح له عند قبوله في برنامج تطوير الأصول المستقلة (AADP)، وهي مدرسة من نوع خاص في هارفي بوينت بولاية نورث كارولينا، حيث يتم استيعاب "الأولاد الضائعين" من ذوي النزعات المتمردة وتعليمهم كيفية توجيه جانبهم الجامح للقيام بالمهام القذرة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، سُحب كورت من العمل الفردي ودُمج في وحدة "رأس حربة" تُدعى «غولف سييرا»، والتي كان يُشار إليها مازحين بـ«فرقة البلطجية»، وهي قوة مهام لمكافحة الإرهاب تابعة لقسم الأنشطة الخاصة في الوكالة. وخلال تلك السنوات، تحول «فايوليتر» إلى «سييرا ستة»، العضو الأحدث في

الفريق المكون من ستة أفراد. قضى أيامه في مهام الخطف والاعتقال، ناقلاً ألد أعداء أمريكا إلى مواقع سرية للاستجواب، أو مطلقًا النار على رؤوسهم حينما يصدر الأمر بذلك.

ثم فجأة – وبشكل مباغت للغاية في الواقع – لم يعد «سييرا ستة»، ولم يعد جزءًا من الفريق. انقلبت «فرقة البلطجية» عليه؛ وكان من الواضح أنهم تلقوا أوامر بتصفيته.

لكن «سييرا ستة» احتفظ بما يكفي من تدريبه كـ«فايوليتر» ليتمكن بمفرده من القضاء على فريقه بالكامل، واحدًا ضد خمسة. كانت تلك العلامة الفارقة التي أنهت حياته داخل الولايات المتحدة. غادر البلاد بعد يوم واحد، هاربًا ليبقى متقدمًا بخطوة على الصيادين الذين يقتفون أثره.

ولكي ينجو وهو مطارد من أقوى دولة على وجه الأرض، تحول كورت، «فايوليتر»، «سييرا ستة»، إلى «الرجل الرمادي» (The Gray Man)؛ قاتل مأجور ينفذ عقود تصفية خاصة فقط ضد أولئك الذين يرى أنهم يستحقون عقوبة الإعدام على جرائمهم. وفي غضون خمس سنوات، قضى على إرهابيين، أباطرة مخدرات، زعماء مافيا، طغاة، وحتى قتلة مأجورين آخرين.

طوال تلك السنوات التي عاشها في الخارج بعيدًا عن الأنظار، كان هدفه دائمًا هو شق طريقه للعودة إلى الولايات المتحدة. ورغم أن محاولته الوحيدة للمصالحة مع الوكالة انتهت بشكل سيئ على ضفاف البحر الأحمر – حيث أعلن صديق سابق وعميل لقسم الأنشطة الخاصة نيته مطاردته إلى أقاصي الأرض – إلا أن كورت لم يفقد الأمل في أنه، بطريقة ما، وفي يوم ما، سيُسمح له بالعودة، إما إلى الأحضان المفتوحة للوكالة أو على الأقل بموافقتهم الضمنية الكارهة.

لكن السنين كانت تتراكم، وعلاقته بـ«لانغلي» لم تتحسن.

وكان هناك شيء آخر. لقد أمضى الأشهر الأخيرة يستعد لعملية سيدورينكو، واضعًا كل جهوده في هذه المهمة لدرجة أنه لم يفكر في شيء سواها. والآن وقد انتهت، طفى أمر ما على سطح وعيه لم يعد بإمكانه تجنب التفكير فيه. علاقاته بشخصيات بغيضة مثل سيدورينكو خلقت له أعداءً جددًا كثرًا ليتعامل معهم، لدرجة أن مشكلته مع الوكالة تراجعت إلى الخلفية. كان قتله لـ«سيد» ضروريًا، لكن الآن وقد تم الأمر، بدا وكأنه وقت مهدور.

كان هناك الكثيرون غيره في الخارج يريدونه ميتًا. شركة نفط فرنسية عمل ضدها، ثم عمل لصالحها، تكنّ له الآن ضغينة بسبب الطريقة التي افترقا بها.

وهناك زعيم كارتل مخدرات مكسيكي عمل لصالحه، ثم انقلب عليه، نشر مؤخرًا فيديو على «يوتيوب». في الفيديو، ظهر كونستانتينو مادريجال، أحد أكثر الرجال المطلوبين على وجه الأرض، يخاطب الكاميرا ووجهه مخفي تقريبًا بقبعة رعاة بقر ومنديل.

قال في الفيديو:

- "هذه الرسالة إلى خوسيه، حامل المسدس (البستوليرو) الأمريكي. أصدقاؤك، (رعاة البقر)، لديهم نصيحة لك: لا تشترِ أي موز أخضر."

أنهى مادريجال الفيديو بضحكة مبحوحة وتلويحة بمدفعه الرشاش AK-47 المطلي بالذهب.

أثار الظهور الأول لمادريجال أمام الكاميرا منذ سنوات ضجة في الصحافة العالمية، وكان كورت قد شاهد الفيديو أثناء إقامته في منزله الآمن في موسكو، خلال التحضير لعملية سيدورينكو. ورغم أن المقطع

بدا غامضًا للجميع، إلا أن كورت فهم الرسالة. كان يطلق على نفسه اسم خوسيه في المكسيك، والإشارة إلى الموز الأخضر كانت واضحة: لن تعيش طويلاً بما يكفي لينضج الموز.

في موسكو، وضع كورت هذه المشكلة في ذيل القائمة خلف وضع سيدورينكو. فقد كان في روسيا على أية حال، وكان «سيد» صيدًا أثمن وأخطر من تاجر مخدرات مكسيكي.

لكن الآن وقد مات «سيد»، تساءل كورت عن حجم المشاكل التي لا يزال بإمكان مادريجال، أو مجموعة الطاقة الفرنسية «لوران»، أن يسببوها له.

كل هؤلاء الأوغاد الذين يلاحقونني يلتهمون وقت فراغي حقًا.

أدرك كورت أن السبيل الوحيد لحل هذه المشكلة، على المدى الطويل، هو التوقف عن عقد الصفقات مع هذه الشياطين. كان يعلم أنه يجب أن يخرج من هذه الصناعة، أن يتوقف عن العمل لوسطاء لا يثق بهم وقبول رعاية من أولئك الذين تلطخت أيديهم بالدماء بقدر الرجال الأشرار الذين يستهدفهم.

أدرك كورت أنه يجب عليه، بطريقة ما، إنهاء حياته كـ«رجل رمادي».

بدا وكأن الفكرة قد أتته للتو، لكنه أدرك بعد لحظة من التأمل أنه كان ينجرف نحو هذا الخط من التفكير منذ فترة.

ما الخير الذي فعلته في السنوات الخمس الماضية؟ لا تزال الشركات متعددة الجنسيات الشريرة موجودة، ولا يزال الطغاة في إفريقيا، ولا تزال الأخويات الإجرامية مزدهرة في روسيا، وحروب المخدرات المدمرة مستعرة في المكسيك.

كان كورت يزداد عمرًا، وإنهاكًا، وصدمة، وانكسارًا، بينما العالم من حوله يستمر في الدوران، دون تغيير أو تحسن.

الشيء الوحيد الذي نجح في تحقيقه هو البقاء على قيد الحياة، وإذا استمر في نمط الحياة هذا، كان يعلم أنها مسألة وقت فقط قبل أن يبدد هذا الانتصار الصغير بأن يُقتل، ميتًا في غابة بآسيا، أو زقاق قذر في أوروبا، أو خندق عفن في أمريكا الجنوبية، أو ربما، في غرفة فندق بلا روح في البلطيق.

ستكون النهاية مخزية ومفاجئة.

لا تشترِ أي موز أخضر، بالفعل.

بينما كان مستلقيًا على السرير، استرجع شيئًا قاله له موريس، مدربه الرئيسي في برنامج AADP بهارفي بوينت.

– "الجندي الحقيقي لا يقاتل لأنه يكره ما أمامه، بل لأنه يحب ما خلفه."

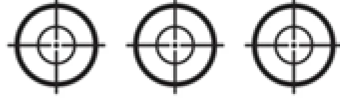
كان ذلك اقتباسًا لـ«تشيسترتون»، وفي ذلك الوقت كان كورت مراهقًا في التاسعة عشرة من عمره، شابًا تائهًا ومضطربًا تصادف أنه بارع بشكل لا يصدق والسلاح في يده. لم يفهم الاقتباس، لذا شرحه له موريس بهذه الطريقة: "إذا كنت ستقاتل، فافعل ذلك من أجل شيء تحبه. افعل ذلك من أجل وطنك".

في السنوات الخمس الماضية، كان كورت رجلاً بلا وطن، ولسبب ما لم يفهمه حقًا، بدا وكأنه يستمر في البحث عن أشياء جديدة يكرهها.

سأل نفسه: ما الذي أفعله؟ لم تكن تلك خطة طويلة الأمد. لم يكن يُحدث فارقًا، وتوقف الأمر عن توفير الدافع الكافي، وببساطة لم يعد كورت راغبًا في القيام بذلك بعد الآن.

اتخذ قرارًا في التو واللحظة. سيتوارى عن الأنظار هنا في تالين لبضعة أيام، ثم يرحل، ليجد مكانًا هادئًا يمكنه فيه فعل شيء مثمر غير القتل، فعل شيء آخر غير الدوران في مكانه حتى يحدث المحتوم.

أجبر كورت نفسه على التركيز على الثلج الذي يضرب النافذة، محاولًا طرد الأفكار الكبرى من عقله والعودة للنوم.



جلس ويتلوك إلى المكتب في غرفته الصغيرة، يفكر في الرجل القابع فوقه مباشرة.

على المكتب أمامه استقر مسدس «غلوك 19» ومخزنان إضافيان سعة خمس عشرة طلقة. لم يكن راسل من محبي الـ«غلوك»، لكن كان لديه سبب لحمله الليلة. بجوار مسدسه وضع هاتفه الذكي وحقيبة ظهره. وإلى جانب هذه الأشياء، كانت زجاجة بيرة «أ. لو كوك» نصف لتر مفتوحة ونصف مستهلكة تقطر حلقة من العرق على المكتب.

تحقق من الوقت ورأى أنها الرابعة فجرًا. مد يده إلى جيب في حقيبته، وأخرج زجاجة دواء بيضاء صغيرة. اصطاد منها حبتين. كانتا «أديرال»، وهو منشط نفسي من عائلة الأمفيتامين. ابتلع الحبوب بجرعة طويلة من بيرة «أ. لو كوك».

أصدرت سماعة البلوتوث في أذنه صوتًا. لمسها بإصبعه.

– "تحدث."

كان المتصل هو قائد فريق «تريسل»، وبدأ في إجراء التحقق من الهوية. عندما اكتمل ذلك سأل:

– "أين أنت؟"

– "أنا في الغرفة 201. الهدف لا يزال في الطابق العلوي، فوقي مباشرة. استخدم المرحاض في الساعة الثانية، ثم عاد للفراش. لم يتحرك منذ ذلك الحين."

– "مفهوم."

– "أمتأكد أنني لا أستطيع المساعدة؟"

– "لن أعيد كلامي. لا تغادر تلك الغرفة."

تنهد ويتلوك:

– "حسناً. أمتعتي محزومة ومستعد للمغادرة بمجرد أن تعطيني إشارة الأمان."

– "جيد. سأكون مع فريق الاقتحام. سنهجم خلال خمس دقائق. سأخبرك عندما ينتهي الأمر ويصبح خروجك آمناً."

– "عُلم. حظًا موفقاً."

فصل راسل المكالمة.

بمجرد انتهاء المحادثة، بدأ راسل ويتلوك بالتحرك. فتح سحاب حقيبة ظهره، وسحب منها كاميرا دقيقة جدًا متصلة بجهاز لاسلكي. لم يكن الجهاز بأكمله أكبر من علبة ثقاب، وكان له ظهر لاصق يشبه المعجون. ألصقه على الجدار بجانب المكتب ليختبر ثباته، ثم انتزعه مرة أخرى. التقط هاتفه الذكي وفتح تطبيقاً عليه. في ثوانٍ كانت شاشة هاتفه تعرض الصورة من الكاميرا الدقيقة. ثم وضع الجهازين في جيبه.

نهض راسل عن المكتب، ودس مسدسه في حزام بنطاله الجينز من الداخل على الجانب الأيمن، ووضع المخزنين الإضافيين في حامل مخازن داخل الحزام على اليسار، ثم ارتدى معطفه الأسود. علق حقيبة الظهر على كتفه، وتجرع ما تبقى من البيرة، ثم أسقط الزجاجة الفارغة

في جيب خارجي بالحقيبة. وأخيرًا، وضع يده على مقبض الباب وتوقف.

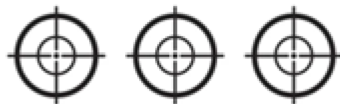
لم يكن راسل لينفذ تعليمات «تريسل». لم يكن ليجلس بهدوء في غرفته. مسار عمله القادم قرره راسل بنفسه، ولم يكن يتبع أوامر شركته. لقد حاك خطته، واعتنى بكل تفاصيلها، ونقحها وعدلها مع مرور الوقت.

ثم وضع الخطة قيد الانتظار، مترقبًا اليوم الذي ستقوده فيه «تاونسند للخدمات الحكومية» إلى القاتل الأكثر شهرة على هذا الكوكب.

«الرجل الرمادي».

كان راسل يسعى خلف أكبر صيد على وجه الأرض، الهدف الأصعب.

بنفس طويل وعقلية عازمة عززها عقار «الأديرال»، فتح الباب وخرج من غرفته، دون أن يترك أثرًا خلفه.



لم يكن جينتري قد عاد للنوم؛ كان مستلقيًا بكامل ملابسه ووجهه للأعلى، لا يزال يستمع إلى الثلج الجالد للنافذة. لكن رأسه انتفض عن الوسادة عندما لفت انتباهه صوت خطوات في الممر بالخارج. لم تكن الخطوات مترددة، لكنها تباطأت قليلًا مع اقترابها من بابه، ووجد كورت إيقاعها غير طبيعي ومريبًا. انطلقت يده اليمنى لتلتف حول المقبض البلاستيكي البارد لمسدسه الـ«غلوك 19» وهو يعتدل جالسًا.

توقفت الخطوات. صوب كورت مسدسه نحو الباب، مستعدًا لإطلاق النار.

سمع طرقة، فبدأ كورت بالتحرك، منخفضًا عبر الأرضية الخشبية، ملتصقًا بالجدران لتقليل صرير الألواح. وبينما كان يمر بالنافذة الوحيدة في الغرفة الصغيرة، ألقى نظرة عبر الحديقة. كان الثلج كثيفًا ولم يستطع الرؤية من خلاله إلى الأرض.

طرقة أخرى. هذه المرة كانت أعلى وأسرع.

تبًا. قفزت إلى ذهنه عبارة أخرى كان يرددها مدربه موريس. "لا خير يأتي في الثالثة فجرًا أبدًا".

كانت الساعة الرابعة الآن، لكن المبدأ لم يكن أقل صحة.

صاح كورت بالألمانية:

– *"من هناك؟" (Wer ist da?)*

وقف راسل ويتلوك أمام باب الغرفة 301، ويداه فارغتان ومرفوعتان عاليًا فوق رأسه ليظهر أنه لا يشكل تهديدًا. لم يكن يتحدث الألمانية، ولم يكن يعرف صوت كورت جينتري. واجه الباب في الممر خافت الإضاءة، متسائلاً فجأة عما إذا كان قد ارتكب خطأ. عاد بذاكرته بسرعة إلى كل المعلومات الاستخباراتية التي درسها عن كورت خلال الأشهر الماضية. المهارات اللغوية: الروسية جيدة، الإسبانية جيدة جدًا، الفرنسية جيدة، الألمانية مقبولة.

بلى. كورت يتحدث الألمانية.

رد راسل بالإنجليزية:

– "كورت. أنا صديق. وأنا وحدي. أحتاج للتحدث معك. الأمر في غاية الأهمية."

ساد صمت. كرر الرجل على الجانب الآخر من الباب بالألمانية:

– "من هناك؟"

مال راسل بجسده قرب الباب، مبقيًا يديه مرفوعتين تحسبًا لانفتاح الباب.

– "لا وقت للعبث يا «فايوليتر». أنا في صفك. عليك أن تثق بي."

بعد لحظة سمع صوت القفل ينحل، ورأى المزلاج يدور. انفتح الباب بصرير وأبقى راسل يديه مرفوعتين، عارضًا كفيه الفارغتين.

أوقفت السلسلة الباب عندما انفتح بمقدار ثلاث بوصات. كان الظلام دامسًا في الداخل. حدق راسل للداخل، واستطاع رؤية ضوء خافت قادم من النافذة، وأدرك أن من فتح الباب قد تنحى جانبًا.

– "من أنت؟" جاء السؤال بالإنجليزية الآن. وصدر الصوت من خلف الجدار على يمين ويتلوك، لا من خلف الباب.

نظر ويتلوك خلف كتفه بسرعة، ثم قال:

– "في هذه اللحظة، أنا الرجل الذي يحمل حياتك بين يديه."

جاء الرد من الظلام:

– "وفي هذه اللحظة، أنا الرجل الذي يصوب مسدسًا نحو أسفلك."

أمال ويتلوك رأسه، ثم نظر إلى الأسفل. رآه الآن؛ الطرف المربع لمسدس «غلوك»، منخفضًا في الظلام، تمسكه يد تختفي حول جانب حلق الباب. نظر إلى الغرفة أبعد، باحثًا عن مرآة أو أي سطح عاكس آخر قد يستخدمه جينتري لاستهدافه مع بقائه خارج خط النار. لم ير شيئًا، لكنه كان يعلم أن أضواء الممر تجعل ظله هدفًا واضحًا.

قال:

– "اسمي راسل. ويبدو أنه من الأفضل لي ولك أن نصبح أصدقاء."

– "أو يمكنك ببساطة التراجع للخلف والرحيل."

قال راسل:

– "ستجد صعوبة في تصديق هذا، لكني لست مشكلتك الكبرى."

خرج خيال رجل إلى وسط الغرفة من خلف الجدار. كان المسدس في يده مرفوعًا الآن، بمستوى صدر راسل.

– "أنا أستمع."

وجد راسل نفسه وجهًا لوجه مع «الرجل الرمادي». كان قد فكر في هذه اللحظة لشهور. كان يعلم أن مستقبله بالكامل يعتمد على نجاح هذه المحادثة.

– "أيمكنني الدخول؟"

– "لا."

– "لدي شيء تحتاج لرؤيته. سأمد يدي إلى جيب معطفي الأيمن وأخرج هاتفي الخلوي. سأتحرك ببطء."

أمر كورت:

– "لا تتحرك مطلقًا."

ثم تقدم خطوة للأمام، وفك السلسلة عن الباب وفتحه، ومد يده إلى معطف ويتلوك، وانتزع الهاتف. تراجع خطوة واحدة عن المدخل.

أرشده راسل:

– "انظر إلى الشاشة."

فعل كورت ما طُلب منه، مبقيًا مسدسه مصوبًا نحو صدر الغريب. كانت صورة من كاميرا؛ بدت وكأنها بئر السلم هنا في الفندق. ومن الزاوية الغريبة والجودة المتواضعة للصورة، تخيل كورت أن الرجل

الذي أمامه لا بد وأنه نصب كاميرا مراقبة مصغرة خاصة به عاليًا في بئر السلم، وأن كورت يشاهد الآن بثًا حيًا. في البداية لم تكن هناك حركة، ولكن بعد ذلك ظهر أربعة رجال يرتدون السواد، يصعدون الدرج بخفة، وببطء وحذر في تشكيل تكتيكي. كانوا يرفعون أسلحتهم قصيرة الماسورة عاليًا، مصوبة نحو الأعلى في بئر السلم. وفي أقل من ثانية، ميز جينتري أسلحتهم، ودروعهم الواقية، ومعدات اتصالاتهم.

ومضت عينا كورت للأعلى، محدقًا متجاوزًا المهداف الأمامي لمسدسه وفي عيني الرجل الواقف بالباب. لم ينبس بكلمة.

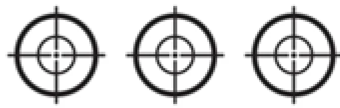
كسر ويتلوك السكون، بسرعة ولكن بصوت خافت. كان عمليًا للغاية:

– "ثمانية في المجموع. أربعة في الأعلى، وأربعة في الأسفل." ثم أضاف بنبرة خطيرة: "لديهم مهارات يا صاح."

– "تبًا."

تحدث راسل هامسًا الآن:

– "لا تقلق يا «فايوليتر». سنتجاوز هذا معًا."



14

مسح جينتري وجه الرجل الواقف أمامه. كان في نفس عمر جينتري تقريبًا، وإن بدت ملامحه أكثر حدة ونحتًا بفعل الرياح مما تخيل كورت ملامحه هو. كان يطلق لحية تشبه لحية جينتري؛ وكان

شعره البني أفتح بدرجة واحدة فقط من شعر كورت ويقصه راسل أقصر قليلًا مما يفعل كورت، لكن الرجلين كانا يبدوان متطابقين تقريبًا في الطول والبنية.

ومن طريقة حديثه والهالة المحيطة به التي التقطها كورت بفضل سنوات من الخبرة، صنف الرجل كعميل لوكالة الاستخبارات المركزية، أو عنصر عمليات خاصة من النخبة (Tier-One)، أو نوع آخر من الجنود أو الجواسيس المحترفين.

باختصار، ومن وجهة نظر جينتري، كان المدعو راسل هذا يعني المتاعب.

لكن ليس بقدر المتاعب التي يمثلها الأوغاد الصاعدون عبر الدرج.

تراجع كورت نحو حقيبته، مبقيًا مسدسه موجهًا نحو الرجل في الممر. ودون أن يرفع عينيه عن الغريب، علق حقيبة ظهره على كتفه. كان معطفه مدخلاً خلال حزام بالخارج، لكنه لم يتوقف لارتدائه. ألقى نظرة سريعة خارج النافذة المطلة على الحديقة، لكن مرة أخرى لم يستطع تمييز شيء سوى الثلج المتطاير والظلام. فكر في حبله الملقى على الأرض، وفكر في استخدامه للنزول إلى المستوى الأرضي، لكن إذا كان هناك أربعة رجال في الأسفل فمن المرجح أن اثنين منهم سيكونان في الجزء الخلفي من المبنى، ولم يرغب في تعريض نفسه لهم طوال الوقت الذي سيستغرقه نزول الحبل.

مستحيل. سيتعين عليه القتال للخروج من هذا المأزق مع صديقه الجديد، أيًا كان هذا الشخص بحق الجحيم.

قال كورت:

- "حسنًا. أمعك سلاح؟"

همس راسل:

– "في حزام الخصر."

أمره كورت، وهو لا يزال يزن الموقف المتغير:

– "لا تمد يدك إليه. ليس بعد. أحتاج للتفكير."

– "افعل ما يحلو لك يا زعيم. لكن تقديري يقول إن لدينا أقل من خمس عشرة ثانـ..."

تحطمت النافذة على يسار جينتري. استدار نحو الصوت وانحنى في الوقت نفسه، لكنه فاتته؛ لم ير العبوة الصغيرة التي اخترقت الزجاج، وارتطمت بالجدار البعيد للغرفة الصغيرة، وسقطت تتدحرج على الأرض أمام السرير، خلفه مباشرة.

لكن راسل رآها. أدار رأسه بعيدًا وصرخ:

– "قنبلة «ناين بانجر»!"

لكن الأوان كان قد فات لإنقاذ كورت.

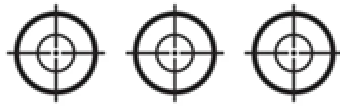
كانت نسخة معدلة ومطورة من القنابل الصوتية الضوئية (Flash-bang)، تُدعى «ناين بانجر» (ذات التسع طلقات)، وفي غضون ثلاث ثوانٍ، انهالت تسعة انفجارات بقوة مائتي ديسيبل لتدق الدماغ في تلك الغرفة الصغيرة، مصحوبة بتسع ومضات ضوئية ساطعة مصممة لإفقاد توازن أي شخص في الجوار. سقط كورت على ركبتيه، وأسقط مسدسه على الأرض، وأمسك برأسه. كان قد أغمض عينيه قبل الوميض الأول، لكن الضوء الحارق اخترق جفنيه، والآن بالكاد يستطيع الرؤية أو السمع.

أما ويتلوك فكان بخير؛ فقد تجنب التأثيرات عبر إدارة وجهه في الممر. سحب مسدسه الـ«غلوك» من خصره ورفعه نحو بئر السلم. كان العنصر الأول من فريق «تريسل» يلتف حول الزاوية؛ لم يظهر منه سوى كاتم صوت رشاشه الـ HK. صوب ويتلوك سلاحه وأطلق

النار، مصيبًا الرجل بين عينيه قبل حتى أن يكمل دورته للدخول إلى الممر. سقط الرجل للخلف، مرتطمًا بزملائه الثلاثة خلفه، مما أدى إلى تعثرهم وسقوطهم جميعًا أسفل الدرج.

أطلق ويتلوك طلقتين أخريين نحو الممر لمنع أي شخص في السلم من إخراج رأسه مرة أخرى، ثم استدار وأمسك بكورت من قميصه الأسود، ساحبًا إياه للوقوف ودافعًا به نحو الجدار. التقط مسدس كورت من الأرض وحشره في حزامه الخاص. ثم أمسك بجينتري مرة أخرى وقاده معه بينما يتقدم نحو السلم، وسلاحه أمامه. أطلق النار على مصباحي الممر؛ فانفجرت اللمبتان في شلال من الشرر وغرق الممر في الظلام.

بينما كانت ساقا جينتري تستعيدان قوتهما وبدأ يستعيد وعيه ببطء، زاد ويتلوك من سرعته.



صرخ قائد فريق «تريسل» في ميكروفونه:

– "سقط رجل! سقط رجل!"

كان هو نفسه ملقى على ظهره في البسطة بين الطابقين الثاني والثالث. كان «تريسل 3» أول رجل يدخل الممر من السلم، لكنه الآن ملقى فوق نيك؛ الدماء تسيل بغزارة من وجهه ونظارته الواقية بها ثقب ممزق، بين عينيه تمامًا. عرف نيك أنه لا يوجد شيء لعين يمكنه فعله لرجله؛ كل ما يمكنه فعله هو إعادة نفسه وزميليه الآخرين إلى القتال.

دفع بـ«تريسل 3» جانبًا وبدأ ينهض على قدميه.

في تلك اللحظة لمح حركة أعلى الدرج. رفع سلاحه نحو الحركة لكنه رأى سلسلة سريعة من ومضات فوهة مسدس، تتحرك من

اليسار إلى اليمين، بينما كان مطلق النار يعبر بئر السلم في الممر العلوي.

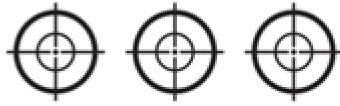
شعر بصفعة رصاصة مسدس على لوح الـ«كيفلار» في صدره وتطاير الشرر من مخزنه المخبا هناك. سقط مرة أخرى على أرضية البسطة. وإلى يمينه وعلى بعد خطوة واحدة خلفه، ترنح «تريسل 6» إلى الخلف مع همهمة مفاجئة وتعثر مصطدمًا بالجدار، لينتهي به الأمر على أرضية البسطة بجوار جثة «تريسل 3».

رد قائد الفريق النار على الحركة في الأعلى، لكن مطلق النار كان قد اختفى.

صرخ نيك وهو يعود للوقوف:

– "لدي رجلان سقطا! أحضروا لي رجلين آخرين هنا!"

زحف عائدًا صعودًا على الدرج مع «تريسل 5»، تاركًا «تريسل 3» ميتًا و«تريسل 6» جريحًا على البسطة.



شعر كورت بنفسه يُسحب، قميصه يُشد من الذراع اليمنى وساقاه الوهنتان تتحركان بأسرع ما يمكن أسفل جسده. اصطدم بالجدار بقوة، ولم يدرك إلا بعد الارتطام أنه دُفع إلى هناك، ورأى أن الرجل المسمى راسل قد أودعه هنا ليتمكن من الاستدارة وإطلاق النار على شيء ما في الممر خلفهم.

عالَج كورت أصوات إطلاق النار كدمدمات منخفضة مشوهة، محسوسة أكثر منها مسموعة، إذ كانت أذناه لا تزالان تطنان من تأثيرات القنبلة التساعية. كانت عيناه مبيضتين في مركز مجال رؤيته، لذا اضطر لإدارة رأسه إلى الجانب ليرى ما الذي يحدث بحق الجحيم.

بيد مرتجفة مد يده إلى خصره لسحب مسدسه، لكنه لم يكن هناك.

صرخ في الغريب:

– "هييه!"

لكن راسل أمسك به مرة أخرى، وبدأ كلاهما بالركض في الممر.

كان هناك تقاطع على شكل حرف T في الممر، وقاد الرجل الآخر جينتري إلى اليمين. تمامًا عند انعطافهما، مزقت ثقوب خشنة الجدار في الممر الرئيسي، وعبر أذنيه اللتين تطنان بالكاد سمع كورت سلاحًا خلفهما يطلق رصاصات مكتومة الصوت.

بدأ الشعور يعود لجسد كورت الآن، وعاد بصره ببطء. وصل خلف شريكه الجديد حين توقف راسل عند نهاية الممر، ثم قفز وأمسك بسلسلة متصلة بباب في السقف يؤدي للعلية. سحب سلمًا قابلًا للطي، ثم استدار وجثا في الممر، مصوبًا سلاحه عائدًا نحو الممر.

صرخ جينتري بصوت أعلى مما يستدعيه الموقف:

– "مسدسي!"

سحب راسل مسدس كورت من بنطاله وسلمه إياه.

أطلق راسل طلقتين نحو الممر، ثم استدار وصعد سلم العلية. قام كورت بتغطيته؛ مبقيًا عينيه المشوشتين مثبتتين على الزاوية ومسدسه المرتعش مرفوعًا بينما كان راسل يصعد الدرجات الخشبية الضيقة والمتهالكة.

وبينما اختفى راسل في الفتحة بالسقف، أطل رجل يرتدي خوذة سوداء ونظارات واقية من نهاية الممر عند الزاوية. صوب كورت نحو جبهة الرجل وأطلق رصاصة واحدة، فخدشته في كتفه الأيسر وأرسلته يهرع عائدًا للاحتماء.

كان ويتلوك في العلية الآن، لكنه تمركز فوق الفتحة. تدلى بجسده ووجهه للأسفل من خصره، معلقًا رأسًا على عقب من سقف الممر، فوق جينتري مباشرة. كان جسده يواجه التهديد في نهاية الممر، وصوب مسدسه نحو التقاطع T.

صرخ:

– "تحرك!"

استدار كورت وتسلق سلم العلية الآن، تحت غطائه الرجل المعلق رأسًا على عقب فوقه.

اندفع رجلان يرتديان معدات تكتيكية سوداء عبر الممر أمامهما، محاولين الوصول إلى الجانب الآخر من التقاطع T. فتح «ديد آي» النار عليهم، ونبح مسدسه الـ«غلوك» ثلاث مرات، فأصابت رصاصة أحد الرجلين في جانب رأسه.

صعد كورت إلى العلية، ثم استدار وداس بقوة على السلم القابل للطي المتهالك، كاسرًا إحدى المفصلات التي تثبته في إطاره. ثم داس على المفصلة الأخرى، فسقط السلم إلى أرضية الممر. أصبح الآن عديم الفائدة كوسيلة للصعود إلى العلية من الممر، لكنه كان يعلم أن ذلك لن يبطئ القوة المهاجمة لفترة طويلة.

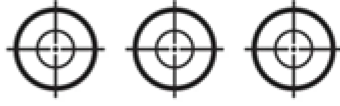
قال راسل:

– "لنذهب!"

وأمسك بكورت من ياقته مرة أخرى وسحبه معه. بينما كان راسل يعيد تلقيم مسدسه، تحركا معًا عبر العلية الطويلة والضيقة، خافضين رأسيهما أثناء الركض لكي لا يرتطما بالدعامات المكشوفة البارزة من السقف حاد الزاوية. صرخ راسل في أذن جينتري ليُسمعه:

– "هذه العلية تتصل بالمبنى المجاور. يمكننا النزول إلى الشارع من هناك."

في هذه المرحلة أدرك كورت أنه مجرد رفيق في الرحلة. تعثر عبر العلية المنخفضة المظلمة، متبعًا غريبًا يبدو أنه يعرف قدرًا مفاجئًا من المعلومات ليس فقط عن المبنى، بل عن الخصوم أيضًا.



أصيب قائد فريق «تريسل» برصاصة اخترقت الجزء العلوي من كتفه الأيسر قبل أن يتمكن من التركيز على التهديد في نهاية الممر، وأدى الاصطدام إلى تدويره وطرحه أرضًا. وصل اثنان آخران من رجاله عبر الممر قادمين من السلم بعد لحظات من تقييمه لجرحه. كانوا في مقدمة المبنى، بالخارج في العاصفة الثلجية، وكان الثلج يتساقط الآن من دروعهم السوداء وهم يركضون متجاوزين إياه ليتخذوا موقعًا على الجانب الآخر من التقاطع T. نهض نيك عائدًا على واقيات ركبتيه وواجه فتحة تقاطع T في الوقت المناسب ليرى اثنين من رجاله يعبران المساحة ركضًا.

تلقى «تريسل 8» إصابة نارية في الجانب الأيمن من الرأس أثناء ركضه. اهتزت خوذته وتناثرت الدماء من الجانب الأيسر لجبهته وتلطخت على الجدار، وترنح ساقطًا، وزخمه الأمامي ألقى به نحو «تريسل 7»، الذي سقط على الأرض بعيدًا قليلًا عن التقاطع.

زحف قائد الفريق إلى الزاوية، وانبطح أرضًا، وتدحرج للخارج ورشاشه الـ HK أمامه. رأى أمامه في الممر زوجين في منتصف العمر بملابس النوم يخرجون متعثرين من غرفة باتجاه موقعه.

صوب نحوهما، مستعدًا لقتلهما للوصول إلى هدفه، لكن هدفه لم يعد في الممر خلفهما.

خلفهما تمامًا سمع صوت طلق ناري ورأى سلم العلية ملقى على الأرض. كان «ديد آي» مخطئًا. كان هناك مدخل للعلية هنا في الطابق الثالث. شك قائد الفريق في أن كورت سيحاول الوصول للسطح. كان سطح المبنى مائلًا بزاوية ستين درجة ومغطى بعدة بوصات من الجليد والثلج الرطب الزلق. لن تكون هناك طريقة تمكنه من الحفاظ على توازنه بما يكفي للهروب بالركض عبره، وإذا كان لديه حبل فكل ما يمكنه فعله هو الهبوط من الجانب، حيث سيكون أعضاء آخرون من فريق نيك بانتظاره.

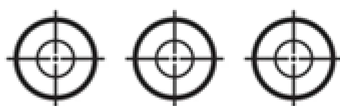
بدلًا من ذلك، قرر نيك أن جينتري سيحاول شق طريقه إلى مبنى مجاور باستخدام العلية. كانت هناك مجموعة من الشقق الخاصة في المبنى المجاور؛ وخمن القائد أن هدفه سيحاول الوصول إليها. لم يرغب نيك في مطاردته عبر العلية؛ كان يعلم أن أي شخص يصعد عبر فتحة الممر سيجد نفسه مكشوفاً ومعرضًا لسلاح جينتري.

صرخ في سماعته:

– "اثنان وأربعة، اقتحما المبنى الواقع شرق هذا الموقع، 9 شارع كولي. سيهبط عبر السلالم من العلية."

– "نحن نتحرك!"

كان اثنان وأربعة على الجانب الآخر من المبنى في الحديقة؛ وسيتعين عليهما شق طريقهما عبر الباب الخلفي للشقق. قفز قائد الفريق على قدميه وبدأ يركض عائدًا إلى بئر السلم، يتبعه سبعة وخمسة.



15

تبع كورت راسل من العلية هبوطاً عبر الدرج نحو شقة خاصة. كانت صاحبتها، وهي امرأة في منتصف العمر، قد لاذت بحوض الاستحمام فور بدء إطلاق النار في الشقة المجاورة، ولم تجرؤ على استراق النظر إلى غرفة المعيشة حين اقتحم الرجلان شقتها قادمين من العلية.

اندفع راسل نحو باب الشقة الرئيسي، لكن جينتري لحق به، وصاح متغلباً على الطنين الذي يملأ أذنيه:

– "إلى أين نحن ذاهبان؟"

أجاب راسل:

– "إلى الدرج المؤدي لمستوى الشارع."

– "سيكونون بانتظارنا حتماً!"

– "لا مفر من ذلك، سيتعين علينا الاشتباك معهم."

صرخ كورت:

– "بل لنسلك طريق السطح!"

هز راسل رأسه معترضاً:

– "السطح مائل ومصنوع من الأردواز، وتغطيه الثلوج والجليد. لن نقطع خمسين قدماً قبل أن نهوي إلى حتفنا."

أدار كورت نظره في أرجاء الشقة، وهو لا يزال يميل برأسه محاولاً الرؤية بوضوح رغم أثر الوميض الذي أحرق حدقتيه:

– "نحتاج إلى عشرين قدماً من الحبال.. أو أكثر إن استطعنا توفيرها بسرعة. أسلاك مصابيح، وصلات تمديد، أسلاك هاتف، أي شيء."

وبينما كان يتحدث، انتزع مصباحاً مكتبياً من فوق الطاولة ومزق سلكه من الحائط ومن المصباح نفسه.

همَّ ويتلوك بالاحتجاج، لكنه رأى اليقين في عيني كورت، فشرع بدوره في انتزاع سلك الهاتف من مقبسه، ثم تتبع سلك تمديد سميكاً على الأرض وانتزعه.

قال كورت:

– "سيتمركز كل منا على جانب من قمة السطح المائلة. سيسند كل منا الآخر ونتحرك بشكل جانبي. أفهمت الفكرة؟"

استوعب راسل الخطة، وأومأ برأسه مستحسناً:

– "سنعمل كأثقال موازنة لبعضنا البعض. لنفعلها!"

في ثوانٍ معدودة، صار بين أيديهما حزمة من الأسلاك، قوية بما يكفي لتحملهما معاً، ويصل طولها إلى نحو عشرين قدماً. اندفع كورت نحو النافذة، فتحها واقتحم العاصفة الثلجية. أمسك بطرف السلك، وأمسك راسل بالطرف الآخر، ولفَّ كل منهما السلك حول معصمه. تسلق كورت السطح المكسو بالثلج بحذر، والجليد ينزلق من تحته بينما يتشبث بإطار النافذة الخارجي ليرفع جسده، وأصابعه وركبتاه تلسعهما برودة الجو. استعان بطبق استقبال أقمار صناعية ليصل إلى قمة السطح، وتبعه راسل من النافذة. انزلق كورت بضعة أقدام على الجانب الآخر من القمة، ووقف بحذر مائلاً بجسده للخارج، مستخدماً قوة الشد في السلك للحفاظ على توازنه. صرخ في وجه راسل:

– "شرقاً أم غرباً؟"

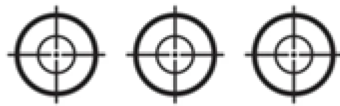
صاح راسل وسط الرياح العاتية:

– "شرقاً!"

لم يرد كورت، بل بدأ التحرك شرقاً على طول الجانب الجنوبي من السطح المائل. شعر راسل بالجذب، فبدأ هو الآخر بالتحرك على الجانب الشمالي.

بعد خطوات وئيدة وحذرة، تسارعت حركتهما على جانبي السطح المتقابلين؛ كانت أحذيتهما تنزلق فوق الثلج والبلاط الأملس، لكن الأسلاك المربوطة بينهما منحت كل منهما دعامة يرتكز عليها ليظل قائماً بينما يميل جسداهما بعيداً عن السطح. كانت الأسلاك تُجرُّ في المنتصف فوق قمة السطح لتمنحهما الاستقرار. برزت مدخنة في طريقهما، فقلص كورت وراسل المسافة بينهما بالصعود للأعلى قليلاً، مما أرخى الأسلاك، ثم قذفاها معاً ببراعة فوق المدخنة لتستقر في الجانب الآخر، وعادا لشد الأسلاك مرة أخرى ليواصلا ركضهما المتوازن.

تعثر كورت فجأة وسقط على ركبتيه بعنف؛ إذ لم يستعد توازنه بالكامل بعد من أثر القنبلة الصاعقة. لولا الأسلاك المربوطة بذراعه اليسرى لانزلق من فوق المبنى. دفع نفسه بسرعة لينهض مجدداً وواصل طريقه، وهو يقلص عينيه لمواجهة الثلج المتطاير.



كان قائد وحدة تريسل قد وصل للتو إلى مدخل المبنى رقم 9 في شارع كولي؛ وظل العضوان "خمسة" و"سبعة" خلفه مباشرة، بينما كان "ستة" لا يزال يترنح خارج الفندق، جريحاً لكنه على قيد الحياة، متجهاً نحو الحافلة.

انفتح باب بالقرب من بئر السلم، على بُعد أقدام قليلة من عميلي تاونسند. وجه نيك كشاف سلاحه التكتيكي نحو الحركة، ليظهر رجل يطل برأسه من الباب.

رفع الرجل يده ليحمي عينيه من الضوء المبهر. أطلق نيك النار غريزياً، فأصاب المواطن الإستوني في صدره بدفعة من ثلاث رصاصات. سقط الرجل إلى الخلف داخل شقته، وقبل أن يرتطم جسده بالأرض، أدرك رجال تاونسند الثلاثة أن الضحية ليس هدفهم. سمعوا صوتاً داخل الشقة، صرخة امرأة، فأطلق العضو "خمسة" رصاصة سكتت إثرها المولولة.

جاء صوت عبر سماعاتهم:

– "ثمة من يتحرك على السطح!"

كان "ستة"، الجريح الذي أُرسل للحافلة:

– "يتحركون شرقاً. لا أرى شيئاً وسط هذه العاصفة اللعينة، لكنه يزيح الثلج من فوق المبنى."

صاح نيك:

– "استخدم كشافك اللعين!"

– "الضوء ينعكس على ندف الثلج المتساقطة ولا أرى شيئاً!"

– "إذن أطلق النار وحسب! سنتعرف على الجثة حين تسقط من فوق المبنى!"

كان نيك في طريقه للخروج من ردهة المبنى، والعضو "سبعة" يتبعه مباشرة.

صاح "ستة":

– "بدأت الاشتباك!"

وسمع نيك دوي طلقات متلاحقة من سلاح كاتم للصوت في الخارج.

تطاير الشرر تحت كورت وأمامه على بلاط الأردواز؛ لقد صار تحت نيران رجل من مستوى الشارع.

التفت جينتري بلمحة سريعة فوق كتفه الأيمن؛ ولم يَرَ وسط الثلوج وسواد الليل الحالك سوى وميض فوهات البنادق القادم من موقف السيارات أمام الفندق. استل مسدسه، وصوب وهو يركض، وأطلق رصاصتين نحو الوميض.

أخبره وميض آخر من نفس المكان أنه قد أخطأ الهدف. توقف الآن، وبيده اليسرى المشدودة بالسلك، التفت بجسده وأطلق ثلاث رصاصات أخرى بدقة أكبر.

ما إن انتهى من الإطلاق حتى شعر بجذبة عنيفة في كتفه الأيسر. ظن في البداية أنه أصيب، لكنه حين ارتمى للأمام فوق السطح المكسو بالثلج، أدرك أن توقفه المفاجئ قد باغت راسل على الجانب الآخر، مما أدى لشد الأسلاك وسقوطه على مؤخرته، ولا شك أن كتفه قد التوى من أثر هذا التوقف المباغت.

استخدم كورت سبطانة مسدسه "غلوك" كركيزة لنهوضه، دافعاً بها وسط الثلج وهو يصادم زاوية السطح الحادة. توقفت ومضات النيران من موقف السيارات، فشعر بالثقة أنه أصاب الرجل الذي يستهدفه.

بدأ كورت يركض مجدداً، وشعر بالراحة حين زال الشد عن كتفه مع استئناف راسل للركض على الجانب الآخر.

انتهى السطح فجأة؛ لم يتبين ذلك إلا في اللحظة الأخيرة بسبب الظلام والثلوج الكثيفة، وإلا لكان لديهما متسع من الوقت لتقرير الخطوة التالية. بدلاً من ذلك، ظهرت فجوة السقوط من ارتفاع أربعة طوابق أمامهم، ولم يكن هناك وقت للتوقف فوق الجليد؛ بل كان عليهم الاندفاع وزيادة السرعة، ثم القفز من السطح في الهواء.

قذف الرجلان، المربوطان من المعصمين، بجسديهما في الفراغ؛ وتحتهما بخمسين قدماً زقاق مرصوف بالحصى تضيئه مصابيح الغاز. وفي الجهة المقابلة، كان هناك مبنى خشبي من ثلاثة طوابق، سقفه المائل لا يقل انحداراً عن الذي قفزا منه.

ارتطما بالسطح الحاد كجسد واحد، جينتري عن يمين القمة، وويتلوك عن يسارها. تمدد كلاهما بشكل مسطح فوق السطح المائل، ومرة أخرى، كان اتصالهما ببعضهما هو المنقذ الذي منعهما من الانزلاق والارتطام بالأرض.

في ثوانٍ، استعادا وقوفهما وواصلا التحرك.

ركض نيك في شارع كولي الضيق، محاولاً الحصول على زاوية رؤية للسطح العالي. وخلفه مباشرة كان "سبعة".

كان "خمسة" قد توجه نحو موقف السيارات ليحضر الحافلة ويقلّ الفريق. ظلوا جميعاً على اتصال بالعضوين "اثنين" و"أربعة" اللذين كانا يركضان في الحديقة على الجانب المقابل للمباني المحاذية لسور المدينة القديم. كان من الصعب على عملاء تاونسند رؤية أي شيء فوق السطح وسط العاصفة العاتية، كما أن الكشافات التكتيكية المثبتة على بنادقهم MP7 كانت عديمة الفائدة، إذ لم تكن تضيء سوى جدار الثلج الأبيض الفاصل بينهم وبين أي هدف محتمل.

ومع اقترابهم من نهاية الكتلة السكنية، صرخ "سبعة":

– "أبصرته!"

التفت نيك ليرى ما الذي يركز عليه زميله. كانت عينا "سبعة" وفوهة بندقيته موجهة نحو الزقاق الذي يفصل صف المباني المجاور لهم عن كتلة أخرى من المباني المنخفضة. لم يصدق نيك أن جينتري نجح في التحرك بهذه السرعة فوق سقف منحدر بزاوية ستين درجة ولا بد أنه أملس كالزجاج، لكنه رأى هو الآخر خيالاً يتحرك.

أطلق هو و"سبعة" النار في آن واحد.

كان كورت وراسل قد هبطا للتو من سور المدينة المرتفع إلى سقف أقل انحداراً؛ كان الثلج المتراكم والمنجمد فوقه يصل لارتفاع عدة بوصات، ويتدلى فوق الشارع أسفل منه في شكل قناديل ثلجية طويلة. حين اخترقت رصاصات الشارع نافذة تحت السطح الذي يركض فوقه مباشرة، نظر كورت للأسفل ورأى أن رجلين قد لحقا به، وكانا يركضان في الزقاق الضيق أسفل موقعه.

تطلع كورت من خلال العاصفة نحو السطح المتصل التالي، كان أقل انحداراً، والثلج فوقه يصل لعمق قدم كاملة. صرخ متغلباً على صوت العاصفة:

– "امنحني عشرة أقدام من الارتخاء!"

في لحظة، شعر بزوال الشد عن السلك الملفوف حول يده اليسرى، فصرخ:

– "ثبّت!"

قفز كورت عالياً في الهواء وارتطم بالسطح التالي بظهره، فانفصلت كتلة ضخمة من البياض وانهارت نحو الأسفل كأنها انهيار

ثلجي مصغر. تمسك كورت بالأسلاك التي تربطه بـ راسل على الجانب الآخر، فلم ينزلق مع الثلج الساقط.

كان نيك و"سبعة" يركضان تحت هدفهما، وكلاهما قد فرغ للتو من إعادة تذخير بنادقه وتوجيهها للأعلى حين سمعا صرخة جينتري. بحثا عن هدفهما وسط العاصفة، لكن بدلاً من ذلك، رأيا طبقة بيضاء ضخمة بسماكة قدم تهوي من السطح على بُعد خمس وعشرين قدماً فوق رؤوسهما. كانت كتلة الثلج المتراكم بحجم سيارة، وتزن مئات الأرطال، وهوت بسرعة وقوة متزايدتين. تلقى "سبعة" صدمة الانهيار كاملة، ولم يلمح نيك زميله قبل أن يُدفن حياً. أما نيك نفسه، فقد قفز بعيداً عن مركز الكتلة، لكن ساقيه دُفنتا مؤقتاً تحت الركام.

لم يكن لدى راسل ويتلوك أدنى فكرة عما يجري في الجانب الآخر، لكنه سمع إطلاق النار وطلب كورت إرخاء السلك. ركض نحو قمة السطح ليمنح كورت الحرية التي طلبها، ثم جثا على ركبته ليسنده حين طلب منه التثبيت. والآن عاد راسل لنقطة البداية، يسابق الزمن فوق السطح الأملس. تعين عليه وعلى جينتري تسلق المبنى التالي، وفي لحظات عادا للركض شرقاً، يقتربان أكثر فأكثر من نهاية الكتلة السكنية.

أثناء كفاحه فوق السطح المائل، نقر راسل على سماعته وأجرى اتصالاً برقم مخزن لديه.

جاءه الرد:

– "نعم؟"

تحدث بصوت مرتفع بما يكفي ليبدو مضطرباً، لكن بخفوت كي لا يسمعه جينتري وسط العاصفة:

– "معك 'ديد آي'. الأمور تخرج عن السيطرة هنا!"

– "أثبت هويتك يا 'ديد آي'."

– "ميترونوم، هذا أنا. وحدة تريسل تتعرض للإبادة! عليك سحبهم من.."

– "أعطني رمز الهوية."

– "إنهم في الخارج! ثمة معركة شوارع دائرة! اسحبهم!"

– "إن لم تستطع إثبات هويتك.."

صرخ ويتلوك قبل أن يقطع الاتصال:

– "سحقاً لك يا باركس! سأتدخل بنفسي!"

صاح جينتري:

– "ماذا؟"

صرخ راسل عبر السطح؛ كان يتوقع أن يسمع جينتري شيئاً وقد استعد للرد:

– "قلت إن السطح ينتهي أمامنا. يمكننا القفز مجدداً!"

– "عُلم!"

شارع ضيق آخر ميز نهاية الكتلة. وفي الجهة المقابلة، كان هناك مبنى تخزين من الطوب منخفض الارتفاع يقع خلف مرسم فني. كان سقفه من النوع ذي المنحدر الواحد، يبدأ مرتفعاً من جانب راسل وينتهي على ارتفاع عشرة أقدام فقط من الأرض في جانب جينتري.

قفز الرجلان فوق الحصى، كما فعلا في الزقاق السابق.

انطلق راسل في الهواء، وعيناه مسمرتان على منطقة الهبوط قرب قمة السقف، والتي كانت تظهر بصعوبة وسط العاصفة. لكنه في

منتصف المسافة فوق الزقاق، سمع إطلاق نار خلفه. علم أنه لا يملك فعل أي شيء حيال ذلك. ارتطم بالسطح المكسو بالثلج بجانب جينتري، هابطاً بشكل أخرق على جنبه الأيسر، وأطلق أنة من أثر الارتطام. انزلق هو وجينتري وتدحرجا من السطح، مسببين انهياراً ثلجياً سقط معهما إلى الأرض.

ارتطم الرجلان ومئات الأرطال من الثلج الجديد في فناء مبنى المرسم الفني. صارع الرجلان لفك أنفسهما من الأسلاك الملتفة حولهما، والخروج من الانهيار الصغير، والعودة للقتال.

– "هدفان! أكرر، هدفان!"

سمع نيك (قائد الوحدة) هذا النداء من العضو "اثنين"، لكنه لم يملك أدنى فكرة عما يتحدث عنه الرجل في الجانب الآخر من المباني. كان نيك متخلفاً عن الأحداث، لا يزال يتحرك في شارع كولي وحيداً، بعد أن ترك "سبعة" مدفوناً تحت الثلج.

توقف في الشارع وصارع ميكروفونه الذي التوى حين سقط. أعاده إلى فمه ليتمكن من الإرسال:

– "كرر ما قلته؟ من هو الهدف الثاني؟"

– "رجلان.. أو شخصان قفزا نحو السطح في الجانب الآخر من الزقاق. أظن أنني أصبت أحدهما."

بدأ نيك التحرك مجدداً، لكن أضواء مصابيح أمامية غمرت جسده من الخلف. توقف والتفت بلمحة فوق كتفه، ليرى سيارة شرطة صغيرة تسرع في شارع أيدا. انطلق عواء صفارتها الغاضب وانزلقت لتتوقف على بُعد ثلاثين قدماً منه.

– "سحقاً!"

ألقى نيك بندقيته في الثلج ووقف هناك وسط الشارع، قابضاً بيده على جرح كتفه النازف.

ما إن خرج راسل وكورت من كومة الثلج، حتى صرخ راسل:

– "اشتباك من الخلف!"

جثا الرجلان على ركبتيهما وصوبا مسدسيهما نحو الزقاق. ظهر رجلان بزي قتالي أسود من خلف الزاوية، وكانت أسلحتهما مصوبة نحو السطح في الأعلى؛ فمن الواضح أنهما لم يدركا أن هدفيهما قد سقطا من المبنى إلى الفناء.

أطلق جينتري وويتلوك النار معاً، فأفرغا أكثر من دزينة رصاصات في الهدفين من مسافة عشرين قدماً.

سقط عميلا تاونسند في الثلج.

قال راسل:

– "من هنا."

والتفت مبتعداً عن القتيلين في الشارع، وبدأ التحرك نحو ممر حجري منخفض بين المرسم وسور المدينة.

وبينما كان كورت يخرج من كومة الثلج، لاحظ دماءً في الثلج من حوله؛ فقد تلطخت يده بها حين نهض، فترك أثراً مقوساً في طبعة قفازه. التفت بسرعة خلفه ورأى مزيداً من الدماء، قطرات ولطخات منتشرة فوق ركام الثلج.

رآها راسل هو الآخر وقال:

– "لقد أُصبت."

دخل كورت الممر، وهو يتحسس جسده بحثاً عن أي ثقوب. شعر بالدم اللطخ يده اليسرى، لكنه حين أمرَّ يديه فوق جسده لم يجد أي جروح أخرى.

التفت إلى راسل حين وصلا تحت مصباح شارع عند المخرج الجنوبي للممر:

– "أنا بخير، لابد أنه دمك أنت."

أبطأ راسل حركته وأجرى نفس المسح؛ أمرَّ يديه على جذعه، ثم أسفل بطنه وأعلى ساقيه، وأخيراً عاد لوركيه. انقبض وجهه من الألم. سحب يده من وركه الأيسر ليراها حمراء قانئة، والدم ممزوج ببلل ثيابه.

قال:

– "يا للـ.. لقد أُصبت."

ضغط بيده على وركه ليوقف النزيف وصاح في جينتري:

– "اتجه جنوباً، بعيداً عن الميناء. ابحث عن مكان تختبئ فيه وانتظرني. سألحق بك خلال عشر دقائق. ابقَ جهة الشرق، فمقر الشرطة في شارع كولدي جهة الغرب، وسوف.."

قاطعه كورت:

– "أعرف أين مقر الشرطة.. إلى أين أنت ذاهب؟"

– "عليّ الاهتمام بأمر ما أولاً."

سلم جينتري مخزناً جديداً لمسدسه "غلوك"، ثم أعاد تذخير سلاحه هو الآخر.

أعاد كورت تذخير مسدسه ثم قال:

– "هل هناك ما هو أهم من جرح الرصاص هذا والهرب من الشرطة؟"

– "في الواقع، نعم. انتظرني."

– "حسناً."

استدار ويتلوك وبدأ يركض في الاتجاه الآخر، يمسك بمسدسه في يد، ويقبض على وركه بالأخرى. لم يكن يدري إن كان جينتري سيفعل ما قاله، لكنه لم يملك خياراً آخر.

فلا يزال هناك رجال من وحدة تريسل في الخارج، وعليه قتلهم جميعاً.

وقف نيك (قائد الوحدة) في منتصف الزقاق المرصوف بالحصى ويداه في الهواء. حدق به الشرطيان من خلف الزجاج الأمامي؛ تحدث أحدهما في اللاسلكي، بينما اكتفى الآخر بتصويب مسدسه نحوه.

كان الشرطيان قد هما بالخروج من السيارة فور وصولهما، لكن دوي إطلاق نار طويل في الكتلة السكنية المجاورة شرقاً أعادهما إلى السيارة، مفضلين انتظار عشرات سيارات الشرطة التي كانت في طريقها من المركز.

بينما كان نيك واقفاً هناك، يستمع لإطلاق النار وصخب الصفارات المقتربة، منتظراً اعتقاله وهو يتخيل بالفعل الأزمة الدولية المحرجة التي ستبدأ فور أن يمتلك هذان الأبلهان الشجاعة للخروج وتصفيده، تحدث في ميكروفونه:

– "اثنين وأربعة، معكم القائد. أخبراني أنكما نلتما منه."

لا رد.

– "اثنين وأربعة، هل تسمعانني؟"

لا شيء.

– "سحقاً! كيب؟ ديف؟ تحدثا إليّ يا رفاق."

إطلاق النار الذي سمعه قبل ثوانٍ كان يبدو كأنه صادر من عدة مسدسات في آن واحد. ما الخطب؟ هدفان؟ هل سقط رجاله؟

قال بصوت مسموع: "تباً لهذا الهراء"، ثم هوت ذراعاه نحو جانبيه بلمح البصر؛ استل مسدسه "سيج ساور P226" من جرابه وسقط على ركبة واحدة وهو يوجه السلاح نحو الشرطيين.

رأى شرطيا بلدية تالين الشابان الحركة، لكن لم يملك أيهما ردة فعل سريعة بما يكفي للدفاع عن نفسه. فتح نيك النار عليهما، ممطراً الشابين وسيارة الدورية برصاصة تلو الأخرى من النوع المتفجر عيار تسعة مليمترات. انفجر الزجاج الأمامي وتحول إلى غبار أبيض، وتناثرت الدماء في أرجاء السيارة من الداخل.

خمد صدى إطلاق النار في الزقاق، واقتربت الصفارات من الغرب والجنوب.

أعاد نيك تذخير سلاحه بسرعة والتفت ليلحق بالعضوين "اثنين" و"أربعة"، لكنه رأى رجلاً قادماً نحوه في الظلام. رفع مسدسه، لكن راسل (ديد آي) دخل في وهج مصباح الشارع.

خفض نيك مسدسه وصاح بغضب:

– "ظننت أنني أمرتك بالبقاء داخل غرفتك اللعينة.."

رفع راسل سلاحه.

– "ما خطبك يا.."

أطلق ويتلوك النار على نيك في فكه. سقط القائد إلى الخلف فوق الشارع الجليدي، وذراعاه ممدودتان، ومسدسه يسقط من يده. وقف راسل فوقه، والتقت أعينهما وسط الثلوج المتساقطة. أطلق عليه رصاصة أخرى في الجبهة، ثم انحنى والتقط المسدس.

بعد دقيقة، تسلق العضو "خمسة" مقعد القيادة في الحافلة أمام الفندق. كان قد عثر على العضو "ستة" جثة هامدة في موقف السيارات، فسحب جثته إلى الداخل. كانت الأضواء مشتعلة في المباني من حوله؛ وبعض الناس يطلون من النوافذ، لكن الغالبية آثروا البقاء بعيداً عن المتاعب.

بدأ بتشغيل الحافلة والباب لا يزال مفتوحاً، حين لمح خيالاً عن يساره. التفت بسرعة موجهاً بندقيته MP7 نحو التهديد، لكنه سرعان ما خفضها وتنفس الصعداء.

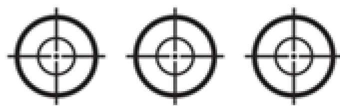
لقد كان العميل المنفرد، راسل. كان يمسك وركه الأيسر بيد، ويحمل مسدساً في الأخرى.

قال العضو "خمسة":

– "اركِب! لا أستطيع التواصل مع أحد. الفريق بالكامل سقط يا رجل! علينا أن.."

انقطع حديثه حين رفع راسل مسدسه لمستوى عينيه. حاول "خمسة" رفع سلاحه لمواجهة التهديد، لكن ويتلوك أطلق عليه رصاصة بين عينيه. انزاح "خمسة" عن النافذة الجانبية، وسقط عن المقعد فوق الكونسول الوسطي للحافلة، وانزلقت قدمه عن المكابح. بدأت الحافلة تتدحرج للأمام عبر الموقف الصغير وسط الثلوج الكثيفة، حتى ارتطمت بمدخل الفندق.

استدار راسل واختفى في الظلال.



16

تحرك جينتري نحو الجنوب الشرقي مبتعداً عن البلدة القديمة، ودخل حياً أحدث يضج بالمطاعم ومباني المكاتب التي كانت خاوية في هذا الوقت من الصباح. من كل الاتجاهات، كان يسمع عواء الصفارات مع اندفاع فرق الإنقاذ نحو موقع الاشتباك، وأضواء الطوارئ تنعكس على الأسطح الزجاجية والمعدنية. كان كورت يلوذ بمداخل الأبنية وخلف مواقف الحافلات كلما ظهرت سيارة طوارئ، لكن هذا كان يبطئ حركته، فبحث عن طريق أسرع لمغادرة المنطقة.

لقد كذب على راسل؛ لم يكن لدى كورت أدنى نية للبقاء هنا عند حافة منطقة القتل حيث ظهر ثمانية رجال من العدم ليقتلوه، خاصة الآن والشرطة تملأ المكان وسط العاصفة. مال بظهره لمواجهة الثلج المتطاير وواصل اندفاعه. كان يرتدي معطفه الأسود الآن ويلازم الظلال، مركزاً كل جهده على الاختفاء بينما يضع مسافة بينه وبين الحادثة.

استرجع كورت كل ما حدث، أو على الأقل ما حدث بعد أن استعاد وعيه من أثر القنبلة الصاعقة. كان متأكداً أنه أسقط ثلاثة أو أربعة من الخصوم؛ ذاك الذي أطلق عليه النار في ردهة الفندق قبل الركض للأعلى، والشخص الذي كان يطلق عليه النار من موقف السيارات، والرجلان اللذان قتلهما هو وراسل في الزقاق. كما حاول دفن قناصين تحت انهيار ثلجي، لكنه لم يدرِ إن كانت خطته تلك قد نجحت. ولم يكن لديه أدنى فكرة إن كان راسل قد نجح في تصفية أحد، مما يعني احتمال وجود أربعة أو خمسة مسلحين لا يزالون يلاحقونه.

لا، شكراً، فكر جينتري وهو يشق العاصفة، لن أجلس هنا بانتظار ذلك.

أياً كان هذا المدعو راسل، فقد عرف كورت أنه قادر على تدبر أمره، لولا حقيقة أنه أصيب بالرصاص وهو ينقذ حياة جينتري.

سحقاً.

واصل كورت سيره، ربما ببطء أكثر الآن، لكنه لم يتوقف. كان شارع كوباماجا مظلماً وهادئاً، فانعطف إليه، متحركاً وسط الثلوج الكثيفة بعيداً عن وهج مصابيح الشارع. كانت الصفارات تعوي في طريق موازٍ، لكن جينتري شعر بالأمان الكافي لمواصلة السير هنا لبضعة مبانٍ أخرى.

هو لم يطلب مساعدة راسل. ولم يكن لديه أدنى فكرة عن هويته أو نواياه. فمن يدري، ربما كان الرجل صائد جوائز مأموراً بإعادته حياً إلى أي من الجهات التي تلاحقه. كون الوغد يتحدث الإنجليزية بلكنة أمريكية لا يعني بالضرورة أنه من الأخيار. لا يعني شيئاً على الإطلاق، فأكبر الأوغاد الذين عرفهم جينتري كانوا أمريكيين.

لكن الرجل تلقى رصاصة.. رصاصة كانت موجهة لـ كورت.

أبطأ كورت خطواته أكثر.

تمتم قائلاً: "سحقاً لك يا جينتري."

كان عليه فعل شيء لأجله. شيء يساعده، أو بالأحرى، شيء يريح ضمير كورت ويسمح له بالرحيل دون شعور بالذنب. يمكنه العثور على مكان يحتمي فيه من الطقس ليدفأ قليلاً، وفي نفس الوقت يراقب وصول راسل ليتأكد من سلامته.

عثر كورت على زقاق مظلم منحه زاوية رؤية جيدة للتقاطع، ووقف عند مدخل أحد الأبواب بعيداً عن الرياح. نفض الثلج عن معطفه وراقب

الشوارع المؤدية للبلدة القديمة. كل ثلاثين ثانية تمر سيارة طوارئ بأضوائها الوامضة، وفي الحي الذي وقعت فيه المعركة، كانت السماء تبدو كأنها عرض للألعاب النارية؛ أضواء حمراء وبرتقالية وامضة تنعكس على كل سطح في المنطقة. كانت الأضواء مرئية حتى من خلال العاصفة، مما أخبر كورت أن المكان يعج بالشرطة الآن.

ظن كورت أن راسل لا يملك فرصة للخروج من هناك دون أن يُرى، خاصة وهو يعرج بسبب جرحه. ركز نظره على مصابيح الشارع في المدى المتوسط، ولم يتوقع رؤية أحد يمر، لكنه فجأة لمح حركة سريعة على الرصيف القريب. على بُعد خمسين قدماً فقط، رأى خيالاً بمعطف داكن، يحمل حقيبة ظهر ويعرج قليلاً. رغم إصابته الواضحة، بدا الرجل كأنه ينساب بسهولة عبر الشوارع، متجنباً أضواء السيارات المارة، تماماً كما فعل جينتري.

توقف الرجل –الذي تبين الآن بوضوح أنه راسل– وسط الثلج، رفع يده اليسرى لوجهه ليتفقد الدماء، ثم ضغط بيده مجدداً على وركه وواصل سيره متعثراً.

تباً. أراد كورت أن يكتفي بمشاهدته وهو يمر ويختفي وسط الثلوج، لكن غريزة البقاء لديه تراجعت في هذه اللحظة أمام شعوره الفطري بالشرف، ولم يستطع ترك الأمريكي الجريح خلفه.

خرج كورت من الزقاق وأطلق صفيراً خفيفاً. وفي لحظات، عبر راسل الشارع وانضم إليه عند مدخل الباب.

قال راسل:

– "بدأت أظن أنك قد لذت بالفرار."

أجاب كورت وهو يتساءل إن كان يجدر به فعل ذلك:

– "لا.. سمعت إطلاق نار. هل واجهت مزيداً من الأوغاد؟"

– "أجل. لم يبقَ سوى الأخيار الآن."

أزاح كورت يد راسل عن وركه الأيسر وأخرج كشافاً من حقيبته وسلط الضوء على المكان. كان هناك ثقب في سروال "الجينز" الخاص بـ راسل تحت الحزام مباشرة في الجانب الأيسر من وركه، وقد تشبع القماش بالدم وصولاً إلى الركبة.

قال كورت:

– "أنت لا تترك أثراً من الدماء خلفك بعد، لكن علينا العثور على مكان لمعالجة هذا الجرح. يمكننا الاختباء قليلاً حتى تنصرف سيارات الطوارئ."

أومأ راسل برأسه، ضاغطاً على وركه مجدداً ليبطئ النزيف.

تحركا في الزقاق وعثرا على درج في الظلام يؤدي لباب قبو. فتح كورت القفل مستعيناً بكشافه ومجموعة أدوات فتح الأقفال، بينما جلس راسل صامتاً على الدرجات يراقب.

في أقل من دقيقة كانا في الداخل، ووجدا نفسيهما في مطبخ صغير لحانة أغلقت أبوابها قبل ساعات. توجها نحو منطقة الحانة، وتخطى راسل المنضدة وتناول زجاجة من ويسكي "ريدبرست" الأيرلندي. انتزع السدادة الفلينية بأسنانه وبصقها على الأرض، وجرع جرعة كبيرة.

توجه كورت نحو واجهة المكان، وأزاح الستائر ليرى أن مدخل الحانة يقع تحت مستوى الأرض أيضاً. ثمة درج صغير يؤدي لمستوى الشارع في الأمام. تفقد ساعته؛ كانت الخامسة إلا ربعاً فجراً، واللوحة على النافذة تقول إن الحانة لا تفتح إلا في الثالثة عصراً.

صاح منادياً راسل:

– "سنكون بخير هنا. لا يمكن لأحد رؤيتنا من الشارع."

عاد كورت نحو المنضدة، ولأول مرة منذ أحداث البلدة القديمة أدرك أنه هو الآخر مثخن بالجراح. كان جسده مليئاً بالكدمات والخدوش والتمزقات؛ فـ "الأدرينالين" في دمه، وبدرجة أقل الهواء البارد، قد خففا عنه الألم، لكن الآن بدأ أثر القفز فوق الأزقة والسقوط من الأسطح يظهر عليه. ومع ذلك، عرف كورت من خبرته أن معظم آلام جسده ستزداد غداً مهما فعل الآن.

أما راسل، فكان جرحه حقيقياً، وعلم كورت أن عليه معالجته بسرعة. أشعل مصباحاً مكتبياً صغيراً فوق المنضدة، وأشار نحو الجرح سائلاً:

– "هل تسمح لي بتفقد ذلك؟"

خلع راسل معطفه ورفع قميصه، ثم فك أزرار سرواله الملطخ بالدماء وأنزله بضع بوصات. ارتكز بمرفقيه على المنضدة، مهيئاً نفسه للألم المحتوم.

التقط كورت زجاجة "فودكا" رخيصة من خلف المنضدة وفتح غطاءها. لم يكلف نفسه عناء إخبار راسل أن الأمر سيؤلم؛ فليس لديه أدنى شك أن الأمريكي الآخر يدرك ذلك تماماً. وبدلاً من ذلك، سكب نصف الزجاجة فوق الجرح الدامي، غاسلاً الدماء ليتمكن من تقييم الضرر. رأى ثقبي دخول وخروج، بمسافة بوصتين بينهما تحت خط الحزام في الجانب الأيسر.

قال: "إصابة نظيفة."

أنَّ راسل من أثر الحرق، ثم زمجر:

– "بأي معنى هي 'نظيفة'؟"

– "بمعنى أنك لن تموت، وهذا أمر جيد بالنسبة لك. وثمة جرح خروج، مما يعني أن الرصاصة نفذت بالكامل. وهذا جيد أيضاً. هل تسمح لي بالتأكد من عدم وجود شظايا؟"

مرة أخرى، كان كورت واثقاً أن الرجل الآخر يدرك تماماً ما يعنيه. تشنج جسد راسل، متشبثاً بحافة الطاولة. أنَّ مجدداً بانتظار الألم، ثم همس: "افعلها."

سكب كورت "الفودكا" فوق أصابع يده اليمنى، ثم بدأ يتحسس محيط جرح الدخول. قال:

– "لا توجد شظايا. الثقب صغير. ليست رصاصة مسدس.. كانوا يستخدمون بنادق MP7، لذا تلقيت رصاصة عيار 4.6 ملم. شخصياً، لست من معجبي هذا العيار."

قال راسل:

– "وأنا بدأت أطور موقفاً سلبياً تجاهه أيضاً."

أطلق كورت ضحكة خفيفة مهذبة. واصل الفحص، غارساً أصابعه شبه المعقمة داخل الثقب. كان يصارع رعشة خفيفة في يديه، مركزاً في مهمته، آملاً ألا يلحظ هذا الغريب مدى اضطرابه من أثر اقترابه الشديد من الموت. أظهر راسل أن لديه مشاكل أكثر إلحاحاً حين أنَّ وجعاً.

سكب كورت مزيداً من "الفودكا" على يده ليغسل الدماء.

– "عليّ التأكد إن كان وركك قد كُسر. هل أنت مستعد؟"

لم يتكلم راسل؛ بل اكتفى بالإيماء. غطى العرق جبينه. تلمس إصبع كورت مسار الرصاصة؛ احتك بالعظم تحت الجلد والعضلات الممزقة، وشعر بخشونة ونتوءات، لكن لا توجد كسور رئيسية.

– "إنك لعين محظوظ. الرصاصة خدشت العظم فقط. ستؤلمك لبضعة أسابيع، لكن إن تجنبت الالتهاب، فستنسى أمرها تماماً."

سحب كورت يده من الجرح، ثم أفرغ بقية الزجاجة داخل الثقب.

– "يا إلهي يا رجل.. نزيفك غزير، أليس كذلك؟"

عض راسل شفته من الألم. شحب وجهه تماماً، وكان الشيء الوحيد الذي يمنعه من السقوط هو استناده على المنضدة. مسح كورت الدماء بمنشفة الحانة.

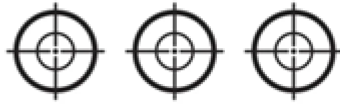
– "نحتاج لضمادة وبعض الثلج."

صنع كورت ضمادة من منشفة، بللها بمزيد من "الفودكا" لتعقيمها وربطها بإحكام حول خصر راسل مستخدماً مئزراً قطنياً. ملأ كيساً بلاستيكياً بالثلج من ثلاجة الحانة وثبته فوق الضمادة بمئزر آخر.

سار راسل حول المنضدة للحظة ليختبر ساقه ووركه. رفع إبهامه لـ كورت بعلامة الرضا: "عمل جيد."

مع تخدير الثلج لمنطقة الجرح والسيطرة على النزيف، بدا راسل أكثر قوة على الفور. غسل الدماء عن يديه، وشرب بعض الماء من الصنبور، ثم تناول زجاجة الويسكي وكأسين صغيرين من خلف المنضدة. نظر إلى كورت قائلاً:

– "ما رأيك أن تسمح لي بأن أعزمك على مشروب؟"



17

جلس الرجلان في حجرة جلوس جانبية مزينة بوسائد فينيل مغبرة، يحدقان في بعضهما عبر الطاولة ويرتشفان شرابهما في صمت.

كان الضوء الوحيد ينبعث من مصباح فوق البار في الجهة المقابلة من الغرفة، ومن بقايا توهج خافت قادم من الشارع يتسرب عبر الستائر.

كانت لدى كورت أسئلة للرجل بالطبع، لكنه حاول في الوقت الراهن استكشافه من خلال إشارات غير لفظية؛ محاولًا قراءة وجهه ولغة جسده لتقدير حجم التهديد الذي قد يشكله.

كان بإمكان كورت جينتري تقبل حقيقة أن راسل قد أنقذ حياته، لكنه لم يكن مستعدًا للوثوق به بعد.

تحت الطاولة، سحب كورت مسدس «غلوك» من بنطاله الجينز ووضعه بين ركبتيه، بينما استقرت يده اليمنى بجواره تمامًا على فخذه.

وبينما أبقى خياره الاحتياطي تحت الطاولة، أدرك أنه لا يحرز أي تقدم في تقييمه غير اللفظي فوقها. فباستثناء تشنج ألم عابر كان يظهر على وجه الرجل الجالس أمامه كلما تحرك، كانت ملامحه عصية على القراءة تمامًا كما تخيل جينتري ملامحه هو.

قال راسل:

– "يداك ترتعشان."

نظر كورت إلى الأسفل ورأى أنه محق. كانت الرعشة في أصابع يده اليمنى طفيفة، لكنها واضحة. لف أصابعه حول كأس الشراب الصغير، فاختفت الرعشة.

– "مجرد برد."

صحح راسل:

– "بل أدرينالين. الكثير من الناس يصابون بالرعشة عندما يكونون تحت النيران."

تجرع جينتري شرابه، وكرر:

– "أشعر بالبرد."

لم يجادل راسل. بدلًا من ذلك، أعاد ملء كأس كورت.

– "أنا متأكد أن هذا هو السبب فقط."

جاهد كورت لإبقاء يديه ثابتتين بينما كان راسل يرمقه من عبر الطاولة. ولتغيير الموضوع، قال كورت:

– "سؤال واحد. ليس من شأني، لكني أود أن أعرف."

– "أنا كتاب مفتوح."

– "ماذا تتعاطى؟"

– "ماذا أتعاطى؟"

أومأ جينتري برأسه.

– "ذلك الثقب في وركك ينزف أكثر مما ينبغي. تبدو أصغر وأكثر لياقة من أن تتناول أدوية ضغط الدم، وأنت لست تحت تأثير الكوكايين، لذا استنتجت أنك تتناول الأمفيتامينات بشكل ما."

أجابه راسل:

– "تتحدث كرجل خبير في المستحضرات الدوائية."

لم يعقب كورت على هذا. كان قد طور إدمانًا على حبوب الألم بعد عملية قبل عام تقريبًا، لكنه لم يستطع تخيل كيف لهذا الغريب الجالس أمامه أن يعرف بذلك.

بعد لحظة أجاب راسل:

– "أديرال. يساعد في تحسين رد الفعل، والوظائف الإدراكية، ويسكّن الألم."

– "هل تحاول بيعه لي؟"

– "مجرد شرح لسبب تعاطيه."

قال كورت:

– "أنا لست والدتك."

ساد الصمت في الحانة المظلمة والمغبرة للحظة. وأخيرًا قال:

– "لدي الكثير من الأسئلة الأخرى."

أومأ راسل برأسه موافقًا.

– "أراهن أن رأسك يدور بها."

– "من أنت؟"

– "اسمي راسل ويتلوك." فحصه بنظرة متفحصة قبل أن يضيف: "هل يعني لك الاسم شيئًا؟"

هز كورت رأسه.

– "هل يفترض به ذلك؟"

هز كتفيه.

– "لم تجرح مشاعري."

– "لقد ناديتني بـ«فايوليتر» هناك."

– "فعلت."

– "أنت من الوكالة؟"

– "كنت كذلك."

ارتشف راسل المزيد من الويسكي من الكأس الصغيرة، وكانت حركة تململه على مقعد الفينيل المصدر الرئيس للضجيج في الغرفة الآن. مد راسل يده للمصافحة:

– "الاسم الرمزي: «ديد آي» (عين الموت)."

تصافح الرجلان.

سأل راسل:

– "لم تسمع بهذا الاسم أيضًا، أليس كذلك؟"

– "لا."

ابتسم راسل.

– "لم يكن من المفترض أن نعرف عن بعضنا البعض. أمن العمليات (OPSEC)، والأمن الشخصي (PERSEC)، ومجرد أخلاق مهنية تقتضي أن يهتم كل منا بشؤونه الخاصة."

– "لكنك تعرفني."

– "أنا أعرف الجميع."

لم يضغط كورت أكثر. وبدلًا من ذلك قال:

– "الفريق الذي هاجمنا هذا الصباح. هل كانوا من أصول الوكالة؟"

– "لا."

– "من إذن؟"

– "شركة «تاونسند» للخدمات الحكومية."

– "وهي... ماذا بالضبط؟"

– "متعاقد خاص. صائدو جوائز، ببساطة."

– "كيف عثروا عليّ هنا في تالين؟"

– "كانت لديهم طائرة بدون طيار (UAV) متمركزة فوق مجمع «سيد». تتبعتك إلى سفينة «هلسنكي بولاريس». ضربت قوات «تاونسند» السفينة ليلة أول أمس، لكنك كنت قد تسللت خارجًا بالفعل. كنت أنا من ينتظر ظهورك هنا، وعندما ظهرت، تعقبتك إلى الفندق، ثم استدعيت فريق الهجوم التابع لـ«تاونسند»."

وضع كورت كأسه نصف الفارغ من الويسكي الأيرلندي ببطء.

– "أنت؟"

انزلقت يده اليمنى إلى المسدس تحت الطاولة بين ركبتيه، وأمسك به وصوبه نحو الرجل عبر الطاولة.

– "نعم. ربما كان يجدر بي إخبارك." تنحنح ونظر إلى وركه للحظة، ثم قال: "أنا أعمل لصالح «تاونسند»."

سمع راسل نقرة مكتومة تحت الطاولة البلوطية الآن. ميز الصوت بسهولة؛ كان صوت إرجاع مطرقة مسدس SIG Sauer، استعدادًا للإطلاق بأقل ضغط على الزناد.

– "دعني أحزر. لديك مسدس آخر مصوب نحو أسفلي."

– "أخبرني المزيد عن «تاونسند»."

– "شركة مملوكة للقطاع الخاص. موجودة منذ الأزل. عقد من طراز 10–24[8]. تُموَّل من قبل وكالة الاستخبارات المركزية بأموال الصناديق السوداء."

– "ما هي مهمتهم؟"

– "يا أخي، في الوقت الحالي، أنت مهمتهم."

– "وهل أرسلوك لقتلي؟"

– "أرسلوني للعثور عليك. كان من المفترض أن يقوم فريق العمل المباشر بقتلك. البلطجية الذين ضربوا الفندق الليلة، فريق «تريسل»، كانوا في سانت بطرسبرغ منذ ستين يومًا، ينتظرون منك أن تخرج رأسك في مكان «سيد». هناك فريق آخر، يقوده رجل يدعى «جامبر». إنه في برلين. ووحدة ثالثة، «داجر»، لا تزال في الولايات المتحدة. أتوقع أن يتم تدويرهم إلى هنا في أوروبا قريبًا."

خفض كورت المسدس تحت الطاولة لكنه أبقى إصبعه جاهزًا فوق واقي الزناد.

– "من المسؤول؟"

---

[8] عقد 10-24 : هو مصطلح يُستخدم في عالم الاستخبارات والعمليات السرية للإشارة إلى نوع من العقود الخاصة أو السرية مع الحكومة

– "الرجل الذي يلاحقك هو ليلاند بابيت. يبلغ من العمر حوالي خمسين عامًا. عسكري سابق، قوات جوية، ثم مدني في وكالة استخبارات الدفاع (DIA) لفترة. انتقل إلى مكافحة التجسس في مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI). طُرد من «مبنى هوفر» بسبب أساليبه؛ أساليب البلطجة التي كانت تؤدي لإسقاط القضايا بسبب انتهاكات الحريات المدنية."

– "وهو يدير «تاونسند»؟"

– "إيجاب. نائبه هو جيف باركس. وغد بمظهر أمريكي مثالي. كان ضابط حالة في «لانغلي»، وطُرد أثناء حملات التطهير المتعلقة بالاستجوابات القاسية قبل بضع سنوات. بقية موظفي «تاونسند» هم في الغالب أشخاص سابقون في الوكالة. بيروقراطيون من المستوى المتوسط. ليسوا من خامة رجال «الطابق السابع» لسبب أو لآخر."

تابع راسل:

– "تقوم «تاونسند» بالأعمال القذرة المتعاقد عليها حكوميًا منذ القرن التاسع عشر. كانوا في الحروب الهندية، وفي الفلبين عندما انفجر الوضع هناك. قتلوا مرشحًا للمحكمة العليا في الخمسينيات. وتقول الشائعات أن جيمس إيرل راي، الرجل الذي أطلق النار على مارتن لوثر كينغ، كان عميلاً لـ«تاونسند». لقد صفّوا أولوف بالمه[9]، رئيس وزراء السويد، وحمولة شاحنة من اليساريين المدافعين عن حقوق الإنسان في أمريكا اللاتينية. تقريبًا أي شخص لم تكن الإدارة الحاكمة تحبه ولكن لا يمكن ضبطها وهي تستهدفه، كانت «تاونسند» تتلقى الاتصال."

---

[9] أولوف بالمه: سياسيٌّ سويدي ورئيس وزراء السويد بين ١٩٦٩-١٩٧٦ ثم ١٩٨٢-١٩٨٦، اغتيل بالرصاص في ستوكهولم عام ١٩٨٦ في حادثةٍ أثارت جدلًا واسعًا وبقيت لغزًا لسنوات طويلة.

بدا هذا الكلام لكورت وكأنه كومة من الهراء. لقد قام بنصيبه من العمليات السوداء التي يمكن إنكارها. لكنه لم يسمع قط عن مؤسسة تجارية تقوم بنفس النوع من الأشياء، خاصة مؤسسة موجودة منذ عدة أجيال.

– "هل ستقول لي إن لي هارفي أوزوالد[10]كان رجلًا من «تاونسند»؟"

هز «ديد آي» رأسه.

– "سالب. كان أوزوالد مجرد وغد نرجسي يحمل بندقية ذات ترباس ووظيفة متواضعة منحته خط رؤية مباشر لسيارة الرئيس الليموزين المكشوفة."

كان كورت يعلم أن هذا صحيح. وشعر بالارتياح لرؤية أن «ديد آي» لم يكن غارقًا تمامًا في عالم الخيال.

تابع راسل:

– "تقوم «تاونسند» بأشياء أخرى أيضًا. التدريب والأمن والتحقيقات والاعتقالات وعمليات الترحيل السري. يعملون لصالح مصالح أمريكية في الصناعة، وليس فقط الوكالة أو البيت الأبيض. لكن الفيدراليين يحبون استخدامهم كقوة بديلة للعمليات التي لا يمكن المساس بها. عملوا لصالح نورييجا عندما كان رجلنا، وشاركوا في جلبه عندما لم يعد كذلك."

كان كورت في هذا المجال لفترة طويلة تمنعه من الاندهاش من أي شيء تقريبًا، لكن كل هذا كان جديدًا عليه. سأل:

– "ماذا أيضًا؟"

---

[10] لي هارفي أوزوالد : أمريكي اتُّهم باغتيال الرئيس جون ف. كينيدي في دالاس عام ١٩٦٣؛ قُتل بعد يومين أثناء نقله لدى الشرطة على يد جاك روبي قبل أن تُعقد محاكمته.

– "نفذوا اغتيالات مدعومة من وكالة الاستخبارات المركزية لصالح صدام حسين في العراق وحكومة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا في الثمانينيات، ولصالح مبارك والكروات في التسعينيات. بعد 11 سبتمبر، عملت «تاونسند» مع أمراء حرب أفغان لم تكن الوكالة لتلمسهم ولو بعصا طولها عشرة أقدام."

– "هذا قول بليغ."

ضغط راسل على ضمادته بيد ولوح بالأخرى في الهواء.

– "انظر يا كورت، ربما يجب عليك قضاء وقت أقل في القلق بشأن عقود «تاونسند» القديمة، والاهتمام بدلًا من ذلك بهدفهم الحالي."

– "أنا."

– "نعم."

قال كورت:

– "حسنًا. ولكن قبل أن نصل إليّ، ما قصتك أنت؟"

ارتشف راسل وقال:

– "أربعة وثلاثون عامًا، ولدت ونشأت في ولاية واشنطن. بلدة صغيرة خارج أولمبيا تسمى سيكويا بارك."

مد كورت يده اليسرى عبر الطاولة وسكب لنفسه جرعة أخرى.

– "وتحب وحيد القرن والمشي الطويل على الشاطئ."

– "من لا يحب ذلك؟"

قال كورت:

– "كل ما رأيتك تفعله الليلة... كان الأمر أشبه بالنظر في المرآة."

– "سأعتبر ذلك إطراءً."

– "أعني أنني أستطيع تمييز أنك مشغّل منفرد. هل كنا في نفس البرنامج؟"

أومأ راسل.

– "برنامج تطوير الأصول المستقلة (AADP). تم تجنيدي من مشاة البحرية (المارينز). تدريب تحضيري لمدة عامين، ماراثونات بأحذية قتالية، تدريب غوص، تدريب طيران، قنص، مهارات تجسس، «كراف ماغا» و«جيوجيتسو» برازيلية، انغماس لغوي، تسلق جبال في وايومنغ، بقاء في الصحراء وملاحة برية في موجافي. نفس المرح والألعاب التي مررت بها، أعتقد."

– "أنا كنت في سونورا."

– "المكسيك؟ ها، أنتم أيها القدامى كنتم متشددين."

لم يبتسم كورت.

– "على أية حال، تمت الموافقة على وضعي التشغيلي، وتم تفعيلي، ثم تنقلت خلال السنوات القليلة التالية، معظمها في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا."

فكر كورت في الأمر. مسيرته مع برنامج الأصول المستقلة كانت في المقام الأول في الاتحاد السوفيتي السابق، لكنه قضى وقتًا في الشرق الأوسط أيضًا. وأكثر من ذلك عندما انضم لـ«فرقة البلطجية». تساءل عما إذا كان هو وراسل قد تواجدا في نفس مناطق العمليات في نفس الأوقات عبر السنين.

– "ثم تركت الوكالة؟"

– "انتقلت إلى «تاونسند» قبل عام. أجر أفضل وبيروقراطية أقل. حقًا، باستثناء حقيقة أنهم يستهدفون أبطالًا أمريكيين مثلك للتصفية، فهي ليست وظيفة سيئة."

– "لماذا تعتقد أنني بطل؟"

– "اطلعت على ملفك للتحضير للعملية. وبينما كنت أدرسك، شعرت وكأنني أقرأ تاريخي الخاص. تقضي سنوات طويلة تقوم بعملك لصالح الولايات المتحدة، تكسر الرقاب وتقبض الشيكات الزهيدة، وهذا هو الشكر الذي تتلقاه؟ أمر إطلاق النار عليك بمجرد رؤيتك هو محض هراء. لا يمكنني المشاركة في اغتيالك أكثر مما يمكنني المشاركة في اغتيال نفسي. كلانا رجال طيبون في عالم سيئ." مد كأسه لكورت ليقرعها. "أخوان."

لم يمد كورت يده لكأسه. بدلًا من ذلك سأل:

– "هل أخبرت المدعو بابيت بتحفظاتك هذه بشأن أمر القتل الفوري؟"

– "كلا بحق الجحيم. كانوا ليطردوني باعتباري غير موثوق، ولأرسلوا شخصًا آخر. كورت، أنا لا أبحث عن تربيتة على الكتف، لكن لو لم أكن الرجل الموجود هنا في تالين الليلة، لكنتَ ميتًا."

– "شكرًا لك." قالها كورت بجمود. كان يجد صعوبة في فهم دوافع هذا الرجل. الجانب الساخر فيه لم يسمح له بتصديق أن راسل مر بكل هذا فقط لأنه اعتقد أن كورت يُعامل بظلم.

قال راسل:

– "على الرحب والسعة." ثم أضاف: "يجب أن أعترف، أنا مندهش لرؤية الرعشة."

– "الرعشة؟"

– "في يدك. مع كل المعارك التي خضتها، لم أظن أنها ستؤثر عليك هكذا."

كرر كورت:

– "مجرد برد."

أعلن راسل:

– "أنا لا أرتعش. لم يحدث لي ذلك قط حقاً. رغم كل القرف الذي مررت به." رفع يده اليمنى فوق الطاولة. "لا شيء. اختبرتني الوكالة. ضغط دمي يظل منخفضًا خلال الأحداث شديدة التوتر؛ ونبضي لا يتأثر. هذا يمنحني ميزة في القتال."

– "يا لك من محظوظ."

– "ما سرك؟ قرأت عن عملياتك. كيف تنجو من كل شيء يلقى في طريقك؟"

هز كورت كتفيه.

– "ليس لدي أي قوى خارقة مثلك، إذا كان هذا ما تسأل عنه."

– "لا تبخس نفسك حقها. لقد اطلعت على تقرير ما بعد المهمة لعملية كييف."

– "كييف؟"

– "أوه، أرجوك."

لم يقل كورت شيئًا.

– "المحللون في الوكالة لا يصدقون أنك نفذت عملية كييف بمفردك. وأنا لا أصدق أنك قد تعمل مع أي شخص آخر." انتظر راسل ردًا، وعندما لم يأتِ قال: "لذا أعتقد أنك فعلتها وحدك. ولكن، عليّ أن أعترف، ليس لدي أدنى فكرة كيف فعلتها بحق الجحيم."

أجاب كورت:

– "لم أفعلها على الإطلاق."

قلب راسل عينيه.

– "يمكنك إخباري. بسرية تامة بالطبع. هيا. أشبع فضولي كنوع من رد الجميل لإنقاذ مؤخرتك من النار الليلة."

هز كورت رأسه فقط.

– "لم أكن متورطًا في أمر كييف. دائمًا ما يتم لومي على قاذورات لم أرتكبها."

حدق راسل في كورت لفترة طويلة، لكنه أخيرًا ترك الأمر وتنهد، وأنهى شرابه ومد يده لزجاجة Redbreast. ظن كورت أنه سيسكب كأسًا أخرى، لكنه سحب الزجاجة نحوه، ثم التقط الفلين من الطاولة وأغلقها.

سحب راسل هاتفه.

– "يجب أن نتحرك. إذا أعطيتني رقمك، يمكننا التواصل غدًا."

– "انظر، أنا أقدر ما فعلته للتو. لا أفهمه، لكني أقدره. لكني لا أعرفك. لماذا بحق الجحيم قد أعطيك وسيلة لتعقبي؟"

وضع راسل هاتفه؛ لم يبدُ متفاجئًا من ممانعة جينتري. بهزّة كتف مد يده إلى حقيبته، وسحب قصاصة ورق، وناولها عبر الطاولة. فتحها كورت ووجد رقم هاتف مكونًا من أربعة عشر رقمًا مكتوبًا بقلم رصاص. وتحته عنوان موقع إلكتروني.

– "ما هذا؟"

– "رقم هاتفي ورابط لـ MobileCrypt. إنه تطبيق تحمّله على هاتفك. هكذا يمكنني تجنب التنصت عليّ أو تعقبي. يمكنك فعل الشيء نفسه، ويمكنك التأكد من أنني لا أعرف الهاتف الذي تستخدمه أو المكان الذي تتصل منه. سنفترق الآن، لكن اتصل بي غدًا، بمجرد خروجك من المنطقة."

وضع كورت الورقة في جيبه.

– "هل تريد الذهاب للسينما أو شيء من هذا القبيل؟"

ضغط راسل على الضمادة التي تغطي وركه ليسكّن الألم المتزايد هناك.

– "اسمع، إليك ما سيحدث. سأغادر المكان، وأخرج من المدينة، وأجد موقعًا آمنًا، ثم أتصل بمقر «تاونسند»."

فوجئ كورت بهذا.

– "أنا لست خبيرًا بالضبط في علاقات الموظفين وأرباب العمل الجيدة، لكن أعتقد أن رئيسك سيستشيط غضبًا لأنك قتلت مجموعة من زملائك."

– "سأكون بخير. ولكي أبقيك في مأمن منهم، يجب أن أعمل من داخل النظام. سيطاردونك بحشد من العناصر وطنين من التكنولوجيا الفائقة. تواصل معي وسأبقيك على اطلاع بمجريات مطاردتهم."

كاد كورت يصرخ بسؤاله التالي:

– "لماذا؟ لماذا جعلت مهمتك حمايتي؟"

– "لأنني سأغادر «تاونسند» قريبًا جدًا. لدي شيء يلوح في الأفق، شيء كبير، ولا علاقة لهم به. يمكنني الاستفادة من مساعدتك، وهي وظيفة من نوعك المفضل."

ارتفع حاجبا كورت.

– "آه. الآن تبدأ فقرة المبيعات."

قال ويتلوك:

– "نعم. لدي عرض ترويجي لك. لنعمل معًا. أنا وأنت. قوة لا تُقهر بحق الجحيم."

– "لقد تقاعدت بعد عملية سيدورينكو." أراد كورت إخماد حماس «ديد آي» لهذه الفكرة الغبية فورًا.

– "هراء. هذا مجرد حديث أعصاب متوترة. أنت منهك قليلًا، لكنك لن تترك اللعبة حتى تعقد سلامًا مع الوكالة أو تتلقى رصاصة في جذع الدماغ، أيهما يأتي أولًا. لا، هذا يجري في دمك، مثلي تمامًا."

تابع:

– "دعني أسألك شيئًا. هل شعرت يومًا أنك تسبح ضد التيار؟"

نعم، فكر كورت. هكذا شعر بالضبط.

– "أكمل."

– "لقد صنعت أعداءً في العامين الماضيين كعميل مستقل أكثر مما فعلت طوال عملك لصالح «لانغلي». لكن ما تفعله مهم. أعلم أنك تبحث عن العملية العادلة التالية. أعلم أن هدفك هو فعل الخير. خوض المعركة النبيلة." وضع راسل يده على قلبه. "هذا أنا أيضًا. أريد أن أكون جزءًا من ذلك."

ظل كورت ساخرًا.

– "ونتقاسم الغنيمة؟ لا شكرًا."

هز راسل رأسه بحدة.

– "لا تخدعني يا صاح. أنت لست في هذا من أجل المال، ولا أنا كذلك. يمكننا فعل الخير يا رجل. ضعف ما يمكنك فعله وحدك. نحتاج للبقاء معًا."

قلب كورت عينيه.

– "مثل «باتمان» و«روبن»؟"

رد راسل بحدة غاضبة:

– "أنا لا أتحدث عن هراء «باتمان» و«روبن». نعمل بشكل مستقل بالطبع. أنا أتحدث فقط عن التنسيق. يمكننا أن نحمي ظهور بعضنا، ونساعد بعضنا."

لم يرد كورت.

قال راسل:

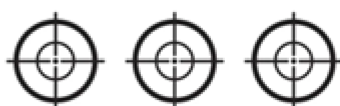
– "على أية حال، اتصل بي غداً عندما تكون في أمان. سنتحدث في التفاصيل. أنت تدين لي بذلك."

أخرج كورت الورقة التي تحمل رقم الهاتف للحظة، ثم دسها في سترته الصوفية.

– "عادل بما يكفي."

تفحص ويتلوك وجه جينتري طويلًا وبشدة. باحثًا عن أي علامات للخداع. ابتسم قليلًا، ثم مد يده، وصافحه كورت.

كان الرجلان في الخارج وسط الثلوج مرة أخرى بعد دقائق، يفترقان في الظلام، هاربين من الفجر ومن مطاردة كانت قد بدأت لتوها.



18

أشاحت ضابطة الاستهداف في "الموساد"، روث إيتنغر، بنظرها عن الطريق الممتد أمامها، وأمالت وجهها حتى كاد يلامس وجه الرجل الجالس بجوارها على مقعد الحديقة. اقترب هو الآخر، حتى لم يبقَ بين شفتيهما سوى نصف بوصة. أغمضت عينيها وداعبت شفتيه برقة، ثم تبادلا قُبلة بدت وكأنها تصدر عن عاشقين اعتادا على كل حركة وكل فكرة لدى الآخر. تلمس لسانها جوف فمه قبل أن تتراجع قليلاً، وتدس أصابعها في شعره عند مؤخرة عنقه، ثم فتحت عينيها بابتسامة ناعمة.

بادلها الرجل القُبلة بابتسامة مماثلة وقال:

– "روث، يا عزيزتي.. هل أخبرتُكِ من قبل أنكِ بدأتِ تكتسبين بعض الوزن؟"

ابتسمت لهذا التعليق، وقبلت ثغره مجدداً، ثم تحدثت وشفاها قريبة جداً من شفتيه حتى إنه كان يشعر بأنفاسها الدافئة مع كل مقطع تلفظه:

– "الميكروفونات المكافئة الجديدة لا تملك سوى معادل صوتي ثلاثي الموجات. سأتصل بقسم التقنية لنرى إن كان بإمكاننا استبدالها بالمعادلات القديمة ذات القنوات الخمس؛ فهذا سيمنحنا دقة أفضل في التقاط الأصوات المتوسطة عن بُعد."

تبادلا القبلات مجدداً، وتعانقا بحب من فوق معاطف التزلج الثقيلة. قال الرجل:

– "هل سيضيركِ لو استحممتِ مرة واحدة كل فترة؟ إن رائحتكِ تشبه رائحة الماعز."

فأجابته قائلة:

– "إذا رفض قسم التقنية تزويدنا بمعادلات القنوات الخمس، فسأبحث عن وسيلة في البرمجيات لتعزيز الترددات المتوسطة. قد يساعدنا ذلك أثناء إعادة التشغيل، لكنه لن يفيدنا في الوقت الفعلي لعزل الأصوات البشرية عن ضجيج الخلفية."

قال بلهجة متهكمة:

– "أعشق حديثكِ الفاحش هذا."

بابتسامة العشاق الذين أدركوا فجأة أنهم تمادوا في إظهار مشاعرهم أمام الملأ، اعتدلا في جلستهما على مقعد الحديقة. تناولت روث كيس الكاجو الدافئ بالعسل الذي اشترته من عربة لبيع

المكسرات بجوار حلبة التزلج، وألقت حبة في فمها ثم قدمت الكيس لـ آرون؛ حبيبها الشاب، أو على الأقل ذاك الرجل ذو الثمانية وعشرين ربيعاً الذي يتظاهر بأنه حبيبها لأغراض المراقبة اليوم في سنترال بارك.

كان آرون واحداً من ثلاثة أعضاء في فريق روث. أما الآخران، اللذان يتظاهران أيضاً بأنهما زوجان، فقد جلسا على الجانب الآخر من الطريق خارج مدخل حديقة حيوان سنترال بارك. كان مايك ديلمان ولورين تاترسال في أوائل الثلاثينيات، يتمتعان بمظهر وسيم لكنه غير ملفت للأنظار، وكانا يقضيان وقتهما أيضاً في التقبيل على مقعد يبعد ثلاثين ياردة. ومثل رئيستهم، كان مايك وآرون ولورين مواطنين إسرائيليين هاجروا من الولايات المتحدة، ويبدون في مظهرهم وكأنهم من أبناء مدينة نيويورك الأصليين.

وبين زوجي العشاق المزيفين، جلس رجل عربي مع زوجته، وأمامهما طفل في عربته. كان الأب يحرك العربة ذهاباً وإياباً وهو يتبادل الحديث مع زوجته.

كانت لورين تحمل ميكروفوناً توجيهياً طويلاً يبرز من ثقب صغير في جانب حقيبتها الضخمة، تمكنت من خلاله هي ومايك من التقاط معظم الحوار الدائر بين الرجل وزوجته. كانت الأصوات تنتقل مباشرة إلى سماعات "البلوتوث" الدقيقة في آذانهم؛ وبما أنهما يجيدان العربية بطلاقة، فقد قضيا الدقائق العشرين الماضية في استراق السمع لحديث مطول عن الحفاضات وقاذورات الأطفال. كان شجاراً يتمحور حول تقاعسه عن أداء واجباته في تغيير الحفاضات، وبدا لـ لورين أن الزوجة تملك الكثير من الحجج المنطقية في هذا الجدال.

وبينما جلسا على المقعد، استمتع مايك ولورين بإضافة نكهة خاصة على كلمات الغزل المتبادلة، تماماً كما فعل آرون. كانت لورين تضحك أحياناً، وتميل على أذن مايك لتهمس بكلمات بذيئة، بينما لم يبدُ على مايك أي ارتباك أو اشمئزاز، بل كان يرد عليها بمثلها، هامساً بتعليقات فجة.

وعلى العكس من فريقها، كانت روث جادة تماماً في مثل هذه الأوقات؛ إذ كانت تحافظ على الدور بجسدها، لكن همسها يظل منصباً على العمل، ومناقشة أدق التفاصيل التقنية واللوجستية لعملية المراقبة. كانت تمنح مرؤوسيها مساحة من العبث إذا لم يكن لديهم شيء مهم لقوله، لكنها مارست هذا العمل لفترة طويلة جعلتها لا تشعر بأي حرج في تلامس الشفاه مع مرؤوسها أثناء المطاردة الراجلين أو المراقبة الثابتة.

اقتربت روث وآرون من بعضهما مجدداً على المقعد، لمقاومة صقيع ديسمبر الذي يتسلل عبر معاطفهما الثقيلة، وتبادلا القبلات مرة أخرى. قال آرون:

– "أفضل تقبيل مايك على هذا."

توقفت روث عن الحديث عن معدات الصوت وقالت:

– "يمكنني ترتيب ذلك في المرة القادمة."

ضحك آرون على قولها.

ورغم لحظات المرح العابرة، كان الفريق يعمل بجد، فلم تمر سوى ساعات قليلة على وصولهم إلى الولايات المتحدة. كانوا في مدينة فارو ينهون بعض الأمور العالقة بعد العملية التي أدت لمقتل الأخوين صانعي القنابل اللذين استهدفا رئيس الوزراء إيهود كالب، حين تلقت روث أمراً بالطيران مع فريقها إلى مدينة نيويورك. وهنا في مانهاتن،

كان هناك مدرس يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً وأب لمولود جديد خاضعاً لمراقبة مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) بسبب شرائه مؤخراً كمية كبيرة من نترات الأمونيوم؛ وهو سماد يُستخدم أيضاً كمكون رئيسي في المتفجرات القوية.

رأى مكتب التحقيقات الفيدرالي أن عملية الشراء مثيرة للريبة لكنها ليست غير قانونية بالمعنى الدقيق، فبدأوا ما اعتبرته روث إيتنغر تحقيقاً بطيئاً ومخيباً للآمال. وبما أن الأستاذ فلسطيني وتربطه صلة قرابة عن طريق المصاهرة بمسؤول متوسط الرتبة في حركة حماس بقطاع غزة، فقد أثار الأمر اهتمام الموساد. ولأن رئيس الوزراء إيهود كالب كان من المقرر أن يلقي خطاباً في الجمعية العامة للأمم المتحدة بـ مانهاتن بعد أسابيع قليلة، هرعت روث وفريقها من فارو إلى نيويورك دون تأخير لبدء تحقيقهم المتسارع.

لم تكن تمانع العودة إلى الولايات المتحدة، رغم علمها بأنها ستشعر بالذنب إن لم تمر بمنزل والدتها في بروكلين قبل انتهاء المهمة، والحقيقة أنها كانت تفضل مطاردة الإرهابيين الملطخين بالدماء على الجلوس إلى طاولة مطبخ والدتها لتناول حساء "الماتزو".

وضع آرون يده على ركبتها وهو يميل نحو وجهها. ابتسم وهو يتحدث، لكن المزاح قد انتهى الآن:

– "انطباعاتكِ الأولية؟"

بادلته روث الابتسامة وهزت رأسها، ثم همست قائلة:

– "هذا الرجل لا يشكل أي تهديد."

– "وكيف تجزمين بذلك؟"

– "انظر إليه فحسب."

نظر آرون إليه خلسة، ثم عاد بنظره إلى "صديقته":

– "وهل يمتنع الإرهابيون عن اصطحاب أطفالهم إلى الحديقة؟"
– "هذا ليس إرهابياً.. أنا أستطيع شم رائحة الإرهابيين عن بُعد."
سلم آرون بوجهة نظرها قائلاً:
– "لن أجادلكِ في هذا؛ فيبدو أن لديكِ غريزة خاصة في اكتشاف أسوأهم."
أمسكت روث بيده من فوق قفازها وقالت:
– "هذه المهمة تبدو وكأنها مضيعة للوقت، وأنا أمقت إضاعة الوقت."

عادت بنظرها نحو الزوجين الفلسطينيين، تراقبهما وهما يتبادلان هزَّ العربة بينما يستمر جدالهما الهادئ. شعرت روث بالملل، لكنها كانت معتادة عليه. لم تستطع منع نفسها من الشعور بأنها وفريقها أكبر من هذه المهمة، لكنها اعترفت بأن معرفتها الوثيقة بالمنطقة وقدرتها على تمييز الإرهابيين الحقيقيين من الأدعياء جعلت فريقها هو الأنسب للإرسال. ورغم المزاح الخفيف بين الضباط الصغار، كان أعضاء الفريق الأربعة يتمتعون بمهنية عالية ويأخذون عملهم على محمل الجد. كان الأطباء النفسيون في الموساد يخبرون روث بأنها تأخذ الأمور بجدية مفرطة، لكنها كانت ترى في آرائهم مجرد تخمينات تمولها الحكومة وتقترب من الدجل.

كانت روث بخير، كما أخبرت الجميع، وتكون في أفضل حالاتها حين تكون في الميدان وتعمل بجد.

رن هاتفها في حقيبتها فخطفته بسرعة، وهي تعلم أنه سيكون يانيس ألفي، رئيسها في العمل، الذي وعدها بالاتصال لتزويدها بمزيد من المعلومات.

– "مرحباً؟"

– "ما نيشما؟ (ما الأخبار؟)"

كان يانيس يكسر البروتوكول دائماً ويتحدث بالعبرية حين يتصل من تل أبيب.

أجابته بالإنجليزية بلكنتها الأصلية من بروكلين:

– "أهلاً يا جيف.. كيف تسير الأمور؟"

بمناداته باسم "جيف"، كانت تذكره بوجوب التحدث بالإنجليزية. وبالطبع، لم يكن من المحتمل أن يسمع أي شخص تراقبه حديث الرجل معها عبر الهاتف، لكن سيكون من السهل عليها أن تزل وتتحدث بالعبرية إذا كان الطرف الآخر يستخدم تلك اللغة.

رد يانيس:

– "هدفكِ نظيف، وعملية الشراء التي قام بها بريئة تماماً."

– "بأي معنى؟"

– "هو مدرس ثانوية، هذا صحيح، لكنه انضم مؤخراً إلى جمعية تعاونية زراعية في مقاطعة سوليفان بـ بنسلفانيا. محصوله هو الفاصوليا والتين، لكن الجمعية تزرع شتى الأنواع. إنهم يعملون على نطاق صغير؛ أحد المزارعين يشتري المعدات، والآخر البذور، وآخر الأسمدة، ويتم تجميع كل ذلك كموارد للجمعية."

نظرت حولها ثم همست:

– "وهل اشترى نترات الأمونيوم لأغراض الزراعة؟"

– "يصعب تصديق ذلك، لكن نعم."

– "وهل يجهل مكتب التحقيقات الفيدرالي هذا الأمر؟"

– "لا يزالون يجهلونه. لقد اخترقنا سجلاته المصرفية ورأينا أن الجمعية التعاونية قد عوضته عن المبلغ نفسه الذي أنفقه على السماد. فحصنا أمرهم؛ إنهم موجودون منذ سنوات، ويزرعون مساحات

تتناسب مع كمية نترات الأمونيوم التي اشتروها. سنبقي أعيننا عليهم، لكن الأمر يبدو سليماً تماماً."

قلبت عينيها حين استخدم تعبيراً بدا وكأنه صادر عن يهودي ولد في إسرائيل لكنه يتحدث كأمريكي. قالت:

– "إذن.. هو مسالم تماماً كما يبدو."

قال يانيس:

– "يبدو ذلك."

– "حسناً، سننهي المهمة هنا."

– "تبدين محبطة. مرة أخرى يا روث، تبدين خائبة الأمل لأننا لم نجد خطراً داهماً يهدد قيادة أمتنا."

– "أنا أحب العمل يا يانيس."

تردد قبل أن يقول:

– "الأمر أكثر من ذلك؛ أنتِ تحملين الكثير فوق كاهلكِ."

– "تقصد منذ واقعة روما."

– "منذ روما."

– "إن زيادة وتيرة عملي منذ روما مدفوعة بالحماس المتزايد لأعداء رئيس وزرائنا، وليس بأي رغبة مفرطة من جانبي للتكفير عن الأخطاء."

– "لم أقصد الإيحاء بغير ذلك. وروث، أنتِ لم ترتكبي أي أخطاء."

لم ترد على قوله مباشرة، بل قالت:

– "ربما لو توقف كالب عن إثارة حنق الناس، لاستطعت الجلوس في منزلي وتربية أزهار الأوركيد أو شيء من هذا القبيل."

– "حسناً، لا يبدو أن هناك فرصة لحدوث ذلك قريباً. سأجد لكِ مشكلة ما لتنخرطي فيها عما قريب، لا تقلقي.. فأنا متأكد أن شيئاً فظيعاً يختبئ خلف المنعطف."

– "هذا مضحك حقاً."

– "أعيدي فريقكِ إلى هناك، لكن خذي أنتِ بضعة أيام لزيارة والدتكِ."

– "ليست هذه هي المشكلة التي أبحث عنها.. يمكنني العودة مع الآخرين."

– "هذا أمر."

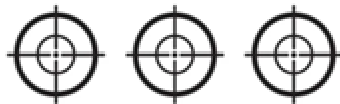
تنهدت بضيق في سرها وقالت:

– "حسناً يا يانيس، لكنني أريد بدلاً عن مهام المخاطر."

ضحك وهو يغلق الخط.

لقد كان يوماً ضائعاً، ورحلة بلا طائل. لم يكن التظاهر بالحب مع آرون هاملين أسوأ وسيلة لقضاء الوقت، كما اعترفت لنفسها، لكنها كانت تتوق لهدفها التالي. فالجلوس في سنترال بارك لمراقبة رب أسرة فلسطيني لم يفعل شيئاً سوى شراء بعض الكيماويات لتساعد فستقه على النمو لم يسهم بشيء في جعل رئيس وزرائها أكثر أماناً.

قررت أن تتصل بوالدتها، وتخبرها أنها نزلت للتو من الطائرة، وتدعوها لتناول الغداء في الصباح التالي. فلطالما بدا أن الساعتين أو الثلاث التي تقضيها في الاستماع لحديث والدتها الممل تمر بسرعة أكبر حين تتدفق المشروبات.



شقَّ راسل ويتلوك طريقه بصعوبة وسط الثلوج محاذياً صفاً طويلاً من المباني السكنية الكئيبة في مدينة بالديسكي الإستونية، التي تبعد حوالي ثلاثين ميلاً غرب تالين على ساحل بحر البلطيق. كانت الساعة تشير إلى منتصف الظهيرة؛ وقد تراكم نصف قدم من الثلوج خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، لكن السحب الرمادية الكثيفة في الأعلى توقفت عن هجومها مؤقتاً، وكانت درجة الحرارة تلامس الصفر المئوي، وهو جو دافئ بالنسبة لهذا الوقت من العام.

توقف أمام نزل صغير؛ كان قذراً وبسيطاً وبعيداً عن الأعين بقدر ما يمكن للمرء أن يتخيل، لكن راسل قرر أنه سيفي بالغرض لليلة واحدة. كان راسل يفضل الإقامة في فنادق الخمس نجوم، لكنه الآن لا يملك ترف ذلك؛ فهو بحاجة لمكان هادئ ومنعزل لمعالجة جرح الرصاص الذي أصابه، ولانتظار اتصال جينتري، ولقضاء ليلة آمنة. لم تكن هذه المدينة وجهة سياحية بأي حال، فقد كانت مدينة مغلقة إبان الحرب الباردة، استُخدمت كمركز تدريب ضخم للغواصات النووية السوفيتية، مدينة محاطة بالأسلاك الشائكة.

وبعد مرور عقدين من الزمن، وجد راسل ويتلوك أن المدينة لا تزال تفتقر للترحاب تماماً كما كانت في السابق.

جلس "ديد آي" في غرفته بالفندق بينما تحولت الظهيرة إلى مساء، وتلاشى الضوء المتسلل عبر النافذة تماماً. كان قد عثر على صيدلية بالقرب من الفندق، وبجوارها متجر للخمور؛ ورأى في تجاور المكانين ضرباً من حسن الحظ. عاد إلى غرفته، وعقم جرحه وغير ضماداته، ثم فتح زجاجة فودكا وجرع منها جرعة كبيرة.

انتظر عشر ساعات كاملة قبل أن يتصل بـ "منزل تاونسند"، لكنه صار مستعداً أخيراً. كان يأمل أن تكون الأحداث قد مرت بسرعة

وارتباك كافيين بحيث لا يكون أي عضو في فريق "تريسل" قد أبلغ عن خيانته لصاحب عمله، لكن الوسيلة الوحيدة للتأكد كانت في الاتصال بنفسه.

ضغط على زر الاتصال السريع في هاتفه الذي يصله بخط بابيت في "منزل تاونسند".

وبعد إجراء فحص سريع للهوية، قال بابيت:

– "ظننا أنك قتلت."

أجاب راسل:

– "لقد نجوت.. لكن البقية صاروا في عداد الموتى يا سيدي."

– "ماذا حدث بحق الجحيم؟"

– "ليتني أستطيع إخبارك، لكنني تلقيت أوامر بالبقاء في غرفتي بالفندق بينما يقوم رجالك بضرب الهدف. الأكيد أن جينتري هو من بدأ إطلاق النار؛ لقد سمعت صوت مسدسه قبل أن يبدأ الرد بأسلحة كتم الصوت. بخلاف ذلك، لا يمكنني حقاً إعادة رسم الأحداث لأعرف أين مكمن الخطأ."

ساد الصمت للحظة قبل أن يقول بابيت:

– "أفهم ذلك." تنحنح ثم أضاف: "لقد اتصلتَ أثناء الهجوم، وقلت إنك ستشتبك."

– "أجل. تمنيت لو استطعت فعل شيء، لكنني لم أكن مطلعاً على تفاصيل العملية، وقد انهارت الأمور قبل أن أتدخل. حاولت اللحاق بالركب، لكنني كنت متخلفاً كثيراً عن جينتري. لم ألمحه إلا لثانية واحدة، ولسوء الحظ رآني هو أولاً وأصابني."

كاد بابيت يصرخ من الدهشة:

– "أتقصد أنه أطلق عليك النار؟"

استلقى راسل على سريره الصغير وهو يجيب، متحركاً بحذر لتجنب الضغط على وركه الأيسر:

– "نعم."

– "هل أنت مصاب؟" بدا أن بابيت يجد صعوبة في استيعاب الأمر.

– "سأعيش. لقد أطلقت عليه بضع رصاصات، وربما أصابته إحداها، لست متأكداً. النقطة المهمة هي أنك لو تركتني أنفذ الأمر بطريقتي منذ البداية، لكنت قد غرزت نصلاً في عمود جينتري الفقري لحظة نزوله من القارب صباح أمس، وما كنت لتخسر ثمانية من رجالك ويهرب منك الهدف."

رد بابيت:

– "سبعة قتلى فقط."

انتفض ويتلوك جالساً على السرير:

– "سبعة؟"

– "لقد نجا أحد أعضاء فريق تريسل. يبدو أن العضو 'سبعة' قد علق في انهيار ثلجي أو شيء من هذا القبيل، ودُفن تحت الثلوج. لا نزال نحاول الحصول على القصة الكاملة. لقد أخرجه السكان المحليون وهو يعاني من كسر في فقرات رقبته وأربعة أضلاع محطمة، لكنه سيتجاوز الخطر."

أخذ راسل نفساً عميقاً وبطيئاً، بينما بدأ الغضب يغلي بداخله، ويصلب جسده وعضلاته.

– "هذا خبر جيد يا لي."

– "حسناً، ربما يتمنى لو ظل تحت الثلج؛ فهو سيقضي وقتاً طويلاً في إستونيا كضيف على نظامهم العقابي بمجرد خروجه من المستشفى."

سأل راسل:

– "هل تريد مني التصرف حيال ذلك؟"

كان التلميح واضحاً لـ بابيت ؛ فـ راسل يسأل إن كان عليه قتل الناجي لضمان صمته. لم يكن لديه أدنى فكرة كيف سيفعل ذلك، لكن كان لديه دافعه الخاص؛ فقد يكون العضو "سبعة" قد رآه مع جينتري، وهو أمر لا يريده أن يصل إلى "تاونسند" بأي حال.

تردد بابيت قبل أن يجيب:

– "ليس الآن."

طرد راسل هذه المشكلة الجديدة من ذهنه، فلا شيء يمكنه فعله حيالها حالياً. قال:

– "الأمر برمته كان فوضى عارمة يا سيدي.. افتقر للمهنية."

علم ويتلوك أن بابيت لن يعترف بأي خطأ؛ فهو مسؤول تنفيذي، وسيظل بمنأى عن أي تبعات لقراراته. فعل بابيت بالضبط ما توقعه راسل؛ إذ غير الموضوع قائلاً:

– "علينا إعادتك إلى الولايات المتحدة. أنت مصاب ومنطقة العمليات مشتعلة للغاية ولا يمكن بقاؤك فيها بعد ما حدث هذا الصباح. هل أحتاج لإرسال طبيب إليك لتجهيزك للسفر؟"

– "لن أعود إلى الولايات المتحدة.. أنا سألاحق جينتري."

– "مرفوض يا راسل. لا يمكنني المخاطرة بالقبض عليك الآن. اسمع، لدينا أنظمة جديدة للتعرف على الوجوه تعمل على خوادمنا، تراقب كل كاميرا في نطاق مائة كيلومتر من تالين. وأرسلنا طائرات

دقيقة متطورة لفريق المسيرات ليتمكنوا من اصطياده في البيئات الحضرية. سنوسع نطاق البحث إذا لم نتلقَ إشارة بحلول منتصف الليل بتوقيتكم. أريدك أن تتوقف عن العمل، على الأقل لبضعة أيام."

أدرك راسل أن الجدال لا طائل منه.

– "حسناً، لكنني أريد تزويدي بأي معلومات استخباراتية فور حصولكم عليها."

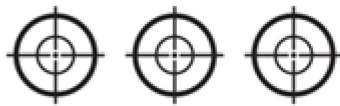
– "اتفقنا."

– "ويا لي.. سآخذ بضعة أيام لأبقى بعيداً عن الرادار، لكنني لن أتوقف طويلاً. من مصلحتك أن أكون مشاركاً؛ فخبراء الطائرات المسيرة ورجال الهجوم المباشر لديك لا يعرفون جينتري كما أعرفه."

– "أفهم ذلك. فقط اذهب لمكان آمن وعالج إصابتك.. سنعمل على تحديد موقعه في هذه الأثناء."

قال راسل:

– "انتهى الاتصال من ديد آي."



وضع ليلاند بابيت الهاتف، واتكأ على كرسيه وأغمض عينيه. يا لها من كارثة محققة. بالطبع كان منزعجاً من تأخر "ديد آي" في التواصل، لكنه شعر براحة لا توصف لأن عميله المنفرد لا يزال حياً. وبالتأكيد لم يكن غاضباً منه بسبب ما حدث في تالين؛ بل على العكس، بالنسبة لـ بابيت، كان ذاك المعتوه راسل ويتلوك هو الموظف الوحيد في "تاونسند" الذي قام بعمله اللعين على أكمل وجه.

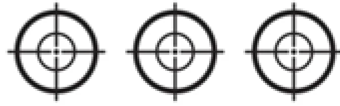
علم أن الأيام والأسابيع القادمة ستكون جحيماً من الفوضى في التعامل مع تداعيات عملية تالين. ستتدخل وكالة الاستخبارات

المركزية؛ وسيهدئون الأوضاع مع الإستونيين، لكنهم لن يفعلوا ذلك دون أن ينالوا من بابيت بسبب فشل شركة "تاونسند".

لكنه لم يكن يملك ترف القلق بشأن ذلك الآن. عليه أن يجد جينتري ويدفنه تحت التراب قبل أن يفكر في أي شيء آخر. وعلم أنه لا يمكنه السماح لعميله المنفرد المصاب والمتمرد وشبه المجنون بمواصلة البحث الآن بينما أجهزة إنفاذ القانون الأوروبية كلها في حالة استنفار لما حدث في تالين.

كما علم أنه إذا استمرت غرفة إشارة "تاونسند" في إرسال المعلومات لراسل، فسيستمر راسل في التحرك بناءً عليها. لذا قرر بابيت أن يأمر رجاله بالتوقف عن إرسال المعلومات لهاتف العميل المنفرد. فلو حالفهم الحظ ورصدوا جينتري في اليومين القادمين، فلا يمكنه المخاطرة باندفاع "ديد آي" إلى الموقع وتعرضه للقبض عليه.

أمرَّ لي أصابعه في شعره وفرك عينيه. يا لها من كارثة محققة.



19

وقف كورت جينتري خارج مبنى محطة عبّارات تالينك في تمام الخامسة مساءً. كان السواد قد خيّم على المكان خارج المحطة الضخمة، لولا أضواء السيارات العابرة في الشوارع، وأنوار القوارب الراسية في المرفأ. لم يكترث كورت بضعف الإضاءة، بل استغلها ليتوارى في زاوية منعزلة بجوار الجدار الأمامي. كان قد استبدل كل قطعة من ثيابه، وحلق لحيته المهملة، واستقلَّ سيارة أجرة من الجانب

الآخر من المدينة ليصل إلى هنا؛ متجنباً السير في الشوارع التي شهدت -هو والآخرون- اشتباكات دموية في الصباح الباكر.

ومع ذلك، كان لا يزال أقرب إلى موقع الأحداث مما يشتهي.

قبل نصف ساعة فقط، وبغصة في صدره، ألقى بمسدسه في مياه الخليج؛ فقد أدرك أنه لا يمكنه المخاطرة بضبطه حاملاً سلاحاً، رغم يقينه بأنه في خطر داهم هنا في وسط المدينة. وما إن ترجل من سيارة الأجرة حتى هبطت مروحية حكومية من طراز "لينكس" فوق التلة القريبة من البلدة القديمة، ولا شك أنها كانت تنقل محققين أو مسؤولين حكوميين يرغبون في معاينة الموقع بأنفسهم. وحتى الآن، بعد مرور نحو ثلاث عشرة ساعة على الاشتباك، لم تزل ساحة الجريمة مطوقة، رغم أن الجثث قد وُضعت -على الأرجح- في أكياس ونُقلت إلى المشرحة. لم يكن لدى كورت أدنى فكرة عن عدد القتلى، لكنه خمن أنهم لا يقلون عن أربعة أو خمسة.

تفرّس في ساعته، والشرر يتطاير من عينيه قلقاً من أن يكون قد تأخر عن توقيته المرسوم. لكن مخاوفه تبددت حين اندفعت أولى حشود المسافرين من الباب الأمامي للمحطة، بعدما نزلوا لتوهم من العبّارة القادمة من ستوكهولم.

وسرعان ما تحولت الحشود إلى سيل متدفق من مئات البشر؛ هذا يجر حقائبه، وذاك يسير منفرداً أو يجر خلفه عائلة، والكل يهرع نحو سيارات الأجرة والحافلات، أو يشق طريقه سيراً وسط الثلوج الكثيفة التي غطت الأرض نحو ظلام المساء.

انتظر كورت الرجل المناسب تماماً.

هناك؛ شاب تبدو عليه الملامح الإستونية يدفع عربة عبر باب المحطة. كانت العربة فارغة، والشاب يحمل حقيبة ظهر ضخمة.

كان من المعتاد أن يقوم التجار الإستونيون الطموحون بشراء بضائع من بلادهم –أحياناً سلعاً معفاة من الرسوم الجمركية من داخل محطة العبّارات نفسها– ثم ينقلونها إلى ستوكهولم لبيعها بأسعار أعلى. بدا هذا الرجل واحداً من هؤلاء التجار، وقرر كورت أنه الرجل المنشود.

تبعه في الشارع، ريثما يبتعد قليلاً عن الزحام المتدافع الخارج من المحطة.

وعند ساحة انتظار السيارات في محطة وقود "ستات أويل"، لحق به كورت وسار بجانبه، وسأله بالروسية:

– "عفواً، هل تتحدث الروسية؟"

توقف الرجل وأومأ برأسه، بينما كانت عيناه تجولان في المكان بحذر؛ كان متأهباً لكنه غير خائف. فمثل هؤلاء التجار –كما يعلم كورت– يتعاملون غالباً في سلع محظورة، لذا فهم يطمحون دوماً لربح من غريب، وفي الوقت نفسه يحذرون الشرطة أو الأوباش الذين قد يسرقون مالهم أو يطردونهم من منطقتهم.

اصطنع كورت نبرة هادئة ووضعية غير هجومية ليبث الطمأنينة في نفس الرجل، مدركاً أن الوقت يداهمه، ولا يرغب في البقاء في هذه الساحة دقيقة واحدة إضافية.

قال كورت:

– "أنا صديق، أحتاج إلى خدمة، ومستعد للدفع مقابلها."

– "ماذا تحتاج؟"

– "أحتاج إلى تذكرة لرحلة الليلة المتجهة إلى ستوكهولم."

تفرّس الرجل فيه طويلاً، ثم استأنف سيره؛ فالمحادثة حتى الآن لم تُظهر له أي بوادر ربح.

– "إذن اذهب واشترِ واحدة."

سار كورت معه، وهو يزيح الثلوج الكثيفة بحذائه وهو يكدح في مشيه.

– "هذه هي المشكلة بالطبع؛ لقد فقدت جواز سفري."

توقف الرجل مجدداً:

– "إذن لن تذهب إلى ستوكهولم. أنت بحاجة لجواز سفر لتشتري التذكرة."

– "أجل، لكنني لن أحتاج لجوازي إذا اشتريتَ لي أنت التذكرة. سأدفع لك مائتي يورو."

نظر الإستوني يمنة ويسرة، ثم عاد بنظره إلى كورت:

– "مائتا يورو.. فقط لأعود إلى المحطة وأشتري لك تذكرة؟"

– "أجل."

– "وكيف ستفيدك تذكرة باسمي؟"

– "إنهم لا يفحصون جوازات السفر عند بوابات العبور، بل عند الشراء فقط."

فكر الإستوني في الأمر وأومأ برأسه مقتنعاً:

– "ولا توجد إجراءات تفتيش في ستوكهولم أيضاً."

ابتسم جينتري:

– "أرأيت؟"

كان من الواضح لـ كورت أن الرجل قد استوعب الفكرة، بل بدأ يخطط لكيفية استغلالها لجني المال من آخرين في المستقبل.

لكنه تردد قليلاً:

– "ماذا لو قُبض عليك؟ ماذا لو فعلت شيئاً قد.."

– "سأمزق تذكرتك بمجرد صعودي على متن السفينة. لن أذهب حتى إلى المقصورة التي ستحجزها. بمجرد صعودي، سأختفي تماماً حتى نصل إلى ستوكهولم. إذا حدث لي أي مكروه، فلن تكون لك صلة بي."

تدبر الرجل الأمر، وأدرك كورت أن الرجل سينتهز الفرصة لرفع السعر.

– "أريد أربعمائة."

– "ثلاثمائة."

أخرج جينتري مبلغ التذكرة بالضبط دون أن يُظهر للرجل ما معه من مال إضافي.

– "هذا ثمن التذكرة، وسأدفع لك عمولتك حين تعود. علينا التحرك الآن بسرعة، فالعبّارة ستغادر خلال ثلاثين دقيقة. إذا لم ألحق بها، فلن تحصل على فلس واحد."

وافق الرجل؛ وتبعه كورت عائداً نحو المحطة، بل عرض عليه دفع العربة بدلاً منه، ووقف في الردهة خلفه بينما يشتري الرجل التذكرة.

كان المبنى يعج برجال الشرطة الذين كانوا في حالة استنفار واضحة، لكنهم –على ما يبدو– لم يكونوا متأكدين من مواصفات من يبحثون عنه. لا شك أن موظفة الاستقبال في الفندق قد أعطتهم وصفاً لـ جينتري، لكن كورت هو الرجل الرمادي؛ ومثل هذه الموظفة ستنسى من ملامحه أكثر مما تتذكر. كما أدرك كورت أن الشرطة ستبحث أيضاً عن "ديد آي"، وهو ما قد يمثل مشكلة، فكلاهما أمريكي ومتقاربان في المظهر، ولا يعرف كورت مدى براعة الرجل الآخر في التخفي. لكنه قرر في نفسه أن "ديد آي" ما كان ليبقى حياً كعميل ميداني مستقل لولا قدرته على المرور في الأرض دون ترك أثر في الذاكرة.

كانت عيون رجال الشرطة مفتوحة على اتساعها، وأبصر كورت بوضوح أكثر من مائة رجل بشعر بني في الثلاثينيات من عمرهم يتجولون في المحطة المزدحمة، وكل واحد منهم ينطبق عليه تماماً الوصف الذي قد يقدمه الفندق.

وبمجرد خروجهما، استلم كورت تذكرة المتوجه إلى ستوكهولم باسم "أردو توبول" مقابل ثلاث ورقات نقود من فئة المائة يورو.

تمت الصفقة في جو من الود المصطنع، لكن حين تصافح الرجلان في النهاية، تبدلت ملامح جينتري وصارت أكثر قتامة:

– "أطلب منك أمراً أخيراً."

– "ما هو؟"

– "كتمان الأمر. لدي أصدقاء هنا في تالين سيعرفون إن كنت قد وصلت بسلام إلى ستوكهولم يا أردو."

– "وماذا في ذلك؟"

– "لا شيء. أنا لن أقلق بشأن إخبارك لأحد عن صفقتنا، وأنت لن تقلق بشأن أصدقائي."

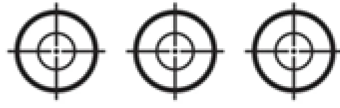
لقد قابل كورت مئات الرجال من أمثال أردو في مسيرته، وهو يعلم أن هؤلاء ليسوا من النوع الذي يهرع للسلطات للوشاية بالآخرين؛ فلديهم من المشاكل مع الشرطة ما يكفيهم. لكنه أدرك أيضاً أن "أردو توبول" قد يعرف بمجرد عودته للمدينة أن مجموعات من الأجانب قد اشتبكوا بالرصاص في الصباح الباكر. ولو لم يترك كورت خلفه القليل من "التحفيز" للرجل كي يلزم الصمت، فقد تغلبه الرغبة في ذكر صفقته مع ذاك الغريب المتحدث بالروسية الذي غادر على متن العبّارة.

كانت مخاطرة محسوبة، لكن كورت رآها الخيار الأمثل للابتعاد بسرعة وكفاءة.

وبعد دقائق، وقف كورت في الطابور بالطابق الثاني من محطة العبّارات، ومرر تذكرته عبر بوابة دوارة آلية، وصعد على متن السفينة في رحلة تستغرق اثنتي عشرة ساعة نحو ستوكهولم.

لم يطلب أحد جواز سفره، ولم يسأل أحد عن تذكرته، ولم يكلمه أحد على الإطلاق.

اشترى قهوة وماء وبعض النقانق المغلفة التي تشبه طعم البلاستيك من آلة بيع بجوار حانة السفينة، ثم خرج إلى السطح. جلس على مقعد، ملتفاً بمعطفه وقبعته ووشاحه وقفازاته، يرمق بسكون ظلام بحر البلطيق الشاسع بينما كانت السفينة تغادر إستونيا متجهة نحو الغرب.



تناول راسل وجبة بسيطة في مطعم عند زاوية النزل في بالديسكي، مبقياً سماعة البلوتوث في أذنه طوال الوقت. كان ينتظر اتصال جينتري على أحر من الجمر، لكن الاتصال لم يأتِ أثناء العشاء، فعاد إلى غرفته، وغير ضمادات جرحه مرة أخرى، وجلس عند المكتب يرمق زجاجة "الفودكا" أمامه بينما تمر الساعات ثقيلة.

نظر ويتلوك إلى ساعته مجدداً؛ كانت منتصف الليل. كان يجدر بـ جينتري أن يتصل الآن، لكنه لم يفعل.

أدرك حينها أن جينتري لن يتصل؛ ليس اليوم على الأقل.

كزَّ "ديد آي" على أسنانه.

شعر بالغضب يغلي في عروقه، لكنه كبح جماح نفسه قبل أن يستسلم للانفجار؛ فهو يعلم أن الرجل الرمادي يفعل الأشياء بطريقته الخاصة ووفق جدوله الزمني.

ابتسم راسل قليلاً لسخرية القدر؛ فقد شعر بنفس الشعور الذي لابد أن ليلاند بابيت يشعر به في كل مرة يفشل فيها راسل نفسه في تقديم تقريره في الموعد المحدد.

هذا هو الجزاء من جنس العمل، يرتد إليّ بسبب سوء سلوكي.

أدرك راسل أنه كان عليه توقع ذلك. وفي مجمل الأمور، لم يكن هذا سوى عقبة بسيطة في الطريق. كان واثقاً أن الرجل الرمادي سيتواصل معه؛ ليس لأنه يرغب حقاً في العمل معه مستقبلاً –فلا أوهام لدى ويتلوك بأن جينتري قد يقبل بتلك الفكرة السخيفة– بل لأن جينتري مستحيل أن يفوت الطُعم الذي وضعه له راسل في الليلة السابقة: العرض بمساعدته في التخلص من ملاحقة شركة تاونسند.

تجرّع راسل جرعة من زجاجة الفودكا، ثم فتح النافذة الصغيرة بجانب المكتب. لفحت الرياح الثلجية الغرفة بينما سكب بقايا الكحول في ساحة انتظار السيارات بالأسفل، ثم ألقى بالزجاجة في شجيرة مغطاة بالثلوج بجوار النافذة.

كان راسل مستشيطاً غضباً، لكنه سينفض ذلك عنه. لقد كان أحمقاً حين وثق بأن جينتري سينقاد بخفة للمرحلة التالية من مخططه كالأرنب الذي يقفز نحو رأس الملفوف؛ لقد رأى ذلك بوضوح الآن. لكنه لن يدع الغضب يسيطر عليه.

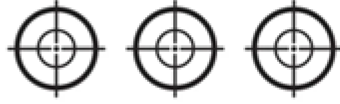
زفر زفيراً طويلاً ومتحكماً.

– "حسناً يا كورت، أيها الوغد. سيتعين علينا فعل ذلك بطريقتك، لكننا سنفعله حتماً."

نهض عن الطاولة وهو يتأوه من وخز الألم النابض في وركه، وأمسك حقيبته وخرج من الباب.

فلا فائدة من الانتظار في هذا المكان القذر؛ سيستقل قطاراً ويتجه جنوباً نحو مدينة فيلنيوس بـ ليتوانيا.

كان لدى راسل رحلة طيران غداً، وقرر أنه من الأفضل أن يبدأ التحرك من الآن.



20

دخلت سيارتا دفع رباعي سوداوان من طراز "لينكولن نافيجيتور" بوابات منزل تاونسند، وشقتا الطريق المتعرج بين أشجار الكرز وصولاً إلى ساحة الانتظار الدائرية. وقف ليلاند بابيت وجيف باركس على الشرفة الأمامية الواسعة، يرتديان بدلتين زرقاوين داكنتين، بينما كانت الرياح الصباحية الباردة تداعب ياقات معاطفهم وشعرهم.

توقفت السيارتان أمام المنزل الرئيسي، وترجل منهما خمسة رجال ببدلات داكنة؛ كانت ستراتهم مفتوحة، وكشفت الرياح عن بنادق رشاشة من طراز "FN P90" معلقة تحت آباطهم، بينما كانت مقابض مسدسات "SIG" على أوراكهم بادية للعيان. اتخذ أربعة منهم مواقعهم في الممر، وفتح الخامس الباب الخلفي للسيارة الثانية.

ترجل رجل آخر؛ كان طويلاً ونحيلاً وأكبر سناً من الآخرين، يرتدي بدلة رمادية، ولا يحمل سلاحاً ظاهراً. لم تظهر على وجهه أي تعابير وهو يرمق الرجلين عند الباب الأمامي، لكنه سار نحوهما محاطاً بحرسه الشخصي.

قال بابيت وهو يمد يده:

– "صباح الخير يا ديني."

صافح ديني كارمايكل، مدير الخدمة الوطنية السرية بوكالة الاستخبارات المركزية، الرجلين دون رد، وخلال لحظات دخل الثلاثة –محاطين بحاشية كارمايكل الأمنية– إلى غرفة الاجتماعات الفخمة في الطابق الأرضي من منزل تاونسند. كانت هناك لوحتان كبيرتان لـ فريدريك ريمينجتون معروضتين بجوار خزانة ضخمة تضم أسلحة من حقبة الحرب الأهلية؛ بنادق من طراز "ويتوورث" و"إنفيلد" معلقة بعناية فوق بنادق "هنري" و"بيرنسايد" و"سبنسر". وكانت جميع الأسلحة النارية محاطة في الخزانة الزجاجية بأسلحة بيضاء من تلك الفترة، كل منها مصقول كالمراة ويبدو حاداً وجاهزاً للقتال اليوم كما كان قبل مائة وخمسين عاماً.

قُدّمت القهوة والمعجنات من قِبل العاملين في مقصف تاونسند، لكن ديني كارمايكل نفسه أشار للعاملين والحرس الشخصي بالخروج.

وبمجرد خروج الجميع عدا المسؤولين التنفيذيين، جلس بابيت وباركس في مواجهة ضيفهما. قال بابيت:

– "سمعت أن ابنتك تنتظر مولوداً.. مبارك لك."

رد كارمايكل على ذلك بجمود:

– "اجتماع هذا الصباح سيكون مقتضباً وسيلتزم بالموضوع الأساسي. بحق السماء، ماذا حدث في إستونيا؟"

أبقى بابيت رأسه مرفوعاً وصوته قوياً وهو يتحدث:

– "لقد واجهنا مقاومة من الهدف. كنا نتوقع منه دفاعاً مستميتاً، فهو في النهاية الرجل الرمادي. ومع ذلك، تم شل حركة فريق الهجوم المباشر التابع لنا؛ لقد فقدنا الكثير من الرجال الأكفاء."

أحنى بابيت رأسه فوق الطاولة اللامعة كأنه يتمتم بصلاة صامتة على رجاله القتلى.

انحنى كارمايكل للأمام، وتحدث بغضب لا يخطئه أحد:

– "لا يمكن أن تكونوا أكثر دراية بقدرات كورتلاند جينتري مما كنتم عليه."

– "بالتأكيد كنا ندركها، ولا نزال. لقد أرسلنا ثمانية من خيرة رجالنا، ولم نفعل ذلك إلا بعد الحصول على معلومات استخباراتية فورية من العميل المنفرد."

– "ومع ذلك، سحق جينتري فريق الهجوم."

أومأ بابيت برأسه:

– "سبعة قتلى، وجريح واحد رهن الاعتقال."

تأوه كارمايكل:

– "يا للهول! لم نكن بحاجة لهذا أبداً!"

وافقه بابيت:

– "أعلم ذلك."

– "وهل نجا عميلكم المنفرد؟"

– "المعلومات التي وصلتني عما حدث جاءت مباشرة من 'ديد آي'، الذي صدرت له الأوامر بالبقاء بعيداً قبل الغارة. وقد أفاد بأنه سمع الهدف وهو يطلق النار أولاً. لا نعرف إن كان الحظ قد حالف جينتري فقط، أو أنه صدف أن رأى فريق الهجوم أثناء اقترابهم، أو إن كان لديه نوع من التحذير أو الإجراءات المضادة التي فات على رجالنا اكتشافها."

– "وأين هو 'ديد آي' الآن؟"

– "لقد أُصيب، لكنه لا يزال قادراً على العمل."

– "إذا كان قد بقي بعيداً قبل العملية، فكيف أُصيب؟"

– "لقد تدخل في الاشتباك بمبادرة شخصية منه. لم يتمكن من الاستجابة في الوقت المناسب لإنقاذ عناصر الهجوم المباشر، لكنه تلقى رصاصة من سلاح جينتري أثناء ذلك."

تنهد ديني وهو ينقر بأصابعه على الطاولة:

– "وماذا عن الخسائر الجانبية؟ قيل لنا إن شرطيين قُتلا، بالإضافة إلى مدني."

تدخل جيف باركس بسرعة:

– "كل ذلك تم على يد كورت جينتري." صمت قليلاً ثم أضاف: "وهو عميل مدرب في وكالة الاستخبارات المركزية وقد تمرد." كانت هذه بوضوح محاولة لإلقاء جزء من مسؤولية الكارثة على الوكالة نفسها.

اكتفى ديني بمنح باركس نظرة ازدراء قاسية.

تنحنح بابيت:

– "انظر يا ديني، لن أدّعي أن الليلة الماضية لم تشهد أخطاءً. سنقوم بمراجعة تحليلية دقيقة مع العضو الناجي من فريق الهجوم في أقرب وقت ممكن، وسنجري أي تحسينات لازمة في تكتيكاتنا وإجراءاتنا بناءً على البيانات التي سيقدمها. لكنك سلمتنا قضية صعبة للغاية هنا، وسوف نحلها لك. كل ما في الأمر أننا واجهنا عقبة."

حدق كارمايكل في الفراغ للحظة:

– "ما كان لكل هذا أن يحدث لو أنكم حذرتم سيدورينكو من هجوم جينتري الوشيك. قيل لي إن سيد كان لديه خمسون رجلاً في منزله الريفي. ومع المعلومات التي كانت لديكم بأن جينتري قد دخل

منطقة العمليات، كان بإمكانكم ببساطة رفع سماعة الهاتف والسماح لـ سيدورينكو بإعداد دفاع يقع فيه جينتري مباشرة."

هز بابيت رأسه معترضاً:

– "لم نكن نرى احتمالاً كبيراً بأن تنجح إجراءات سيدورينكو الأمنية في تصفية الهدف. أضف إلى ذلك، كان هناك احتمال أن يقوم سيد أو رجاله بتنبيه جينتري دون قصد، وعندها سيعرف أنه تحت المراقبة الجوية. ولم نكن لنسمح بحدوث ذلك إذا أردنا تعقبه مستقبلاً."

ضاقت عينا ديني الفولاذيتان:

– "هذا أكبر هراء سمعته في حياتي يا ليلاند. لقد كنتم تخشون ألا تحصلوا على أتعابكم إذا مات جينتري على يد عصابة سان بطرسبرج."

قلب بابيت يديه وبسطهما على الطاولة في حركة تدل على البراءة:

– "كان من الجيد لو حصلنا منك على ضمانات كافية بأن شروط مكافأة العقد ستُنفذ دون الحاجة لوجود مادي لرجالنا عند لحظة التصفية."

قال كارمايكل بغضب:

– "يمكنني إنهاء عقدكم الآن."

لم يرمش لـ بابيت جفن:

– "يمكنك ذلك، لكنك لن تفعل. لقد وضعنا السلاح في وجه الرجل الرمادي؛ ويقول 'ديد آي' إنه ربما أصابه. وهذا شيء فشلت وكالة الاستخبارات المركزية في فعله لخمس سنوات."

رد كارمايكل:

– "لقد كانت أعيننا عليه."

– "لقد كان لديكم في روسيا وتركتموه يرحل. وكان لديكم في السودان وأفلت. وكان لديكم في المكسيك وهرب مجدداً."

– "تماماً كما أفلت من شبكتكم يا لي."

– "سنمسك به مجدداً. قريباً. إذا كان لديك متسع من الوقت، نود أن نأخذك إلى غرفة الإشارة لنريك بعض التقنيات الجديدة التي نستخدمها في المطاردة."

هز كارمايكل رأسه:

– "كل دقيقة تقضيها في إخباري كيف ستصطادون وتقتلون كورت جينتري، هي دقيقة أخرى تمر دون أن تصطادوا وتقتلوا كورت جينتري."

نهض كبير جواسيس الوكالة من مقعده، معلناً نهاية الاجتماع. وقال:

– "لم يعد الأمر ممتعاً بعد الآن. اعثروا عليه.. واقتلوه." صمت قليلاً وأضاف: "سأوافق على تحديث عقدكم ليُنص صراحة على مكافأة شركة تاونسند عند تصفية جينتري."

– "بغض النظر عن الظروف؟"

– "ما لم تكن هناك خسائر جانبية غير مبررة.. نعم."

سأل باركس وهو يرفع حاجبه:

– "وكيف نعرّف 'غير المبررة'؟"

نظر إليه كارمايكل بعينين باردتين من وجهه اللفحته الشمس والمليء بالتجاعيد العميقة:

– "لن أفعل."

ساد الصمت الغرفة لعدة ثوانٍ. وأخيراً، دار بابيت حول الطاولة:

– "ممتاز يا ديني." تصافح الرجلان، وكان بابيت هو الوحيد الذي تبدو عليه علامات الرضا. "هذا سيسهل المطاردة."

بدأ كارمايكل السير نحو باب غرفة الاجتماعات، وسار بابيت بجانبه، بينما تبعهما باركس.

– "لي.. لقد قدمتم لنا عملاً جيداً في الماضي. نحن نثمن علاقتنا مع تاونسند. فهي تجعل شهادتي أمام جلسات الاستماع في الكونجرس بسيطة[11]، ورجالك دائماً ما ينالون من هدفهم."

وضع لي يده على ظهر ديني وهما يسيران في الرواق نحو البهو:

– "نحن وطنيون هنا في تاونسند، ونفخر بخدمتكم. أنت تعلم ذلك."

لم يرد ديني على هذا الكلام، بل قال:

– "كورت جينتري كائن من نوع مختلف. وجوده ذاته يخلق شرخاً خطيراً في مجتمع الاستخبارات الأمريكي. وعندما يختفي، ستستفيد أمريكا كثيراً."

سأل بابيت:

– "وكيف ذلك؟ لقد قرأت كل كلمة في ملفه غير المحجوب، مرات عديدة، والأمر يتركني مع أسئلة أكثر من الأجوبة. أفهم أنه قتل عناصر أخرى في وحدة مهامه.. ولكن.."

– "لقد تمت الموافقة على تصفيته من قِبل مدير الاستخبارات الوطنية. إذا كان هذا غير كافٍ بالنسبة لك، فأنت في العمل الخاطئ."

أصر بابيت:

– "هناك شيء أكثر.. شيء ليس في الملف، أليس كذلك؟"

---

[11] المقصود هنا أن المتعاقدين بالوكالة مع الـCIA ينفذون العمليات القذرة لضمان إنكار تورط الحكومة أو التقليل من المسؤولية أمام الرقابة السياسية.

– "الأمر سري للغاية يا لي."

– "إنه أنا يا ديني."

توقف كارمايكل عن المشي. كانا الآن في وسط البهو. شكل الفريق الأمني لـ كارمايكل مربعاً حوله، استعداداً لمرافقته للخارج والعودة لسيارته، لكن بابيت ظل داخل نطاق الحماية.

بدا أن كارمايكل يصارع كلماته التالية، وأخيراً قال:

– "لقد تضرر الأمن القومي الأمريكي تجاه حليف حيوي بشكل خطير بسبب عجزنا عن إخراج كورت جينتري من الملعب. أنت ومنظمتك أملنا الأخير والأفضل للحفاظ على العلاقات الطيبة المستقبلية مع شريك مهم على الساحة العالمية."

ربت على كتف بابيت:

– "لا تخذلني يا لي. توقع المزيد من الرقابة في هذا الشأن. لن أسمح بوقوع مجزرة أخرى مثل التي حدثت الليلة الماضية في تالين."

أومأ ديني لـ باركس برأس حازمة، ثم التفت وغادر مع فريقه الأمني.

وقف بابيت هناك على الأرضية الرخامية للرواق، يتدبر ما قاله له كارمايكل لتوّه. دولة أخرى تريد موت الرجل الرمادي، لذا تبذل وكالة الاستخبارات المركزية كل ما في وسعها لتحقيق ذلك.

ماذا في الأمر بحق السماء؟

تقدم باركس نحو رئيسه:

– "سار الأمر بسلاسة مذهلة." قالها بتهكم واضح.

كان بابيت لا يزال يزن تفسير ديني الناقص للأسباب الكامنة وراء عقد جينتري. نفض الحيرة عن رأسه ووجه حديثه لـ باركس:

– "رقابة إضافية؟ هراء. لن ينقلنا إلى لانغلي، ولن يرسل موظفي لانغلي إلينا. السبب في حصولنا على هذه الوظيفة هو ألا تقع المسؤولية على الوكالة. كارمايكل يرى في تاونسند جيشه الخاص؛ لن يفسد ذلك بإرسال عيون وآذان رسمية. إنه يخادع.. سنكون بخير." رفع إصبعه وأضاف: "تصحيح.. إذا وجدنا جينتري في الأيام القليلة القادمة، سنكون بخير."

أدرك جيف باركس أن هذه هي إشارته لإطلاع لي على وضع المطاردة.

– "لقد جعلت خيرة المخترقين لدينا يسحبون الخلاصات من كل شبكة أمنية بلدية وخاصة في المنطقة. وأحدث برمجيات التعرف على الوجوه تعالج كل ذلك."

– "ما مدى اتساع الشبكة؟"

– "كل منطقة البلطيق بالطبع، وجزء من بولندا. يمكننا التوسع لتشمل ألمانيا وأوكرانيا إذا احتجنا، لكن التكاليف ستقفز بشكل جنوني. أيضاً، هناك عبّارة يومية من تالين إلى السويد تتوقف أيضاً في النرويج، لذا أضفت أوسلو وستوكهولم إلى حصيلة البيانات."

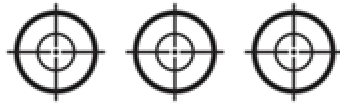
– "هل يمكن للبرنامج مواكبة كل تلك البيانات؟"

– "إنه الأفضل على الإطلاق. أفضل حتى من أحدث ما يستخدمونه في 'الحصن'."

علم بابيت أن "الحصن" هو "فورت ميد"، مقر وكالة الأمن القومي.

– "جيد. هل لديك الموظفون الذين تحتاجهم؟"

– "الجميع يعمل على هذا الأمر. إنها مسألة وقت قبل أن يظهر وجه جينتري أمام كاميرا ما. وعندما يحدث ذلك، سنكون فوق رأسه خلال ساعات قليلة."



21

عندما كانا لا يزالان في موقف سيارات الأجرة للقادمين بمطار رفيق الحريري الدولي في بيروت، سأل سائق التاكسي راكبه عما إذا كان متأكدًا تمامًا من أن العنوان صحيح. فالراكب، في النهاية، غربي، والعنوان الذي أعطاه يقع في الضاحية الجنوبية لبيروت. كانت الضاحية الجزء الخشن من المدينة، والحي الذي طلبه الرجل ذو الشعر البني والنظارة والسترة الرياضية كان يسكنه في الغالب فقراء الشيعة؛ وكانت الجريمة هناك متفشية، واختطاف الغربيين أمرًا ليس بالمستبعد. تخيل السائق أن هذا الراكب سيدفع له الأجرة ويترجل من التاكسي، ليتم خطفه من الشارع وسحبه إلى قبو ما وتقييده بسلسلة إلى مبرد تدفئة.

ومن هنا جاء توسل السائق بأن يتحقق الرجل من العنوان المقدم مرة أخرى.

لكن لغة الراكب العربية بلهجتها الخليجية كانت سلسة بشكل مدهش، وكان رده واثقًا؛ شرح بابتسامة مريحة أن لديه أصدقاء نافذين في الحكومة هنا في العاصمة، وكذلك أصدقاء في ذلك الحي بالذات، وأنه ليس قلقًا بشأن سلامته على الإطلاق.

فسر سائق التاكسي ذلك بأن هذا الغريب – هذا الغربي – تربطه علاقة وثيقة بـ«حزب الله»، وإذا كان الأمر كذلك، فهذا كفيل بإخراجه من معظم المواقف الخطرة في الشوارع المحيطة بوجهتهم.

ففي النهاية، «حزب الله» هو القانون في تلك الأنحاء.

لم يخبر راسل ويتلوك سائق التاكسي بالحقيقة. لم يكن لديه أي شركاء في الحكومة هنا على الإطلاق. لقد عمل في الشرق الأوسط خلال جزء كبير من مسيرته مع وكالة الاستخبارات المركزية، وكان قد دخل وخرج من بيروت مرات كافية كعميل سري (NOC) وعضو في برنامج الأصول المستقلة التابع للخدمة السرية الوطنية، لكنه لم يكن بالضبط يشرب الشاي ويدخن النرجيلة مع مجلس المدينة في تلك الرحلات. لا، هنا في بيروت اغتال جنرالًا سوريًا وسياسيًا من «حزب الله» ومصرفيًا من «القاعدة»، لكن تلك العمليات لم تأتِ مع وقت فراغ أو قصص تغطية تسمح له بمخالطة النخبة المثقفة أو مشاهير المجتمع المحلي.

لذا، كان عليه أن يشق طريقه اليوم بالكذب والخداع.

وبينما كانا يتجهان جنوبًا، مرّا بمبانٍ مدمرة من حرب لبنان الأخيرة مع إسرائيل[12]، وتجاوزا رجالًا مسلحين بملابس عسكرية يقودون دراجات نارية ويقفون عند زوايا الشوارع يرمقون كل مركبة تمر بنظرات فاحصة. مرّا بملصقات تمجد الانتحاريين، رجالًا وفي كثير من الحالات نساءً، ممن "استشهدوا" عبر الحدود في إسرائيل. بدا لراسل أنه في كل حي توجد صورة أخرى لشاب ملتحٍ أو امرأة مغطاة الرأس والذراعين، دائمًا أمام علم ودائمًا يحملون رشاش كلاشينكوف. كل هؤلاء الشباب والنساء كانوا في عداد الموتى الآن، وتمتم راسل: "في ستين داهية" تحت أنفاسه وهو ينظر من النافذة، حريصًا على

[12] يقصد بها حرب لبنان 2006، المعروفة أيضًا باسم "حرب تموز" أو "الحرب الإسرائيلية-اللبنانية الثانية. وهو نزاع عسكري دامٍ استمر 33 يومًا بين إسرائيل وحزب الله.

إبقاء رأسه منخفضًا وعينيه غير مثبتتين على أي شيء قد يبدو كشأن عسكري رسمي، خشية أن يتسبب في توقيف سيارته وتدقيق أوراقه.

أخيرًا وصل التاكسي إلى العنوان. دفع راسل للسائق وترجل، آخذًا حقيبته الجلدية الصغيرة معه. وقف في الشارع بينما انطلق التاكسي، ثم نظر إلى المبنى أمامه.

كان مبنى سكنيًا متوسط الارتفاع، ربما بارتفاع اثني عشر طابقًا، مع هوائيات وأطباق أقمار صناعية مثبتة على كل سطح أفقي أو رأسي. عند مستوى الشارع، كان صبية كبار وشبان يجلسون يدخنون ويقفون أمام سوق يفيض من زقاق على الرصيف، ولم يكد راسل يرتب ياقته ويسوي بنطاله بعد رحلة التاكسي حتى بدأت مجموعة من الفتوات ذوي النظرات الشريرة بالتوجه نحوه. تجاهلهم، متظاهرًا بعدم الوعي بالخطر، وتمشى نحو البوابة الشبكية المنزلقة أمام المبنى.

كان حارس أمن يقف داخل البوابة المقفلة، يحدق فيه بجمود. أخبره راسل أن لديه اجتماعًا مع رجلين في الداخل. سأل الحارس عن أي رجلين يتحدث، وكان هذا أول مؤشر لراسل ويتلوك على أنه سيتعين عليه تجاوز أي أتباع هنا للتحدث إلى شخص ذي سلطة حقيقية.

أجرى الحارس مكالمة لمضيفي راسل، وبعد تفتيش روتيني، سُمح له بالدخول إلى المبنى.

بعد بضع دقائق، طرق راسل باب شقة في الطابق الخامس. وخلفه وقف رجلا أمن كانا قد فتّشاه للتو. بدوا أكفاء بما يكفي في التفتيش، رغم أنهم أرخوا دفاعاتهم أثناء القيام بذلك. فبينما كان رجل يقف خلفه يتحسس ذراعيه، أدرك الأمريكي أنه كان بإمكانه توجيه ضربة بكوعه إلى حنجرة الحارس، ولفّه، والدوس على باطن ساقه لكسرها.

ثم سحب مسدس الرجل من حزامه أثناء سقوطه وإطلاق النار به على شريكه.

لكن لم يحدث أي من هذا؛ كان راسل فقط يجري سيناريوهات حربية في عقله ليظل مستعدًا للأيام التي قد تكون فيها مثل هذه الحركات ضرورية.

انفتح الباب، ووجد راسل نفسه في غرفة بها رجلان أسمرا البشرة، حليقا الذقن، يرتديان قمصانًا بأكمام طويلة. صافحاه وهما يرمقانه بحذر. بدا أحدهما فوق الخمسين، والآخر ربما في الخامسة والثلاثين.

كان هناك ملصق لروح الله الخميني[13] على الجدار؛ وبخلاف ذلك كانت الشقة شبه خالية. كان إبريق شاي يصفر على الموقد في المطبخ على يسار ويتلوك، لكن الرجلين تجاهلا ذلك. طلبا رؤية جواز سفر راسل وتأشيرته. أخرجهما من الجيب الداخلي لسترته الرياضية. تم تداول وثائقه بين الرجلين؛ كانت تشير إلى أن اسمه مايكل هاركين وأنه مواطن كندي، ومستشار استيراد وتصدير من تورنتو.

أعادا له وثائقه، وجلس الثلاثة على أرائك بالية. ابتسم راسل لهما، فبادلاه الابتسامة، لكن لغة جسدهما كانت تنم عن عدم اليقين.

كان الرجلان من وزارة الاستخبارات الإيرانية (VEVAK). لم يعرفا من هو راسل حقًا؛ فقد أُمرا فقط بمقابلة الغربي من قبل رؤساء لا يعرفون هم أنفسهم هوية راسل الحقيقية.

أدرك راسل أن هذا الاجتماع كان ليُعقد في مكان آخر لو كان لدى الرجال الذين جاء لمقابلتهم أدنى فكرة عما كان على وشك عرضه

[13] روح الله الخميني : رجل دين شيعي إيراني وقائد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، أصبح بعدها المرشد الأعلى الأول للجمهورية الإسلامية في إيران حتى وفاته عام ١٩٨٩

عليهم. بدلًا من ذلك، اتصل راسل برجل كان يعلم أنه ضابط استخبارات إيراني في العراق يتخفى بصفة وكيل سفر. أعطى راسل الرجل قصة تغطية مايكل هاركين وأخبره أن لديه معلومات ليقدمها لـإيران بخصوص منشقين إيرانيين في مونتريال يديرون ناديًا للقرصنة الإلكترونية تسبب في مشاكل للحكومة الإيرانية.

كان قراصنة الكمبيوتر موجودين بالفعل؛ علم راسل عنهم من مقال على الإنترنت. وعندما سأل رجل الاستخبارات الإيرانية في العراق كيف عرف هذا الكندي هويته، تملص هاركين، وقال إنه سيوضح كل شيء في اجتماع وجهًا لوجه. عرض القدوم إلى العراق، لكنه تلقى اقتراحًا مضادًا بدلًا من ذلك.

عندما اقتُرح أن الغربي الملحاح الذي يعرف الأشخاص المناسبين سيتعين عليه السفر إلى بيروت لمقابلة الاستخبارات الإيرانية، أدرك راسل أنه كان بإمكانه الرفض. كان بإمكانه طلب ترتيبات أخرى، أكثر أمانًا. ربما كان بإمكانه الذهاب إلى سفارة أو قنصلية طرف ثالث في الدنمارك أو ليتوانيا أو أوكرانيا، وربما مقابلة عملاء هناك كانوا سيمررون رسالته عبر التسلسل القيادي. بالتأكيد، لو كان هدفه البقاء متقمصًا شخصية مايكل هاركين، فمن المستحيل أن يأتي إلى بيروت.

لكن راسل فكر بضع خطوات للأمام على رقعة الشطرنج – فقد تتلمذ على يد أستاذ في النهاية – لذا وافق على الاجتماع. لم يكن مايكل هاركين. ولكي يصدقوا هويته "الحقيقية"، كان عليه إظهار الثقة في قدرته على السفر إلى أي مكان في العالم.

وهكذا كان هنا، جالسًا أمام الاستخبارات الإيرانية في وسط أخطر جزء من بيروت الخاضعة لسيطرة «حزب الله».

وعلى وجهه ابتسامة مسترخية.

عرضوا عليه الشاي فقبل؛ فقد أمضى وقتاً كافيًا كضيف لدى العرب والفرس ليعرف كيف يتصرف.

تحدثوا بالإنجليزية. بدأ حديث قصير أخبرهم فيه عن رحلته وحركة المرور من المطار؛ كانت المحادثة موجهة بالكامل من قبل راسل وليس الرجلين الحذرين اللذين تساءلا من يكون هذا الرجل بحق الجحيم وماذا يريد بحق الجحيم.

أخيرًا قال الرجل الأكبر سناً:

– "أخبرنا زملاؤنا في طهران أن رجلًا يعرف الأشخاص المناسبين ويقول الأشياء المناسبة سيأتي اليوم. لكن حُذرنا من أنك لم تقدم سببًا مقنعًا لاختيارك الطيران حول العالم والمجيء إلى هنا للتحدث إلينا. شيء عن أجهزة الكمبيوتر، كما فهمت؟"

أقر راسل:

– "كنت غامضًا، نعم."

سأل الأصغر بين الرجلين – ولم يقدم أي منهما اسمه:

– "كيف يمكننا خدمة مستشار استيراد وتصدير من كندا؟"

ابتسم راسل:

– "أنا لست مستشار استيراد وتصدير من كندا."

قال الرجل الأصغر رافعًا حاجبًا كثيفاً:

– "أوه؟"

– "يمكنني إعطاؤكم اسمي الحقيقي."

– "ألست مايكل هاركين؟ هل تدرك أنه يمكن معاقبتك لتقديم طلب تأشيرة لبنانية بهوية مزيفة؟"

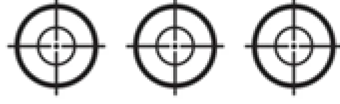
ضحك راسل. جالسًا على الأريكة وساقاه متقاطعتان الآن، كان يجسد الثقة بالنفس.

– "هل تريدون اسمي أم لا؟"

– "إذا رغبت."

تلاشت ابتسامة راسل ومال للأمام قليلًا.

– "اسمي كورتلاند جينتري."



22

بدا الرجل الأكبر سنًا غير مبالٍ، لكن الأصغر لم يستطع إخفاء رد فعله؛ اتسعت عيناه قليلًا، لكنه تدارك نفسه.

– "هل هذا اسم يجب أن يعني لنا شيئًا؟"

– "إذا كانت منظمتكم ذات قيمة، فنعم، يجب أن يعني الكثير جدًا، في الواقع."

كان الرجل الأكبر مرتبكًا بصدق؛ التفت إليه الأصغر وتحدث بصوت منخفض وسريع بالفارسية. لم يكن راسل يتحدث اللغة، لكنها، كالعربية، تنتمي لعائلة اللغات الهندية الأوروبية، وميز وقعها.

طلب الرجل الأكبر توضيحًا من زميله، ثم التفت إلى الأمريكي على الأريكة البالية أمامه. وبلا مبالاة مصطنعة، مد يده للشاي وأخذ رشفة بطيئة.

– "هل نفهم من ذلك أنك «الرجل الرمادي»؟"

– "هذا الاسم أطلقه عليّ الآخرون. ليس له أي صفة رسمية."

بدا الذهول على وجهي الرجلين، لكن الأصغر قال:

– "ما الذي تريده؟"

– "رؤساؤكم في الاستخبارات الإيرانية (VEVAK) كانوا يسعون لعلاقة عمل معي منذ فترة. أردت مناقشة هذا معهم، شخصيًا، لكني لم أرغب ببساطة في الدخول من الباب الأمامي للسفارة. مبانيكم الدبلوماسية في جميع أنحاء العالم تحت مراقبة الاستخبارات الأمريكية، وأفضل تجنب انكشاف علاقتنا. لذا جئت من الباب الخلفي، إن جاز التعبير."

تشاور الرجلان مرة أخرى للحظة بالفارسية؛ اكتفى راسل بمراقبتهما وهما يتحدثان. بدا أنه ليس لديهما أي فكرة عما يجب فعله، لذا قرر مساعدتهما.

– "يا سادة، أقترح أن تتصلوا بأعلى رتبة في جهازكم يمكنكم الوصول إليها عبر الهاتف، وأخبروه أنني هنا ومستعد للعمل. سيرسلون شخصًا، شخصًا سيتحقق من هويتي بأي وسيلة تمتلكها الاستخبارات الإيرانية للقيام بذلك، وسأنتظر بصبر حتى ذلك الحين."

دون كلمة أخرى، وقف الأصغر وتوجه خارج الغرفة، عبر ممر إلى الجزء الخلفي من الشقة، مخرجًا هاتفه المحمول أثناء سيره. جلس الرجل الأكبر في صمت للحظة، ثم رفع إصبعًا لـراسل، ووقف، وذهب إلى الممر. ترك الباب مفتوحًا بينما تشاور مع رجلي الأمن الواقفين هناك، وبعد ثوانٍ دخلا، وستراتهما مفتوحة وعيونهما مثبتة على الرجل الجالس على الأريكة. اتخذا مواقع بالقرب من مدخل المطبخ، على بعد حوالي عشرين قدمًا من مكان جلوس راسل.

ابتسم راسل لهما وأومأ، ثم التفت إلى ضابط الاستخبارات الأكبر سنًا.

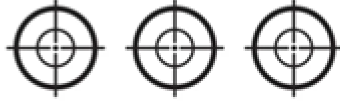
– "أؤكد لك، أنا صديق."

– "نعم. أحتاج منك الانتظار، من فضلك."

– "بالطبع."

– "هل ترغب في المزيد من الشاي؟"

– "بكل سرور."



جلس راسل ويتلوك على الأريكة وحيدًا لأكثر من ساعة. سمع محادثات من الجزء الخلفي للشقة؛ بدا الأمر وكأن كلا رجلي الاستخبارات يجريان اتصالات هاتفية محمومة، لكن لم يطل أحدهما برأسه ليخبره بما يجري. كان رجلا الأمن في غرفة المعيشة محترفين؛ لم ينظرا إليه مباشرة حتى، بل وقفا هناك، باذلين قصارى جهدهما ليظهرا كأشخاص أشداء أكفاء مستعدين لأي شيء.

أمضى راسل الوقت في تخيل طرق لقتلهما.

أخيرًا طُرق الباب. بدا القلق على الحراس، لكنهم لم يتحركوا؛ ظهر ضابط المخابرات الشاب من الخلف وفتح الباب، ثم عانق الزائر، وهو رجل جذاب وأنيق يرتدي بدلة زرقاء مزدوجة الصدر. دخل بابتسامة، ومفاتيح سيارة ونظارة شمسية وهاتف محمول في يده، ووضعها على الطاولة بجانب المطبخ بحركة رشيقة.

أدرك راسل فورًا من خلال الاحترام الذي أُبدي له أن هذا الرجل هو السلطة المحلية. كانت بيروت مركز الثقل للاستخبارات الإيرانية خارج طهران، لذا عرف راسل أن هذا الرجل لابد أن يكون في موقع عالٍ جدًا في السلسلة الغذائية. ربما مساعد رئيس محطة الاستخبارات الإيرانية المحلي، خمن راسل، لكنه لم يسأل.

وقف راسل لمقابلته، وتصافحا.

– "اسمي علي حسين."

كان هذا الاسم بمثابة "جون سميث[14]" في إيران، واستنتج راسل أنه مزيف.

تصافحا.

– "كورت جينتري."

قال علي بابتسامة:

– "هذا ما سنراه."

أمسك يد ويتلوك للحظة طويلة. كان الرجلان قريبين الآن، ووجهاهما لا يفصل بينهما سوى قدم، والآن رصد راسل قسوة وخبثًا خلف القشرة المصقولة من الملابس الأنيقة والأخلاق الدمثة. لم يكن هذا الرجل مساعد رئيس محطة يجلس خلف مكتب لوكالة استخبارات. بل حدد راسل بسرعة كبيرة أن هذا الرجل من «فيلق القدس»، وهي وحدة خاصة من الحرس الثوري الإيراني مكلفة بتصدير القوة الإيرانية حول العالم.

كان علي حسين رجلاً خطيرًا بحق.

جيد. هذا هو الوغد الذي جاء راسل لرؤيته.

جلس علي وراسل متقابلين في غرفة المعيشة، واستخرج الإيراني رزمة أوراق مطوية من جيب سترته الصدري.

– "لدي بعض المعلومات عن «الرجل الرمادي». سأطرح عليك بعض الأسئلة. هل أنت مستعد؟"

– "نعم."

ابتسم علي.

– "آمل ذلك."

[14] جون سميث: اسمٌ إنجليزي شائع للغاية، يُستعمل كثيرًا كاسمٍ مستعار أو افتراضي في الوثائق والقصص للدلالة على شخصٍ مجهول الهوية أو غير محدد.

نظر خلفه إلى المطبخ في اللحظة التي خرج فيها ضابط الاستخبارات الشاب وبيده شاي على صينية.

– "ممنون." (شكرًا)، قالها ثم أعاد انتباهه إلى الأمريكي الجالس أمامه.

سأل:

– "ما هو اسمك الرمزي في وكالة الاستخبارات المركزية؟"

– "فايوليتر."

– "وما هو نداء التعريف (Call sign) الخاص بك؟"

رفع ويتلوك حاجبيه بدهشة.

– "أنا معجب بمعرفتك. وكالتي السابقة لا تمنحك الاحترام الذي تستحقه."

– "هل يمكنك الإجابة على سؤالي؟"

– "نداء تعريفي مع وحدة قسم الأنشطة الخاصة (SAD) كان «سييرا ستة»."

–"SAD؟"

– "قسم الأنشطة الخاصة."

– "كنت كوماندوز."

– "شيء من هذا القبيل."

أومأ علي حسين برأسه بتفكير قبل متابعة الأسئلة.

– "مكان ميلادك؟"

– "جاكسونفيل، فلوريدا."

– "لديك أخت. ما اسمها؟"

– "كان لدي أخ. اسمه تشيس."

لم يبدِ علي حسين رد فعل على هذا. اكتفى بالنظر مجددًا إلى الصفحة أمامه.

كان راسل مرتاحًا مع الأسئلة لأنه قرأ ملف كورت؛ كان يعرفه عن ظهر قلب. وكان هناك سبب آخر لراحته. راسل نفسه سرب جزءًا صغيرًا من ملف جينتري للاستخبارات الإيرانية قبل أشهر، لتتطابق إجاباته مع معرفتهم.

لكن السؤال التالي لم يكن جزءًا من المعلومات التي سربها.

– "أكملت عملية في عام 2004 في سهل البقاع. أخ سوري، عضو في «القاعدة» في العراق، خُطف من منزله بواسطتك وزملائك، وتم ترحيله إلى سجن للـ CIA في المغرب. ماذا يمكنك أن تخبرني عن تلك العملية ليثبت لي أنك كنت هناك؟"

كان راسل قد قرأ عن هذه المهمة في ملف كورت، لكنه لم يعرف من أين حصلت إيران على المعلومة. قال راسل:

– "أعتذر. أنا، كما تعلم، لم أعد عضوًا في وكالة الاستخبارات المركزية، لكني أظل وطنيًا. أحب بلدي، ولست هنا لارتكاب الخيانة بإعطاء معلومات سرية لوكالة استخبارات أجنبية."

قال رجل «فيلق القدس»:

– "لدينا طرق للحصول على تلك المعلومات منك."

– "إذا فعلت أي شيء لتعكير صفو صداقتنا الجديدة، فأنت أحمق يا علي حسين، لأن ما جئت لأعرضه عليك اليوم يساوي مئة ضعف القيمة الاستخباراتية التي قد تجنيها من معرفة تفاصيل عملية عمرها عقد من الزمن."

– "ما الذي تعرضه علينا؟"

استند راسل بظهره على الأريكة وعقد ساقيه.

– "أريد تخليصك من مشكلتك الكبرى."

أمال علي حسين رأسه.

– "ما هي مشكلتنا الكبرى؟"

– "ليس ما. بل من."

– "حسناً... من هي مشكلتنا الكـ..."

توقف الإيراني في منتصف الجملة، لأنه عرف إجابة سؤاله.

– "إيهود كالب."

أومأ راسل.

– "حكومتكم اقترحت هذا عليّ من قبل. مديري السابق، غريغور سيدورينكو، أخبرني أنكم قدمتم هذا العقد لي، ولي وحدي، قبل أكثر من عام. في ذلك الوقت لم أكن قادرًا على قبول عرضكم."

كانت الـ CIA تقرأ بريد «سيد» لفترة طويلة، ومن خلالهم علم راسل أن وسطاء إيرانيين ذهبوا إلى «سيد» لتقديم العرض، غير مدركين أنه بحلول ذلك الوقت كان «سيد» وكورت قد أصبحا أعداء لدودين.

نظر علي إليه، غير واثق، وغير مقتنع، لكنه مهتم.

– "أتقول أنك أعدت النظر؟"

– "محتمل. إذا تم تحسين الشروط."

– "«الرجل الرمادي» يريد اغتيال إيهود كالب لصالح إيران؟"

هز راسل كتفيه الآن.

– "ليس لصالح إيران. آسف، لكن هذا ليس هدفي. سأفعل ذلك مقابل خمسة وعشرين مليون دولار. وقبل أن تقول لي إنكم لا تملكون هذا النوع من المال، أنا أعلم أنكم ووكالات استخبارات دول الخليج الثرية ستجدون الأمر يستحق العناء، وبالتأكيد يستحق... ماذا؟ قيمة

نصف ساعة من إنتاج النفط الخام لتدفع مقابل قطع رأس دولة إسرائيل."

– "إذا عرضنا هذا عليك قبل عام، وأنا لا أقول إننا فعلنا. لكن... كيف تعرف أننا لم نرتب ببساطة لشخص آخر للقيام بذلك؟"

مال ويتلوك للأمام بسرعة، ملوحًا بإصبعه بشكل درامي.

– "لن تجرؤوا؛ لن تمنحوا الفرصة لأي شخص آخر، لأنكم تعلمون أنه سواء نجحوا أو فشلوا، سيتم الكشف، بطريقة أو بأخرى، أن إيران هي من قدمت العقد. لا يمكن لـإيران أن تسمح بحدوث ذلك، لأن إيران تعلم أنها ستتعرض للهجوم، والعقوبات، والحظر، والحصار، وستُعتصر وتُعاقب لمحاولتها قطع رأس الدولة اليهودية."

لم يختلف عميل «فيلق القدس» مع هذا، لكنه بدا أيضًا وكأن المحادثة تتجاوز صلاحياته. توقع راسل ذلك؛ كان يعلم أن خطته يجب أن تُرفع لأعلى السلم عدة مرات في الحكومة الإيرانية قبل العثور على شخص يمكنه تقديم عرض رسمي.

– "الرجاء الانتظار هنا." وقف حسين وتوجه نحو الجزء الخلفي من الشقة.

قال راسل بينما يختفي الرجل:

– "بالطبع."

عاد بعد عشرين دقيقة.

– "زملائي يودون منك القدوم إلى إيران لمقابلتهم."

هز راسل رأسه.

– "هذا غير وارد."

أومأ حسين وكأنه توقع هذه الإجابة.

– "يريدون معرفة لماذا يأتي أعظم قاتل في العالم، وحيدًا، إلى بيروت. لماذا لم تجعل وسيطًا يتواصل معنا؟ سيكون ذلك هو الإجراء القياسي لهذا النوع من الترتيبات."

– "لقد قتلت آخر مدير أعمال لي يوم الأحد." اتسعت عينا حسين بينما يستوعب ذلك. أضاف راسل بهزّة كتف: "قررت أن أقوم بترتيباتي الخاصة من الآن فصاعدًا."

بعد تنحنح عصبي، قال علي:

– "هم غير مقتنعين بأنك من تدعي."

– "لكن؟"

– "لكن هناك طريقة يمكنك إقناعهم بها."

عرف راسل ما هو قادم، وعرف أيضًا أنه سيكون مشكلة.

– "يريدون معرفة ما حدث في كييف."

كان علي حسين معجبًا.

– "بالضبط. إذا كنت «الرجل الرمادي»، فأنت تعلم أن هناك إيرانيين كانوا موجودين أثناء الحدث في كييف قبل ثلاث سنوات."

– "بالطبع أعلم. ولم يكونوا مجرد إيرانيين. كانوا عملاء لـ«فيلق القدس»." ضاقت عينا راسل. "أصدقاء لك، ربما؟"

هز علي حسين رأسه فقط.

– "لا."

– "حسنًا، رغم ذلك، رأيت الإيرانيين."

– "ماذا رأيت أيضًا؟"

– "أنت تطلب مني تقريرًا كاملًا لما بعد المهمة لعمليتي في كييف؟"

– "من شأن ذلك حسم أي شكوك حول هويتكم."

– "أنا لا أفشي الأسرار أبدًا."

بدا حسين محبطًا.

– "إذن يجب أن تمنحنا وقتًا للتحري عنك وعن عرضك. لا يمكنني إخبار شخص غريب أنه يحظى بمباركة إيران لاستهداف رئيس وزراء إسرائيل. يمكنك أن ترى كيف قد يكون ذلك ضارًا للغاية لـإيران في النهاية، إذا ساءت الأمور."

– "لا يمكنني انتظاركم لتقوموا بإجراءات التحقق الخاصة بكم. إذا كنت سأقبل هذا العقد، يجب أن أتحرك فورًا. رئيس الوزراء سيقوم برحلة إلى بروكسل ولندن ونيويورك الأسبوع المقبل، وبعدها ليس لديه أي سفر مقرر لعدة أشهر. الوقت هو الآن."

– "إذن أثبت أنك كنت الرجل في قاعدة فاسيلكيف الجوية مساء الثامن من أبريل، عام ألفين و..."

– "لن أخبرك عن كييف. لكني سأثبت لك أنني من أدعي."

– "كيف؟"

– "عد إلى هاتفك، واطلب من رؤسائك إعطاءك اسمًا. اسم واحد لرجل واحد. أو امرأة، لا يهمني."

– "أي رجل؟ أي امرأة؟"

– "الشخص الذي تود منظمتكم القضاء عليه بشدة في الأيام الخمسة المقبلة. شخص موجود في أوروبا، هذا شرط، لمجرد التسهيل الجغرافي. بخلاف ذلك... لا أهتم. يمكنهم أن يكونوا خلف بوابات محروسة، شخصية عامة مع حراسة. لا يهم. سأغادر بيروت بعد ظهر اليوم، وسأعثر على هذا الشخص، وسأخلص الحكومة الإيرانية من هذه المشكلة فورًا. من يمكنه تقديم هذا الوعد غير «الرجل الرمادي»؟"

لم يخفِ علي حسين دهشته من العرض. مرتين بدأ ليتحدث، ومرتين أوقف نفسه.

أضاف ويتلوك:

– "مجانًا. وبلا أي تبعات عليكم. إذا نجحت، تفوزون. وإذا فشلت، لا تخسرون شيئًا. نحن لا نعمل معًا."

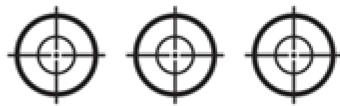
– "أنت تقول أنك ستقتل أي شخص في قارة أوروبا؟ خلال خمسة أيام."

– "نعم."

لم يقل حسين شيئًا لعدة لحظات. بدا لراسل كرجل قوي غير معتاد على مفهوم الركض خارج الغرفة كل بضع دقائق للحصول على موافقة من الجهات العليا. لكن بعد فترة وقف عن الأريكة.

– "سأجري مكالمة. لم تقنعني بأي شيء، لكن ربما ينظر زملائي في طلبك."

ابتسم ويتلوك وقدم انحناءة نصفية مهذبة، متعجرفة، رغم شكه في أن حسين سيلحظ ذلك. غادر الإيراني الغرفة، وعاد راسل بتركيزه إلى الشاي وتخيلاته عن قتل الحراس.



كان الوقت قد تجاوز الظهيرة عندما عاد علي إلى الشقة ومد يده بورقة مطوية. في الفترة الفاصلة، زاد عدد رجال الأمن حول راسل ويتلوك ثلاثة أضعاف. تجاهل راسل نصف الدزينة من الرجال المسلحين تمامًا كما تخيل أن كورت جينتري سيتجاهلهم، ونظر إلى ساعته بتعبير منزعج أو ملول كل بضع دقائق.

أخذ راسل الورقة المطوية، لكنه لم ينظر إليها.

قال علي:

– "يوجد اسم لك. إنه..."

قاطعه ويتلوك:

– "لا يهم من هو. سأهتم بالأمر، سنكون على اتصال، وسأنتظر من منظمتكم الوفاء بجانبها من الصفقة."

– "بإعطائك عقد كالب."

– "صحيح. خمسة وعشرون مليون دولار، تودع في حساب مرقم ببنك في دبي."

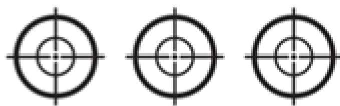
– "يجب أن أخبرك، هذا تفاخر مذهل حقًا الذي قدمته."

– "إنه تفاخر، نعم، لكني لا أراه مذهلاً. إنه، بكل بساطة، ما أفعله."

– "الاسم في تلك الورقة هدف صعب."

– "إذن من الأفضل أن أبدأ العمل."

تصافح الرجلان، وشق راسل طريقه عبر حشد المسلحين في الغرفة نحو الباب.



23

وصل كورت إلى ستوكهولم على متن عبّارة تالينك بعد رحلة استغرقت اثنتي عشرة ساعة في بحر البلطيق، تركه الإرهاق خلالها حطاماً. لم يكن هناك مجهود بدني يبذله على متن السفينة، لكنه أرغم نفسه على البقاء مستيقظاً، والمحافظة على يقظة مستمرة؛ وهي مهمة

مضنية وشاقة لشخص يعاني أصلاً من التعب والتوتر بعد أحداث الأيام الماضية. ومع ذلك، مرت رحلة العبور دون حوادث؛ إذ كانت السلطات الإستونية قد شددت الإجراءات الأمنية في نقطة المغادرة بـ تالين لا على السفينة نفسها. والآن، كان كورت يتطلع للعثور على مكان في هذه المدينة الشاسعة يختفي فيه، مجرد ركن يأوي إليه ليرتاح حتى يحين وقت الرحيل.

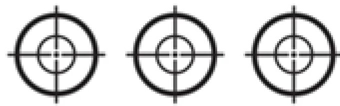
استقل سيارة أجرة إلى وسط المدينة، ورغم أنه اضطر لمقاومة الرغبة العارمة في إلقاء رأسه على مقعد مغطى بالثلوج في إحدى الحدائق، إلا أنه أجبر نفسه على البدء في مناورة كشف مراقبة استمرت حتى وقت مبكر من الظهيرة؛ فجاب حي أوستر مالم سيراً على الأقدام، واستقل سيارات الأجرة والترام والحافلات، وتوقف أحياناً في المقاهي لتناول القهوة والبروتين للبقاء مستيقظاً. تجول في متجر متعدد الأقسام، دخله من باب وخرج من آخر، وأثناء مروره بقسم الأدوات المنزلية، اشترى سكين تقشير عالي الجودة بصلابة أربع بوصات وغمد من الفينيل. كان يفضل لو استطاع التسلح بمسدس غلوك، لكن هذه الأسلحة ليست من السلع المتاحة للجميع هنا في السويد. فبنادق الصيد متوفرة، لكن كورت لن يتمكن من ملء استمارة الفحص الأمني اللازمة لشرائها، لذا سيتعين عليه حماية نفسه بعقله وجسده.. وأداة مطبخ.

وبمجرد أن تأكد أنه ليس تحت المراقبة، انطلق يبحث عن نزل آمن أو أي مكان رخيص للإقامة. لم يجد مكاناً مناسباً إلا مع حلول الظلام في شارع راستات غاتين، شمال وسط المدينة مباشرة. وقف على الرصيف تحت نافذة تحمل لوحة مكتوبة بخط اليد تعرض غرفاً

للإيجار، وتفرَّس في الشارع ذهاباً وإياباً، وقرر أن الوضع الأمني هنا سيلبي احتياجاته.

دخل مطعماً للمشويات في الطابق الأرضي من المبنى للاستفسار، فأرسلوه للخارج مرة أخرى ليصعد درجاً ضيقاً بجوار المطعم. وقف وحيداً في ممر مظلم لفترة، وسرعان ما صعد رجل صربي يتحدث الإنجليزية وعرض عليه الاختيار بين ثلاث غرف. عاينها كورت واستقر على شقة في الزاوية بها نوافذ تطل على الشارع في اتجاهين. كانت الغرفة ضئيلة الحجم؛ والسرير ليس سوى فراش على الأرضية الخشبية الباردة، والمطبخ يتكون من طاولة قابلة للطي وكرسي، وموقد كهربائي صغير، وإبريق شاي. أما المرحاض والحمام فكانا في نهاية الممر ومشتركين مع غرف أخرى في الطابق. كان المكان خرابة، لكنه كان بعيداً عن الأنظار ويتمتع بزاوية رؤية جيدة للشارع. وكورت معتاد تماماً على ظروف المعيشة القاسية؛ فقد نام في أماكن قذرة في أربع قارات، لذا أخبر الرجل الصربي أنه سيستأجر الغرفة.

دفع باليورو، مما أثار حنق الصربي لكنه قبلها على أي حال، وسلمه المفتاح. وأغلق كورت الباب خلف الرجل على الفور واستلقى على الفراش بملابسه الكاملة. كان جسده يؤلمه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، فغطَّ في نوم عميق كالموتى حتى الصباح.



في اليوم التالي، طاف بشوارع المدينة، يستكشف المنطقة ويبتاع المؤن. درس ملابس السكان المحليين وتصرفاتهم، والإكسسوارات التي يحملها الرجال، والطريقة التي يتقي بها الناس البرد، أو الأسلوب الذي تتبعه النساء في تحية بعضهن بقبلة أو مصافحة الرجال. فكلما

وجد كورت نفسه في بيئة جديدة، سعى لمعرفة أهلها بدقة من خلال المراقبة. كان يحتاج للاندجماج بالطبع، ومعرفة كيف يرتدي رجل في مثل عمره ملابسه ويتصرف ويتحدث ستساعده على أداء دوره بشكل صحيح. لكن هذا التمرين كان يهدف لأكثر من ذلك؛ فقد كان على جينتري أن يكون قادراً على تمييز الغرباء الذين لا ينتمون للمكان. فإذا رأى رجلاً يرتدي معطفاً غريب الطراز، أو امرأتين تبدوان إما أكثر تحفظاً أو أكثر مودة من المعتاد عند لقائهما في الشارع، علم جينتري أن هؤلاء يستحقون نظرة ثانية. فهل يمكن أن يكونوا متتبعين أرسلتهم إحدى المنظمات التي لا تحصى والتي تطارده؟

كانت دراسته هذه تعتمد على منهج علمي، لكنه لم يكن علماً معقداً؛ بل صار أمراً تلقائياً بالنسبة لـ كورت، ويكاد يكون من السهل عليه تمييز من لا يتناسبون مع المشهد. فسنوات الغربة الطويلة في بلاد غريبة جعلت منه مراقباً بارعاً للبشر بشكل فريد. وأثناء تجواله في الأحياء، لاحظ أيضاً وجود كاميرات أمنية؛ فوجدها في كل مكان تقريباً؛ في زوايا الشوارع، وفي واجهات المتاجر، وعلى جدران المباني، وفي ساحات انتظار السيارات، وحتى منصات كاميرات الشرطة المتنقلة.

واجه كورت هذه المراقبة بالتحرك في المدينة واضعاً غطاء المعطف فوق رأسه، ولافاً وشاحاً صوفياً حول أنفه وفمه، وعندما كانت الظروف الجوية والإضاءة تسمح، كان يضع نظارات شمسية على عينيه. لم يكن يعرف مدى جودة أو كفاءة برامج التعرف على الوجوه التي تستخدمها السلطات الأمريكية، أو حتى إن كانت ستوكهولم مدينة مغطاة بالمراقبة الإلكترونية من قِبل خصومه، لكنه لم يترك شيئاً للصدفة. ومع انخفاض درجات الحرارة، كان لباسه

الشتوي يبدو طبيعياً تماماً، لذا قرر ألا ينزع الوشاح إلا عندما يكون داخل المباني، وألا يخلع غطاء الرأس إلا عندما يعود لغرفته.

كان الهاجس الأكبر الذي يؤرقه هنا في ستوكهولم هو التعرف على هويته عبر المراقبة الإلكترونية لشركة تاونسند أو وكالة الاستخبارات المركزية أو وكالة الأمن القومي. أما المال، على العكس، فلن يشكل مشكلة لشهور طويلة، إذ إن المبالغ النقدية التي حصل عليها من عصابة براتفا الموسكوفية ستكفيه لفترة طويلة وفق نمط العيش الذي اعتاده. لكن كان عليه استبدال اليورو بالكرونة، ولم يكن يرغب في دخول البنوك أو التعامل مع مكاتب الصرافة الرسمية، لأنه سيضطر لكشف وجهه أمام الكاميرات لفعل ذلك.

حلَّ هذه المشكلة البسيطة في حي هورتورغيت، وهو الحي الصيني الصغير في ستوكهولم. فحدد عدة صرافين في السوق السوداء خلال دقائق واختار أحدهم عشوائياً؛ فقد اعتاد التعامل مع أمثال هؤلاء لسنوات أثناء تحركه بعيداً عن الأنظار. أخرج خمسة آلاف يورو من جيبه، وتقاضى الرجل سعراً باهظاً مقابل الخدمة، وهكذا بلمحة بصر، امتلأت جيوبه بالعملة المحلية.

وبعد عودته لشقته لوضع مشترياته، انطلق مجدداً في البرد، وهذه المرة في مهمة مختلفة. ومرة أخرى، غطى وجهه ورأسه، مدوناً في ذاكرته مكان كل كاميرا يجدها في منطقة عملياته؛ بل كان يعبر الشوارع لتجنبها، رغم علمه أن أي خوارزمية تعرف على الوجوه في العالم لن تستطيع كشف هويته من تلك البوصة الضيقة من عظمة الوجنة التي تظهر بين الوشاح والنظارات.

عثر على متجر صغير للإلكترونيات المستعملة في شارع كلارا فاتوغراند بالقرب من محطة القطار، فدخله ماراً بأجهزة التلفاز

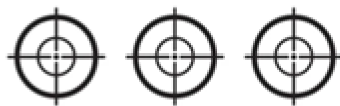
والمعدات الصوتية في مقدمة المتجر قبل أن ينزع غطاء الرأس ويخفض الوشاح، خشية أن تلتقط أي كاميرا بعيدة في الشارع صورة عابرة له. كانت هناك كاميرات أمنية في المتجر الصغير بالطبع، لكن كورت أبقى الوشاح فوق فكه ونظاراته الشمسية على عينيه، وحدد مواقع الكاميرات على الفور وبذل قصارى جهده لتجنبها. لقد جاء ليشتري جهاز حاسوب محمولاً؛ إذ خطط لاستخدامه في البحث عن وسائل اتصال آمنة يمكنه من خلالها التواصل مع راسل ويتلوك. نعم، لقد أعطى راسل لـ كورت رابطاً زعم أنه سيوصله إلى بروتول لفعل ذلك، لكن كورت لن يتبع التعليمات ببساطة. سيبحث في هذه التقنية بنفسه، ويجد وسيلته الخاصة لإنشاء اتصالات آمنة، وعندها فقط سيتواصل مع العميل الآخر السابق في برنامج آي إيه بي.

لقد قرر جينتري التواصل مع راسل، مقنعاً نفسه بأنه سيتأنى ليفعل ذلك بحذر وأمان، ومقنعاً نفسه أيضاً أنه يفعل ذلك من باب الحيطة الأمنية الشخصية فحسب. فإذا كان الرجل يملك معلومات عن تدريبات شركة تاونسند وتكتيكاتها وإجراءاتها، فقد رأى كورت أن من مصلحته البقاء على اتصال به، لاستنزاف أكبر قدر ممكن من المعلومات الاستخباراتية منه. ربما كانت هناك أسباب أخرى تدفع كورت للتواصل مع ويتلوك، لكنه بذل قصارى جهده لإنكارها. فكما قال راسل بنفسه: لم يبقَ سواهما، كلاهما عميل منفرد، وكلاهما وحيد في هذا العالم. لذا فإن قدراً من التواصل، شريطة أن يكون فائق السرية ومبنياً على أعلى مستويات التشفير ودون أدنى درجة من الثقة، قد يكون أمراً جيداً.

كان البائع في متجر الإلكترونيات شاباً من أصول هندية، لكنه يتحدث الإنجليزية بطلاقة كمعظم السويديين. باع لـ كورت جهاز ماك

بوك برو مستعملاً، وحقيبة من الجلد الصناعي، وبطارية خارجية. دفع كورت بالكرونة، ولفَّ نفسه مجدداً كالمومياء، ثم عاد للخارج إلى البرد. ولم يكن يدرك البتة أن صورة جزئية لوجهه قد التُقطت بواسطة كاميرا مدمجة في إطار حاسوب محمول موضوع على منصة عرض في خلفية المتجر. كان البث مرتبطاً بشبكة الموجه اللاسلكي للمتجر، المحمي بتشفير أمني بسيط لا يتعدى المتاح للعامة.

لم يعد كورت لشقته فوراً؛ بل أمضى ساعة في مناورة كشف مراقبة، وأثناء ذلك دخل متجراً صغيراً واشترى هاتفاً محمولاً مسبق الدفع. لقد أعجبه الحال هنا في السويد، وكان من الرائع التحرك متخفياً تماماً. وفكر أنه لو حالفه الحظ، فقد يبقى في ستوكهولم حتى أواخر الربيع، حينها لن ينفع السير في الشوارع بغطاء رأس ووشاح على الوجه. وعندئذ سيرحل إلى مكان آخر، أكثر ذكاءً وحنكة، وبحلول ذلك الوقت قد يكون لديه خطة. وكان واثقاً أن خطته لن تسمح له بالتوقف عن الاختباء، لكنه ظن أنه ربما، وربما فقط، يستطيع قريباً التوقف عن الهرب بهذا الشكل المحموم.



24

افترضت روث إيتنغر، ضابطة الاستهداف الرفيعة في قسم الجمع بجهاز الموساد، وبشكل منطقي، أن اجتماعها هذا الصباح سيعقد في منطقة لانغلي بـ فرجينيا، وتحديداً في مركز "جورج بوش للاستخبارات"، وهو المقر الرئيسي لوكالة الاستخبارات المركزية. غير

أن اتصالاً هاتفياً تلقته قبيل الثامنة من صباح ذلك الخميس، بينما كانت تستقل سيارة الأجرة من أمام فندقها في تايسونز كورنر، وجَّهها بدلاً من ذلك إلى مكتب مدير الاستخبارات الوطنية، الذي يبعد حوالي ثلاثة أميال ونصف عن مقر الوكالة.

أنزلتها سيارة الأجرة عند البوابة الخارجية أمام مجمع ليبرتي كروسينغ، وهو الاسم الذي يطلق على الحرم الاستخباراتي في تايسونز كورنر الذي يضم كلاً من المركز الوطني لمكافحة الإرهاب ومكتب مدير الاستخبارات الوطنية. كانت وجهة روث هي مبنى ليبرتي كروسينغ 2 أو LX2، وهو المبنى الذي يضم مكتب مدير الاستخبارات الوطنية؛ تلك البيروقراطية التي أُنشئت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لتتولى قيادة جميع المنظمات والوكالات الاستخباراتية الأمريكية السبع عشرة.

عند بوابة "تايسونز ماكلين درايف" المؤدية إلى ليبرتي كروسينغ، سلمت هاتفها المحمول وحقيبة يدها لمسؤولي الأمن الفيدراليين؛ ثم خضعت للتفتيش اليدوي ومُنحت بطاقة تعريفية، وسرعان ما استقلت عربة جولف يقودها ضابط أمن مسلح. أنزلتها العربة عند الباب الأمامي للمبنى، حيث كانت في استقبالها امرأة تنتظر في الخارج، ملتفة بمعطفها وتضرب بقدميها الأرض لتدفئتهما. في الداخل، مرت روث عبر جهاز كشف المعادن واصطُحبت إلى غرفة اجتماعات صغيرة في الطابق الثالث. تُركت وحيدة عند طاولة الاجتماعات مع خدمة القهوة وطبق من معجنات الدانيش اللامعة لأكثر من نصف ساعة. تجاهلت المعجنات، وارتشفت القهوة السوداء، ودونت بعض الملاحظات لنفسها، وهي تشعر بالقلق حيال الاجتماع المرتقب.

أخيراً انفتح الباب ووجدت نفسها وجهاً لوجه مع ديني كارمايكل، مدير الخدمة الوطنية السرية بوكالة الاستخبارات المركزية. دخل بخطى واثقة؛ وقبل أن يغلق الباب خلفه، لمحت حاشية تتكون من ستة أشخاص على الأقل بقوا في الممر، وشعرت بالامتنان لأنه اختار الاجتماع بها بمفردها. لقد رتب لهذا اللقاء السريع مدير قسم الجمع في الموساد، مناحيم أورباخ، وهو صديق قديم لـ كارمايكل. فقد خدم الرجلان في خنادق وكالاتهما منذ أن كانت روث في الحضانة، ويجمعهما احترام مهني وشخصي متبادل، رغم المنافسات العارضة بين الدولتين الصديقتين ظاهرياً. كان أورباخ قد اتصل بـ ديني في منزله مساء أمس ورجاه أن يقابل ضابطة استهداف شابة موجودة بالفعل في الولايات المتحدة بخصوص أمر وعده بأنه سيكون ذا أهمية متبادلة لكلا الجهازين. كما اقترح مناحيم أن يظل الاجتماع غير رسمي وبعيداً عن السجلات، إذ ثمة أمور سيناقشونها قد لا يرغب في تدوينها في السجلات العامة.

وافق كارمايكل؛ فصداقته مع أورباخ تمتد لأكثر من ثلاثين عاماً، لكن روث تخيلت أنه لابد وأن يكون مستاءً بعض الشيء من هذا الطلب.

قالت روث وهي تقف وتدور حول طاولة الاجتماعات، مادة يدها:

– "شكراً لك على الموافقة على مقابلتي."

أجابها بفتور:

– "بكل سرور."

لكن ملامح السرور لم تظهر على وجهه، بل مجرد دهشة طفيفة من أن امرأة الموساد التي جاء لمقابلتها كانت في الواقع جذابة للغاية. لاحظت روث نظرته؛ لم تشعر بالإهانة ولا بالإطراء، بل رأت في ذلك

مجرد معلومة تخزنها، لتستخدمها إن أمكن وعند الضرورة. طالت نظرات ديني قليلاً قبل أن يبتسم لها ابتسامة مليئة بالتجاعيد وهو يجلس. كانت خطوط القلق عميقة في وجهه لدرجة خيل لـ روث أن ابتسامته قد تتسبب في تصدع رأسه. قدرته في منتصف الستينات، لكنه كان مفتول العضلات ويتحرك كشاب أصغر سناً، وبدا لها أن هذا هو الانطباع الذي يسرُّه أن ينقله عن نفسه.

قال ديني:

– "أعتذر لأننا اضطررنا لتغيير مكان اللقاء في اللحظة الأخيرة. فقد استُدعيت هنا لمكتب مدير الاستخبارات الوطنية مبكراً لإجراء مشاورة سريعة مع المدير."

أجابته بهدوء:

– "لا توجد مشكلة أبداً يا سيدي."

سأل كارمايكل:

– "كيف حال مناحيم؟"

أجابت روث:

– "إنه مريض ومتعب ومشاكس ولحوح."

ضحك كارمايكل ضحكة خفيفة، مندهشاً من صراحة هذه الشابة، وقال:

– "لم يتغير منذ ثلاثين عاماً.. هذا جيد، على ما أظن."

تابعت روث قائلة:

– "إنه يقرئك السلام."

قال ديني:

– "لقد اتصل بي في منزلي الليلة الماضية، وطلب مني تخصيص وقت لمقابلة واحدة من خيرة عملائه.. إنه يثني عليكِ كثيراً."

لم تبتسم روث لهذه المجاملة، بل قالت:

– "أنا أحلُّ له المشكلات وأجعله يبدو ناجحاً في عمله."

قال ديني بضحكة مفاجئة أخرى:

– "أرى أنكِ لا تفتقرين للثقة.. أعتذر لقول هذا، لكنني جئت من عصر مختلف يا آنسة إيتنغر، لذا عليكِ مسامحتي إن وجدتِ كلامي خارجاً عن المألوف. لكن لابد لي من قول هذا: لقد حظي الموساد دوماً بأجمل الضابطات."

لم تتوانَ إيتنغر في الرد قائلة:

– "ولطالما حظيت وكالة الاستخبارات المركزية بأكثر المسؤولين وقاحة."

ارتفع حاجبا كارمايكل من تعليق الشابة. لقد رأت هذا الموقف من قبل مرات عديدة؛ تلك اللحظة التي يدرك فيها الرجل الواقف أمامها أنها ليست مجرد وجه جميل. تململ قليلاً في كرسيه، وأعجبها ذلك؛ أعجبها جعل الرجال المتملقين يشعرون بعدم الارتياح أمام ذكائها واستعدادها لمواجهتهم. ضحك أخيراً، واجداً صراحتها منعشة، وقال:

– "تصريحكِ صحيح.. وتصريحي أيضاً."

اكتفت روث بابتسامة مهذبة، فسألها كارمايكل:

– "أخبريني عن المشكلة التي أتت بكِ إلى هنا اليوم."

دخلت في صلب الموضوع مباشرة وقالت:

– "لدينا مصدر في بيروت.. ليس مصدراً مشتركاً، بل هو لنا حصرياً."

سأل ديني:

– "وهل هو مصدر موثوق؟"

أجابت روث:

– "لقد كان جديراً بالثقة في الماضي."

قال كارمايكل مازحاً:

– "وتريدين مشاركته معنا؟"

جاملته بابتسامة قبل أن تهز رأسها رفضاً، فواصل حديثه:

– "ما الذي يخبركِ به مصدركِ وترغبين بدوركِ في إخباري به؟"

أوضحت روث قائلة:

– "إنه يخبر ضابط اتصاله في بيروت أن عملاء إيرانيين التقوا بالأمس فقط بأمريكي.. رجل استأجروه لاغتيال رئيس وزرائنا. قاتل مأجور، وبحسب الشائعات، فقد تلقى تدريبه في وكالتكم."

سألها ديني وهو يحدق في عينيها:

– "من هو هذا القاتل؟"

أجابت روث:

– "الرجل الرمادي."

لم يبدِ كارمايكل أي ردة فعل؛ بل جلس صامتاً للحظة قبل أن يقول:

– "هذا اللقب تحديداً يتردد أكثر مما يمكنكِ تخيله يا آنسة إيتنغر."

عقبت روث قائلة:

– "كما قلت، نحن نعتبر مصدرنا موثوقاً. وبحسب ما فهمنا، فإن الإيرانيين يملكون ملفاً عن كورتلاند جينتري، وقد قارنوا معلوماتهم بالمعلومات التي قدمها هو، وتأكدوا أنهم يتعاملون مع الرجل الرمادي الحقيقي."

سأل ديني:

– "وما المعلومات التي قدمها؟"

أوضحت روث:

– "مخبرنا كان على هامش الاجتماع.. إنه ينقل معلومات مستعملة، أعترف بذلك، لكن معلوماته في الماضي ثبتت صحتها لدرجة تجعلنا نأخذ هذا التهديد الجديد على محمل الجد، وسنتصرف بناءً عليه."

قرأت شيئاً في عينيه الآن أدهشها؛ رد فعله لم يكن كما توقعت، بل بدا مسروراً لسماع أن الرجل قد ظهر اسمه في مؤامرة لقتل رئيس دولة صديقة.

قال ديني:

– "حسناً.. إنه موجود في مكان ما، ونحن نعلم ذلك، لذا سأضع في الحسبان احتمال مصداقية رجلكِ في بيروت.. ما الذي يمكنني فعله لكِ؟"

قالت روث بحزم:

– "أريد منك تزويدي بكل ما تملكه عن الرجل الرمادي.. إنه.. أو كان، رجلك. لقد عجزتم، رغم ما أثق بأنها أفضل جهود وكالتكم، عن كبح جماحه لسنوات. نود أن نبحث عنه بأنفسنا.. وأن نتولى أمره بأنفسنا."

رد ديني ببرود:

– "الرجل الرمادي هو مشكلتنا نحن يا آنسة إيتنغر."

هزت رأسها قائلة:

– "مع كامل الاحترام، بمجرد قبوله عقداً لاغتيال رئيس وزرائنا، أصبح مشكلتنا نحن. لقد طاردتُ أشخاصاً عديدين في السنوات القليلة الماضية. وإذا كان مناحيم قد ألمح إلى قدراتي وكفاءتي في حديثكما

ليلة أمس، فهذا هو بالضبط ما كان يتحدث عنه. أنا واثقة، بمساعدتك، أنني سأتمكن من تعقبه وإيقافه قبل أن يتمكن من إلحاق المزيد من الضرر."

سأل كارمايكل بلهجة مبطنة:

– "وعندما تقولين 'إيقافه'.. ماذا تقصدين؟"

مالت روث للأمام فوق الطاولة وقالت:

– "القتل أو الاعتقال."

ابتسم ديني واتكأ للخلف، ثم أزاح كرسيه وعقد ساقيه في حركة استعلائية وقال:

– "آنسة إيتنغر، جهازي لا يفتقر للموارد. لا أدري ماذا تعرفين عن الرجل الرمادي، لكن بالتأكيد منظمتكم مطلعة بما يكفي لتعلم أن هناك مطاردة مستمرة منذ خمس سنوات من قِبلنا، ليس فقط من وكالة الاستخبارات المركزية بل أيضاً من أعضاء قوات العمليات الخاصة المشتركة، لإلقاء القبض عليه."

قالت روث محاولة المقاطعة:

– "لكن رئيس وزرائنا الآن في.."

قاطعها ملوحاً بيده باستخفاف وقال:

– "مصدركِ في لبنان يقول إن رئيس وزرائكِ تحت التهديد.. فهمت ذلك. لكن ما لا أفهمه هو لماذا يرسل مناحيم أورباخ امرأة شابة مثلكِ لتتحدث معي في هذا الأمر. أرى أنكِ مفعمة بالعنفوان والحماس لمهمتكِ، لكن هذا المبنى، والمبنى المجاور، ومقر الوكالة، بل ودزينة من المباني الأخرى في واشنطن، كلها تعج بالشباب الأذكياء الذين يعملون بجد لتحديد موقع هذا الرجل وتصفيته، ومع ذلك فهو يواصل رسم مسار من الموت والدمار حول العالم."

ردت روث بتحدٍ:

– "سأجده يا مدير كارمايكل.. أنا أفعل ذلك دائماً."

قال ديني بصلف:

– "آنسة إيتنغر.. أنتِ تنتمين لوكالة صغيرة في دولة صغيرة.. لقد ملأتِ رأسكِ بأوهام حول أهميتكِ. أنتِ لستِ بنصف التميز الذي تظنينه في نفسكِ."

شرع في الوقوف لينهي الاجتماع، وأضاف:

– "لا أقصد إهانتكِ بالطبع."

وقفت روث هي الأخرى، مائلة فوق الطاولة وقد قبضت كلتا يديها على حافتها وقالت بصوت حاد:

– "من الواضح يا مدير كارمايكل أنك لا تعرف شيئاً عني أو عن قدراتي. لقد قمتُ شخصياً بتنفيذ عمليات اعتقال أو تصفية لثلاثة عشر تهديداً مباشراً للقيادة الوطنية في إسرائيل. صدقني، لو كان لديك مبانٍ مليئة بأشخاص" – رفعت يديها مشيرة بعلامتي التنصيص بإصبعيها – "مثلي تماماً، لكنت قد قتلت جينتري بالفعل، وأنهيت الحرب على الإرهاب، وحررت كلاً من كوبا وكوريا الشمالية.. لكنك لم تفعل، أليس كذلك؟"

هدأت وتيرة صوتها قليلاً، لكن حدته لم تفتُر وتابعت:

– "أنت لا تعرفني، لذا لا يمكنك التأكد إن كنتُ بالكفاءة التي أدعيها، لكنني أظن أنه إن كانت وكالة الاستخبارات المركزية لا تعرف عني أو عن سجلي حتى الآن، فهذا يقول عن رجالك وقدراتهم أكثر مما يقوله عني وعن قدراتي. إذا كان رئيس وزرائنا مهدداً من قِبل مشروع تابع للوكالة خرج عن السيطرة، عميل سري للغاية تمرد ليصفي بعض زعماء المافيا وطغاة العالم الثالث لكنه تخرج الآن ليقوم بقطع رؤوس

ديمقراطيات العالم الأول المتحالفة مع الولايات المتحدة، فإن هذا الصداع المزمن الذي تعانون منه منذ خمس سنوات سيتحول إلى رصاصة في الرأس وسيعود بالضرر على وكالتك بشكل حقيقي وعلني للغاية."

تابعت قائلة:

– "لكن بدءاً من اليوم، سيتحسن وضعكم، لأنني هنا وسأجد ذاك الفاشل الصغير المدعو كورت جينتري، وسأستدعي زمرتي الخاصة من القتلة، رجال وحدة ميتسادا الذين يجعلون قوات عملياتكم الخاصة المشتركة يبدون كفتية كشافة مراهقين، ومعاً سنقتل رجلك لأنك ورجالك عاجزون بوضوح عن تدبر الأمر بأنفسكم."

جلست مرة أخرى ببطء وختمت قولها:

– "لا أقصد إهانتك.. طبعاً."

انفتح الباب خلف كارمايكل قليلاً وأطلت شابة برأسها، مندهشة بوضوح من الضجيج وسألت:

– "سيدي؟"

نهرها قائلاً:

– "اخرجي!"

اختفت المرأة، وجلس ديني صامتاً للحظة، بينما راقبته روث بعناية.

سألها كارمايكل أخيراً:

– "ماذا تريدين أن تعرفي عنه؟"

خففت روث من نبرة صوتها وقالت:

– "كل ما يمكنك تقديمه لنا سيكون موضع تقدير كبير. بالطبع ستكون هناك مصادر وأساليب سترغب في حمايتها، حتى من

أصدقائك، وأنا أتفهم ذلك. لكنني لست مناحيم؛ فأنا لا أهتم بالصورة الكبيرة لعلاقتنا. كل ما يعنيني، وبأي شكل، هو العثور على هذا الرجل وإيقافه بكل وسيلة ممكنة."

تابعت روث بلطف:

– "على سبيل المثال.. قبل أن يصبح كورت جينتري قاتلاً مأجوراً، ماذا كان يعمل لصالحكم؟"

أجاب ديني:

– "كان أخصائي عمليات ديناميكية."

دونت في مفكرتها وقالت بصوت مسموع:

– "إذن كان قاتلاً مأجوراً."

رد ديني بحدة:

– "لم أقل ذلك."

سأل كارمايكل:

– "ماذا يعرف جهازكم عنه بالفعل؟"

أجابت روث:

– "ملف الموساد عن فترة عمل كورت جينتري مع الوكالة هزيل. فنحن لا نعتبر جمع معلومات ضخمة عن العملاء في الوكالات الحليفة أولوية لنا؛ فأعداؤنا يشغلوننا بما يكفي."

تابعت قائلة:

– "ليس لدينا الكثير أيضاً عن أيامه بعد الوكالة، لكن مما نعرفه، يبدو أن اغتيالاته تتبع نوعاً من الميثاق الأخلاقي. لقد قتل من أجل المال مراراً، لكن جميع أهدافه كانوا شخصيات ملطخة أيديها بالكثير من الدماء. وعند استبعاد كل عمليات القتل المنسوبة لـ الرجل الرمادي

والتي لا تعدو كونها شائعات، لم نره يستهدف أحداً من طينة رئيس وزرائنا في الماضي."

لخصت مأزقها قائلة:

– "نحن نفهم لماذا يريد الإيرانيون موت كالب، لكننا لا نفهم لماذا يريد الرجل الرمادي موت كالب."

قال ديني بفتور:

– "إنه ثعبان."

سألت روث مائلة برأسها:

– "كالب أم جينتري؟"

أجاب كارمايكل:

– "جينتري.. لقد بنى كورت جينتري سمعته على أمرين؛ الأول، أنه أفضل عميل للعمليات السوداء في العالم.. وهذه السمعة، على الأرجح، صحيحة؛ فتقارير أدائه في الميدان كانت مذهلة. أما الجزء الثاني من سمعته فهو محض خيال واهٍ؛ وهو أنه نوع من روبن هود يحمل بندقية قنص، أو فارس نبيل يسعى للحق."

سألت روث بنبرة دهشة حقيقية:

– "أليس هذا صحيحاً؟"

رد ديني بحدة:

– "اعذري لغتي.. لكن هذا هراء. فمن منذ أن ترك الوكالة وهو ليس سوى قاتل بدم بارد، لا أكثر."

قالت روث:

– "ربما معلوماتنا مغلوطة. ما نفهمه هو أنه قاتل ذو ضمير. نحن نعلم أنه رفض عقوداً كثيرة، عقوداً مربحة للغاية، بسبب طبيعة تاريخ

الأهداف. يبدو أن هناك ميثاقاً أخلاقياً يحكمه، حتى وإن كان من الصعب علينا استبيانه."

رد كارمايكل بصرامة:

– "لقد قتل جينتري زملاء لي يا آنسة إيتنغر.. رجالاً لديهم عائلات ومستقبل. سأبدأ ـ في أخذ الأمر على محمل شخصي للغاية إذا واصلتِ الحديث عنه وكأنه أحد الأخيار."

أوضحت روث قائلة:

– "بالطبع لا أقول إنه من الأخيار. أنا أحاول فقط أن أفهم كيف يمكن لوازعه الأخلاقي أن يرضى بقتل إيهود كالب. هذه المعلومات مهمة جداً لمطاردته.."

توقفت روث عن الكلام حين لاحظت شيئاً وقالت:

– "لقد كنت تعرفه.. كنت تعرفه شخصياً بالفعل."

لوح بيده ـ في الهواء وقال:

– "ليس جيداً. هناك الكثير من الرجال من أمثاله.. ليس مثله تماماً ـ في.. أنتِ تفهمين ما أقصد. الكثير من عناصر عمليات 'رأس الحربة'. لذا، لا، لم أكن أعرفه جيداً.. لكن نعم، كنت أعرفه."

سألت روث:

– "أهو بارع لهذه الدرجة؟"

ابتسم ديني وقال:

– "اجديه وسترين بنفسكِ."

بادلته الابتسامة وقالت:

– "إذا سمحتَ لي برؤية ملفه، سأفعل ذلك بالتأكيد."

قال ديني بعد لحظة تفكير:

– "هناك رجل أريدكِ مقابلته."

ردت روث بثقة:

– "مدير كارمايكل.. ما لم يكن هذا الرجل هو كورتلاند جينتري، فأنا أتحدث بالفعل إلى الشخص الأهم في هذه المعادلة."

قال ديني:

– "هذا ليس صحيحاً تماماً.. أنا أتحدث عن مدير العملية ضد جينتري."

سألت روث:

– "حسناً جداً.. أهو متاح؟"

أجاب كارمايكل:

– "إذا قلت له إنه متاح، فهو متاح."

سألت روث:

– "أهو هنا في ليبرتي كروسينغ أم في مقر الوكالة بـ لانغلي؟"

أجاب ديني:

– "لا هذا ولا ذاك."

سألت بتعجب:

– "أهو منتدب في محطة خارجية؟"

أوضح ديني:

– "إنه ليس من موظفي الوكالة.. لقد وجدنا من الحكمة الاستعانة بخبرات القطاع الخاص لمساعدتنا في قضية كورت جينتري."

تعجبت روث قائلة:

– "لقد أسندتم مطاردة هدفكم الأول لجهة خارجية؟"

أومأ ديني برأسه وقال:

– "شركة تاونسند للخدمات الحكومية.. لم تسمعي بهم من قبل، وآمل، عندما ينتهي كل هذا، أن تنسي أنكِ سمعتِ بهم. مقرهم هنا في واشنطن، ويمكنني ترتيب لقاء لكِ على الفور مع المدير ليلاند بابيت."

سألت روث بدهشة:

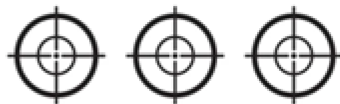
– "شركة خاصة من صائدي البشر؟"

ابتسم الأمريكي وقال:

– "هذه دراما خيالية يا آنسة إيتنغر.. الواقع أكثر رتابة من ذلك بكثير. شركة تاونسند تضم موظفين سابقين في الجيش والاستخبارات، جميعهم خضعوا للفحص والتدقيق، وجميعهم ذوو كفاءة عالية. سيمسكون به قريباً جداً، لكنني سأطلب منهم إطلاعكِ على وضع التحقيق، وسأخبر بابيت أنكِ ستنضمين إلى مطاردته."

أجابت روث:

– "سيكون هذا مثالياً يا مدير كارمايكل.. أود مقابلة السيد بابيت هذا الصباح، إن أمكن."



25

حين وقف أمام عميل «فيلق القدس» الذي سلمه اسم هدف الاغتيال في تلك الغرفة الفندقية بجنوب بيروت، بدا ويتلوك مسترخيًا وغير مبالٍ بهوية هدفه. لكن بمجرد عودته إلى مطار رفيق الحريري، أغلق على نفسه باب مرحاض ومزق الملف المختوم، وهو يعد

الساعات المتبقية ويأمل بحق الجحيم أن تكون لديه معرفة مسبقة بالرجل الذي أُرسل لقتله.

في غضون ثوانٍ، وقعت عيناه على اسم هدفه ومكان إقامته. كان الاسم مألوفًا لديه، لكنه لم يستطع تحديد صاحبه بدقة، ولم يضيع وقتًا في البحث الفوري. بدلًا من ذلك، نظر إلى موقع الهدف، ثم هرع خارجًا من الحمام إلى مكتب الحجز، حيث اشترى تذكرة ذهاب فقط على الدرجة الأولى إلى فرنسا. وفي غضون تسعين دقيقة كان محلقًا في الجو في طريقه إلى مطار شارل ديغول في باريس، وبعد ثلاث ساعات من وصوله استقل رحلة الربط المتجهة إلى مطار نيس كوت دازور. وصل إلى وجهته النهائية قبل العاشرة مساءً، أي بعد أقل من ثماني ساعات من استلامه اسم الرجل الذي أراد الإيرانيون منه قتله.

كان الاسم الذي سلمه «فيلق القدس» يخص مواطنًا فرنسيًا من أصل إيراني يُدعى أمير زاريني. وهو مخرج سينمائي يبلغ من العمر ستة وخمسين عامًا، والذي – إذا صدقنا رواية الإيرانيين – قد جدّف على النبي وأهان الحكومة الإيرانية مرارًا وتكرارًا خلال مسيرته المهنية البارزة.

خلال الرحلتين من بيروت إلى نيس، بحث عن هدفه عبر حاسوبه المحمول. وبينما هو جالس في مقصورة الدرجة الأولى، نقب راسل في تاريخ الرجل، وشركائه المعروفين، وترتيبات معيشته عبر مصادر الويب المفتوحة.

أخرج زاريني عددًا من الأفلام الروائية الناجحة في فرنسا حول محنة النساء والمسيحيين تحت الأنظمة الإسلامية القمعية. ورُشح لجائزتين من «السعفة الذهبية» (Palmes d’Or)، لكن من الواضح أنه لم يرَ الجميع الفن في أعماله. فتقريبًا كل دولة شوهتها أفلامه

وجهت تهديدات ضد زاريني، وكان المخرج يدرك جيداً أنه هدف للإيرانيين وكذلك للمتطرفين المسلمين في جميع أنحاء العالم.

لم يكن راسل يرتاد السينما كثيرًا، فما بالك بالأفلام الأجنبية الكئيبة حول حقوق المرأة في الشرق الأوسط. فكر في مشاهدة أحد الأفلام على حاسوبه لتكوين صورة أفضل عن هدفه، ثم ألغى الفكرة؛ لم يكن لديه وقت ليضيعه، ولم يكن يهتم حقاً بموضوع الفيلم.

عثر على مقال حول زاريني في النسخة الإلكترونية لصحيفة «لوموند»، واستغل ويتلوك إجادته للفرنسية لقراءته. خاض المقال في تفاصيل مفيدة حول الوضع المعيشي للمخرج، وعرض حتى التصميم الداخلي لقصره الساحلي. ورد ذكر في المقال لمحاولتين لاغتيال زاريني، مما أنعش ذاكرة راسل. كان قد رأى أخبارًا عن هجوم على منزل في نيس قبل بضعة أشهر، وافترض أن ذلك كان حيث سمع اسم أمير زاريني لأول مرة.

سجل راسل ملاحظة ذهنية للبحث في محاولتي الاغتيال بشكل أعمق، لمعرفة ما لا ينبغي فعله.

كان ويتلوك يعرف نيس جيداً؛ فقد أمضى سنوات من حياته عبر البحر المتوسط في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، مما جعل المدينة ملاذًا جذابًا بشكل خاص للراحة والاستجمام بالنسبة له. كرجل اعتاد على المخاطر والمؤامرات في العالم العربي، كان يستمتع بالهروب من الغبار والصراع وجدية عمله هناك، مستبدلاً إياها بالكازينوهات والحياة الليلية وشواطئ الريفيرا الفرنسية. أكثر من مرة، ترك راسل خلفه منزلًا آمنًا متقشفًا في الإسكندرية أو بيروت أو دمشق – حيث قضى شهرًا أو أكثر في تتبع عميل لـ«القاعدة» أو مراقبة إرهابي من «الإخوان المسلمين» – وسجل دخوله في غرفة فاخرة بفندق «قصر

البحر المتوسط». كان يرى أنه بما أن أمريكا تدين له بأكثر بكثير مما يمكنها سداده مقابل العمل الذي يقوم به نيابة عنها، فقد يستمتع بوقته على نفقة أمريكا في أوقات فراغه.

كان لدى راسل قائمة طويلة من الأماكن المفضلة هنا، لكنه الآن في المدينة تحت غطاء مزدوج، يلعب دور كورت جينتري المتخفي في هيئة رجل أعمال كندي. كان عليه التخلي عن أماكن إقامته المعتادة ذات الخمس نجوم وإجراء ترتيبات أخرى. استأجر جناحًا في فندق «لو غريمالدي» (Le Grimaldi)، على بعد بضعة أحياء من المياه؛ وطلب خدمة الغرف؛ وابتلع حبة «أديرال» ليبقى مستيقظًا؛ وعكف على بناء ملف هدفه، أمير زاريني.

بمجرد أن استقر راسل في غرفته بالفندق، استغرق نصف ساعة لتنظيف جرحه المؤلم والنازف. وبعد إتمام المهمة، فتح حاسوبه مرة أخرى ودخل إلى شبكة آمنة لـ«تاونسند» للخدمات الحكومية، والتي منحته وصولًا خلفيًا إلى قاعدة بيانات استخباراتية أمريكية سرية. المعلومات المخزنة هنا كانت تعتبر سرية بطبيعتها، ليست الأكثر حساسية في مجتمع الاستخبارات الأمريكي، لكنها بالتأكيد معلومات لن يتمكن من العثور عليها في المصادر المفتوحة. أدخل اسم أمير زاريني، وفي ثوانٍ كان يقرأ سجلات مفصلة للشرطة الوطنية الفرنسية عن محاولتي الاغتيال.

المحاولة الأولى لاغتيال المخرج، قبل أقل من عام بقليل، نفذتها مجموعة من المدنيين الإسلاميين، وكما لم يكن مفاجئًا لراسل، فقد فشلت فشلًا ذريعًا.

كان زاريني في نيس، يتحدث في ندوة سينمائية في متحف الفن الحديث. وكان قد اعتلى المنصة للتو عندما اندفع ثلاثة مواطنين

فرنسيين من أصول مغربية نحو المسرح، يصرخون ويلوحون بالسكاكين. قام زاريني بنفسه بطرح أحد المهاجمين أرضًا، وتعرض لجرح في معصمه أثناء ذلك. ثم تمت السيطرة على الشاب الفرنسي العربي وتجريده من سلاحه من قبل المتفرجين الذين اندفعوا من الصف الأمامي.

أما القاتل المحتمل الثاني فقد اعترضه ضابط أمن موظف من قبل المتحف وأفقده وعيه قبل أن يقترب لمسافة عشرة أقدام من زاريني.

العضو الثالث في مجموعة المهاجمين التعساء، وهي أنثى، كانت تحمل في يديها ليس فقط سكينًا ذا نصل ثابت، بل أيضًا لافتة كبيرة خططت على ما يبدو لبسطها على المسرح بعد الاغتيال. انحرفت خطتها عندما علقت اللافتة بسياج في الحشد أثناء ركضها للأمام، فبسطتها عن طريق الخطأ، ثم تعثرت، وانزلق سكينها عبر الأرضية بعيدًا عن متناولها بينما طرحها ضباط الأمن غير المسلحين ذوو التدريب المنخفض الذين تم توظيفهم للحدث.

ضحك راسل بصوت عالٍ على الهجوم الغبي، لكنه لم يضحك طويلًا. ذكرت وكالة الاستخبارات المركزية أن الأمن الشخصي لزاريني تضاعف نتيجة للحدث، وقلص المخرج ظهوره العام بشدة بعد ذلك.

المحاولة الثانية لاغتيال زاريني كانت احترافية بقدر ما كانت الأولى هاوية. قرأ راسل صفحات من المواد، ودرس المخططات، وتفحص شهادات الشهود، واطلع على تقارير تشريح الجثث لحدث وقع قبل بضعة أشهر فقط.

منفذو محاولة الاغتيال هذه كانوا قوة مكونة من خمسة ذكور في سن التجنيد. من البيانات الموجودة على شبكة «تاونسند»، علم راسل

أن الوكالة تشتبه في أنهم أعضاء في «فيلق القدس»، رغم أنهم كانوا يحملون جوازات سفر سورية ولبنانية.

أعجب راسل بجرأة خطتهم. في وقت متأخر من أمسية دافئة في يوليو، نزل الرجال على الشاطئ خلف عقار زاريني المسور في زورق إنزال مطاطي، وتسلقوا بوابة، وواصلوا صعود الشاطئ الصخري، منتشرين على نطاق واسع. تنبه أحد كلاب الحراسة لدى زاريني لوجودهم وبدأ بالنباح. لوح رجل أمن على شرفة بالطابق الثاني بمصباحه اليدوي فوق الجزء الخلفي من العقار ومات فورًا تحت وابل من الرصاص من ثلاث بنادق AK-74.

اقتحم ضباط «فيلق القدس» الفيلا، وقتلوا أربعة رجال أمن وكلبي الحراسة، وشقوا طريقهم إلى غرفة نوم المخرج، ليجدوا أن هدفهم قد هرب إلى غرفة ذعر (Panic Room) مجاورة قبل لحظات.

قرأها راسل مرة أخرى.

غرفة ذعر.

اللعنة. تبددت آماله في التسلل الليلي في لحظة.

شعر ويتلوك أنه قادر على اقتحام العقار. في الواقع، كان متأكدًا من ذلك. لكن هل يستطيع شق طريقه إلى زاريني، متجاوزًا الحراس والأسلحة والبوابات، ومتجاوزًا الكلاب وأضواء الحركة، دون أن يُكتشف تمامًا؟ افترض راسل أن زاريني لن يحتاج لأكثر من بضع ثوانٍ للدخول إلى غرفة الذعر، وهذا ما عقد أي هجوم على المنزل بشكل هائل.

كما عقّد الهجوم على ضباط «فيلق القدس». عندما أدرك الإيرانيون أنهم فشلوا في هدفهم، انتحر الخمسة جميعًا بينما كانت

وحدة تكتيكية من الشرطة الفرنسية تدخل منزل زاريني. نجا المخرج الإيراني وعائلته من الهجوم دون خدش واحد.

كان الاستنتاج الرئيسي من الهجومين واضحًا. ستكون هذه عملية صعبة. زاريني يظهر قليلًا في الأماكن العامة، ويمتلك كل المزايا داخل منزله.

لذا كان على راسل أن ينال منه أثناء تنقله.

من جناحه في «لو غريمالدي»، استخدم راسل الشبكة للعثور على اسم شركة الأمن الخاصة المتعاقدة لحماية أمير زاريني. ومع بداية يوم العمل في صباح اليوم التالي، اتصل بشركة «سيكوريتي إكسكلوزيف دو باري» (Sécurité Exclusive de Paris) مباشرة وتحدث مع ممثلة للشركة في باريس. بدأ محادثة ودية مع المرأة، مستخدمًا إحدى هوياته في خدمات «تاونسند» ومقحماً أسماء حقيقية لرجال حقيقيين في صناعة الأمن في الولايات المتحدة وفرنسا، وجنود سابقين وجواسيس عرفهم راسل من سنوات عمله كعميل سري. ورغم أن راسل ظل غامضًا بشأن الطبيعة المحددة للعلاقات، إلا أنه قال ما يكفي لإقناع الممثلة بأنه شرعي، وأخبرها أنه يبحث عن عمل. حولته بأدب لإجراء مقابلة هاتفية فورية مع أحد المديرين التنفيذيين في الشركة.

قضى ساعة على الهاتف مع مدير شؤون الموظفين بالشركة في باريس، مستفسرًا في البداية عن التوظيف، لكن في غضون دقائق كان الرجلان غارقين في محادثة حول المعدات والتدريب والتكتيكات المستخدمة في مجال الأمن. جعل راسل مدير شؤون الموظفين يشعر بأنه هو المستفيد من المحادثة؛ كان راسل يعرف الكثير من "خبايا المهنة" حول مجال الأمن عالي المخاطر لدرجة أن المدير وجد نفسه

يطلب معلومات حول المناطق الساخنة التي قد تطلب الشركة العمل فيها في المستقبل القريب.

في النهاية، قرر المدير وراسل بشكل متبادل أن الأمريكي مؤهل أكثر من اللازم للوظائف المتاحة حاليًا، لكن بما أن راسل صادف وجوده في نيس، أعطاه المدير أسماء وأرقام عدد من رجال الشركة العاملين في المنطقة.

بحلول وقت متأخر من بعد الظهر، كان راسل ويتلوك يجلس مع متعاقد من شركة «سيكوريتي إكسكلوزيف» يستمتعان بالبيرة في مطعم «لو بيرات» (Le Pirate)، وهو مطعم وبار في سان جان كاب فيرات، على بعد بضعة كيلومترات فقط أعلى الساحل من قصر زاريني الذي يساوي ملايين الدولارات. لم يكن الرجل ضمن فريق حماية زاريني نفسه، لكنه كان يعمل لعميل ثري آخر في نفس الحي. وسرعان ما تحولت المحادثة بشكل مريح إلى الهجوم على منزل المخرج قبل عدة أشهر. سُر راسل لمعرفة أن رفيقه الجديد في الشراب لديه كل التفاصيل الدقيقة للعملية، حيث مات أحد أصدقائه المقربين في الهجوم.

كان أيضًا صديقًا لعدد من الرجال في فريق الحماية الحالي، وأخبر راسل أنه بينما لم يقم زاريني بالكثير من الظهور العام، إلا أنه كان يقوم برحلة أسبوعية إلى فيلا صديق له تبعد عشرين دقيقة، عبر الحدود مباشرة في موناكو. كشف المتعاقد أن فريق زاريني شعر أن هذه النزهة عادة خطيرة، وحذروا عميلهم من مخاوفهم، لكن الإيراني تجاهلها قائلًا إن هذا الحدث هو المرة الوحيدة كل أسبوع التي يضطرون فيها للعمل فعليًا مقابل أموالهم.

سرد راسل قصته الطويلة المختلقة حول مشاكله في التعامل مع عميل غني وغد في هونغ كونغ وميل الرجل لروتينات تشكل انتهاكات أمنية واضحة.

طلب الفرنسي جولة أخرى من المشروبات وبدأ في سرد قصص حربية عن العميل الأحمق الذي يحميه، لكن سرعان ما عادت المحادثة إلى أمير زاريني وموعد كل سبت ظهرًا، حين يتدفق هو وفريقه إلى سيارتين ويتجهون شمالًا على الساحل في رحلة العشرين دقيقة إلى موناكو.

في غضون دقائق كان لدى ويتلوك كل ما يحتاجه. علم أن هناك أربعة رجال في فريق الأمن المتنقل لزاريني؛ كانوا فرنسيين، متعاقدين خاصين الآن لكنهم أعضاء سابقون في وحدة RAID [15](البحث، المساعدة، التدخل، الردع)، وهي وحدة تكتيكية داخل خدمة الشرطة الوطنية الفرنسية. كانوا مسلحين ببنادق رشاشة HK UMP-9 يحتفظون بها مطوية ومخزنة في المركبات، ومسدسات CZ عيار 0.40 سميث آند ويسون القوي.

بالإضافة إلى ذلك، كان زاريني يتنقل في سيارة مرسيدس SUV غير مصفحة يقودها سائق مسلح، وسيارة مرسيدس SUV ثانية، يقودها أيضًا رجل مسلح، تعمل كسيارة مطاردة، جاهزة لانتشال زاريني إذا تعطلت مركبته الأولى.

بقي الأمريكي في «لو بيرات» مع صديقه الجديد لجولة أخرى من المشروبات، ثم ودعه.

---

[15] *RAID Unit* : اختصار لـ *Recherche, Assistance, Intervention, Dissuasion* – وهي وحدة نخبوية تابعة للشرطة الوطنية الفرنسية متخصصة في مكافحة الإرهاب

وهكذا ببساطة، وفي غضون ثلاثين ساعة من استلام اسم زاريني في بيروت، عرف راسل ويتلوك جدول هدفه؛ وتوزيع وتكتيكات وتدريب فريقه الأمني؛ والقدرات الهيكلية لمركباته.

بعد ذلك قاد راسل السيارة عبر الطريق من عقار زاريني إلى موناكو. قرر أن وضع عبوة ناسفة قوية على طول الطريق وتفجيرها أثناء مرور سيارة زاريني المرسيدس سيكون أسهل وأذكى مسار للعمل، لكنه كان يعلم أيضًا أن هذا ليس أسلوب «الرجل الرمادي». لا، كان كورت سيخاطر بحياته للقضاء على خطر الأضرار الجانبية، وبقدر ما وجد راسل تلك العقلية غبية، كان يعلم أنه يجب أن يجعل هذا يبدو وكأنه عملية لـ«الرجل الرمادي».

عاد راسل إلى جناحه، وابتلع حبة «أديرال»، وشرب القهوة ليبقى مستيقظًا طوال الليل للعمل على خطته.

قرر راسل، بعد النظر إلى الخرائط لساعات، أن أفضل مسار للعمل سيكون التمركز على جانب التل المرتفع فوق الطريق الوحيد الذي سيتعين على زاريني وفريقه المرور منه، ثم إطلاق النار على مركبة هدفه ببندقيه قنص بعيدة المدى. لن تكون هناك أضرار جانبية، ويمكنه بعد ذلك الانسحاب عبر الأشجار والخروج من المنطقة بسرعة ونظافة، غير مرئي لقوات الأمن، وعلى أمل، للشهود أيضًا.

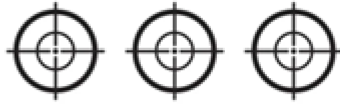
ستكون ضربة تشبه ضربات «الرجل الرمادي» من كل الجوانب.

مطمئنًا لامتلاكه خطة قابلة للتنفيذ، طلب ويتلوك زجاجة شمبانيا «دوم بيرينون» مبردة موديل 94 من خدمة الغرف وشربها مباشرة من الزجاجة عند وصولها. لقد فعل كل ما بوسعه هذا المساء. غدًا سيعمل على الحصول على البندقية التي سيحتاجها لتنفيذ الطلقة. كان

يعرف بمن يتصل، وكان شبه متأكد من أن هذه القطعة التالية من اللغز ستستقر في مكانها بشكل جيد.

لكن بينما كان يتجرع الشمبانيا، عاد القلق ليتصدر ذهنه. القطعة الوحيدة الحاسمة، الأكثر حسمًا من أي شيء آخر، كانت خارجة عن سيطرته تمامًا.

كان بحاجة لأن يتواصل معه ذلك الوغد كورت جينتري.



26

أمضت روث اليوم كله تقريبًا في غرف الاجتماعات. فبعد صباحها في مكتب مدير الاستخبارات الوطنية (ODNI) في ماكلين، نقلتها سيارة تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية إلى حي آدامز مورجان في العاصمة، وصعودًا عبر الممر الطويل إلى مقر «تاونسند» للخدمات الحكومية.

قادها جيف باركس عبر مبنى وجدته سرياليًا بشكل مضحك تقريبًا. بدا أن كل بوصة مربعة من مساحة الجدران مشغولة بتكريم ما للغرب الأمريكي القديم. ومع معرفتها القليلة عن هذه الشركة – بأنهم مجرد فرقة مطاردة مُبجّلة فوضتها الـ CIA لإحضار رجلهم حيًا أو ميتًا – تساءلت في سرها عما إذا كان باركس والرجال الآخرون في المبنى يرتدون قبعات رعاة البقر الضخمة والمهاميز عندما لا يعقدون اجتماعات مع غرباء مثلها.

قادها باركس إلى غرفة وقدم لها ملفًا قابلاً للتمدد مليئًا بالأوراق حول هدفها. بدا غير سعيد بتمرير المعلومات إليها، لكنه كان بوضوح تحت أوامر من الـ CIA للقيام بذلك، ومثل كلب مطيع، كان يفعل ما أُمر به. ومع ذلك، جعلها توافق على قواعد معينة. وعدت بالابتعاد عن هاتفها المحمول وحاسوبها المحمول، ولم يُسمح لها بتدوين أي ملاحظات مكتوبة من المعلومات. وافقت، وتركها باركس لعملها، وانكبت بلهفة على الملف.

رغم طلباتها لرؤية كل ما يمكن للـ CIA تقديمه لها، شعرت بخيبة أمل فورية للعثور على عدد هائل من الخطوط السوداء المشطوبة على الأوراق – بدا الأمر وكأن 75 بالمائة من تاريخ هدفها قد تم حجبه.

بدأ الملف بتجنيد جينتري في الوكالة، وكانت روث مفتونة بمعرفة أنه تم اصطياده من قبل الـ CIA بعد إدانته بجريمة قتل ثلاثية. احتوى الملف على كل تفاصيل الجريمة. كان جينتري يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا في ذلك الوقت، ويعمل كحارس شخصي لمهرب مخدرات من مستوى منخفض يعمل انطلاقًا من مطار أوبا لوكا في جنوب فلوريدا.

من كل الأدلة المتاحة في الملف، كان صاحب عمل جينتري مستهدفًا للاغتيال من قبل مجموعة من الكولومبيين، لكن كورت الشاب هب للنجدة، وقتل القتلة الثلاثة القادمين من قرطاجنة. وصلت الشرطة بعد لحظات؛ أسقط جينتري سلاحه وتم احتجازه.

أدين بالقتل وألقي به في السجن، لكن الـ CIA التقطته فورًا تقريبًا وأخضعته لبرنامج مدته عامان لتطويره كأصل يعمل تحت غطاء غير رسمي (NOC).

كان واضحًا لـروث أن البرنامج كان غير نظامي، على أقل تقدير، لأن الملف هنا أصبح غامضًا بشكل مريب. إشارات إلى البلقان، ومرجع لـسانت بطرسبرغ ولاوس وبوينس آيرس، لكن دون تفسير لما كان الشاب يفعله بالضبط في أي من هذه المواقع النائية.

في عام 2001، مع ذلك، استعادت الأوراق وضوحها عندما أصبح جينتري ضابط عمليات شبه عسكرية لقسم الأنشطة الخاصة في الـ CIA، مكلفًا بالقبض على أو قتل شخصيات «القاعدة» حول العالم. قرأت تفاصيل العمليات التي نفذتها فرقة العمل «غولف سييرا» التابعة للوكالة، عمليات ترحيل وتصفية في جميع أنحاء العالم، ورغم أن العمليات كانت موثقة جيدًا، لم يكن هناك شيء في الملفات لمساعدتها في بناء ملف نفسي عن هدفها.

كان عضوًا في الفريق، نداء تعريفه «سييرا ستة». لا شيء أكثر.

ثم جاءت تفاصيل الأحداث التي أدت إلى ما وصفه الملف بأنه أمر "القتل/القبض" على جينتري.

قرأتها روث مرتين، المرة الأولى بذهول تام، والمرة الثانية بتشكك متزايد.

وفقًا للتقرير، كان جينتري في منزله بشقته في فرجينيا بيتش عندما جاء بقية فريقه الميداني للزيارة. ثم، وبدون إنذار مسبق على ما يبدو، قتل جينتري الفريق بأكمله.

الرجال الأربعة جميعهم.

لم يكن هناك تفسير في الوثائق لسبب قيامه بذلك، بخلاف تقرير من طبيب نفسي بالوكالة يشير إلى أن اضطراب ما بعد الصدمة الناجم عن سنوات في الميدان تسبب في انهياره. وأنه أساء تفسير زملائه وشركائه كتهديد بطريقة ما.

بالنسبة لإيتنغر، بدا التفسير مريحًا ومناسبًا بشكل مريب. ولم يكن هناك سبب على الإطلاق لوجود بقية فريقه في شقته. هل دعاهم لمشاهدة مباراة كرة قدم ربما؟ نظرت إلى تقرير ما بعد الحادث. وقعت المعركة بالأسلحة النارية في ساعات ما قبل الفجر. حفلة ليلية متأخرة تحولت إلى تبادل لإطلاق النار من الطراز الأول؟

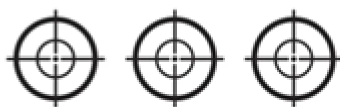
بالتأكيد، قالت لنفسها، هذا يحدث.

وصل مؤشر استشعار الهراء لدى روث إيتنغر إلى المنطقة الحمراء.

أن القتال وقع بالفعل لم يكن موضع شك. كانت هناك صور لعدة جثث. دماء على الجدران. نافذة محطمة. أغلفة طلقات متناثرة عبر الأرضية. لكن روث كانت تجد صعوبة في شراء الرواية الرسمية للأحداث.

الجزء الأخير من الملف القابل للتمدد حول جينتري كان ربما الأكثر اكتمالاً والأكثر إثارة لاهتمامها. فقد فصل مطاردة «تاونسند» للخدمات الحكومية لـ«الرجل الرمادي». هذه المطاردة، إذا صدقت الوثائق، قادتهم من المكسيك إلى أوروبا، وكانت فرق من العملاء منتشرة حتى الآن في شمال أوروبا.

بمجرد انتهائها من تصفح الوثيقة الأخيرة، نظرت إلى ساعتها وأدركت أن ثلاث ساعات قد مرت. بذلت قصارى جهدها لحفظ المعلومات ذات الصلة في ذاكرتها وتشكيل قائمة ذهنية من الأسئلة لتكون جاهزة لاجتماعها المقرر في الرابعة مساءً مع ليلاند بابيت، مدير هذه المؤسسة الغريبة.



دخل بابيت قاعة المؤتمرات في الوقت المحدد تمامًا، وخلفه جيف باركس. كان مدير «تاونسند» رجلاً ضخمًا ذا رقبة غليظة وابتسامة عريضة على وجهه. وبينما كان يصافحها قال:

– "قيل لي أن أستعد."

– "لماذا يا سيدي؟"

– "للحفاظ على سلوكي المهني في حضور امرأة فاتنة مثلك."

اصطنعت روث ابتسامة صغيرة وجاهدت لإبقاء عينيها في مكانهما، وعدم قلبهما إلى مؤخرة رأسها.

جلس بابيت وقال:

– "ديني طلب منا تقديم أي مساعدة ممكنة. أنا سعيد بالحصول على مساعدة من الموساد الأسطوري في هذا المشروع الصعب."

شكت في صدقه لكنها شكرته على كلماته اللطيفة.

أضاف:

– "أنا متأكد أن لديك أسئلة لي بعد الاطلاع على الملف."

– "لدي بالفعل. هذه الملفات محجوبة بشدة."

– "نعم، أعلم"، أومأ بجدية.

– "قيل لي إنه يمكنني رؤية الوثائق الداخلية. جميعها."

– "الحجب موجود في الوثائق الأصلية."

أرادت أن تقول هراء، لكنها قالت بدلًا من ذلك:

– "فهمت. أنت تقول إن جينتري كان يُدار خارج السجلات."

– "في الجزء المبكر من مسيرته كان جزءًا من برنامج لم يكن ملتزمًا بالكامل بالتوثيق الورقي لأغراض أمنية."

أمالت إيتنغر رأسها وأبقته كذلك، حاثة بابيت على تزويدها بمزيد من المعلومات. لكنه لم يبتلع الطعم.

– "إذن لا يوجد شيء آخر عن كورتلاند جينتري يمكنك تقديمه لي؟"

– "كل شيء أمامك مباشرة. كان عميلاً قويًا لعدة سنوات، يعمل بمفرده. بعد 11 سبتمبر، شكلت الـ CIA فرق هجوم في قسم الأنشطة الخاصة. طُرح اسمه كمرشح مناسب، وانضم إلى فرقة عمل."

التقطت روث صفحة من الملف ونظرت إليها. وبينما كانت تمسحها مرة أخرى قالت:

– "حيث كان متورطًا في عمليات القتل المستهدف والترحيل السري الاستثنائي."

– "بالضبط."

رفعت سلسلة أخرى من الوثائق وقلبتها بسرعة، عاثقة أخيرًا على تلك التي كانت تبحث عنها.

– "بالنظر إلى عملياته المستقلة منذ مغادرته الـ CIA، هذا ببساطة لا يبدو منطقيًا." رفعت الصفحات. "أرى دافعًا في هذه الاغتيالات. دافعه كان العدالة. لكني لا أرى الدافع في اغتيال رئيس الوزراء كالب."

قال باركس:

– "وفقًا لما أخبرتِ به ديني، الإيرانيون يعرضون خمسة وعشرين مليون دولار. المال دافع يا آنسة إيتنغر."

هزت رأسها وتحدثت بصوت خافت، لنفسها تقريبًا.

– "ليس حقًا، لا. ليس مع جينتري." غيرت الموضوع بسرعة. "متى وأين كانت آخر مشاهدة لكم لـجينتري؟"

– "تالين، إستونيا. صباح الثلاثاء. حاصره فريق اعتقال هناك، وقضى جينتري عليهم."

– "قتلهم؟"

– "معظمهم، نعم."

– "فريق اعتقال تابع لـ«تاونسند»؟"

– "نعم."

كانت روث قد قرأت برقية عن تبادل لإطلاق النار في إستونيا، لكن الموساد لم يربطه بـ«الرجل الرمادي». سجلت ملاحظة ذهنية للتعمق أكثر في التفاصيل مع تل أبيب.

– "تصريحكم يتضمن الوسائل المميتة."

– "بالطبع. إنه رجل خطير."

– "أفهم ذلك. إسرائيل لديها ملفها الخاص عن «الرجل الرمادي» بالطبع. تمكنا من نسب العديد من عمليات القتل خارج نطاق القضاء رفيعة المستوى حول العالم إليه على مدى السنوات الأربع أو الخمس الماضية، ورغم أنه لا يوجد شيء في ملفكم هنا حول هذا، إلا أن منظمتي تشعر بالثقة أنه نفذ عملية كييف بمفرده قبل بضع سنوات. إذا كان ذلك في الواقع هو «الرجل الرمادي»، فهو خطير تمامًا كما تقول سمعته."

رفع بابيت يده.

– "إنه الأفضل في المجال. لكنه لم ينفذ عملية كييف. من المخيب للآمال بالنسبة لي أن منظمة موهوبة مثل الموساد تساعد في نشر تلك الأسطورة الحضرية."

– "كيف يمكنك أن تكون متأكدًا لهذه الدرجة أنها ليست صحيحة؟"

– "كورت يعمل بمفرده. ما حدث في المطار في كييف لا يمكن أن يكون قد ارتكبه رجل واحد، رغم مهارته."

مالت روث بجسدها نحو الطاولة.

– "أخبرني لماذا."

– "هل تعرفين ما هو حدث «إطلاق النار بالأمر» (Command fire)، آنسة إيتنغر؟"

هزت رأسها ببطء.

– "أعترف أنني لا أعرف."

– "إنه مصطلح تكتيكي، يستخدمه القناصة ـفي الغالب. هو الإطلاق المتزامن لعدة أسلحة ضد عدة أهداف للحصول على ميزة تكتيكية."

– "فهمت."

– "في تلك الليلة ـفي كييف، ضُربت أربعة أهداف ـفي موقعين مختلفين ـفي بداية الاشتباك، جميعها ـفي نفس اللحظة بالضبط. اثنان من الأهداف الأربعة كانا متحركين. اثنان من الأهداف قُتلا بنفس الرصاصة. الرجال الأربعة جميعهم أصيبوا ـفي الرأس. لا توجد طريقة في الجحيم تمكن قناصًا واحدًا من فعل ذلك. كان هناك ثلاثة قناصة، مما يعني ثلاثة مراقبين." رفع ستة أصابع. "ثم، بعد هذا، وقع الاشتباك من مسافة قريبة، لذا كان هناك ربما ستة أو ثمانية رجال آخرين. تقدر «لانغلي» أنه كان هناك ما بين اثني عشر إلى أربعة عشر عميلاً متورطين ـفي كييف... وليس واحدًا."

سجلت روث ملاحظة ذهنية لتمرير هذه المعلومة إلى الموساد ليتمكنوا من تعديل ملف جينتري لديهم وفقًا لذلك، ثم انتقلت.

– "سؤال أخير."

– "تفضلي."

– "هل كورتلاند جينتري شرير، أم هو بطل؟"

ضحك باركس بصوت عالٍ.

قال بابيت:

– "لماذا تسألين ذلك؟"

– "بصراحة تامة، لقد قام ببعض الأعمال الرائعة. كل من استهدفهم كانوا حثالة بشرية، ولنكن صادقين، العالم أفضل بدونهم."

قال بابيت:

– "هذا رأيك."

– "وحتى في ملفكم المحجوب بشدة عنه – وقد يقول المرء «المعدّل» – أرى الكثير من الإشارات الغامضة لعمليات، عمليات كانت الـ CIA راضية بوضوح عن نتيجتها. ثم، في يوم من الأيام، وبشكل مفاجئ، يقيم حفلة بيتزا في شقته ويقتل جميع زملائه في العمل."

رد بابيت فورًا:

– "ليست هذه الطريقة التي أقرأ بها أحداث الأمسية التي..."

قاطعته روث:

– "أنا متأكدة أنني مخطئة. أنا متأكدة أن هناك المزيد في القصة."

تفحصت كلا الرجلين بنظراتها. "أكثر بكثير في القصة. بصراحة، لا شيء من ذلك يهمني. أحتاج فقط لمعرفة مكانه، وما إذا كان يشكل تهديدًا لـإيهود كالب."

قال بابيت:

– "ستواجهين صعوبة في التركيز على إسقاطه إذا تمسكتِ بالوهم بأنه يعامل بظلم."

– "سيد بابيت. ليس هكذا يسير عالمي. وظيفتي هي إيقاف «الرجل الرمادي» قبل أن يقتل رئيس وزرائي. لا يهمني ما هو؛ إذا كان تهديدًا لـإيهود كالب سأتعقبه، وسأجده، وسأسقطه."

رفع باركس يده.

– "فقط لنكون واضحين، سنسمح لفريقك بمرافقتنا، وتقديم المشورة لنا، لكننا نحن من سنجده، ونحن من سننفذ عملية الإسقاط. إذا أردتِ المشاركة في عمليتنا، ستلتزمين بشروطنا."

عرفت روث أنه لا جدوى من الجدال، وعرفت أيضًا أن هذا أفضل لمنظمتها على أية حال.

– "الأمر يتعلق بشيك راتب بالنسبة لكم. ويتعلق ببقاء أمتي بالنسبة لي. سأوافق على شروطكم، لأن جينتري قد يكون بالفعل تهديدًا لرئيس وزرائي. لكني لا أصدق نصف ما قرأته هنا اليوم، ولا أصدق 25 بالمائة مما قلتموه لي."

تجاهل بابيت الاتهام. أومأ برأسه فقط، مسرورًا لتسوية الأمر.

في تلك اللحظة انفتح باب قاعة المؤتمرات واستدعى رجل باركس للخارج.

عاد بعد لحظة.

– "عذرًا لي، هل يمكنني التحدث معك على انفراد للحظة؟"

بدأ بالاستئذان، لكن روث قالت:

– "أنا آسفة، لكن إذا كان هذا يتعلق بعملية جينتري، فهذا هو الوقت المناسب للبدء في إشراكي في المعلومات الاستخباراتية."

التفت بابيت إلى باركس. رأت روث نظرة تساؤل، وشيئًا أعمق هناك. أعطى باركس إيماءة طفيفة.

جلس ليلاند بابيت مرة أخرى.

– "تفضل يا جيف."

قال باركس:

– "لدينا تحديد هوية محتمل. إنه أولي للغاية، وربما غير قابل للتنفيذ في هذه المرحلة، لكنه..."

سألت روث:

– "أين؟"

– "برنامج التعرف على الوجه التقط نقاط بيانات قد تكون أو لا تكون..."

– "أين يا سيد باركس؟"

تنهد باركس، غير مخفٍ إحباطه من نفاد صبر المرأة.

– "ستوكهولم، السويد."

سحبت إيتنغر هاتفها ورفعته.

– "سأتصل برجالي."

ضغطت زرًا ودست الهاتف تحت شعرها الكثيف.

حذرها باركس:

– "أنتِ تستبقين الأحداث. شيء أولي كهذا لن يدفعنا لنشر عناصر. سنقوم فقط بضبط البرنامج، وتركيز انتباهنا على الكاميرات في مناطق المرور بالقرب من مكان المشاهدة المحتملة، وبعد ذلك، عندما نحصل..."

توقف عن الحديث لأنها بوضوح لم تكن تستمع إليه.

– "هذه أنا. إنه في ستوكهولم. أنا في الطريق. سأقابلكم هناك في الصباح." أغلقت الهاتف دون كلمة أخرى.

هز بابيت رأسه بدهشة خفيفة. بدا وكأنه سيقول شيئًا آخر، لكنه أوقف نفسه، ثم طرد الفكرة بيده.

– "لدي فريق مراقبة تكنولوجي في إستونيا الآن. إذا كنت ذاهبة إلى ستوكهولم، سأرسلهم إلى هناك. يمكنك أنت وفريقك التنسيق معهم. لديهم بعض الأدوات الجديدة المذهلة للمساعدة في المطاردة. قد يحالفكم الحظ."

وقفت روث وصافحته.

– "شكرًا لك على ذلك."

وقف بابيت هو الآخر الآن.

– "كنا نخطط لأخذك لتناول العشاء. هناك مكان إيطالي رائع حقًا قاب قوسين من هنا."

– "شكرًا، لكن لا شكرًا. وجبتي التالية ستكون في ستوكهولم."

– "صحيح. بالطبع."

رافق بابيت وباركس، روث إلى الخارج حيث سيارة تاكسي منتظرة. وبينما كانت السيارة تبتعد عبر زخات مطر متأخرة بعد الظهر، التفت باركس إلى مديره.

– "هل تعتقد أن جينتري يلاحق إيهود كالب؟"

هز بابيت رأسه.

– "ليس أسلوبه على الإطلاق. كالب ليس قديسًا، لكن كورت لن يغتال زعيمًا عالميًا ما لم يكن الرجل قذرًا للغاية، وهذا لا ينطبق على كالب."

– "معلومات استخباراتية سيئة لدى الموساد؟"

– "يحدث ذلك طوال الوقت." ثم سأل: "ماذا نعرف عن الفتاة؟"

نظر باركس إلى حاسوبه اللوحي واستدعى ملفًا.

– "أمريكية، كما خمنت على الأرجح. رغم أنها تحمل جنسية مزدوجة الآن. عائلة يهودية نموذجية من بروكلين. لا خلفية سياسية أو استخباراتية أو عسكرية في شجرتها على الإطلاق. كانت طالبة متفوقة طوال المدرسة الثانوية، وتميزت في ألعاب القوى. تخرجت من «كولومبيا» بشهادة في علم النفس، الأولى على دفعتها بالطبع."

– "بالطبع."

– "كانت في سنتها الثالثة بكلية القانون في جامعة نيويورك (NYU) عندما قُتل خطيبها في 11 سبتمبر." راجع باركس ملاحظاته. "كان يعمل في التمويل الدولي. الطابق الثاني والتسعين من البرج الثاني."

خمن بابيت الباقي.

– "يُقتل الحبيب، فتترك كلية القانون وتتجه للعمل الاستخباراتي لصالح الموساد."

أومأ باركس.

– "أتفهم الحاجة للانضمام إلى القتال ضد من قتلوا حبيبها، لكن لماذا الموساد؟ لماذا ليس بلدها؟"

هز بابيت كتفيه.

– "إذا كانت لديها المؤهلات الخام، شهادة علم نفس جيدة وكلية قانون، على سبيل المثال، وبدأت تحوم حول الـ FBI أو الـ CIA، فالرهان الجيد هو أن الموساد التقط حقيقة أن فتاة يهودية تتطلع للدخول في اللعبة. ربما تواصلوا معها. وأخبروها بالحقيقة."

– "الحقيقة؟"

– "الموساد يضرب بقوة أكبر من الـ CIA أو الـ FBI. إنهم أصغر، وأسرع، وأقل تقييدًا بالسياسة." تحدث بابيت باستحسان. "تلك المرأة لم تكن تكترث بالسياسة. أرادت أن تضرب."

نظر باركس مرة أخرى إلى جهازه اللوحي.

– "وعلى ما يبدو، لا تزال تفعل. كانت متورطة في تلك الفوضى العارمة التي واجهها الإسرائيليون في روما العام الماضي. كانت الضابطة الوحيدة الكبيرة في قسم الجمع التي لم يتم توبيخها أو طردها

بسبب ذلك. حتى أنها حصلت على رسالة ثناء، تقول إنه لو أُعطيت مخاوفها الاهتمام الذي تستحقه، لكان من الممكن تجنب مأساة."

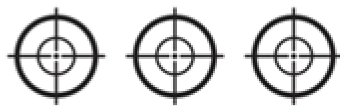
ابتسم بابيت.

– "إنها سليطة اللسان، لكنها ناجية. يمكنني التعايش مع ذلك. بالتأكيد هي تجيد الحديث. فرضها كارمايكل علينا، لكن أعتقد أنه يمكننا استخدامها للعثور على جينتري. «ديد آي» مصاب، و«جامبر» ورجاله ليسوا خبراء مراقبة، وفريق الطائرات بدون طيار قد يتمكن من التقاطه، لكن الطائرات المسيرة لا تستطيع فعل ما يفعله البشر بأعينهم وأقدامهم. سنضمها هي ووحدتها إلى العملية."

– "وعندما يحين وقت قتل جينتري؟"

قال بابيت ببرود:

– "نحن نقتل جينتري. يمكن للموساد أن يأخذ الفضل. ونحن سنأخذ المال."



27

تهادت سيارة من طراز رينج روفر فضية اللون بخطى وئيدة في شارع ماس؛ وهو طريق ضيق ذو مسارين يقع بالقرب من محطة قطار جار دو روش شرقي مدينة نيس. لم يكن السائق من أهل البلاد، بل قاد سيارته طوال اليوم قادماً من موطنه ليصل إلى هنا، وقد جعل منه الإعياء المتراكم وظلمة الليل التي غاب قمرها رؤية العناوين فوق المرائب الكثيرة الموصدة التي تصطف على جانبي الشارع أمراً

عسيراً. وأخيراً، توقف بجانب المرآب الوحيد المفتوح في الشارع بأكمله، وتفرّس في العنوان المكتوب فوق مدخله المظلم، ليدرك أنه قد بلغ وجهته المنشودة.

وبيطء يشوبه شيء من الوجل، دخل بسيارته إلى الداخل ووضع ناقل الحركة في وضع المحايدة، لكنه أبقى المصابيح الأمامية مضاءة؛ إذ لم يكن هناك أي بصيص نور داخل هذا المرآب، ورغم أنه لم يكن في أقصى درجات حذره المعتادة في مثل هذه الصفقات، إلا أنه لم يكن ليجرؤ على الجلوس وسط هذا الظلام الدامس.

مدَّ يده تحت سترة الجلد التي يرتديها، وبإبهامه فتح المشبك الجلدي الذي يثبت مسدسه من طراز كولت 45 في جرابه؛ تحسباً لأي خطأ في تقدير هوية زبونه.

انبعث طنين هاتفه من حامل الأكواب في الكونسول الوسطي، والتقط نظام الراديو في السيارة المكالمة. ضغط على زر في عجلة القيادة وأجاب:

– "بريخت."

كان الرجل في السيارة نمساوي الجنسية، ومن عادة القوم هناك الرد بذكر اسم العائلة.

تحدث المتصل بالإنجليزية؛ وكان هو الرجل نفسه الذي هاتفه مرتين خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية:

– "هذا جيد.. ابقَ مكانك وترجل من السيارة."

أجابه راينهولد بريخت:

– "دعني أراك أولاً من فضلك.. أريد أن أتأكد أنك بمفردك."

فجأة، اشتعل ضوء فوق السيارة، مما أدى لإجفال بريخت للحظة. وبعد ثانية، أُضيء مصباح آخر في الطرف الآخر من المرآب، على بُعد

نحو خمسين قدماً من موقعه. وقف هناك رجل متشح بالسواد من رأسه حتى أخمص قدميه، يضع قناعاً تزلج يخفي ملامحه تماماً، وكان يقف بجوار مفتاح الإضاءة على الحائط. كانت يداه فارغتين، فافترض بريخت أنه يتواصل عبر سماعة أذن.

لم يتبدد قلق النمساوي تماماً أمام هذا المشهد، لكنه يدرك بحكم طبيعة عمله أن عليه ركوب المخاطر، وهذه الصفقة لن تتم ما لم ينصع للتعليمات. أطفأ المحرك وترجل من شاحنته، ثم دار متوجهاً نحو الخلف.

اقترب الرجل الملثم، خارجاً من بقعة الضوء في الزاوية نحو العتمة، وتوقف على بُعد عشرة أقدام من النمساوي.

قال بريخت:

– "طاب مساؤك."

فأجابه الرجل بإنجليزية أمريكية، تماماً كما كان في محادثاتهما الهاتفية:

– "طاب مساؤك."

– "هل معك المال؟"

مدَّ الرجل الملثم يده إلى أسفل ظهره، وأخرج مظروفاً وقذفه للأمام؛ غاب المظروف عن عيني النمساوي وسط الظلام لكنه رفع يديه وتلقفه في الهواء بصعوبة، وضمه إلى صدره ثم فتحه.

يستغرق عدُّ ثلاثين ألف يورو بعض الوقت، وقد جردها راينهولد بريخت بعناية، لكن عينيه كانتا تلمحان الرجل الواقف أمامه بين الفينة والأخرى.

كان متأهباً بالطبع، ولكن بدرجة أقل بكثير من المعتاد. ففي الأحوال العادية، كان ليتخذ تدابير أمنية أشد؛ كاستخدام وسطاء أو

إحضار شركاء مسلحين لمعاينة المنطقة مسبقاً والبقاء على مقربة منه بعيداً عن الأنظار، تحسباً لفشل الصفقة أو حدوث أي طارئ.

لكن ليس الليلة؛ فقد جاء بمفرده، ورغم حذره، كان يشعر بارتياح نسبي تجاه هذا التبادل.

رفع نظره عن المظروف المليء بالأوراق النقدية وابتسم قائلاً:

– "المبلغ كامل طبعاً.. لم أكن أتوقع أقل من ذلك."

دسَّ المال في سترته وتوجه إلى خلفية سيارته.

– "هل لي أن أخرجها؟"

أجاب الأمريكي:

– "تفضل."

سحب راينهولد بريخت حقيبة جلدية سوداء كبيرة من المقعد الخلفي ووضعها على الأرضية الإسمنتية للمرآب. فتح سحاب الحقيبة ومدَّ يده بداخلها، بينما سلط الأمريكي ضوء مصباح صغير نحوها. أخرج بريخت بندقية قنص من طراز بليزر R93 مفككة إلى خمس قطع، واستغرق لحظات لتجميع السلاح، وهو يرفع نظره أحياناً نحو الأمريكي الملثم أو يلتفت بلمحة سريعة نحو الشارع.

وبمجرد انتهائه، مدَّ يده في الحقيبة مجدداً وأخرج منظاراً من طراز ليوبولد مارك 2، وثبته في مكانه فوق سكة البندقية. ثم عاد للحقيبة مرة أخرى وأخرج مخزناً محشواً بأربع طلقات من عيار 300 وينشستر ماغنوم.

ثبَّت المخزن في مكانه وسلم السلاح للأمريكي.

سأل الرجل الملثم وهو يتفحص السلاح:

– "هل هو مصفر؟"

أجابه بريخت وهو يغمز بعينه:

– "كما طلبت تماماً، تم ضبط المدى على مائة متر.. سيؤدي المهمة على أكمل وجه."

بعد لحظات من الصمت تفحص فيها الملثم السلاح بمهنية عالية، فاتحاً المغلاق وناظراً عبر العدسات، أعاده إلى النمساوي قائلاً:

– "أعد توضيبه."

جثا النمساوي على ركبته ونفذ ما أُمِر به، ثم انتصب واقفاً:

– "هناك أيضاً خمسون طلقة إضافية في الحقيبة.. هل تحتاج لأي شيء آخر يا سيدي؟"

– "كلا.. يمكنك الانصراف الآن."

– "بإذنك، أود قول شيء أولاً."

– "تفضل."

ابتسم بريخت قليلاً وقال:

– "لا أعرف سوى رجل واحد يطلب بندقية بليزر القابلة للطي وذخيرة 300 وين ماغ."

لم ينبس الرجل الملثم ببنت شفة، فأضاف بريخت:

– "قبل عامين ونصف، قمتُ بتدبير سلاح مماثل لك. لم أتحدث إليك مباشرة آنذاك، بل طلبه رجل آخر، لكنني علمت أن ذاك الرجل يعمل لصالح السير دونالد فيتزروي، المسؤول عنك. قمتُ بتسليم السلاح في إيطاليا، وعلمتُ بعدها بوقت قصير أن تاجر بشر في اليونان –وهو رجل مسؤول عن استدراج نساء كثيرات من أوروبا وبيعهم في سوق النخاسة– قد قُتل برصاصة واحدة من عيار 300 وين ماغ، استقرت بين عينيه مباشرة من مسافة سبعمائة متر."

ثم استطرد بابتسامة حماسية:

– "بدأت اتصالاتي في هذا المجال تهمس باسم الرجل الرمادي."

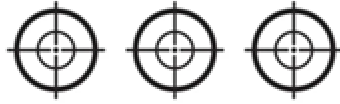
نفخ بريخت صدره فخراً وقال:

– "لقد شرفني أن يكون لي دور صغير في تلك العملية."

مرة أخرى، التزم الرجل الملثم الصمت، ولاحظ بريخت جفاءه.

قال بنبرة شابها القلق هذه المرة:

– "لا بأس.. أنا رجل كتوم طبعاً، وفي العادة لا أذكر أنني على علم بهوية الزبون. كل ما في الأمر أن.. حسناً.. في هذا العمل، لا تسنح للمرء فرصة للتعامل مع أشخاص يتمتعون بمثل هذا المعدن الأصيل. أنا رجل أعمال، ولا يهمني ما يفعله الآخرون ببضائعي، ولكن من الجميل أن أعرف اليوم أن أداتي قد وُضعت في يد رجل طيب سيستخدمها في فعل الخير. أريد منك أن تعلم أنني رهن إشارتك لأي طلبات قد تحتاجها في المستقبل."



صارع راسل ويتلوك رغبته في الابتسام، رغم شكه في أن إظهار ابتسامة غبية لهذا الرجل قد يضر بتخفيه. فمن المحتمل أن الرجل الرمادي الحقيقي قد تروق له مثل هذه المدائح.

لقد اختار راسل تاجر السلاح هذا لثلاثة أسباب؛ أولاً، لأنه موثوق بما يكفي، فـ راسل يعرفه منذ سنوات، ولديه وصول لأسلحة عالية الجودة ويسلمها بسرعة. ثانياً، قرأ راسل في ملف جينتري أنه حصل على بندقية قنص من راينهولد بريخت ذات مرة، ومن المؤكد أن بريخت سيتذكر تلك الصفقة وسيعرف أن الرجل الرمادي هو من قتل القواد اليوناني. وثالثاً، رغم ادعاء بريخت بالكتمان، إلا أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك؛ فبين الفينة والأخرى كان يتقاضى أموالاً من وكالة الاستخبارات المركزية وأجهزة استخبارات غربية أخرى مقابل

معلومات يلتقطها أثناء ممارسة تجارته. كان راسل يعلم أن النمساوي لن يطبق فمه اللعين بشأن تزويد الرجل الرمادي بالسلاح، وهذا بالضبط ما كان يراهن عليه.

فنجاح هذه المرحلة من العملية يعتمد كلياً على لسان راينهولد بريخت المنفلت.

قال راسل:

– "شكراً لك.. آمل أن نعمل معاً مجدداً."

أجاب بريخت وهو ينحني بجسده في حركة تعظيم:

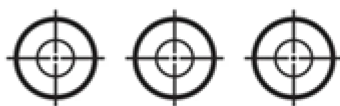
– "سيكون ذلك شرفاً لي."

فكر راسل:

يا له من وصولي متملق.

راودته رغبة عارمة في استلال مسدسه الـ غلوك وضربه بمقبضه حتى يطرحه أرضاً، لكنه اكتفى بالإيماء للرجل ووقف ينتظره حتى يستقل سيارته ويرحل.

وعندما توارت سيارة الـ رينج روفر في عتمة الليل، حمل راسل الحقيبة الجلدية التي تضم بندقية الـ بليزر، وسار نحو مفتاح الإضاءة وأطفأه، ليعود المشهد كله إلى غياهب الظلام.



28

اجتمعت روث إيتنغر وفريقها المكون من ثلاثة ضباط استهداف في السفارة الإسرائيلية بـ ستوكهولم، حيث استعاروا سيارة سكودا

سوداء ذات أربعة أبواب من مرآب الموساد، ثم انطلقوا معاً إلى المنزل الآمن الذي استأجرته شركة تاونسند لتوّها في شارع سانكت إريكس غاتين. ركنوا سيارتهم في ساحة غطاها الجليد، وحملوا أمتعتهم فوق أكتافهم وصعدوا أربعة طوابق من السلالم.

لم يكن في الشقة سوى عضوين من فريق طائرات المسيرات التابع لـ تاونسند، واللذين وصلا للتو؛ طيار مسيرات يُدعى كارل ومشغل مستشعرات يُدعى لوكاس. توقف الاثنان عن تفريغ معداتهما لبرهة قصيرة لتعريف نفسيهما.

انتقلت روث وآرون ولورين ومايك إلى غرفة نوم واسعة في مؤخرة الشقة، بينما سحب مشغلا المسيرات المراتب من غرفة نوم أخرى وجروها إلى غرفة المعيشة ليظلوا على مقربة من معداتهم طوال الوقت.

وكانت تلك المعدات كثيرة؛ فبينما كان رجلا تاونسند يجهزان المكان، راقبتهم روث وفريقها وهم يثبتون أربعة حواسيب محمولة فوق منصات مكتبية، ويوصلون مقابض التحكم في الطيران ويضبطونها، ويفكون أسلاك سماعات الرأس، وأخيراً يخرجون ثلاث طائرات مسيرة متطابقة. كانت من نوع "كوادكوبتر" (رباعية المروحيات) دقيقة، ذات تصميم على شكل حرف X، يعلو كل ذراع من أذرعها الأربعة جناح دوار صغير محاط بإطار، وفي مركزها الذي يشبه البصلة تكمن الطاقة والعقل والكاميرات. لم يتجاوز قطر هذه الأجهزة الستة عشر بوصة، ووزن الواحدة منها أقل من خمسة أرطال.

أطلق مايك ديلمان صفيراً معبراً عن إعجابه:

- "لدينا معدات رائعة، لكننا لا نملك مثل هذه."

وضع لوكاس أحد الأجهزة على منصة شحن فوق الأرض وقال:

– "إنها قمة التكنولوجيا.. لقد جربنا هذه الأجهزة في الولايات المتحدة، لكننا لم نستخدم هذا الطراز ميدانياً من قبل، ولم يفعل ذلك أحد غيرنا. تُدعى سكاي شارك (قرش السماء). حصلنا عليها من داربا (DARPA)، وكالة مشاريع أبحاث الدفاع المتقدمة، وهم القوم الذين يصنعون أحدث وأعظم الأدوات. لقد سلمونا إياها لنختبرها ميدانياً في بيئة حضرية."

قال مايك:

– "مذهلة."

سألت لورين:

– "هل تنوون الطيران بها في وسط ستوكهولم وتأملون ألا يراها أحد؟"

أجابها كارل:

– "هذه الآلة صامتة تماماً تقريباً، لكنها ليست غير مرئية. لدينا بعض التقنيات لإبقائها بعيدة عن الأنظار. وبطبيعة الحال، نحلق بها على أقصى ارتفاع ممكن، ولكنها ليست من طراز ريبر أو سكان إيغل التي تجوب السماء على ارتفاع ثمانية أو تسعة أميال. فمع هذه الطائرات، عليك البقاء ضمن نطاق بضع مئات من الأقدام من الهدف أثناء المراقبة المتحركة، لذا نحلق خلف الهدف في معظم الحالات، ويمكننا استغلال الشمس –حين تشرق في هذه البلاد– لضمان ألا يدرك الهدف أنه تحت المراقبة."

وأضاف لوكاس:

– "في الظلام يكون الأمر أفضل، فالكاميرا مزودة بنظام رؤية ليلية طبعاً." ثم ابتسم قائلاً: "لن يكتشف أحد هذه الفاتنة في الليل."

طلبت روث رؤية مقطع الفيديو الذي حددته برمجيات التعرف على الوجوه الخاصة بـ تاونسند على أنه لـ كورت جينتري، فاستعرض كارل صورة ثابتة على أحد الحواسيب المحمولة. وأوضح أن الصورة التُقطت في اليوم السابق في متجر للإلكترونيات يبعد بضعة كيلومترات عن موقعهم الحالي، وهي مأخوذة من أوضح لقطة في مقطع فيديو سريع.

مالت روث لتتفحصها عن قرب، ثم رفعت حاجبها مستنكرة. كان محللو تاونسند قد زودوها هي وفريقها بصور لـ جينتري، ففتحت صورة على هاتفها الذكي؛ تفرست في صورة لـ كورت جينتري وهو يرتدي بدلة ونظارات طبية، ثم رفعت نظرها لتقارنها باللقطة الثابتة مجدداً وقالت:

– "ليست حاسمة بأي حال."

هزَّ كارل رأسه لكنه قال:

– "نحن نقدر احتمالية المطابقة بنسبة 60%."

– "وكيف ذلك؟ الصورة غير واضحة ولا يظهر منها سوى ثلثي الوجه."

– "هذا صحيح، لكن الكاميرا التقطت منطقة ما حول العينين، وهي منطقة تملك سمات حيوية قابلة للتحديد أكثر من بصمات الأصابع. ومن خلال الصور المتوفرة له في ملفاتنا، قمنا ببناء نموذج افتراضي ثلاثي الأبعاد لوجهه، ومنطقة ما حول العينين المعاد بناؤها في النموذج تتطابق مع هذا الشخص بدرجة كافية لإصدار تقييم الـ 60%."

لم تكن هذه التكنولوجيا غريبة على روث من الناحية النظرية – فهي تتبع البشر كمهنة لها– لكنها لم يسبق لها رؤية بيانات منطقة العينين تُستخرج من صورة حبيبية غير مركزة كهذه في الميدان.

تفحص بقية أعضاء الفريق الصورة على الحاسوب وقارنوها بصور جينتري على هواتفهم. ظن آرون ومايك أنهما ينظران للشخص نفسه، بينما ظلت لورين وروث في ريبة من أمرهما.

سألت روث:

– "ما هي خطتكم لإيجاده، إن كان موجوداً هنا بالفعل؟"

انتهز لوكاس الفرصة وقال:

– "بابيت يريد دمجكم في عملية البحث، لذا قد يكون هذا وقتاً مناسباً لنريكم كيف ننجز الأمر."

أخذ كارل إحدى طائرات سكاي شارك إلى الشرفة وعاد بعد لحظة بدونها. جلس أمام مقابض التحكم بينما عمل لوكاس على الحاسوب المجاور لبرهة.

– "جاهز."

أقلعت المسيرة من الشرفة، مرتفعة بضعة أقدام في الهواء ثم انحرفت جانباً، وصعدت عالياً حتى توارت عن الأنظار. حينها تحركت روث وفريقها ليقفوا خلف مشغلي المسيرات الأمريكيين لمشاهدة صور حية على شاشات الحواسيب. كانت إحدى الكاميرات مثبتة لتعطي رؤية أمامية مستقيمة، والثانية للرؤية الخلفية، أما الثالثة فكانت تحت الطائرة، ويمكن تحريكها وتقريبها (زووم) عبر مقبض في وحدة تحكم مشغل المستشعرات.

راقبوا الشاشات والمسيرة تحلق فوق المباني في الحي، وتنفذ سلسلة من الانعطافات، ثم تهبط بين مبنيين لتحوم فوق شارع تسوق للمشاة. اختار مشغل المستشعرات شابة تتمشى في الطريق؛ كانت ترتدي معطف فراء وقبعة من المنك مطابقة له، وتحمل أكياس تسوق كثيرة.

أثناء عملهم، قال لوكاس:

– "مع تطور التكنولوجيا، يصبح التخفي على الهاربين من أمثال كورت جينتري أمراً في غاية الصعوبة."

سألت روث:

– "بسبب السمات الحيوية (Biometrics)؟"

– "بالضبط.. نحن نعيش في عالم الهوية الحيوية الآن. قبل بضع سنوات فقط، كانت برامج التعرف على الوجوه إما معدومة أو غير موثوقة. لكن مع تحسنها، صار رجال من طينة جينتري كديناصورات استيقظت في عصر جليدي. قاعدة البيانات الحيوية لموظفي وكالة الاستخبارات المركزية شاملة للغاية الآن، لكن جينتري كان محظوظاً بخروجه قبل البدء في جمع معظمها. لا نملك له ملف سمات حيوية سلوكية –أعني طريقة مشيته، أو وقفته، أو ما شابه– كل ما نملكه هو مسح لقرنية العين وبصمات أصابع في ملفه، وهو أمر عديم الفائدة في هذا الموقف. لكن نظام التعرف على الوجوه الذي نستخدمه كفيل بإنجاز المهمة."

تحدث كارل الآن وهو يقود المسيرة بمقبض التحكم:

– "من صورة الكاميرا في متجر الإلكترونيات، عرفنا ما يرتديه: المعطف، القبعة، النظارات. نعرف طوله ووزنه التقديري. كل ذلك يُدخل في خوارزمية، وتنطلق كاميرا سكاي شارك لتسجل كل من تراه يتحرك في الشارع وترسل الصور لهذه الحواسيب. البرنامج قادر على تقييم أكثر من مائتي فرد في الدقيقة الواحدة.."

قاطعه لوكاس قائلاً:

– "حين يعمل بشكل صحيح."

أقرَّ كارل بذلك:

– "أجل، حين يعمل بشكل صحيح. سيتم استبعاد 99% من الأفراد فوراً؛ طول خاطئ، وزن خاطئ، معطف مختلف، هيئة أنثوية، وما إلى ذلك. ولكن في أي وقت يجد فيه الحاسوب شخصاً يحتاج لنظرة ثانية، سيُعلم المسيرة بذلك، فتلتقط المسيرة صورة أخرى. وتُرسل النظرة الثانية للحاسوب للتقييم أيضاً، ثم نظرة ثالثة لتضييق الخناق أكثر."

سأل آرون:

– "وماذا بعد ذلك؟"

– "بعد ذلك، أي صورة تُعتبر مطابقة محتملة ستظهر على الشاشة، وهنا يتعين علينا تصفيتها يدوياً."

قال لوكاس:

– "أنا من يقوم بذلك بينما يركز كارل على ألا يصطدم بـ سكاي شارك في أحد الجدران."

سألت روث:

– "وإن وجدتموه؟ ماذا بعد؟"

أجاب كارل:

– "هذا هو الجزء الممتع؛ إذا رأيته في إحدى الصور، أخبر الحاسوب بأننا وجدنا مطابقة. عند تلك النقطة، تتحول سكاي شارك من وضع الصيد إلى وضع التتبع. تتذكر مكان وجود الشخص، وتعود لتحدد موقعه مجدداً، وتلتصق به ككلب يقتفي أثراً."

اعترفت روث:

– "هذا مذهل حقاً.. ولكن ما هي العيوب؟"

كان رد كارل جاهزاً:

– "المحركات الكهربائية تستهلك طاقة هائلة. تستطيع سكاي شارك التحليق لنحو نصف ساعة فقط قبل أن نضطر لإعادتها للشحن. لا ينبغي أن يمثل ذلك مشكلة كبرى؛ فلدينا ثلاث طائرات، لذا يمكننا المداورة بينها باستمرار."

وبينما بدأ فريق مسيرات تاونسند ما أقروا صراحة بأنه قد يكون رحلة صيد طويلة، أرسلت روث مايك ولورين إلى متجر الإلكترونيات الذي اشترى منه جينتري الحاسوب؛ ليستجوبوا البائع، وينتشروا للتحقق من الفنادق القريبة، ويبقوا أعينهم مفتوحة.

اتصلت روث بـ يانيس لتعلمه بأنهم بدأوا العمل هنا في السويد. سألها:

– "كيف يعاملكِ الأمريكيون؟"

– "كأننا جزء من الفريق.. الوكالة مستميتة للنيل من هذا الرجل."

لمس يانيس شيئاً في نبرتها:

– "وأنتِ أيضاً، أليس كذلك؟"

– "حتى الآن، يغلبني الفضول أكثر من أي شيء آخر. من الواضح أن الأمريكيين يريدون مساعدتنا، لكن ليس واضحاً لي البتة أن جينتري لديه أي مصلحة في تصفية رئيس الوزراء. لا يمكنني التوقف عن التفكير في كل الخير الذي فعله هذا الرجل، بمبادرة منه، وهو هارب."

– "الأخيار يفعلون أشياء سيئة، ولا ضير أن يفعل الأشرار شيئاً جيداً بين الحين والآخر."

– "أظن ذلك.. سأبقي عقلي منفتحاً، لكنني لم أبدأ بشحذ خنجري بعد."

قال يانيس:

– "الوقت حاسم هنا. احتمال وجود أي خطر على كالب الآن يزداد لأن ثغراته ستكون أكثر وضوحاً خلال سفره في الأسبوعين القادمين. لا تملكين ترف الوقت لبناء ملف استهداف مثالي. أريدكِ أن تجديه، وتحددي هويته، وتراقبي جماعة تاونسند للتأكد من بقائهم على المسار الصحيح. إذا أرادوا إرسال قتلتهم للإجهاز عليه، فلهم أسبابهم، وعليكِ الوقوف جانباً وتركهم يفعلون ذلك. فسواء كان يشكل تهديداً لـ إيهود كالب أم لا، سيصبح الأمر تحصيل حاصل إذا تخلص منه الأمريكيون."

قالت ونبرة التردد لا تزال تسمع في صوتها:

– "أفهم ذلك يا يانيس.. ولكن منذ متى صرنا كلاب صيد لحساب وكالة الاستخبارات المركزية؟"

– "منذ أن بدأ الثعلب يشمشم حول قن الدجاج الخاص بنا يا روث."

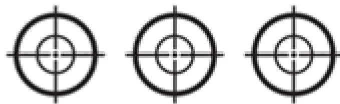
أجابت:

– "فهمت."

– "باشري عملكِ، ولكن كوني حذرة. لقد أجرت الوكالة إيجازاً عبر الفيديو معنا هذا الصباح بخصوص قضية جينتري. إنه وغد محنك، ومدرب جيداً على كشف الملاحقة. اجديه، ولكن تحركي بمرونة."

– "شكراً على اهتمامك يا يانيس، سأكون بخير."

– "بالتأكيد ستكونين كذلك."



29

قضى كورت نهاره حبيس غرفته، يتصفح في الغالب مواقع سفر بريئة عن ستوكهولم عبر حاسوبه المحمول. كما أمضى ساعة ونصفًا في أداء سلسلة شاقة من التمارين المعتمدة على وزن الجسم؛ تمارين ضغط، وتمارين للبطن، وتمارين ضغط عمودية بالاستناد على الحائط، مستثقلاً التدريب أكثر من المعتاد لأن جسده كان لا يزال متهالكًا من آثار العملية في الغابة قرب سانت بطرسبرغ والكمين الذي تلاها في تالين بعد يومين.

بعد حمام دافئ لإراحة عضلاته المنهكة والمؤلمة، وساعة قضاها مستلقيًا على السرير يقلب القنوات على التلفاز الصغير، جلس إلى الطاولة الصغيرة في الزاوية وتناول عشاءً مكونًا من سمك سلمون بارد من المعلبات وأرز بارد من كيس مخصص للميكروويف.

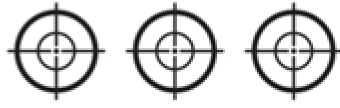
شرب بيرة مع وجبته، وهو يفكر طوال الوقت أنه كان يفضل الجلوس في حانة مظلمة ومنزوية في مكان ما في الحي. لكن ليس الليلة؛ فقد كان لديه خطط أخرى لأمسيته.

عندما فرغ من عشائه، توجه إلى النافذة وأمضى بضع دقائق ينظر عبر شق ضيق بين الستائر، متأنيًا في تفحص السيارات أو الشاحنات التي تبدو في غير محلها، ومتابعًا المارة بعينيه، مراقبًا شخصًا تلو الآخر وهم يتنزهون على الرصيف في الطابق الأسفل منه. مسح الوجوه بحثًا عن أي ملامح رآها من قبل، رغم شعوره بالثقة أنه تمكن من الهروب من البلطيق دون أن يتبعه أحد إلى هنا في إسكندنافيا.

بعد قضاء ثلاثين دقيقة في مراقبة تدفق المركبات والمشاة في الخارج، أسدل الستائر وجلس على سريره. وبعد تردد بسيط، التقط هاتفه المحمول وقصاصة الورق التي كُتب عليها رقم الهاتف.

بدأ في طلب رقم ويتلوك، لكنه غيّر رأيه. كان قد قرأ كل ما أمكنه العثور عليه على الإنترنت حول مدى أمان تطبيق «موبايل كريبت» (MobileCrypt)، واقتنع بأن استخدام التطبيق للحصول على معلومات حول رجال «تاونسند» الذين يطاردونه يستحق المخاطرة، لكن كورت كان رجلاً حذرًا بطبعه. ارتدى معطفه ودس سماعات الأذن في أذنيه، ثم خرج من شقته ونزل إلى الشارع.

سيجري المكالمة، لكن ليس من هنا.



كانت رقاقات الثلج السميكة تطفو وتدور تحت مصباح شارع في حديقة تيغنيرلوندن، على بعد دقائق قليلة غربي الغرفة التي استأجرها جينتري. وقف كورت هناك تحت الضوء للحظة ليقرأ الرقم من الورقة، ممسكًا هاتفه في يده. كان يرتدي سماعات سلكية بميكروفون مدمج تحت غطاء معطفه. طلب الرقم عبر تطبيق «موبايل كريبت»، لكنه لم يضغط زر الإرسال. ليس بعد. بدأ بالمشي، مبتعدًا عن الحديقة باتجاه الغرب، آملًا أنه إذا كانت كل المعلومات التي قرأها خاطئة بطريقة ما، وكان من الممكن تتبع المكالمة، فسيكون من الصعب تحديد موقعه بدقة إذا كان متحركًا.

هل أفعل هذا حقًا؟ سأل نفسه. لم يكن كورت يسعى للأحاديث مع الآخرين؛ بل كان يفعل كل ما بوسعه لتجنبها. كان يفضل طلب الطعام من الآلات، وشراء تذاكر القطار من الأكشاك الآلية، والحصول على

المعلومات اللازمة لمهامه من خلال البحث عبر الإنترنت في مقاهي الإنترنت. في السنوات الخمس الماضية، مر على كورت عدة مرات أسابيع دون التحدث إلى كائن بشري آخر سوى تبادل كلمتين أو ثلاث عرضيًا، عادة في شكل معاملة نقدية في سوق أو إعطاء اتجاهات لسائق سيارة أجرة.

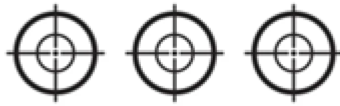
الليلة، وعلى النقيض من سنوات العزلة التي فرضها على نفسه، كان سيتواصل فعليًا.

أخبر نفسه أنه مضطر لفعل ذلك، لكنه قلق، ربما، من أنه يريد فقط فعل ذلك.

تمتم موبخًا نفسه على ما كان وشيكًا على فعله:

– "إياك أن تلين الآن يا جينتري، تبًا لك."

ورغم تحفظاته العميقة، ضغط على زر الإرسال.



جلس راسل ويتلوك على أرضية غرفته في فندق «غريمالدي». أمامه، كانت بندقية قنص من طراز «بليزر» (Blaser) مفككة إلى قطع. أمضى النصف ساعة الماضية يفككها ويعيد تجميعها. في البداية ببطء وعناية. ثم بسرعة، كما لو كان تحت ضغط. في المرة التالية جمعها بشكل طبيعي لكنه فككها مستخدمًا يده اليمنى فقط، محاكيًا إصابة في ذراعه أو يده اليسرى. ثم جرب الحيلة نفسها بيده اليسرى، مما استغرق وقتًا طويلاً.

بجانبه على الأرض، كانت صينية من الأجبان الفاخرة وزجاجة مفتوحة ومبردة من شامبانيا «لينوبل غراند كرو بلان دو بلان» (Lenoble Grand Cru Blanc du Blanc) مهملة. أراد تجميع

السلاح وتفكيكه بضع مرات أخرى قبل أن يكافئ نفسه بهذا الترف الفاخر.

لقد مر بيوم حافل، قضاه في تحضير مكثف لاغتيال أمير زاريني المخطط له في وقت متأخر من صباح السبت. استقل قطارًا إلى منطقة التنفيذ المخطط لها، ثم مسح المحيط وموقع الهدف لتحديد نقاط الدخول والخروج. عاد إلى فندقه في وقت مبكر من المساء، وخلع كل ملابسه، ثم أزال الضمادات المشبعة بالدم والقيح عن وركه.

عندما انتهى من كشف جرحه، وقف عاريًا أمام مرآة التزيين الطويلة يتفحص الثقوب التي تغطيها القشور، والكدمات السوداء حولها. ارتفعت عيناه عن الإصابة، متفحصًا بقية جسده ببطء وبقدر لا بأس به من التقدير. بدأ في أداء حركات قتالية (كاتا)، دون أن يرفع عينيه عن وجهه وجسده أثناء التدريب. بدأ وركه يحترق وبدأ العرق يتدفق في غضون دقائق. تحول وجهه إلى قناع من الحدة وحتى الغضب وهو يلكم ويركل، وينفذ حركات رمي وضربات بالمرفق مصممة لكسر العظام.

استغرق الأمر منه عدة دقائق ليهدأ من ذروة الغضب في القتال المحاكى؛ بدأ وركه ينزف بحرية وكان الألم مبرحًا.

بعد تدريبه، استحم راسل وغير ملابسه، وكان يتضور جوعًا الآن، لكنه فرض المزيد من الانضباط على نفسه بطلب الطعام والشراب وتركه جانبًا بينما يعمل على البندقية، مُصلّبًا عقله وجسده لأقصى قدر من المشقة يمكنه توليده في فندق أربع نجوم على الريفيرا الفرنسية.

كان لدى راسل خبرة كبيرة ببنادق القنص، لكن خبرته قليلة ببنادق «بليزر». كقناص استطلاع في مشاة البحرية، صُرفت له بندقية

M40، وكان يعشق ذلك السلاح. ومن أجل الألفة، كان ليفضل M40 لهذه المهمة، أو نظيرتها المدنية Remington 700. ولكن، كان عليه أن يعترف بأن جينتري أحسن الاختيار مع R93. البندقية الألمانية كانت ذات ترباس سحب مستقيم يسمح بطلقات تالية أسرع قليلاً، أسرع من M40 وإن لم تكن بالتأكيد بسرعة البندقية نصف الآلية. ومع ذلك، تخيل راسل أنه يمكنه إفراغ مخزن البندقية المكون من أربع طلقات بسرعة ودقة في المسافات التي خطط لها، حتى دون قضاء الكثير من الوقت في ميدان الرماية بهذا السلاح المحدد.

كان قد بدأ للتو في إعادة تجميع البندقية لتفكيك آخر باستخدام اليد اليسرى فقط عندما أصدرت سماعة أذنه صوتًا على الأرض بجانبه. كان هاتفه على المكتب في الجانب الآخر من الغرفة، لذا وضع سماعة البلوتوث في أذنه وضغط زرًا للرد على المكالمة.

– "تحدث."

– "مرحبًا."

إنه جينتري. انتفض راسل واقفًا من الأرض ولوح بقبضته في الهواء. تمالك نفسه بسرعة وتحدث بنبرة مسترخية.

– "كنت أفكر فيك للتو."

– "آسف لعدم الاتصال في الليلة الأخرى."

– "لا مشكلة يا أخي. لم أتوقع منك الاتصال لعدة أيام." كانت كذبة، لكنه أراد أن يبدو غير مبالٍ بالمحادثة.

– "لماذا لا؟"

– "أنا أعرفك يا صاح. أعرف كيف تفكر."

– "لماذا إذن لا أعرف أنا كيف تفكر أنت؟"

– "ماذا تعني بذلك؟" سحب راسل زجاجة «لينوبل» من الثلج وأخذ رشفة. لقد حان وقت الاحتفال.

– "لا أفهم ما هي لعبتك."

– "لا توجد لعبة يا كورت. أريد فقط المساعدة. لماذا لا يمكنك تصديق ذلك؟"

– "لا أعرف."

– "حسناً، سأجيب على هذا السؤال نيابة عنك. لقد تم التلاعب بك والكذب عليك من قبل كل شخص عملت معه في الوكالة. كارمايكل، هايتاور، هانلي..."

– "كيف حال هانلي؟"

– "تقصد منذ أن أطلقت النار عليه في مكسيكو سيتي؟"

– "أنت تعرف كل شيء حقاً."

تجرع راسل الشمبانيا. كانت هذه المحادثة تسير بالضبط كما أراد.

– "هانلي بخير. عاد إلى «لانغلي». التعرض لإطلاق نار من قبل «الرجل الرمادي» مفيد للمسيرة المهنية، على ما أعتقد."

– "بالحديث عن جروح الطلقات النارية، كيف حال الورك؟"

– "يؤلم"، أجاب ويتلوك.

– "نعم، تلك الجروح تميل لفعل ذلك."

سأل راسل:

– "أي مشاكل في الخروج من تالين؟"

– "أنت أخبرني. ماذا يقول أصدقاؤك في «تاونسند»؟ هل هناك أي ملاحقة لي لم ألحظها؟"

كذب راسل مرة أخرى. لم يسمع شيئًا على الإطلاق من «تاونسند» منذ يومين، لكنه كان بحاجة للحفاظ على قيمته عالية في نظر جينتري.

– "قالوا إنه قد يكون لديهم هدف لي قريبًا جدًا. لم يسهبوا في التفاصيل. أينما كنت، ابقَ هناك، لكن قد ترغب في مراجعتي عاجلاً وليس آجلاً."

بعد توقف قال كورت:

– "حسنًا. ماذا عنك؟ لا مشاكل أو تداعيات منهم بعد ما حدث في ذلك اليوم؟"

– "أخبرتك، يمكنني التعامل معهم." أخذ راسل جرعة طويلة من الشمبانيا. "تلك الفرصة الأخرى التي أخبرتك عنها تقترب جدًا. هل فكرت أكثر في محادثتنا الليلة الماضية؟"

– "بخصوص رغبتك في العمل المستقل؟"

– "نعم."

– "ساعدني لأفهم لماذا تريد فعل ذلك بالضبط."

– "أريد أن أكون رئيس نفسي."

ضحك كورت ضحكة خافتة.

– "العمل المستقل يعني أن لديك رؤساء أكثر، وليس أقل. لم أكن لأضطر أبدًا لضرب تلك الفيلا غرب سانت بطرسبرغ لو لم تكن لدي مشاكل مع أرباب عملي. لا يمكنك الوثوق بأحد في هذا المجال."

– "شكرًا على النصيحة."

رد كورت:

– "إذا كنت تأخذ نصيحة مهنية مني، فأنت أحمق." وأضاف: "أمثالنا أفضل حالاً بمفردهم."

– "أختلف معك يا كورت، لأنه لا يوجد «أمثالنا». يوجد فقط «نحن». نحن آخر من تبقى. يجب أن نبقى معًا."

– "آخر من تبقى؟"

– "دخل تسعة عشر رجلاً برنامج تطوير الأصول المستقلة. الأكبر كان جوزيف بيلتون، في الثامنة والعشرين. والأصغر كان كورتلاند جينتري، في التاسعة عشرة. أنا كنت في الخامسة والعشرين عندما دخلت."

– "و؟"

– "أربعة ماتوا في التدريب."

– "لا أستطيع القول إن ذلك يفاجئني. كدت أموت بضع مرات."

– "أنا أيضًا. ثمانية ماتوا في الميدان أثناء العمل في البرنامج. خمسة آخرون ماتوا أثناء أعمال لاحقة، إما في الـ CIA، أو في وظائف أمنية عالية المخاطر في القطاع الخاص، أو انتحارًا." شرب راسل من زجاجة الشمبانيا. "وذلك، يا صديقي، يترك جينتري وويتلوك، وحيدين في هذا العالم."

– "تبًا."

– "مهلًا، الأمر ليس بهذا السوء. لو كان هناك المزيد منا، لكانت قيمتنا أقل."

– "القيمة الأعلى تعني مجرد هدف أكبر على رأسك."

عارضه ويتلوك:

– "تعني أجرًا أكبر إذا كنت مستقلاً."

سأل كورت:

– "هل تتمنى أبدًا، أحيانًا، أن تعود لما كنت عليه من قبل؟"

سأل راسل:

– "قبل ماذا؟"

– "قبل أن نتدرب؟ قبل أن نُصنع."

تجرع راسل مرة أخرى.

– "لا. كلا بحق الجحيم. أبدًا."

لم يقل كورت شيئًا.

قال ويتلوك:

– "أفهم أنك تتمنى ذلك."

– "أحيانًا فقط"، اعترف كورت.

– "يجب أن تقدر ما أنت عليه." توقف للحظة. "يجب أن تقدره أكثر بكثير مما تفعل. لديك مجموعة مهارات، يمكن القول، لا يمتلكها سوى شخص واحد آخر على هذا الكوكب."

– "أنت؟"

– "نعم، أنا. كما قلت في الليلة الماضية، درست عملياتك. حرفيًا، كل شيء فعلته، كنت سأفعله بالطريقة نفسها تمامًا."

تمتم كورت ببعض السخرية في صوته:

– "يا للمصادفة."

– "أجل." بعد تردد طفيف، قال راسل: "بالطبع، العملية الوحيدة التي حيرتني هي كييف. أتمنى حقًا لو أعرف كيف نفذتها."

– "مرة أخرى مع كييف؟"

شرب راسل الشمبانيا. قبل بضعة أيام اعتقد أنه سيحتاج لكل تفاصيل عملية كييف لتأمين عقد كالب من الإيرانيين. لكنه احتال وتجاوز هذه الفجوة في معرفته وأغراهم بوعد اغتيال زاريني، والآن لم تعد تفاصيل كييف بتلك الأهمية. ومع ذلك، كان فضوله حقيقيًا.

– "يومًا ما يا كورت، سأنتزع المعلومة منك."

ساد الصمت على الخط لعدة ثوانٍ، ثم قال جينتري:

– "عليّ الذهاب."

– "لديك موعد غرامي؟"

– "لا. أحتاج للعودة إلى مكاني وإقامة حاجز في حال تمكنت من تتبع هذه المكالمة وخططت لإرسال طاقم آخر من القتلة في طريقي."

– "كورت، استخدم عقلك. لو أردتك ميتاً كان كل ما عليّ فعله هو البقاء في سريري ليلة الاثنين وترك مسلحي «تاونسند» يقتلونك. قد تكون لديك كل أنواع الأسباب الوجيهة لتكون مصابًا بجنون الارتياب، لكن في هذه الحالة أنت لست منطقيًا. أنا صديق. لست عدوًا. نحن واحد، أنا وأنت. عاجلاً أم آجلاً ستدرك ذلك. سنشكل فريقًا لا يُقهر."

اكتفى كورت بالقول:

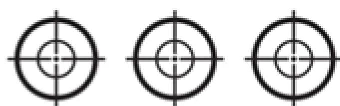
– "سأتواصل معك غدًا."

– "آمل أن تفعل، لمصلحتك. قد يكون لدى «تاونسند» تحديد لموقعك. ساعدني لأساعدك."

– "غدًا. بلا هراء هذه المرة. سأتصل."

انقطع الخط، وجلس راسل على حافة سريره الكبير وزجاجة الشمبانيا الباردة في حجره. كان يود استدراج جينتري أكثر قليلاً، وسحبه أعمق في خطته، لكن خطوة الليلة الصغيرة للأمام كانت أفضل بكثير من لا خطوة على الإطلاق.

لقد أجرى ابن العاهرة الغبي الاتصال، وكان ذلك هو المفتاح. وعندما يدرك كورت أن أحدًا لن يهاجمه بعد هذه المحادثة، حسنًا، استنتج راسل أن كورت جينتري، تلك الكتلة من البؤس والوحدة، سيبدأ على الأرجح في الاتصال به كل ليلة لعينة.



أمضى روث وآرون فترة بعد الظهر وأوائل المساء يسيران في نقاط العبور الإلزامية بالمدينة ضمن دائرة قطرها كيلومترين من متجر الإلكترونيات حيث اشترى جينتري حاسوبه. في الثامنة مساءً أحضرا طعامًا هنديًا سفريًا لهما ولفريق الطائرات المسيرة وأخذاه إلى المنزل الآمن. وبينما كان الاثنان يصعدان الدرج إلى شقة الطابق الرابع، كان مايك ولورين ينزلان الدرج، مستعدين لثلاث أو أربع ساعات من مطاردة رجل في ثلوج المساء.

في المنزل الآمن وزعت روث الطعام على الرجال الثلاثة وجلست معهم عند مركز التحكم بالطائرات المسيرة عبر الحاسوب المحمول. كان كارل يطير بطائرة «سكاي شارك» فوق «غاملا ستان»، الحي القديم في ستوكهولم، لكن أثناء طيرانه كان قادرًا على تناول بضع قضمات بيد واحدة من خبز النان المغموس في الصلصة وتبليعه بالبيرة.

أفاد لوكاس أنه في ساعات طيرانهم السبع شبه المتواصلة، كان لديهم أكثر من ستين مشاهدة محتملة، وكان يتعين استبعاد كل واحدة منها أو تأكيدها يدويًا من قبل فريق الطائرات المسيرة بالنظر إلى الصور على الحاسوب.

استبعد لوكاس وكارل جميع تلك المشاهدات.

قال لوكاس:

– "مع ذلك، إنه اليوم الأول فقط. من المحتمل أن يطلب منا باركس مواصلة التغطية لثلاثة أو أربعة أيام أخرى ما لم يظهر برنامج التعرف على الوجه الذي يستخدمونه على جميع الكاميرات المخترقة في المنطقة شيئًا في مكان آخر."

قالت روث:

– "إنه هنا. أستطيع شم رائحته."

تبادل كارل ولوكاس نظرة لكنهما لم يردا.

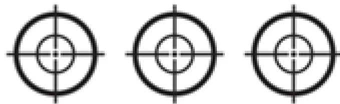
أنهى روث وآرون وجبتهما وتوجها إلى غرفتهما للحصول على بعض النوم؛ كانا قد خططا للنزول إلى الشوارع قبل الضوء الأول للصباح التالي. قرر فنيو الطائرات المسيرة من «تاونسند» إجراء مسح بطيء أخير فوق شارع مكتظ بالمشاة قبل إعادة طائرتهم للمساء.

بعد خمس عشرة دقيقة، كانت روث تنظف أسنانها في الحمام مرتدية سروالًا قصيرًا وقميصًا داخليًا فقط. خيل إليها أنها سمعت شخصًا ينادي، فأغلقت الصنبور.

– "آرون؟ هل قلت شيئًا؟"

لكن لوكاس هو من كان يصرخ، والآن كرر نفسه، بصوت أعلى هذه المرة.

– "لدينا تطابق!"



30

هرعت روث إلى غرفة المعيشة بملابسها الخفيفة؛ كانت قد نزعت عدساتها اللاصقة، لذا تعثرت وهي تحاول وضع نظارتها، وصفعت قدماها الحافيتان الأرضية الخشبية وهي تقترب.

– "هل أنت متأكد؟"

قال لوكاس:

– "أنا لست كذلك، لكن الكمبيوتر متأكد. حسنًا، متأكد نسبيًا. نحن نتتبع رجلاً منذ حوالي دقيقتين. التفت للخلف مرتين لينظر وراءه، وهو ما يبدو لي نوعًا من الحرفية الميدانية. والأهم من ذلك، برنامج التعرف على الوجه يحدد منطقة محيط العين لديه بنسبة تطابق 73 بالمائة."

نظرت روث من فوق كتف لوكاس إلى الشاشة ورأت صورة مخضرة لعشرات المشاة يتحركون في الظلام في الاتجاهين عبر مركز تسوق مفتوح. فرد وحيد في الحشد كان يمشي عبر الثلج والوحل مرتديًا معطفًا أسود بطول ثلاثة أرباع مع غطاء رأس. كان وجهه أو وجهها بعيدًا عن الكاميرا. لم تكن روث لتعرف أي شخص تركز عليه في المشهد لولا أن الشكل ذو المعطف الأسود كان مؤطرًا بمربع أحمر متراكب.

– "هل هذا هو؟"

– "راقبيه لثانية. سينظر للخلف."

فعلت روث ما اقترحه لوكاس، لكن بينما كانت تنتظر منه التحقق مما خلفه، طرأت لها فكرة. سألت:

– "كيف لم يلاحظ أحد الطائرة المسيرة؟ أنتم منخفضون جدًا."

كان كارل يقود «سكاي شارك» بهدوء، لكنه أجاب الآن، ووجهه لا يزال قناعًا من التركيز وهو يتحدث.

– "إنها خدعة صغيرة. تطير على ارتفاع أربعة طوابق تقريبًا، متحركًا بمحاذاة جدران المباني قدر الإمكان. خلال النهار لا تظهر الطائرة الرمادية والسوداء كظل أمام السماء، بل تندمج مع كل

الخرسانة والزجاج والمعدن. أما في الليل فأنت فوق أضواء الشوارع، لذا تكون غير مرئية أكثر."

أدار لوكاس كرسيه بسرعة نحو حاسوب محمول آخر على الرف، وبدأ يتلاعب بالفأرة وينقر المفاتيح بحماس.

سألت روث:

– "ماذا تفعل؟"

– "أضبط الكمبيوتر لتسجيل مشيته حتى نتمكن من تتبعه. المشية البشرية في الواقع فريدة جدًا. بمجرد الحصول على قراءة جيدة لنمط مشي جينتري الخاص، يمكننا العثور عليه وتتبعه تلقائيًا عندما يكون راجلاً. ليس أفضل معرف بيومتري، لكن إذا كان هو، فسيكون من السهل الحصول على قراءة قابلة للاستخدام لحصره في حشد لاحقًا."

أضافت روث:

– "إذا كان هو."

في تلك اللحظة خرج الشكل من تدفق حركة المشاة واقترب من المبنى على يمينه. أبطأ ونظر في واجهة متجر. توقف تمامًا الآن، والناس يمرون، ثم التفت ونظر عائدًا أعلى الشارع.

على الكمبيوتر أمام روث، كبرت الصورة تلقائيًا على وجه الرجل. كانت الدقة جيدة بشكل مدهش، رغم أن الوجه كان أخضر بسبب بصريات الرؤية الليلية.

قالت روث:

– "قد يكون هو. لا أزال لا أستطيـ..."

في تلك اللحظة قال لوكاس، الذي كان أمام الحاسوب الآخر:

– "التعرف رفع الاحتمالية إلى 90 بالمائة."

قالت روث:

– "حسناً إذن. أعتقد أننا أمسكنا بالوغد!"

هرعت روث وآرون بسرعة إلى غرفة النوم لارتداء ملابس تناسب البرد. وبعد ستين ثانية هرعا عائدين إلى غرفة المعيشة.

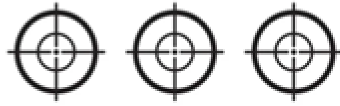
سألت روث، لوكاس وهي تنتعل حذاءها:

– "أين هو؟"

– "إنه في... تباً." جاهد لوكاس لقراءة الاسم السويدي على شاشة الخريطة المتحركة على الحاسوب. "دروتنينغ غاتان؟ كيفما كان نطقها، إنها تبعد حوالي عشرين دقيقة من هنا سيرًا على الأقدام. إنه يتجه شمالاً، مبتعدًا عنا."

– "سنأخذ السيارة." وضعت سماعة هاتفها في أذنها. "اتصل بنا بالمستجدات."

رفعت روث غطاء معطفها وتبعت آرون خارج الباب.



بعد عشر دقائق ركنت روث سيارة الـ«سكودا» التابعة للسفارة بجوار حديقة تيغنيرلوندن، وبدأت هي وآرون المشي بخفة عبر تساقط الثلوج، متبعين تعليمات لوكاس القادمة عبر سماعاتهم. كانوا قد استدعوا أيضًا لورين ومايك، اللذين سيقتربان قريبًا سيرًا على الأقدام من الجنوب.

قال لوكاس عبر نظام الاتصال الجماعي:

– "انصتوا جيدًا. إنه يسبقكم ببضع دقائق في... رادمانس غاتان، إذا كنت أقولها بشكل صحيح."

قالت روث:

– "مفهوم. يمكننا تتبعه. تأكد من أن طائرتك بعيدة عن الأنظار."

– "لا تقلقي."

– "أنا أقلق يا لوكاس. أخبر شريكك أن يبقي «سكاي شارك» في الخلف."

بعد توقف سريع أجاب:

– "يا سيدة، ما رأيك أن تقومي بعملك وتدعينا نقوم بعملنا؟ لن يرى الطائرة، لكنه قد يراكم أنتم."

تنهدت روث، مطلقة عمودًا طويلاً من البخار من فمها.

قبل أن تتمكن من قول أي شيء آخر، تحدث مشغل الاستشعار الأمريكي مرة أخرى.

– "أصبنا! لقد دخل للتو مبنى. توجه إليه مباشرة في خط مستقيم؛ أعتقد أنه كان يعرف بالضبط إلى أين يتجه."

– "أي مبنى؟"

– "انتظري دقيقة." كان هناك توقف بينما انتظر لوكاس، كارل ليضع طائرته في وضع يسمح برؤية العنوان وأي لافتات. بينما انتظرا، زادت روث وآرون من سرعتهما أكثر. إذا كان في الداخل الآن، فلن يراهما ما لم يقتربا كثيرًا من المبنى.

بينما كانا يمشيان، انضم مايك ديلمان ولورين تاترسال خلفهما على الرصيف. لم يعترف الزوجان ببعضهما البعض على الإطلاق. مشوا فقط في نفس الاتجاه، بفارق مئة قدم أو نحو ذلك.

– "إنه في الزاوية الجنوبية الغربية لشارع رادمانس غاتان و... تباً، كيف بحق الجحيم يُنطق هذا؟"

نبحته روث:

– "تهجأه صوتيًا يا لوكاس! أسرع!"

قال ببطء:

– "سفيا فاغن، أو شيء من هذا القبيل. غرب التقاطع بمربعين سكنيين توجد مساحة للمشاة في الهواء الطلق أعلى من الطريق بالأسفل. هناك درج يوفر إطلالة جيدة جدًا على المبنى الذي دخله الهدف. لا يوجد غطاء هناك، لكن ينبغي أن تتمكنوا من رؤية المدخل دون الاضطرار للاقتراب أكثر."

وصلت روث وفريقها إلى المطل بينما كان ينهي وصفه.

– "علم."

– "حسنًا. إنه في المبنى هناك على يمينك. على بعد أربعين ياردة."

– "ما هذا المكان؟"

كتب لوكاس العنوان في الكمبيوتر، ثم قال:

– "يوجد مطعم شرائح لحم (ستيك هاوس) في الطابق الأرضي، لكنه لم يدخل من ذلك المدخل. أخذ الدرج المجاور له إلى الطابق الثاني. إنها شقق إيجار رخيصة. مهاجرون. عائلات. هذا هو أسلوب جينتري. يحب الإقامة في مساكن منخفضة الإيجار. أراهن أن هذا هو المكان الذي يعيش فيه أثناء وجوده في المدينة."

وضع مايك ديلمان يده فوق سماعته حتى لا يسمعه رجال «تاونسند».

– "لنستدعِ وحدة «ميتسادا» ويمكننا ركوب الطائرة التالية للوطن قبل أن تتجمد خصيتاي وتسقطا."

ضحك آرون ولورين.

نظرت إليه روث بانزعاج. غطت ميكروفونها الخاص.

– "نحن لا نعرف حتى ما الذي يخطط له. لن تستهدف «ميتسادا» أي شخص في هذه العملية ما لم نعرف أن الرجل يشكل تهديدًا. لا أريد سماع المزيد من هذا الكلام."

قال مايك:

– "كانت مزحة يا زعيمة."

نظر آرون إلى روث للحظة.

– "ما الخطب يا روث؟ لماذا لا ندع «تاونسند» يسقطونه وننتهي من الأمر؟"

– "هذا الأمر يبدو مختلفًا. لا أستطيع تحديد السبب."

بث لوكاس عبر سماعاتهم الآن:

– "سنعيد «سكاي شارك» للقاعدة وننهي الليلة. سنعود إليه في الصباح. يمكنكم البقاء هناك إذا أردتم، لكن طاقتنا منخفضة."

بقي الإسرائيليون الأربعة عند قمة الدرج ينظرون لأسفل إلى شارع رادمانس غاتان لعدة دقائق، يمسحون المنطقة الحضرية من هذه الأرض المرتفعة للعثور على أفضل مكان لمراقبة المبنى. وبينما يمر الناس، صاعدين ونازلين الدرج بجوارهم، ناقش العملاء الأربعة بصوت خافت فيما بينهم أين سيقيمون نقطة مراقبتهم الليلية للمبنى.

بينما كانوا يقفون هناك، مرت عائلة مكونة من سبعة أفراد بفريق الموساد، ثم خاضت في الثلج نحو الدرج المؤدي إلى عقار الطابق الثاني. أصغر أفراد العائلة لم يكن عمرها يتجاوز العامين، وكانت تتهادى في الصف، وحذاؤها السميك يركل الثلج تقريبًا لمستوى عينيها.

قالت لورين:

– "أطفال. هذا يعقد الأمور."

أومأت روث.

– "مساكن المهاجرين مثل هذه عادة ما تكون مليئة بالأطفال. سنحتاج لرؤية ما بداخل ذلك المبنى. آرون، غدًا أريدك أن ترى ما إذا كان لديهم شواغر. سنسحب مخططات المبنى ونمرر أليافًا بصرية عبر الجدار إلى غرفة جينتري."

بينما كانوا يتناقشون، نظر آرون حول المنطقة المرتفعة التي كانوا يقفون عليها.

– "تعلمين، هنا بالضبط هو أفضل مكان لمراقبة المبنى الليلة. لا تحتاجين حتى لاستئجار شقة في الحي. ليس خط رؤية مثاليًا، لكنه ليس سيئًا."

وافقت قائلة:

– "لا. ليس سيئًا على الإطلاق." نظرت خلف كتفها، ثم لأسفل مرة أخرى نحو الشارع ومبنى جينتري.

قالت:

– "لقد ارتكب خطأً ما، تكتيكيًا، أليس كذلك؟"

كان السؤال لنفسها، لكن آرون رد.

– "تعنين الاختباء في ذلك المسكن الشعبي؟ مع وجود نقطة المراقبة الكاشفة هذه التي تغطي المدخل أعلى الطريق مباشرة؟"

أجابت وهي أكثر تشتتًا الآن:

– "نعم."

اقترحت لورين:

– "لديه الكثير ليفكر فيه، أعتقد. الخيارات المتاحة للتأجير في المنطقة محدودة."

– "لكن لماذا هذا المبنى؟ لماذا هنا؟"

أجاب مايك:

– "إنه ملائم. قريب من الترام. قريب بما يكفي من النهر إذا أراد القفز في قارب للخروج من المدينة. ملفنا عنه يقول إنه يستخدم الممرات المائية الحضرية في الأزمات. بالإضافة إلى وجود خيارات جيدة للطعام في الحي."

هزت روث رأسها.

– "ليست هذه طريقة تفكير هذا الرجل."

سألت لورين:

– "ماذا إذن؟ لقد أخطأ وحسب؟ تكاسل؟"

هزت روث رأسها مرة أخرى. ببطء في البداية، ثم بمزيد من التأكيد.

– "لا. لا، ليس هذا ما يحدث."

– "ما الذي يحدث إذن؟"

التفتت بعيدًا عن الدرج المؤدي للشارع، بعيدًا عن الرؤية الضيقة للنوافذ المؤدية لشقق الطابق الثاني. كانت حركتها بطيئة وغير مبالية، لكن كلماتها للآخرين كانت صارمة. آمرة.

– "استديروا وامشوا معي. الآن، اللعنة!"

سألت لورين:

– "ما خطبك؟" لكنها فعلت ما أُمرت به.

– "إنه يعرف أين ينظر."

– "ماذا؟"

– "لقد رأى الثغرة التي تخلقها نقطة المراقبة هذه؛ مستحيل أن تفوته. لكنه اختار ذلك الموقع رغم ذلك. فعل ذلك لأنه كان يعلم أن

البقاء هناك سيجبر أي مراقبة لمنزله الآمن على التمركز في تلك النقطة الواحدة. في كل مرة يخرج فيها من الباب الأمامي لذلك المبنى، سينظر مباشرة إلى هنا، كأول شيء يفعله. كل ما عليه فعله هو إبقاء عينيه على نقطة المراقبة هذه؛ وبمجرد أن يرى شخصًا هنا لا يقتنع به، شخصًا لا يتناسب مع المكان، شخصًا مثلنا نحن الحمقى الأربعة الواقفين في الثلج نراقب بابه، على سبيل المثال، سيعرف أنه قد انكشف وسيختفي."

غادر الأربعة نقطة المراقبة معًا، متجهين في الاتجاه الآخر. تجولوا صعودًا في الشارع، عائدين عبر مرتفع طفيف في شارع رادمانس غاتان.

قال آرون:

– "هذا عبقري بحق الجحيم. إذا كنتِ محقة، طبعًا. ربما تعطينه تقديرًا أكبر من..."

– "لست أعطيه تقديرًا مبالغًا فيه. إنه بتلك البراعة."

– "إذن، هل رآنا؟"

هزت روث كتفيها وهي تمشي، يداها محشورتان في جيوب معطفها ورأسها مائل للأمام في مواجهة الثلج. كانت غاضبة من نفسها، لكنها لم ترغب في التوقف عند الأمر أمام رجالها.

– "لا. لا أظن ذلك. إذا كانت لديه نافذة جانبية فقد يكون لديه خط رؤية على نقطة المراقبة من شقته، لكن الاحتمال ضئيل. أعتقد أننا نجونا بأعجوبة." أصبحوا في مكان آمن الآن، فالتفتت لفريقها. "يجب أن نكون أذكى مع هذا الرجل. أبطأ. وأكثر ترويًا في أفعالنا. افقدوه، على المدى القصير، إذا اضطررتم لذلك، لكن لا تنكشفوا. لا أريد لجينتري أن يختفي من ستوكهولم ويظهر مجددًا عند اغتيال كالب."

– "ماذا تريدين منا أن نفعل؟"

– "أريد شخصًا هنا، طوال الليل. كان هناك موقف حافلات في أعلى الشارع؛ خط الرؤية منه سيئ على المبنى بأكمله، لكنه سيوفر لنا رؤية للباب الأمامي على الأقل. غدًا يمكننا البحث عن شقة أو مساحة مكتبية في الشارع للحصول على تغطية بصرية على مدار 24 ساعة."

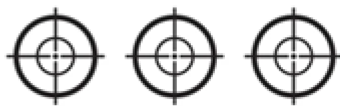
تنهدت روث، والمزيد من البخار يتدفق من فمها. كانت واثقة من قدراتها وقدرات فريقها، لكنها أدركت الآن أنها تواجه خصمًا يلعب هذه اللعبة بمستوى النخبة منذ فترة طويلة. كان بإمكانها إجراء مكالمة واحدة للموساد والحصول على دزينة أخرى من فنيي المراقبة هنا في غضون أربع وعشرين ساعة، أجنحة إلكترونية كاملة، وعربات وكاميرات وأوراق اعتماد مزورة لمنحهم الوصول لأي مكان يريدونه.

لكن روث أرادت إبقاء هذا التحقيق صغيرًا. هذا الهدف سيهرب عند أول بادرة للمتاعب، وبدت طائرات «تاونسند» المسيرة تقنية فعالة مع احتمال ضئيل للانكشاف.

سيكفي ذلك في الوقت الحالي.

وأكثر من هذا، لم تكن مستعدة بأي حال لاستدعاء المزيد من أبناء بلدها، لأنها لم تكن تعلم بعد أنها تطارد رجلاً يشكل تهديدًا لقيادتها.

كل ما عرفته على وجه اليقين هو أن الأمريكيين يريدونه ميتًا بالتأكيد.



31

فرغ راسل ويتلوك من احتساء زجاجة "الشمبانيا" ومن التهام طبق الأجبان، ووقف الآن في شرفة الطابق الخامس يرمق حركة المرور الليلية في مدينة نيس وهي تنساب بضجيجها المعهود عبر جادة فيكتور هوغو. كانت نسمة باردة تتسلل عبر أزرار قميصه الرسمي، وقد منحه هذا النسيم -مع أثر الكحول- شعوراً بالاسترخاء لم يختبره منذ أمد بعيد.

إن الرضا الذي غمره بعد مكالمة جينتري عزز لديه هذا الإحساس بالسكينة؛ فعندما ينتهي كل شيء -بعد أسبوعين من الآن على أبعد تقدير- لن يدرك سوى القليل جداً من الناس حقيقة ما صنعه، وحتى هؤلاء القلة لن يميلوا للاحتفاء بفعلته. كلا، لن تنال الفضل والشهرة، ولن يغدو أسطورة تتردد الألسن بذكرها.

تأسف على هذا لثانية وهو واقف في الشرفة، لكن سرعان ما ارتسمت على ثغره ابتسامة.

فكل القتلة المشهورين يعيشون حياة الطرائد، تماماً كما يفعل كورت جينتري الآن.

وكل الأساطير ليسوا إلا موتى، تماماً كما سيكون كورت جينتري حين ينتهي هذا الأمر.

رن هاتفه، فأخرجه من جيبه ونظر إليه في الضوء الخافت؛ كان المتصل هو "منزل تاونسند".

وضع سماعة الأذن وقال بصوت خفيض:

- "تفضل."

– "معك غريفسايد."

كان الصوت بوضوح لـ بابيت، لكن راسل التزم ببروتوكول الهوية:

– "أثبت هويتك."

– "رمز الهوية: ثمانية، اثنان، أربعة، أربعة، تسعة، سبعة، اثنان، تسعة، ثلاثة."

– "تم التأكيد. معك 'ديد آي'. رمز الهوية: أربعة، ثمانية، واحد، صفر، ستة، صفر، خمسة، اثنان، صفر."

– "تم التأكيد. كيف تشعر الآن يا راسل؟"

– "أنا في طور التعافي."

– "جيد. أين أنت الآن؟"

أدرك راسل أنه لا يمكنه الكشف عن وجوده في نيس، فقال بدلاً من ذلك:

– "في فرانكفورت."

– "هل أنت مستعد للعودة إلى العمل؟"

ليس تماماً، لكن راسل استدار في الشرفة وبدأ يتجه عائداً إلى غرفته قائلاً:

– "بالطبع."

– "توجه إلى ستوكهولم."

توقف ويتلوك فجأة؛ وسأل بدهشة:

– "حسناً.. لماذا؟"

– "لقد حددنا موقع الهدف، وهو تحت المراقبة الآن."

سحقاً! صمت برهة ثم قال:

– "هذا خبر جيد،" رغماً عن أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك. "أين هو؟"

– "لقد استأجر شقة في شارع رادمانس غاتين، في قلب المدينة تماماً. ادخل المدينة وسنقودك إلى موقعه، ما لم نعد بحاجة إليك هناك بحلول وقت وصولك."

– "ماذا يعني ذلك؟"

– "فريق جامبر سيتدخل في أول فرصة سانحة."

– "فريق جامبر يلاحقه الآن؟" تباً، تباً، تباً!

– "كلا، لكنهم سيكونون هناك خلال ساعات قليلة. لقد حددت هويته طائرات المراقبة التابعة لنا، وهناك وحدة صغيرة من ضباط الموساد تتولى المراقبة الليلية."

بدأت عروق عنق ويتلوك تنبض بغضب مكتوم:

– "لحظة.. ماذا؟ الموساد؟ وكيف علمت أن الموساد يطارد الرجل الرمادي؟"

– "نحن ننسق مع فريق استهداف من قسم الجمع لديهم."

انقبض فك ويتلوك؛ لكنه تحكم في غضبه بما يكفي ليسأل:

– "ولماذا لم أسمع بهذا إلا الآن؟"

– "كنتُ بحاجة لأن تتوقف عن العمل بعد واقعة تالين. أمرتُ غرفة الإشارة بوقف إرسال أي معلومات استخباراتية إليك لبضعة أيام، كي لا تقحم نفسك في المعمعة مجدداً قبل أن أرى أن الوقت أصبح آمناً أو مناسباً لفعل ذلك."

صارع ويتلوك ليحافظ على نبرة صوته هادئة:

– "وما مصلحة الموساد في جينتري؟"

– "تلقوا معلومة تفيد بأنه قبل عقداً لاغتيال إيهود كالب."

ارتمى راسل على السرير ووضع وجهه بين يديه. صرخ اللحم المتورم والمتمزق في وركه الأيسر من أثر حركته الطائشة، لكنه تجاهل الألم وجاهد ليظل صوته متزناً:

– "لي.. أجد صعوبة بالغة في تصديق أن جينتري قد يستهدف رئيس وزراء إسرائيل."

– "ونحن كذلك. فمحللونا لا يرون في كالب هدفاً محتملاً لـ الرجل الرمادي."

– "إذن.. لماذا نقحم الموساد في عمليتنا؟"

– "كارمايكل في لانغلي هو من فرض ذلك. وبيننا وبينك، هو يعاقبنا على ما حدث في تالين، ويستخدمهم فقط كجهة رقابية على عمليتنا؛ يجبرنا على التنسيق معهم، وهو يعلم أنهم سيشكون إليه مباشرة إذا وجدوا في عملنا ما لا يعجبهم."

– "كثرة الطباخين تفسد الطبخة يا لي."

– "أسمعك جيداً، وأتفق معك. لكن يدي مغلولة. فريق الموساد المكون من أربعة أشخاص موجود هناك بالفعل، وقد اندمج مع طاقم طائراتنا المسيرة في الموقع، وأتوقع منك التنسيق معهم عند وصولك. يمكنني إرسال طائرة إلى فرانكفورت، ولكن إذا أردت ترتيباتك الخاصة، فلا بأس بذلك."

لم يكن راسل يصغي؛ فقد استلقى على السرير الضخم يحدق في السقف. الإيرانيون لديهم جاسوس في بيروت. ماذا عرفوا؟

على المدى البعيد، أراد راسل أن يظن العالم أن كالب قُتل بيد الرجل الرمادي، لكن ذلك كان يفترض حدوثه بعد الواقعة، لا قبلها. أما الآن، فإن هذا لا يؤدي إلا لزيادة التضييق على جينتري، وإرسال

الموساد خلفه في الوقت الذي يحتاج فيه ويتلوك لـ جينتري أن يظل بعيداً عن الأنظار.

– "راسل؟ هل أنت معي؟"

اعتدل راسل في جلسته. لم يكن أمامه سوى الاستمرار في تمثيل دوره، والأمل في أن يتحدى جينتري الصعاب مرة أخرى في مسيرته ويفلت من الأنشوطة التي تضيق حول عنقه.

قال:

– "أجل. سأصل إلى ستوكهولم بطريقتي الخاصة، وسأتصل بك عند وصولي."

قال بابيت:

– "أسرع.. فإذا حدث أي تأخير لفريق جامبر، أو أخفقوا بأي شكل، فثمة احتمال أن يرسل الموساد رجاله لتصفية جينتري بأنفسهم."

قال راسل وقد ازداد وجهه قتامة:

– "وحدة ميتسادا." ثم نهض وبدأ يروح ويجيء في جناحه متمتماً لنفسه أكثر مما هو لـ بابيت: "هذه مشكلة."

– "أنت محق تماماً، إنها مشكلة عويصة! فريق جامبر يجب أن يتحرك قبل أن يزداد تورط الإسرائيليين. الوقت يداهمنا هنا، وأريد تصفية الهدف خلال الساعات الاثنتي عشرة القادمة."

– "عُلم."

أنهى راسل المكالمة، لكنه استمر في الرواح والمجيء لبرهة. كان غاضباً من جينتري أكثر من أي شيء آخر. كيف لذاك الذي يُفترض أنه أعظم عميل في العالم أن يُكشف أمره عبر برمجيات التعرف على الوجوه، وتحدده طائرة مسيرة، ويلاحقه ضباط استهداف من

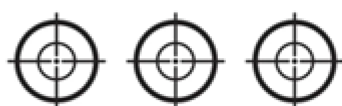
الموساد؟ وخلال ساعات، سيجد نفسه محاصراً بطوق من القتلة المسلحين.

أما راسل، فكان على بُعد ألف وخمسمائة ميل، عاجزاً عن السيطرة على مجريات الأمور. أجل، كان بإمكانه تحذير جينتري لو اتصل الأخير خلال الساعات القادمة، لكنهما تحدثا لتوّهما، لذا لم يرَ أي فرصة لسماع صوته قبل أربع وعشرين ساعة أو أكثر.

صار كورت وحيداً في مواجهة مصيره، ولم يملك راسل إلا الأمل في أن يتمكن ذاك الأبله -الذي يبدو أن قدراته مبالغ فيها بشدة- من الهرب بمفرده.

فإذا مات جينتري قبل موت كالب، فستنهار خطة ويتلوك الكبرى تماماً.

صرخ عالياً في غرفته بالفندق: "جينتري!"، وضرب الجدار بقبضته، لتكدم ضربته مفاصل يده وتجرحها.



فتح كورت عينيه بسرعة ونظر يمنة ويسرة، يتلمس طريقه في الظلام.

في نهاية الممر تعالت صرخة رضيع، لكنه لم يظن أن هذا ما أيقظه.

اعتدل في جلسته فوق فراشه الملقى على الأرض وفرك عينيه، ثم مد يده لهاتفه ليتفقد الوقت.

كانت الرابعة فجراً.

أعاد الهاتف للأرض واستلقى على ظهره مجدداً، لا يزال يحدق في السقف.

كانت أصوات وروائح ذاك المبنى السكني المتهالك تملأ المكان –فلا بد أن هناك خمسين أو ستين نفساً يقطنون الطابق الثاني وحده من هذا المبنى– لكن جينتري قضى نسبة كبيرة من لياليه طوال السنوات الخمس الماضية في أماكن تشبه هذه تماماً، لذا لم تعد جلبة القاطنين ولا صراخ الأطفال ولا المشاجرات بلغات غير مفهومة تزعجه منذ أمد بعيد.

كان بقية المستأجرين من المهاجرين؛ بولنديون أو أتراك أو قادمون من دول البلقان. ومعظم الوحدات السكنية الصغيرة الأخرى تسكنها عائلات؛ فالأطفال منتشرون في كل ركن، وكانوا يركضون جيئة وذهاباً في الممرات طوال المساء.

أما الآن، فباستثناء صرخة ذاك الرضيع، كان السكون سيد الموقف.

ولم يكن الطفل هو ما منعه من النوم. كلا، ليس هذا هو السبب.

بل كانت تلك المكالمة الهاتفية مع ويتلوك. لم يقل راسل شيئاً يثير ريبته أو يقلقه بشأن أمنه الشخصي؛ بل على العكس، حاول الرجل إثبات صدقه حين أشار إلى أنه لو أراد قتل كورت لكان قد فعل ذلك بالفعل.

هذا صحيح، اعترف جينتري لنفسه وهو مستلقٍ يتدبر الأمر، لكنه ليس دليلاً قاطعاً كما يحاول ويتلوك تصويره. فالناس يتغيرون، وتتغير معهم دوافعهم ورغباتهم والأوامر الصادرة إليهم. بإمكان كورت أن يسرد قائمة طويلة بأسماء رجال عرفهم ولم يكونوا يريدون موته، حتى جاء اليوم الذي رغبوا فيه فجأة في رؤيته جثة هامدة.

لقد كانت حياة كورت غريبة في هذا الجانب.

ورغم أن جينتري لا يزال يعتبر ويتلوك تهديداً محتملاً، إلا أن ويتلوك نفسه لم يكن هاجسه الأكبر، بل كانت التكنولوجيا ذاتها هي ما يؤرقه. ذاك البرنامج المسمى "موبايل كريبت". فـ كورت لا يثق في تكنولوجيا لا يفهم كنهها تماماً، وكان عليه أن يتقبل حقيقة أن التكنولوجيا في العالم تتطور بشتى الطرق، وقلما تمنحه هذه الطرق أي ميزة تفضيلية.

بل إن معظم المزايا تذهب لصالح من يطاردونه.

ساور كورت القلق من أنه لم يعد يواكب العصر. فهو لا يزال يتجول وهو يلتفت خلفه، ويثبت شعيرات على إطار بابه ليعرف إن كان أحد قد دخل غرفته. وفي الوقت نفسه، يخبره ويتلوك أن شركة تاونسند قد كشفت أمره بواسطة آلة لعينة تطير.

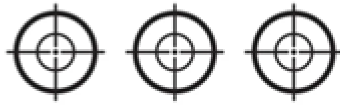
كان عليه أن يعتزل هذه اللعبة. فقواعدها تتغير، وكفتها تميل ضده أكثر فأكثر، ورأى أن من المحتوم أن يخطئ التقدير يوماً ما في لحظة حرجة، فيُقتل بسبب تكنولوجيا لم يسمع بها قط في حياته اللعينة.

ومع كل ما قيل، لم يكن يدري إلى أين يذهب ليكون في أمان أكثر مما هو عليه الآن. لقد أعجبته ستوكهولم حتى الآن، وراقت له فرصه هنا وهو يتحرك ووجهه مغطى. لم يكن يريد الرحيل، ولا الهرب من قوى غامضة –وربما متخيلة– من عصر الفضاء تطارده.

لم تكن ستوكهولم هي المشكلة.

بل كانت المشكلة في تلك المكالمة وما كشفته من نقاط ضعفه. قرر في تلك اللحظة أنه لن يعاود الاتصال بـ راسل، وأنه سينتقل إلى مكان آخر في المدينة هذا الصباح.

منحه هذا القرار شيئاً من الراحة، ومع ذلك، جفاه النوم.



32

استيقظت روث في الرابعة صباحاً. لم تكن قد نامت سوى أقل من أربع ساعات، وهي حقيقة أكدها لها جسدها المرهق قبل أن تمد يدها لتتحقق من الوقت في هاتفها.

في هذه اللحظة، لابد أن مايك يقبع منكمشاً طلباً للدفء على مقعد يبعد نحو ثمانين ياردة عن موقع الهدف في شارع رادمانس غاتين، متوارياً داخل موقف حافلات مغطى في الظلام وبعيداً عن أي زاوية رؤية لنوافذ المبنى. تعين على روث النهوض لتذهب وتبادله المناوبة لثلاث ساعات، وبعدها تأتي لورين لتبادلها.

كانت روث ترهق فريقها بالعمل، وهي تدرك ذلك جيداً، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة لتجنب تكرار ما حدث في الربيع الماضي في روما.

في روما، كانت معلوماتها الاستخباراتية مثالية؛ فقد تتبعت هي وفريقها مسلحاً من حزب الله إلى منزل في منطقة مونتي ساكرو بالمدينة، وأكدت مراقبتهم أنه يخطط لضرب إيهود كالب في مؤتمر مناخي مرتقب.

نقلت روث معلوماتها إلى وحدة ميتسادا، مشفوعة بطلب للاستمرار في المراقبة لبضعة أيام أخرى للحصول على رؤية أفضل لما يدور داخل منزل مونتي ساكرو.

لكن طلبها رُفض، وأصدرت قيادة الموساد أمراً بالاقتحام الفوري. أشار تقرير داخلي صُدر بعد الواقعة إلى أن الرغبة في زيادة مخصصات العمليات الخاصة في "الكنيست" في الأسبوع التالي كانت هي الدافع الساخر وراء أمر التحرك الفوري.

وأياً كان السبب، ضربت وحدة ميتسادا المنزل، متجاهلة طلب ضابطة الاستهداف الميدانية.

قُتل خمسة أبرياء؛ أب وأم وثلاثة أطفال. كان قاتل حزب الله قد اختطفهم واحتجزهم كرهائن لاستخدامهم كأوراق ضغط عند الحاجة. وعندما اقتحم الكوماندوز الباب الأمامي للمنزل، دفع الإرهابي العائلة نحو السلم؛ فظن الإسرائيليون أن تلك الأشباح المندفعة والهاوية في ضوء مصابيح أسلحتهم تشكل تهديداً، فأردوهم جميعاً قتلى قبل أن يتبادلوا إطلاق النار مع إرهابي حزب الله ويقتلوه.

صارت روث حطاماً نفسياً بعد تلك الكارثة. لكن سرعان ما تمت تبرئتها من أي خطأ، فطالبت بالعودة إلى العمل. عارض يانيس ذلك في البداية، وأجبرها على قضاء بعض الوقت في جلسات الإرشاد النفسي. لكن، وسواء كانت محطمة أم لا، فقد كانت بارعة جداً في عملها، والتهديدات ضد رئيس الوزراء كالب كانت كثيرة، لذا أُعيدت للخدمة في غضون أيام، ومنذ ذلك الحين وهي تعمل بجهد مضاعف.

فركت روث عينيها وتفقدت درجة الحرارة المحلية عبر تطبيق في هاتفها، ثم فركتهما مجدداً، لتتأكد أنها ترى الشاشة بشكل صحيح.

تمتمت بتذمر مسموع: "ثلاث درجات فهرنهايت؟ أحقاً هذا؟"

وبينما كانت تنهض من فراشها الدافئ، تناهت إلى مسامعها أصوات في غرفة المعيشة بالمنزل الآمن. أصوات رجال. ظنت في البداية أنهما كارل ولوكاس يتبادلان الحديث، مما أثار دهشتها نظراً

لساعة الفجر هذه. لكن في غضون ثوانٍ، تيقنت أن هناك متحدثين جدداً في المكان.

بجوار المكان الذي كانت تنام فيه روث في السرير المزدوج، لم تتحرك لورين.

– "من هؤلاء بحق الجحيم؟" كان هذا سؤال آرون القادم من السرير في الجانب الآخر من الغرفة.

لم تجب روث؛ بل خرجت من الغرفة، ووضعت نظاراتها، وتلمست طريقها في الممر المظلم نحو الأضواء الساطعة في غرفة المعيشة.

كانت الأصوات تعلو كلما اقتربت، وسمعت أيضاً صوت ارتطام وجلبة ناتجة عن تحريك معدات. بدأت ترتاب في أنها تعرف ما يحدث حتى قبل أن تراه عيناها.

أوه لا.

دخلت روث غرفة تعج بالرجال، عشرة في المجمل، بما في ذلك لوكاس وكارل اللذين كانا بوضوح قد استيقظا للتو.

لم تكن تعرف الضيوف الجدد، لكن روث لم تكن بحاجة لخبرة ثلاثة عشر عاماً في مجال الاستخبارات لتدرك أنها تنظر إلى فريق التصفية التابع لـ تاونسند.

قال رجل أمريكي ضخم ملتحٍ يرتدي قبعة صوفية وسترة تزلج بلكنة ريفية غليظة:

– "صباح الخير.. لابد أنكِ روث."

كان يتحدث ويتحرك كأنه الآمر الناهي في هذه الحاشية، واجتاز الغرفة نحوها كأنه يملك المكان. وتابع قائلاً:

– "أنا جون بومونت."

صافحته، لكنها كانت حركة تنم عن الالتزام لا الود. وقالت بحدة:

– "لا تقل لي إنكم تخططون لغارة على ذاك المبنى السكني."

– "أنا أذهب إلى حيث يرسلونني يا سيدتي. وأفعل ما يملونه عليّ. تماماً مثلكِ، أليس كذلك؟"

هزت رأسها بحدة؛ فـ روث كانت تهوى السيطرة، وشعرت بذعر متزايد من فقدانها.

– "نحن لا نعرف شيئاً عن موقع الهدف داخل المبنى. في أي غرفة يقيم، وكم عدد الآخرين معه. نعرف أن هناك عائلات.. وأطفالاً. الوقت مبكر جداً للقيام بعمل عسكري."

– "سنضربه في الساعة السادسة تماماً، وهو وقت متأخر في نظري، لكن ضوء الفجر هنا لن يظهر قبل التاسعة وخمس وعشرين دقيقة."

ازداد ذعر روث وقالت:

– "كلا! عليكم منحنا مزيداً من الوقت. نصف يوم على الأقل."

أخرج بومونت علبة من التبغ من جيبه الخلفي وبدأ ينقر عليها بيده ليضغطها للأسفل داخل العلبة.

– "أنا لا أعمل لديكِ يا عزيزتي، لذا لستُ مضطراً لفعل أي شيء مما تقولين."

– "عفواً؟"

– "عليكِ أن تهدئي. فنحن لن نطلق النار على الأطفال. انظري، أنا نفسي أود الحصول على صورة أفضل للتصميم الداخلي لذاك المكان، لكن علينا أن نتكيف ونتغلب على الصعاب. سندخل بملابس مدنية خفيفة." ثم ابتسم ابتسامة ملتوية وأضاف: "سنكون في غاية اللطف مع كل من يبقى بعيداً عن طريقنا اللعين." وضع بومونت قبصة من التبغ في فمه وغمز لها بعينه.

ضحك اثنان من رجاله خلفه. نظرت إلى الآخرين فأبصرت الأسلحة لأول مرة. بنادق "ميكرو أوزي"، وهي رشاشات صغيرة من صنع إسرائيلي، ومسدسات لم تتعرف عليها في جرابات مزدانة بمخازن إضافية. كانت روث نفسها قد تدربت على الأسلحة بالطبع، لكنها لم تكن تحملها في الميدان، ولم تكن لديها أي رغبة في ذلك.

– "ستدخلون ببنادق 'عوزي'؟ أجل، هذا هو 'اللطف' بعينه."

قال بومونت:

– "أنا على وشك إعداد الإفطار. أفكر في صنع 'عجة'. هل تعرفين ما يقولونه عما يتطلبه صنع العجة؟"

– "عن ماذا تتحدث بحق الجحيم؟" كانت روث تائهة.

أجاب أحد رجاله على السؤال وهو يرفع بندقيته:

– "لابد من كسر بعض البيض يا رئيس."

قال بومونت:

– "هذا صحيح. والآن يا حلوتي، سنبذل قصارى جهدنا لتجنب وقوع خسائر في صفوف المدنيين. أنا جاد في هذا. لكننا سنقوم حتماً بتحييد كورت جينتري في ذاك المبنى في تمام الساعة السادسة."

– "أنت وغد صلف."

تجاهلها بومونت؛ فقد جرب حظه في الدبلوماسية الدولية وأخفق. استدار وبدأ في مساعدة فريقه في تجهيز المعدات.

شعرت روث أن مأساة روما تتكرر أمام عينيها، وكان عليها إيجاد وسيلة لوقف هذا الهراء. التفتت إلى لوكاس وكارل؛ بدا الرجلان صغيرين وضائعين في هذه الغرفة المليئة بـ "أكلة الأفاعي". لم يظهرا سعادتهما بهؤلاء الضيوف الجدد في غرفة معيشتهما، لكنهما بالتأكيد لم يبديا أي اعتراض.

هرعت إلى غرفتها وخطفت هاتفها من فوق الطاولة الجانبية.

فكرت في البداية بالاتصال بـ يانيس في تل أبيب، لكنها بدلاً من ذلك طلبت رقم بابيت في واشنطن، حيث كانت الساعة هناك قد تجاوزت الثامنة مساءً بقليل.

بدأت المحادثة بأهدأ نبرة استطاعت استجماعها:

– "سيد بابيت، أنا أتوسل إليك أن تمنحنا بضع ساعات لنواصل المراقبة."

– "ولماذا نفعل ذلك؟ يخبرني لوكاس أنكِ تعرفين مكانه. ويقول إن لديكِ عميلاً يراقب مكانه الآن."

– "خارج المبنى، نعم. سيكون من الحماقة إجراء مراقبة داخل الموقع الآن."

– "لا حاجة لذلك. كل ما علينا فعله هو الدخول والإمساك به."

– "تقصد قتله."

– "هذا يعتمد عليه؛ ومع ذلك، سأقول لكِ شيئاً. لقد قتل العديد من رجالنا منذ أيام، لذا أمرتُ فريق الهجوم المباشر التابع لي بعدم خوض أي مخاطرات غير ضرورية."

كانت روث واثقة من أن خطتهم هي قتل جينتري، وأنه لا توجد لديهم أي نية لاعتقاله، لكنها لم توجه له الاتهام صراحة. بل واصلت محاولتها لإقناع شركة تاونسند بالانتظار:

– "مع بدء ساعات العمل اليوم، سأرسل أحد رجالي إلى المبنى ليستأجر غرفة، ومع القليل من الحظ، سيكون لدينا بث مباشر من الداخل بحلول الظهيرة."

– "أفترض أنكِ قابلتِ قائد فريق جامبر؟"

– "بومونت؟ نعم."

– "حسناً، إنه رجلي، وسأرسله إلى هناك هذا الصباح. لن يبحثوا عن تصوير فيديو، ولن يستأجروا غرفة. بل سيتحركون ببساطة عبر الملكية، ويحددون موقع الهدف، ويقومون بتحييده بأي وسيلة تكون أكثر سرعة."

قالت روث بانفعال:

– "أنت تعلم أن هناك أطفالاً في الداخل. عائلات مهاجرة، مكدسون فوق بعضهم البعض كأخشاب الوقود. سيكون هناك مهاجرون غير شرعيين؛ سيصابون بالذعر حين يرون رجالاً بيضاً يحملون السلاح. قد تتحول الأمور إلى حمام دم إذا بدأ جينتري بالتحرك وسط كل ذلك!"

– "لا يمكننا أن نفقد الهدف مجدداً. الأمر بهذه البساطة." ثم أضاف: "بومونت وفريقه بارعون جداً. وهذه هي الطريقة التي ينفذ بها رجال ميتسادا لديكم مهامهم."

– "ميتسادا لا تتدخل إلا بعد أن أزودهم بكل المعلومات التي يحتاجونها للقيام بعملهم دون وقوع خسائر جانبية."

– "كما حدث في روما يا آنسة إيتنغر؟"

أجبرت روث نفسها على أخذ نفس عميق.

– "واقعة روما كانت خطأً. والشرفاء قد يخطئون. ميتسادا لديها شرف. وجنود القوات الخاصة الأمريكية لديهم شرف أيضاً، وقد عملتُ معهم من قبل. أما هؤلاء الرجال لديك؟ من هم بحق الجحيم؟ إنهم يتصرفون كعصابة تخرج إلى البراري لجمع الغنائم! لا يمكنك الركض في عاصمة والبنادق تطلق النار في كل اتجاه! لسنا في الغرب المتوحش!"

– "أسمحي لي أن أختلف معكِ. نحن نعيش في أوقات عصيبة. أعداء أمريكا منتشرون بالتأكيد أكثر مما كانوا عليه في الغرب القديم، وأزعم أن التهديدات أكثر انتشاراً وتأثيرها أعمق على أمتي مما كان يحدث آنذاك. لكن عقليتنا هنا في تاونسند تشبه إلى حد بعيد عقلية رجال القانون المفوضين في ذاك العصر."

بدا لـ روث وكأن بابيت يقرأ من لوحة برونزية معلقة على جدار "منزل تاونسند".

فقالت:

– "ينتابني شعور بأنك لا تعرف حتى ما الذي فعله كورت جينتري ليستحق أمر القتل بمجرد الرؤية. وسواء كنت تعرف أم لا، فأنا واثقة أنك لا تكترث."

– "عليّ الذهاب الآن يا آنسة إيتنغر. يمكنكِ أنتِ وفريقكِ الانسحاب من هذه العملية إذا كنتم لا تشعرون بالارتياح تجاهها. نحن نشكر الموساد على مساعدتهم في هذا الأمر."

– "سأتصل بـ كارمايكل. سأضع حداً لعمليتكم الآن."

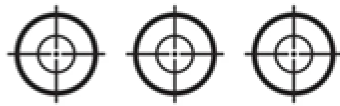
– "آنسة إيتنغر، أشك كثيراً في أن لديكِ النفوذ الكافي لتصلي بـ ديني عبر الهاتف، ولكن بافتراض أنكِ فعلتِ، فسأوفر عليكِ بعض العناء والإحباط. لقد حمل كارمايكل لواء عملية جينتري بمفرده تقريباً طوال السنوات الخمس الماضية. ومهما كان الشيء اللعين الذي فعله جينتري –وأنا أتحدث عما فعله قبل قتله لفريقه الميداني– فمن الواضح أنه كان شيئاً شخصياً جداً بالنسبة لـ ديني كارمايكل. إذا اتصلتِ به الآن وأخبرتِهِ أنكِ بحاجة لتوقف فريق جامبر قبل تسعين دقيقة من تحييدهم لـ كورت جينتري، فإما أن يضحك في وجهكِ، أو –وهذا ما

يقلقني– سيتصل بي ويطلب مني أن أدع السيد بومونت يقيدكِ أنتِ وفريقكِ كالأغنام كي لا تعترضوا طريق عمليتهم."

استشاطت روث إيتنغر غضباً.

زفر بابيت زفرة طويلة ومسموعة بدت لـ روث مزيفة تماماً كصورة "رعاة البقر" التي يحاول رسمها لشركته. ثم قال:

– "إنه أمر قبيح ذاك الذي يوشك أن يحدث هناك يا روث." ثم صمت برهة وأردف: "دعينا لا نزيد الأمور قبحاً."



33

خلال الثلاثين دقيقة الماضية، أصبح جليًا لـروث إيتنغر أنه رغم كل الطبقات التي ارتدتها – كل قطعة من معدات الشتاء الخاصة بها، وحتى السترة الإضافية التي أجبرت لورين على خلعها وإعطائها إياها قبل أن تركب لورين سيارة الـ«سكودا» الدافئة وتعود للمنزل الآمن – إلا أن أسفل حذائها لم يكن يتكون سوى من نعل مطاطي وبطانة رقيقة. حتى مع جواربها السميكة، نقلت الأرض المتجمدة برودتها إلى قدميها وساقيها. فبعد نصف ساعة فقط هنا في الظلام، شعرت وكأن العظام في أسفل ساقيها، وصولاً إلى ركبتيها، بدأت تتجمد وتتصلب.

كانت تضرب بقدميها الأرض، وتجلس أحياناً على المقعد البارد في موقف الحافلات وترفعهما عن الأرض، لكن لم تكن هناك طريقة حقيقية للدفء في الخارج والحرارة ثلاث درجات فقط.

بالطبع، كانت الأمور ستسخن قريبًا، بالمعنى المجازي على الأقل. ففي غضون أقل من ساعة، ستصل فرقة من المسلحين الأمريكيين إلى الشارع، ويدخلون باب المبنى السكني على بعد ثمانين ياردة من مكان وقوفها، ويصعدون الدرج، ثم يوجهون أسلحتهم نحو عشرات الأشخاص في الطابقين الثاني والثالث. سيجد الأمريكيون رجلهم، الذي هو نفسه فرد شديد العنف، ومن هناك ستنحدر الأمور نحو الأسوأ.

كانت روث قد اتصلت بيانيس ألفي لتشتكي بالطبع. وبينما كانت تقود سيارة الـ«سكودا» التابعة للسفارة عبر المدينة المظلمة، أيقظته من نوم عميق في تل أبيب وأخبرته بغضب أنها لم تدخل هذا المجال لتساعد صائدي جوائز أمريكيين من القطاع الخاص في إعداد غارة رعناء وغير مدروسة على منزل مليء بالأطفال لقتل رجل قام بالعديد من الأعمال البطولية في مسيرته، وتشتبه هي في أنه ملاحق ظلمًا من قبل الاستخبارات الأمريكية.

لم تذكر روما. لم تكن بحاجة لذلك. كان يانيس يعرف ما تفكر فيه.

فعل يانيس ما يفعله دائمًا عندما تغضب روث. استمع بأدب، وقدم حججًا مضادة لطيفة ومنطقية، ثم سأل روث ما إذا كانت ترغب في ترك العملية والعودة إلى الوطن.

قالت لا؛ كانت دائمًا تقول لا. وكانت دائمًا تجد طريقة لإكمال هدفها، ولهذا السبب كان يانيس ألفي يتسامح مع ضابطة الاستهداف شديدة التهور وشديدة الذكاء في آن واحد.

لكن هذه المرة كانت مختلفة، حيث أخبرها بعبارات لا لبس فيها أن قيادة الموساد أمرته بتقديم أي مساعدة يطلبها الأمريكيون في هذه العملية.

استشاطت روث غضبًا من ذلك، لكنها لم تصب جام غضبها على رئيسها. إذا كانت يدا يانيس مكبلتين، فلن تضيع أنفاسها في الشكوى إليه. لكنها كانت في حيرة مما قاله لها. لطالما بقيت قيادة الموساد بعيدة عن تحقيقاتها في الماضي. نعم، في روما ضغطوا لتحريك العناصر، لكن ذلك كان فقط بعد أن اقتنعت روث وفريقها بالتهديد.

لماذا بحق الجحيم يشككون في حكمها الآن بخصوص جينتري؟

جالسة في موقف الحافلات المغطى، أبعدت عينيها عن المبنى أعلى الشارع للحظة، للحظة فقط. نظرت عائدة إلى المبنى، وفي اللحظة ذاتها، انفتح الباب وخرج رجل وحيد. أضاء مصباح الشارع الرصيف بالقرب من الباب، وبينما مر تحته رأت المعطف الأسود بغطاء الرأس، والجينز الأزرق، وحقيبة الظهر السوداء في يده.

إنه هو. نظر أعلى الشارع وأسفله، وعلق حقيبته على كتفه، وانطلق في شارع سفيا فاغن نحو الجنوب في اتجاه النهر.

كانت روث مخفية في الظلام عند موقف الحافلات، لكنها وقفت الآن، متراجعة أعمق خارج خط بصره.

لقد غادر المبنى؛ يمكن لفريق «جامبر» القبض عليه الآن في الشارع. وكانت تعلم أنها حين تتصل سيفعلون ذلك بالضبط. سينطلق بومونت ورجاله في شاحنة ويمطرون جينتري بوابل من رصاص الرشاشات، ويسقطونه في الثلج، ثم ينطلقون هاربين.

مدت يدها لهاتفها، مستعدة للاتصال بآرون في المنزل الآمن ليخبر فريق «جامبر» أن الهدف يتحرك، لكنها أوقفت نفسها فجأة.

وجدت نفسها تواجه معضلة لم تختبر مثل خطورتها من قبل. لا شيء في هذه العملية يبدو صحيحًا. فكرت في «الرجل الرمادي»، والعمليات التي قام بها بمبادرته الخاصة. الرجل الذي يتلاشى عن الأنظار بعيدًا عن ضوء المصباح أمامها قد فعل شخصيًا ضد أعداء أمريكا – الأعداء الذين تتشاركهم روث وأمتها مع أمة مولدها – أكثر مما فعله أي شخص عرفته روث في حياتها.

والآن تجد نفسها في مركز حملة مسعورة لقتله، يديرها أناس لا تثق بهم، أناس رأت بأم عينها أن الأضرار الجانبية بالنسبة لهم تبدو مصدر قلق من الدرجة الثالثة، وتأتي متأخرة كثيرًا خلف إسقاط هدفهم وحماية مؤخراتهم.

لقد قرأت كل شيء عن كارثة تالين. شرطيان قُتلا، ومدني قتل. في أي من بيانات الموساد حول عمليات «الرجل الرمادي» المعروفة في السنوات الخمس الماضية لم يصب أي مدني من قبل القاتل المأجور.

لماذا هذه المرة؟

اعتقدت أنه من المرجح بكثير أن رجال «تاونسند»، أمثال ذلك الوغد بومونت، هم من قتلوا الشرطيين والمارة. قتل غير المقاتلين لم يكن أسلوب جينتري. وتجنبهم لم يكن بوضوح أسلوب «تاونسند».

سحبت روث يدها بعيدًا عن هاتفها. لن تكون جزءًا من هذا. لم تسامح نفسها أبدًا لعدم القتال بقوة أكبر ضد الهجوم في روما. رغم تبرئتها من قبل قيادة الموساد، كانت تعرف الحقيقة.

روما كانت خطأها.

هذه المرة ستفعل ما يجب عليها فعله.

لم تتصل بأحد. لا بفريق الطائرات المسيرة، ولا ببومونت، ولا حتى بآرون. لا، ستجد طريقة لإخراج «تاونسند» من الصورة، ثم

تستدعي وحدة «ميتسادا». بالتأكيد، قد يقتلون جينتري أيضًا، لكنهم سيمنحونها الفرصة للتحقيق أكثر، ولن يحولوا عمليتها إلى مقدمة لمذبحة.

وقفت في مكانها عند موقف الحافلات لثلاث دقائق، وقت كافٍ ليختفي «الرجل الرمادي» على بعد عدة مئات من الياردات أمامها. ثم أسرعت إلى واجهة المبنى السكني. الثلج المتساقط حديثًا والشوارع والأرصفة الخالية تقريبًا في الخامسة والربع صباحًا جعلت تتبع آثار أقدامه أمرًا سهلاً. تبعتها جنوبًا لعشر دقائق؛ بقيت الآثار على شارع سفيا فاغن، رغم أنها عبرت مرة إلى الجانب الآخر من الشارع، ومرة كان من الواضح أنه حاول تغطية آثاره بالمشي داخل مسارات شاحنة رأتها تمر من بعيد. لكنها التقطت الأثر مجددًا عندما انعطفت الشاحنة واستمرت الآثار الجديدة.

كان بإمكانها أيضًا رؤية الأماكن التي تغيرت فيها مشيته، الأوقات التي أبطأ فيها لينظر خلف كتفه، وفي كل مرة رأت ذلك كانت توقف نفسها، وتأخذ وقتها وهي ترتعد وتنتظر، لتتأكد أنه بعيد بما يكفي بحيث لا يمكن أن يكون بانتظارها لتلحق به.

انعطفت الآثار وانعطفت مرة أخرى في شارع دروتنينغ غاتان، شارع التسوق حيث وجده فريق الطائرات المسيرة لأول مرة في الليلة السابقة. في هذا الشارع كان عدة أشخاص يمشون، أولئك سيئو الحظ الذين عليهم التواجد في العمل بحلول السادسة صباحًا. ونتيجة للمشاة الآخرين وجدت صعوبة متزايدة في تتبع آثاره، لكنها التقطتها لفترة قصيرة قبل نهاية الشارع مباشرة، على ضفاف نهر نورستروم. اتجهت آثار الأقدام إلى الجسر الصغير الذي يعبر النهر إلى غاملا

ستان، الجزيرة الصغيرة في وسط النهر وموقع مدينة ستوكهولم القديمة.

لم تصعد روث إلى الجسر. كانت قد سارت في هذه المنطقة في اليوم السابق وعرفت أن الطرق والممرات في الجزيرة ضيقة ومحصورة. لن يكون لديها طريقة لاتباعه الآن خلسة؛ يمكن أن يكون بانتظارها حول أي زاوية، لذا تراجعت.

لقد فقدته، وتساءلت الآن عما فعلته.

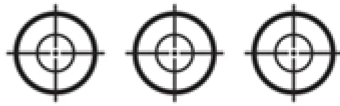
تحطمت عليها أمواج الشك في الذات، ومرتين كادت تتصل بآرون لتخبره بإحضار فريق «جامبر» إلى هنا بسرعة لأنه يهرب.

لكنها تمالكت نفسها.

لو كان جينتري يغادر المدينة لكان قد ذهب إلى محطة القطار، أو ركب سيارة أجرة للمطار، أو توجه إلى الأرصفة البحرية. لم يفعل أيًا من هذه الأشياء. إنه باقٍ في ستوكهولم.

ستجده مرة أخرى. يجب أن تجده.

استدارت وتوجهت عائدة لاستئناف مراقبتها للمبنى السكني، رغم أن هدفها كان قد غادر المكان منذ فترة طويلة.



ضرب فريق «جامبر» المبنى السكني في تمام الساعة السادسة صباحًا. كانت روث قد عادت إلى المنزل الآمن لتحزم أمتعتها مع بقية فريقها، وأخذت هي والإسرائيليون الثلاثة الآخرون استراحة من الحزم للوقوف خلف فريق الطائرات المسيرة بينما كانوا يوجهون طائرتهم عبر سماء ما قبل الفجر فوق المبنى الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية لشارعي رادمانس غاتان وسفيا فاغن.

بالطبع كانت تعلم أن «جامبر» لن يجد جينتري هناك، رغم أن مخاوفها ظلت قائمة من احتمال قتل أو إصابة غير مقاتلين أثناء الهجوم. مرتين بينما كان الأمريكيون في طريقهم لموقع الهدف تحدثت في الميكروفون على الطاولة، مذكرة بومونت وفريقه أنهم من المحتمل أن يواجهوا أوروبيين وسطيين حذرين من الشرطة أو المسؤولين الحكوميين، وقد يحاولون الهرب أو المقاومة، رغم عدم وجود علاقة أو معرفة لهم بالهدف.

في المرة الأولى التي أوضحت فيها النقطة، رد بومونت قائلاً: "هذه ليست بالضبط أول مرة لي في حلبة روديو يا سيدتي"، وهو ما ترجمته إيتنغر ابنة بروكلين الأمريكية بأنه يدرك احتمالية وجود غير مقاتلين في خط النار.

في المرة الثانية التي ذكرت فيها بومونت ورجاله بإبعاد أصابعهم عن الزناد حتى يتأكدوا من وجود «الرجل الرمادي» في مرماهم، رد الأمريكي الضخم بفظاظة: "لوكاس، أبعد تلك المرأة عن شبكة اتصالاتي!"

سحب لوكاس الميكروفون بعيداً عن روث.

وعندها بدأ قائد فريق «جامبر» الغارة.

جاءت اتصالات راديو المتعاقد الأمريكي عبر مكبرات الصوت على الطاولة. سمعت روث رجالاً يصرخون، ثم صراخ نساء وأطفال وما بدا كأصوات تحطيم أبواب أو أثاث.

لم يكن فريق «جامبر» دقيقاً في تكتيكاته، لكن كان على روث أن تعترف بأنهم كانوا سريعين بشكل رحيم. في غضون خمس دقائق نبح بومونت بغضب في ميكروفونه:

– "اتصال سلبي! غرفته فارغة. يبدو أنه غادر المكان."

سحبت روث الميكروفون من لوكاس.

– "هل سألت المدير في أي وقت غادر؟"

– "لم يعرف. إما أنه تسلل متجاوزًا فريقك أو أنه لم يكن هنا أبدًا من الأساس."

قال لوكاس:

– "لقد كان هناك."

اقترحت روث:

– "ربما تسلل إلى السطح. كانت لدينا تغطية من مسافة بعيدة فقط. ليس خط رؤية مثاليًا." تساءلت عما إذا كانت قد بالغت في تبريرها، لكنها لم تلحظ أي شك من المحيطين بها أو من قائد الفريق الأمريكي في موقع الهدف.

سأل كارل:

– "هل سنفترض أنه غادر المدينة؟ أعني، لماذا يغير موقعه في المدينة فقط وهو لا يعلم أن أحدًا قد حدد مكانه؟"

رد «جامبر»:

– "ربما طار الطائر من القفص، لكننا سنبقى هنا ونواصل البحث حتى تحصل «تاونسند» على تطابق في التعرف على الوجه. لديهم تغطية لكل شيء لمسافة بضع مئات من الأميال؛ لن يذهب بعيدًا."

– "علم."

قالت روث عبر الميكروفون:

– "قوارب الصيد."

– "ماذا عنها؟"

– "هذا أسلوبه. يجب استئجار قوارب الصيد لنقله إلى سفن الشحن. لقد عمل مع المافيا الروسية للحصول على ممر على ناقلات ترفع العلم الروسي."

بعد تردد قصير قال بومونت:

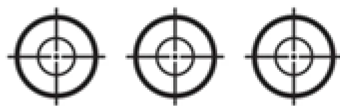
– "نعم. إنها محقة. أعتقد أننا سننزل إلى الأرصفة ونشمشم حولنا."

لم تشعر بالسوء حيال إرسال «جامبر» خلف رائحة خاطئة. كانت تأمل أن يبحثوا في الممرات المائية طوال اليوم.

أنهت روث وفريقها حزم الأمتعة؛ وأخبرت كارل ولوكاس أنهم سيبقون على اتصال، لكن في الوقت الحالي سيقوم الموساد باستطلاعه الخاص. كرهت فقدان المعلومات الاستخباراتية من الطائرة المسيرة؛ لم تكن لتجد «الرجل الرمادي» في أقل من يوم في ستوكهولم لولا عمل لوكاس وكارل وطائرتهما «سكاي شارك». لكنها عرفت أنه إذا حصلت الطائرة على إشارة أخرى عن الهدف فسوف يستدعون بومونت ورعاة البقر خاصته، وسيكونون على حافة كارثة أخرى مباشرة، ولم ترد روث التورط في ذلك.

قررت أنها وفريقها سيفعلون ذلك بالطريقة القديمة. سيتجهون إلى حيث رأته آخر مرة، ثم سيتفرعون ويبحثون حتى يجدوه.

لم تخبر فريقها أنها كذبت بشأن رؤيته يغادر المبنى في وقت مبكر. كانت تعلم أنهم سيدعمونها، لكن لا داعي لتوريطهم إذا اكتشف يانيس ألفي الحقيقة واستدعاها أو حتى طردها بسبب عصيانها.



34

في العاشرة صباحًا بالتوقيت المحلي يوم السبت، ترجل راسل ويتلوك من القطار في بلدة إز سور مير، رافعًا حقيبة كبيرة على ظهره أثناء نزوله. غادر المحطة الصغيرة وبدأ في الصعود الشاق لطريق شديد الانحدار يتعرج صعودًا وخلال قرية إز. خلفه وهو يمشي، امتدت مياه البحر الأبيض المتوسط الزرقاء حتى خط الأفق؛ وعلى مسافة قريبة جلست عشرات من قوارب النزهة الصغيرة ساكنة تحت شمس الصباح، من موناكو شرقًا إلى نيس غربًا وما ورائها.

لم ينظر راسل ويتلوك خلف كتفه نحو الماء والطرق أسفله إلا نادراً. لم يكن قلقًا من أن يُتبع اليوم؛ كان متأكدًا أن لا أحد يعلم بوجوده هنا. كما لم يكن قلقًا بشكل كبير بشأن الشهود على ما كان على وشك فعله. كان هذا موسم الركود في جنوب فرنسا؛ وحركة المشاة قليلة جدًا، حتى في المناطق السياحية الأكثر شعبية. لكنه كان قلقًا بشأن الكاميرات، ولهذا السبب تجنب الشوارع الرئيسية المرصوفة بالحصى في إز بمتاجرها وفنادقها ومطاعمها، والتي ستمتلك جميعها شكلاً من أشكال الكاميرات المتصلة بالإنترنت أو الدوائر التلفزيونية المغلقة لأغراض أمنية، وبدلاً من ذلك شق طريقه حول ظهور المباني، صاعدًا دائمًا، مبتعدًا عن البحر ونحو الشجيرات المنخفضة والنتوءات الصخرية على التل إلى الغرب من القرية.

كان وركه يؤلمه بالطبع؛ كان ينغصه مع كل خطوة.

أيًا كان عميل «تريسل» اللعين الذي أطلق النار عليه – لم يكن لدى راسل أي فكرة عمن سدد تلك الطلقة المحظوظة – كان راسل

يعلم أن الاحتمالات هي سبعة من ثمانية أن الرجل قد مات الآن، وشعر بمتعة كبيرة في ذلك.

اقترب من وجهته، لا يزال يصعد عبر الأشجار والشجيرات. كان قد تسلق المسار في الظهيرة السابقة، باحثًا عن المكان المناسب تمامًا، ومحددًا الطريقة التي يمكنه بها تجنب الآخرين أثناء الدخول والخروج من مخبأ القنص الخاص به.

بالطبع، العمل في وضح النهار مثل هذا لم يكن خياره الأول، لكن هذه كانت الفرصة الوحيدة لضرب هدفه. نعم، سيمر أمير زاريني على الطريق نفسه هذا المساء في عودته من موناكو، وحينها سيكون الظلام قد حل، لكن راسل لن يتمكن من تمييز مركبته في الظلام، ولا حتى بمنظار «ليوبولد».

إذا كان سيضرب زاريني ضمن مهلة الخمسة أيام التي وعد بها، فعليه أن يفعل ذلك بهذه الطريقة، وعليه أن يفعله الآن.

وجد مكانه بعد خمسين دقيقة من مغادرة محطة القطار، وأخذ وقته لإخفاء نفسه في الشجيرات الخضراء المنخفضة. استلقى في التراب، وحقيبة ظهره بجانبه، لكنه لم يفتحها بعد لاستخراج البندقية.

كان لديه بضع دقائق ليقتله الآن، وآخر شيء يريده هو أن يمر بعض المتنزهين الهيبيين الفرنسيين بمخبئه ويروه ببندقية سوداء طويلة.

كان متأكدًا أنه سيُرى من قبل شخص ما قبل أن ينتهي كل هذا، ربما في قرية إز التي تعود للقرون الوسطى على بعد مئة متر فقط إلى يساره، لكن تلك لم تكن مشكلة، لأن ماذا سيرون؟ ذكر أبيض في الثلاثينيات، ببنية رياضية، وشعر بني، ولحية بنية؟

بدا ذلك لـراسل وكأنه يشبه إلى حد كبير رجلاً آخر، رجلاً أكثر شهرة. وكان ذلك، بالطبع، مقصودًا.

تخيل الحدث القادم، وتماما كما فعل عند تخطيطه لكل جزء آخر من هذه العملية، فكر في «الرجل الرمادي». أراد أن يفعل كل شيء تمامًا كما سيفعله جينتري، لو كان هو الرجل الموجود هنا لقتل أمير زاريني.

عرف راسل ما يستلزمه ذلك. لقد قرأ كل قصاصة تملكها الـ CIA عن جينتري، وجميعها قادت حتمًا لاستنتاج واحد.

جينتري سيفعلها بشكل صحيح.

ففي النهاية، فكر راسل، إذا قرأت التقارير عنه، جينتري كان سلسًا. جينتري كان نظيفاً. جينتري كان الأفضل.

قال ويتلوك بصوت عالٍ:

– "حسناً، تباً لـجينتري."

يمكن لـراسل أن يكون سلسًا ونظيفاً تمامًا مثل «الرجل الرمادي»، وكان يعرف ذلك. لقد صفّى القائد الثاني في «القاعدة» في بغداد عام 2008، ومرة أخرى قضى على خليفته، هذه المرة في بيشاور، في عام 2011. في كلتا المرتين تسلل إلى منطقة محظورة دون أن يُكتشف، واستخدم بندقية M40 بكاتم صوت – وليس هذا الهراء الأجنبي الصنع «بليزر» الذي يعشقه «الرجل الرمادي» – وخرج نظيفاً.

نعم، يمكن لـراسل أن يفعلها تمامًا مثل جينتري.

أفضل، في الواقع، واليوم ستتاح له فرصة إثبات ذلك لنفسه.

بالطبع، لن يعرف أحد آخر أن عملية زاريني كانت من عمل راسل ويتلوك، وكان ذلك مقصودًا، رغم أن راسل أسف لهذه الحقيقة.

مجتمع الاستخبارات في الولايات المتحدة سينسب هذه العملية لـ«الرجل الرمادي»؛ سيحكون رؤوسهم قليلًا لأن الهدف سيبدو غريبًا مقارنة بعقود «الرجل الرمادي» العادية، لكنهم سينسبونها لـجينتري رغم ذلك.

اليوم سيضرب راسل عصفورين بحجر واحد. سيقنع الإيرانيين بأنه «الرجل الرمادي»، وسيجهز الطاولة لوكالات استخبارات العالم. سيرون قريبًا بما فيه الكفاية أن «الرجل الرمادي» يعمل لصالح الإيرانيين.

نعم، لقد وعد رجل «فيلق القدس» الإيراني بأنه لن تكون هناك عواقب مرتدة على إيران سواء في هذه الضربة مع زاريني أو اغتيال إيهود كالب. قالها بالفعل بملامح جادة.

لكن الحقيقة كانت مختلفة تمامًا. الحقيقة كانت، بمجرد أن يتقاضى ويتلوك أجره عن هذه العملية، سيحرص على أن يعرف العالم أن «الرجل الرمادي» قتل رئيس الوزراء وأن «الرجل الرمادي» يعمل لصالح إيران.

وبحلول ذلك الوقت، لن يكون المسكين كورت جينتري في وضع يسمح له بالدفاع عن نفسه.

نظر ويتلوك إلى ساعته.

حان الوقت.

فتح سحاب حقيبته وبدأ في تجميع بندقية «بليزر R93». جمع السلاح بالكامل في أقل من تسعين ثانية. ليس أسرع وقت له، لكنه لم يكن في عجلة من أمره. بمجرد تثبيت المخزن ذي الأربع طلقات في مكانه، لقم طلقة خامسة في غرفة النار وأغلق الترباس.

لم يتوقع الحاجة لخمس رصاصات. واحدة فقط. لكن الاستعداد دائمًا أمر جيد.

اتخذ موقعه خلف سلاحه ونظر عبر المنظار. مسح الطريق بعيدًا في الأسفل، شارع ريموند بوانكاريه، ووجد موقعًا مناسبًا لإطلاق النار عليه. تحقق من المسافة للهدف ورأى أنها 335 مترًا. ضبط الارتفاع على منظاره. قدر الرياح وحدد أن قيمتها لا تذكر لطلقة بهذه المسافة.

الآن انتظر، لكنه لم يضطر للانتظار طويلاً. بعد أربع دقائق فقط من وضع عينه خلف بصريات «ليوبولد» وبدء المسح بحثًا عن المركبات، ظهرت سيارتا مرسيدس G-Class SUV على الطريق أثناء مرورهما بمحطة القطار.

كانتا تطابقًا مثاليًا.

كان هناك ثلاثة أشخاص في سيارة المرسيدس الأمامية، اثنان في المقعدين الأماميين وواحد في الخلف. عبر المنظار واجه راسل صعوبة في تحديد هوية الرجل في الجزء الخلفي من السيارة، وعندما تسبب وميض شمس منعكس عن الزجاج الأمامي للسيارة القائدة في جعل راسل يغمض عينه عن منظاره للحظة، خسر بضع ثوانٍ أخرى لتحديد الهوية.

مع اقتراب وقت الإطلاق، أدرك أنه لا يستطيع تحديد هوية زاريني بشكل قاطع في السيارة الأمامية. أدار منظاره بسرعة إلى السيارة الخلفية، ومسح عبر الزجاج الأمامي للمرسيدس، ورأى رجلين في المقعد الأمامي واثنين في الخلف. لم يبدُ أي من الأربعة كهدفه؛ بدوا جميعًا كحراس شخصيين.

مع انغلاق نافذة فرصته بسرعة، دفع ويتلوك كعب البندقية لأعلى، موجهًا الفوهة لأسفل بمقدار ضئيل، وأعاد تركيز بصرياته على

السيارة القائدة. مع اقتراب المركبة من النقطة الموجودة أسفل موقعه مباشرة، لم يعد لديه رؤية للرجل في المقعد الخلفي لأنه كان يجلس على الجانب الآخر من المرسيدس.

لم يكن يرى سوى السائق الآن، وفي غضون بضع ثوانٍ أخرى سيفقده بينما يمر حول منعطف.

تبًا، فكر راسل. لا طريقة للقيام بهذا بشكل نظيف.

صوب منظاره، أخذ نفسًا، زفره حتى المنتصف وحبسه.

أطلق النار من الـ«بليزر».

بعد ثلث ثانية، تحطمت نافذة جانب السائق في المرسيدس القائدة؛ سقط رأس السائق إلى الجانب، وانحرفت المركبة بشكل درامي إلى اليمين. بسرعة عالية، احتكت السيارة بجدار استنادي منخفض يمتد بمحاذاة الطريق، ومع وجود سائق ميت خلف عجلة القيادة، ارتدت بعنف إلى اليسار، إلى المسار المعاكس.

اصطدمت السيارة وجهًا لوجه بسيارة «فولكس فاجن كابريوليه» قادمة؛ وانفجر خليط من المعدن والزجاج والبخار والسوائل المتطايرة في الهواء، مما أسفر عن مقتل أمير زاريني فورًا، والرجلين الآخرين في المرسيدس، وثلاثة طلاب جامعيين داخل الفولكس فاجن.

انحرفت المرسيدس الخلفية بشكل جانبي تقريبًا على الطريق لتجنب المذبحة أمامها، وتوقفت على بعد خمسة وعشرين قدمًا فقط من الحادث. تدفق الركاب الأربعة جميعهم من السيارة الخلفية؛ ركض أحدهم إلى الحطام، لكن الثلاثة الآخرين سحبوا رشاشاتهم P90 ووجهوها نحو التل، كرد فعل على صوت بندقية القنص.

سحب راسل الترباس للخلف ولقم طلقة أخرى، ومسح الحطام أسفله، باحثًا عن أي علامات للحياة. رغم أن المرسيدس كانت

مستلقية الآن على جانبها على طول مسار قصير من الحطام المتناثر، لم تكن هناك كرة نارية ضخمة أو حدث آخر يخبر ويتلوك، بشكل قاطع، أن الحادث لا يمكن النجاة منه. بعد أن قرر أنه بحاجة لأن يكون متأكدًا تمامًا من أن هدفه ميت – فـ«الرجل الرمادي» لن يغادر مسرحًا تاركًا هدفًا جريحًا خلفه، في النهاية – أطلق راسل النار على المرسيدس بسرعة. أربعة ثقوب متساوية البعد في السقف؛ كل طلقة ستضرب جزءًا مختلفًا من المقعد الخلفي، وكان راسل متأكدًا الآن أنها ستقتل أي شخص بقي حيًا بعد التحطم.

عرف راسل أيضًا بالضبط ما ستفعله أربع طلقات أخرى، جميعها من نفس الجزء من التل، بالرجال المسلحين الأربعة في الأسفل. بدأ جميع ضباط الأمن الخاص بإطلاق رشقات من أسلحتهم P90. تردد صدى إطلاق النار في التلال حول ويتلوك بينما أخرج المخزن بهدوء واستبدله بآخر جديد. صرخات الرصاص المرتد عالي النبرة عن الصخر حوله شجعته فقط على العمل بسرعة أكبر. أضاف رصاصة أخرى في الغرفة ليجعلها خمسًا، ثم صوب نحو رجل الأمن الأول في شارع ريموند بوانكاريه بالأسفل وأطلق النار عليه في الصدر. سقط الرجل للخلف على الشارع؛ رفرفت سترة بدلته بجنون بينما تخبطت ذراعاه، وانزلق سلاحه على الأسفلت.

أمطر ضابط أمن ثانٍ مخبأ ويتلوك بالرصاص. كان P90 خارج النطاق الفعال عند 335 ياردة، مما يعني فقط أن النيران الدقيقة والفعالة كانت صعبة، وليس أن رصاصة من السلاح لا يمكن أن تقتل راسل. لكن راسل أطلق بندقيته بعيدة المدى وأرسل رصاصة كبيرة إلى جبهة ضابط الأمن، مسقطًا إياه ميتًا بجوار زميله على الطريق الساحلي.

بحلول هذا الوقت رأى رجلا الأمن الأخيران عبثية مأزقهما، واستدار كلاهما وركض، قافزين نحو الجدار الاستنادي المنخفض الذي يمتد على طول الطريق. تتبع راسل حركة أحدهما وأطلق النار مرة أخرى، مصيبًا إياه بطلقة في أسفل الظهر.

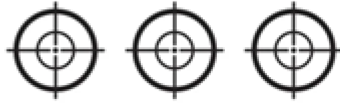
وصل ضابط الحماية التنفيذية الرابع إلى الغطاء، وكان راسل متأكدًا أنه سيبقي رأسه منخفضًا لبعض الوقت القادم.

بينما أبعد راسل عينه عن المنظار لبدء التفكيك السريع للبندقية، سمع صراخًا إلى يساره. نظر عبر التل ورأى العديد من السكان المحليين بالإضافة إلى ضابط شرطة بزي رسمي، عضو في الشرطة البلدية المحلية، يقفون هناك، عند حافة قرية إز. كان الشرطي يحمل نوعًا من المسدسات في يده، وأطلق النار منه على مسافة 125 ياردة. أخطأ؛ تطاير التراب والغبار على بعد عشرة أقدام من مكان استلقاء راسل، لكنه أدار بندقيته بسرعة نحو الشرطي وصوب نحو قمة رأس الرجل لمراعاة حقيقة أنه ضبط المنظار لطلقة 335 ياردة. أطلق راسل النار في اللحظة التي أطلق فيها الشرطي النار؛ أخطأ الشرطي مرة أخرى، لكن رصاصة ويتلوك من طراز «وينشستر ماغنوم .300» أصابت الرجل بين عينيه.

أطلق راسل طلقة أخيرة على حشد الحمقى الواقفين هناك للمشاهدة، مخطئًا المدنيين بإنشات، ثم فكك سلاحه بسرعة وهدوء، وحشره في حقيبته، وبدأ يركض صعودًا في التل، يعرج بسبب الألم في وركه.

استغرق الأمر منه أقل من ثلاث دقائق للوصول إلى طريق موين كورنيش، وهو طريق تل متعرج خالٍ تقريبًا من حركة المرور. كان قد ركن سيارته الـBMW عند مطل ذي مناظر خلابة، وقفز بداخلها، ملقيًا

حقيبة البندقية في مقعد الراكب، ثم انطلق مسرعًا في سحابة من الغبار الأبيض، قبل دقائق من تمكن السلطات المحلية من الاستجابة بشكل جماعي.



بعد أربع ساعات وقف راسل ويتلوك أمام مرآة كاملة الطول في غرفة فندق ثلاث نجوم في جنوة، إيطاليا. كان قد استحم، وحلق لحيته، وقص شعره قصيرًا ومرتبًا. أعاد تضميد الجرح في وركه ثم ارتدى بدلة «أرماني» كانت بانتظاره هنا في الغرفة.

أعجب بمظهره في المرآة، وشعر بالفخر بإنجاز اليوم يغمره. لا، لم تسر الأمور وفق الخطة؛ كانت هناك بعض الأضرار الجانبية. قتل الشرطي كان لا مفر منه وضروريًا جدًا لتحقيق هدفه. في رأي ويتلوك، والمدنيون القتلى في السيارة كانوا ببساطة في المكان الخطأ في الوقت الخطأ.

لم يلُم نفسه على أي من الوفيات، رغم أنه ظل موضوعيًا بما يكفي ليعرف أن هذا الاغتيال لا يبدو تمامًا كاغتيال لـ«الرجل الرمادي».

لكن مع ذلك، قال لنفسه، سيفي بالغرض لأغراضه.

بعد تسوية ربطة عنقه مرة أخرى في المرآة، أغلق سحاب حقيبته الجلدية الإيطالية ذات العجلات وتوجه خارج الباب.

نزل الدرج ودحرج أمتعته إلى الشارع. أشار إليه سائق تاكسي، لكن راسل لوح له بالرفض. بدلاً من ذلك، أخرج راسل هاتفه ومشى على الرصيف، مبتعدًا عن مدخل الفندق، ليحظى ببعض الخصوصية.

طلب رقمًا باستخدام تطبيق «موبايل كريبت» وانتظر إجابة من الطرف الآخر.

– "نعم؟" كان علي حسين، عميل «فيلق القدس» الذي قابله في وقت سابق من الأسبوع في بيروت. ميز ويتلوك الصوت.

– "إنه أنا. لقد تم الأمر."

– "أعلم. إنه في كل مكان على التلفزيون. كنا نأمل في المزيد من... التحفظ."

– "أنتم غير متورطين فيما حدث."

– "ليس هذا ما أعنيه. منظمتي قلقة للغاية من أحداث اليوم. نحن معجبون بنجاحك في مهمتك، لكن الأضرار الجانبية تجعلنا قلقين جدًا من أنك لست الرجل الذي تدعي."

ضغط ويتلوك على الهاتف الخليوي بقوة بينما توتر غضبًا.

– "الحقائق التكتيكية للحدث أدت إلى خسائر غير متوقعة في الأرواح."

– "ماذا يعني ذلك؟"

قال راسل بغضب:

– "يعني «المصائب تحدث»."

بعد تأخير، قال حسين:

– "هذا، ما حدث اليوم، لا يبدو كعمل «الرجل الرمادي»."

حاول راسل تهدئة نفسه قبل المتابعة، آخذًا نفسين طويلين صامتين ومخبرًا نفسه أن كل شيء يتوقف على قدرته على الإقناع.

– "أفهم مخاوفكم. أفهمها حقًا. أنا محبط من بعض جوانب العملية. لكنني أنا هو من أدّعي، وعليك فقط أن تسأل نفسك من غيري

كان يمكنه تنفيذ هذه العملية في جدول زمني ضيق كهذا لترى أنني أقول الحقيقة."

– "هناك طريقة واحدة فقط يمكنك بها إقناعنا."

عرف راسل أن حسين يشير إلى كييف. أغمض عينيه؛ اضطر لإجبار نفسه على عدم رمي الهاتف في حركة المرور ثم الاستدارة ولكم جدار الفندق بقبضته.

قال ضابط «فيلق القدس»:

– "لدينا إفادات من جميع الإيرانيين الذين كانوا حاضرين في الليلة المعنية في قاعدة فاسيلكيف الجوية في كييف، أوكرانيا. إذا تطابق وصفك لأحداث تلك الأمسية مع ما نعرفه بالفعل، فلدينا اتفاق بخصوص إيهود كالب. إذا لم تخبرنا، أو إذا لم يتفق ما تخبرنا به مع إفادات الشهود، فلن تكون هناك اتصالات أخرى بيننا." ساد الصمت على الخط للحظة، ثم قال حسين: "الأمر بهذه البساطة."

شعر راسل بأنه يفقد السيطرة على عواطفه. تفجر الغضب بداخله، دافعًا الدم الساخن عبر قلبه ودماغه. هناك على الرصيف ظن ويتلوك أنه قد ينفجر من الغيظ الذي بداخله والذي لا سبيل لتنفيسه من جسده إلى الجو.

– "سأعاود الاتصال بك." كان كل ما استطاع قوله قبل أن يغلق الهاتف.

أدرك راسل أنه لا مفر من الأمر الآن. عليه بطريقة ما أن يجعل جينتري يخبره عن كييف. وقبل أن يبدأ حتى في التفكير في طريقة لتحقيق هذا الهدف الذي يبدو مستحيلاً، اهتز هاتفه في يده. نظر إليه، آملًا بحق الجحيم أن يكون جينتري.

بدلًا من ذلك، كانت «تاونسند». رد ويتلوك بشرود.

– "تحدث."

جاء صوت بابيت عبر هاتفه.

– "هنا غريفسايد." بعد التحقق من الهوية، سأل بابيت: "هل وصلت إلى ستوكهولم بعد؟"

كذب راسل:

– "نعم."

– "فريق «جامبر» ضرب وكرًا فارغًا هذا الصباح. يبدو أن جينتري أفلت من مراقبي الموساد الليلة السابقة."

تنفس ويتلوك الصعداء ببطء. أخيرًا، بعض الأخبار الجيدة.

– "لا أفكار حول مكانه؟"

– "فريق الطائرات المسيرة في الجو و«جامبر» انقسم إلى أربعة فرق من رجلين. يراقبون نقاط الاختناق."

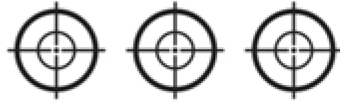
– "والموساد؟"

– "ما زالوا في المدينة، لكنهم يعملون بشكل مستقل عنا في الوقت الحالي. نتوقع أنهم سيحضرون تعزيزات من تل أبيب." توقف. "إذا كنت ستستخدم حاستك السادسة بشأن جينتري وما يخطط له، فهذا هو الوقت المناسب."

– "مفهوم. سأعمل على ذلك."

أغلق الهاتف ووقف هناك على الرصيف، يصارع خطوته التالية. كان قد خطط للطيران من هنا في جنوة إلى لندن ليبدأ التحضير لضربته على إيهود كالب بعد ثمانية أيام من الآن، لكنه لم يستطع افتراض أن كورت سيكون قادرًا على تجنب كل القوات المصطفة ضده في ستوكهولم. وإذا مات جينتري قبل أن يموت كالب، فعندها يعرف ويتلوك أنه فقد طوق نجاته.

أدرك أنه لا خيار لديه. عليه أن يهرع إلى ستوكهولم، لمساعدة جينتري على الإفلات من حبل المشنقة، وإقناعه بطريقة ما بالحديث عن كييف.



35

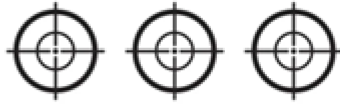
آثر كورت قضاء معظم يومه داخل غرفته الصغيرة في علية بأحد مباني حي غاملا ستان. كانت الإقامة هناك باذخة مقارنة بالأماكن التي قضى فيها الليالي القليلة الماضية؛ إذ كانت الغرفة مزودة بحمام خاص ومكان للاستحمام، بل وحتى ثلاجة صغيرة. ولكن مع تحول النهار إلى ليل واشتداد تساقط الثلوج في الخارج، بدأ كورت يشعر بوطأة الجدران تضيق عليه.

قرر التوجه عبر الشارع الضيق إلى متجر في الزاوية ليتناول عشاءه، وربما يغامر بعد ذلك باحتساء الجعة في حانة محلية معتمة كان قد لمحها في وقت سابق من اليوم.

في متجر "سفن إليفن" (Eleven-7)، اشترى بعض الجبن القابل للدهن وعبوة من الخبز المحمص، بالإضافة إلى زجاجة ماء. وبينما كان يقف في الطابور بانتظار الدفع، لاحظ طاولة في الخلف وُضعت عليها ثلاث محطات حاسوب، تعمل كمقهى إنترنت صغير. بعد دفع الثمن، توجه نحو إحدى الماكينات وجلس، وسرعان ما بدأ يقرأ عن نظام التعرف على الوجوه التابع لوزارة الخارجية الأمريكية، والذي يُعتقد أنه أكثر برمجيات التعرف تطورًا في الوقت الحالي. ساور كورت

شك بأن هناك تقنيات لم تصل بعد إلى المصادر المفتوحة، وإن كان لا يملك أدنى فكرة عما إذا كانت شركة تاونسند تمتلك مثل هذه القدرات.

بدأ يدهن الجبن على خبزه الجاف ويرتشف الماء، ثم رفع عينيه نحو واجهة المتجر، فلاحظ امرأة تدخل. تفرّس فيها بلمحة سريعة وعابرة، ثم عاد إلى القراءة عبر الإنترنت.



دخلت ضابطة الاستهداف في الموساد، لورين تاترسال، البالغة من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا، عبر أبواب المتجر، ونفضت الثلج عن غطاء معطفها المحشو بالريش، ثم نزعت قفازيها. استغرقت بضع ثوانٍ لتدفئة وجهها بيديها، ثم توجهت إلى ركن القهوة بحثًا عن كوب من الإسبريسو؛ فقد كانت في أمسّ الحاجة لجرعة أخيرة من الكافيين قبل تفقد الموقع الحادي والعشرين المحتمل للهدف، في نهاية الشارع.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً؛ وكانت ندف الثلج الكبيرة تنجرف حول مصابيح الغاز المعلقة على المباني الملونة في البلدة القديمة. بدأت درجة الحرارة في الانخفاض نحو مستويات متدنية جدًا، وخططت المرأة الإسرائيلية للاستمتاع بكل ثانية من الدفء قبل العودة إلى الصقيع في الخارج.

لقد كان يومًا طويلاً للفريق بأكمله. انتقلوا إلى فندق في وسط المدينة، يبعد أقل من نصف ميل عن منزل تاونسند الآمن، وحوالي مائة ياردة فقط من الجسر المؤدي إلى غاملا ستان، حيث تتبعت روث أثر جينتري لآخر مرة. ثم ارتدوا ملابسهم الثقيلة المخصصة للطقس البارد وانطلقوا في المنطقة، يزورون الفنادق، والشقق، والمباني

السكنية المتهالكة، والنزل الصغيرة، وحتى تحت الجسور حيث ينام المشردون على قطع الكرتون بخرقهم المتسخة.

حتى تلك اللحظة، لم يعثروا على شيء، وكانوا يخططون للتوقف عن البحث في غضون ساعتين والمحاولة مجددًا في اليوم التالي.

ألقت لورين مكعب سكر في فنجان الإسبريسو ورفعته إلى شفتيها. وبينما كانت تفعل ذلك، ارتفعت عيناها نحو مؤخرة المتجر المضاء بسطوع، فتسمرت في مكانها، وكاد القهوة الساخنة تحرق فمها ولسانها.

أطرقت لورين ببصرها حين رفع الرجل نظره عن الحاسوب أمامه، ثم أضافت مكعب سكر آخر لمشروبها. بعدها، استدارت وتوجهت نحو الصندوق للدفع.

إنه هو. الرجل الرمادي جالس في مقهى الإنترنت الصغير المكون من ثلاث محطات في مؤخرة المتجر. كان يرتدي قبعته الصوفية السوداء فوق عينيه مباشرة، ووشاحًا يتدلى مرتخيًا حول الجزء السفلي من وجهه. لقد اشترى معطفًا جديدًا منذ آخر مرة رأته فيها، لكنها كانت متيقنة تمامًا أن هذا هو هدفها.

غادرت المتجر، وبدافع من الحذر المفرط، سارت كتلة سكنية كاملة عبر الشوارع المتعرجة والمنحدرة، وتأكدت من عدم وجود من يتبعها قبل أن تضغط على زر سماعة الأذن وتعلن لفريقها أنها حددت موقع الهدف.

بعد دقائق معدودة، انضم كل من روث ومايك وآرون إلى لورين. ركنوا سيارة الـ سكودا التابعة للسفارة في موقف سيارات بنظام الأجر

بالساعة هناك في غاملا ستان، وجلسوا داخل السيارة لبعض الوقت. كانوا راضين عن الموقع رغم عدم وجود زاوية رؤية مباشرة للهدف في المتجر، فـ روث لم تجرؤ على المخاطرة بكشف أمرهم. وفي هذه الأثناء، راحوا يبحثون في الإنترنت عبر هواتفهم الذكية عن نزل أو مساكن في الحي قد يقيم فيها الرجل الرمادي، كما بحثوا عن غرف مناسبة لهم ليقوموا باستئجارها في المنطقة لإنشاء قاعدة عمليات قريبة.

صاح مايك:

– "نزل كاستنيا يبعد دقيقتين فقط عن المتجر. إنه أقرب مكان يتناسب مع نوع الأماكن التي قد يرتادها."

فتحت روث الموقع على هاتفها:

– "أجل. لا أرى أي مكان آخر بهذا الرخص في المنطقة؛ لا بد أن هذا هو المكان المنشود. سنتحقق منه في الصباح للتأكد."

كان آرون يبحث عن مكان يبيت فيه الفريق الليلة:

– "ثمة مكان يُدعى لودج غاملا ستان يقع قاب قوسين أو أدنى من موقعنا الآن. يمكنني الذهاب وحجز غرفتين لنا هناك."

قالت روث:

– "افعل ذلك."

ترجل آرون من السيارة وتوجه نحو الشارع سيرًا على الأقدام.

قررت روث إبلاغ يانيس ألفي بخبر العثور على جينتري، ولكن قبل أن تجري المكالمة، دوى طنين في أذنها. نظرت إلى هاتفها ورأت أن يانيس هو المتصل.

قالت:

– "أهلاً."

سأل يانيس:

– "أين أنتِ؟"

– "أنا في ستوكهولم. لقد وجدنا الهدف، لا يزال هنا."

ساد صمت قصير، ثم سأل:

– "هل أنتِ متأكدة؟"

– "بالطبع أنا متأكدة. لقد رصدته لورين قبل ثلاثين دقيقة."

– "ولكن لم تكن لديكم أي رؤية عليه طوال اليوم، أليس كذلك؟"

– "صحيح. لكننا أمسكنا بطرفه الآن. نعتقد أننا نعرف أين سيقضي ليلته، وسننتقل لمكان لا يبعد سوى بنايتين عنه."

سأل يانيس:

– "لقد فقدتم أثره الليلة الماضية في.. الساعة العاشرة مساءً؟"

شعرت روث بالحيرة من هذا الاستجواب:

– "في ذلك الوقت تقريبًا، على ما أظن. ربما التاسعة والنصف. لماذا؟"

قال يانيس:

– "لأن هدفكِ ذهب إلى جنوب فرنسا وقتل رجلاً. إذا كنتِ متأكدة من وجوده هناك الآن.. هل أنتِ متأكدة حقًا؟"

– "تمهل قليلاً.. ماذا تعني بأنه قتل رجلاً في فرنسا؟"

– "لقد اغتيل أمير زاريني هذا الصباح."

تمتمت قائلة:

– "يا للهول!" ثم أضافت بسرعة: "ولكن ليس بيد جينتري."

– "لقد أنهينا لتوّنا اجتماعًا عبر الهاتف مع لانغلي. يقولون إن جميع معلوماتهم الأولية تشير إلى أن أمير زاريني قد أُردي قتيلاً على يد كورت جينتري نفسه. لا بد وأنه طار من ستوكهولم الليلة الماضية.

يمكنني تزويدكِ ببيانات ركاب الطائرات، ولكن بالنسبة للرحلات الخاصة، فالأفضل أن تذهبي بنفسكِ لمشغلي الخدمات الأرضية في مطار ستوكهولم أرلاندا وتتحدثي معهم مباشرة."

– "هو لم يذهب إلى نيس. هذا مستحيل."

– "ولماذا هو مستحيل؟ لقد غاب عن أنظاركم لمدة أربع وعشرين ساعة. الأمر ليس ممكنًا فحسب، بل هو مثالي. غادر ستوكهولم الليلة الماضية، نفذ العملية هذا الصباح، وعاد بعد ظهر اليوم أو هذا المساء. وقد التقطتم أثره مجددًا فور عودته. عمل جيد."

كانت روث تعلم أن جينتري كان في ستوكهولم ذلك الصباح؛ فقد رأته بنفسها. لكن إخبار ألفي بأنها تعمدت إفشال هجوم تاونسند مخالفةً للأوامر سيؤدي إلى سحبها من القضية واستدعائها إلى تل أبيب.

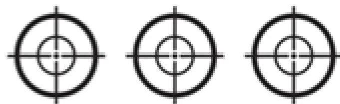
قالت:

– "أرسل لي كل ما تملكه عن عملية اغتيال زاريني."

– "ما نملكه هو مجرد معلومات أولية. فالحادث لم يمر عليه سوى تسع ساعات. ولكن وكالة الاستخبارات المركزية تعمل مع الشرطة الفيدرالية الفرنسية وهم.."

قاطعت قائلة:

– "فقط أرسل لي كل شيء. الآن، من فضلك."



انتقل فريق الموساد إلى غرفتين في لودج غاملا ستان؛ وهو فندق صغير يطل على ساحة صغيرة مرصوفة بالحصى. وفي الجهة المقابلة من الشارع، كانت هناك حانة تعج بالحركة، يرتادها الطلاب ونزلاء

الفنادق الرخيصة والنزل في المنطقة؛ كان الشبان والشابات يعبرون المساحة المفتوحة المكسوة بالثلوج متوجهين من وإلى مدخل الحانة المضيء في سيل مستمر.

وبينما كان مايك يركن السيارة في موقف مجاور، وآرون ولورين يفرغان الحقائب، جلست روث إلى مكتب صغير وقرأت كل ما أرسله يانيس عن عملية الاغتيال في نيس. كما تصفحت روث تقارير الأنباء عبر الإنترنت عن الحادث على مواقع "سي إن إن" و"بي بي سي".

وعند عودة مايك، قاموا بتشغيل التلفاز آملين العثور على مزيد من المعلومات. كان جهاز الاستقبال في الفندق يلتقط قناة "فرنسا 2" (France 2)، وكانت المحطة الحكومية تعرض تقريرًا مطولاً عن الهجوم، مع لقطات من مكان الحادث. حطام ملتوٍ، جثث مغطاة بأغطية بلاستيكية صفراء، في مشهد متناقض أمام خلفية من المياه الفيروزية التي تنتشر فيها قوارب النزهة. وبينما كانت تتابع الأخبار، كان الآخرون يقرأون معلومات الوكالة التي أرسلها يانيس.

وعندما انتهوا، قالت روث:

– "هل قرأتم تقارير ما بعد العمليات التي نفذها كورت جينتري من قبل؟"

كان الجميع قد قرأوا ملفات الموساد، وزودتهم روث بالمعلومات التي سُمح لها برؤيتها في مقر شركة تاونسند.

تابعت قائلة:

– "إذن لا بد أنكم تدركون أن هذا هراء. هذه العملية في نيس لا تتفق مع نمط الرجل الرمادي على الإطلاق."

خالفها آرون الرأي قائلاً:

– "البندقية المستخدمة في قتل زاريني كانت من طراز بليزر R93، وهي المفضلة لدى الرجل الرمادي. وقد حدد مهرب أسلحة في النمسا هوية الرجل الرمادي كمشترٍ للبندقية المذكورة. كما أن الشهود في الموقع وصفوا الرجل الرمادي. وكان زاريني هدفًا معروفًا لـ إيران، التي ارتبط اسمها أيضًا بـ الرجل الرمادي خلال الأسبوع الماضي فقط." ثم هز كتفيه وأردف: "بالتأكيد، هناك جوانب لا تتوافق مع نمطه، ولا أنكر ذلك، ولكن معظم التفاصيل تنطبق عليه، ولا ينبغي لكِ إنكار ذلك أيضًا."

ردت روث:

– "هناك الكثير من الرجال البيض ذوي الشعر البني في الثلاثينيات من عمرهم. وأي شخص يمكنه استخدام سلاح معين. ولكن الهدف، والخسائر الجانبية.. وقتل ضابط الشرطة؛ هذا ليس جينتري."

قال مايك:

– "لقد ارتكب هفوة. أخطأ الهدف وأصاب السائق، مما تسبب في الاصطدام. بعد ذلك انهارت عمليته، وكان لدى الشرطي وقت لمحاصرته، فلم يجد أمامه خيارًا آخر؛ فقام بتصفيته."

هتفت روث:

– "أخطأ هدفه؟ الرجل الرمادي لا يخطئ أهدافه أبدًا!"

قال آرون:

– "استمعي لنفسكِ.. تبدين وكأنكِ مفتونة بأسطورة."

– "ليست أسطورة. هو بهذا القدر من المهارة، وبهذا القدر من المبادئ. هو لا يطلق النار على رجال شرطة أبرياء."

– "أنتِ نفسكِ أخبرتِنا أنه قتل فريقه الميداني."

– "أخبرتكم أن وكالة الاستخبارات المركزية تقول إنه قتل فريقه الميداني."

– "وأنتِ لا تصدقينهم؟"

ترددت روث قليلاً:

– "أعتقد أنه لو قتل أولئك الرجال، فقد كان لديه سبب لذلك."

قال آرون:

– "حسناً، الجدول الزمني لا يستبعده من عملية زاريني. نيس تبعد ألفاً وخمسمائة ميل. أربع ساعات طيران كحد أقصى بطائرة نفاثة صغيرة لرجال الأعمال. أضف ساعة لكل اتجاه بطائرة ذات محرك توربيني. هذا وقت أكثر من كافٍ ليطير إلى نيس، ويصفي زاريني، ثم يعود إلى ستوكهولم."

لم تستطع روث مجادلته في هذا، لأنها لم تكن تريد الكشف لفريقها عن رؤيتها لـ جينتري ذلك الصباح.

كان مايك ديلمان واقفاً بجوار النافذة. نظر للخارج، ثم تحرك بسرعة نحو مفتاح الإضاءة في السقف. أطفأه وقال:

– "على ذكر الشياطين.."

ابتعدت روث عن مكتبها لتلقي نظرة على الساحة الصغيرة. وفي غضون نصف ثانية، ارتدت للخلف، مبتعدة عن النافذة. وبسرعة أطفأت التلفاز بجهاز التحكم، ليغرق الغرفة في ظلام دامس.

سألت بهمس:

– "أهو هدفنا؟"

أجاب مايك:

– "أجل."

نظرت مجددًا فرأت رجلاً وحيدًا يتجه نحو أضواء الحانة الصغيرة في الجهة المقابلة من الفناء. كانت تدرك أنها غير مرئية هنا في الظلام من هذه المسافة، ومع ذلك شعرت بنظراته عليها وهو يلقي نظرة حوله.

بعد دخوله الحانة، قالت لورين:

– "أظن أنه لا يريد احتساء الجعة وحيدًا الليلة."

قال ديلمان:

– "يا لها من حياة حزينة يعيشها هذا الرجل. لا عجب أن الحمقى أمثاله يخرجون لقتل الناس. يتم تدريبهم، وتُنتزع الإنسانية منهم، ولا يعودون يعرفون كيف يفعلون أي شيء آخر."

خالفته روث الرأي:

– "لو لم تكن هناك إنسانية في هذا الرجل، لكانت مسيرته كقاتل مختلفة تمامًا. لكان يقبل المال ويقتل الناس دون أدنى سؤال."

قال آرون، ونبرة الإحباط واضحة في صوته:

– "إنه يأخذ المال ليقتل إيهود كالب. هل أنتِ موافقة على ذلك؟"

– "نحن لا نعرف ذلك يقيناً." وبعد لحظة أضافت: "ولن نعرف الحقيقة ونحن جالسون هنا." ثم وقفت وقالت: "أنا ذاهبة إلى هناك."

احتجت لورين:

– "هل تمزحين؟ لا يمكنكِ الذهاب إلى هناك. سيكشف أمركِ." ثم أضافت: "إنه قاتل، إلا إذا كنتِ قد نسيتِ ذلك."

– "لا يوجد في ملفه ما يشير إلى أنه سيطلق النار على رأس امرأة لمجرد أنها جلست في الحانة نفسها معه."

كان آرون ضد الفكرة أيضًا:

– "هذا مخاطرة كبيرة جدًا. قد تحتاجين للتقرب منه في بيئة أخرى. لا تفسدي غطاءكِ الآن بتصرفاتكِ هذه."

كان يتحدث إليها بالطريقة نفسها التي تحاضر بها فريقها عن فنون التجسس والأمن العملياتي، وعلمت روث أنه محق، لكنها كانت تعرف شيئًا يجهله هو. جينتري لم يكن متورطًا في تلك المجزرة في نيس ذلك اليوم. ثمة من يحاول إلصاق التهمة به، وروث أرادت إجابات. كانت مستعدة للمقامرة بدفع هذا التحقيق للأمام عبر الاقتراب من هدفها.

ولتبرير موقفها قالت:

– "هل هو هناك ليقابل الإيرانيين؟ كيف سنعرف ما يخطط له إن لم نضغط في هذا الاتجاه؟"

نظر إليها آرون وكأنها فقدت عقلها:

– "سأجازف وأقول إنه لا يعقد اجتماعًا مع الإيرانيين في حانة سويدية."

– "لا يمكنني الاكتفاء بملاحقة هذا الرجل وانتظار الأمريكيين ليبيدوه." وقفت وأشعلت الضوء، وسحبت شعرًا مستعارًا أشقر وغطاءً للشعر من حقيبتها، وهرعت نحو المرآة.

وقف آرون بجانب الباب:

– "هل يمكنني التحدث معكِ على انفراد يا روث؟"

لمت روث شعرها البني وأدخلته بالكامل تحت غطاء الشعر المستعار:

– "قل ما تريد قوله يا آرون."

قال:

– "هذا بسبب ما جرى في روما."

هزت روث رأسها بغضب، وتدلت خصلات شقراء على عينيها للحظة قبل أن تزيحها:

– "هذا بسبب ما يجري هنا والآن. لو أنني حاربت النظام بقوة أكبر في روما، لما مات خمسة من الأبرياء. لن أكرر ذلك الخطأ ثانية."

– "ولكن.."

قاطعته قائلة:

– "أنا ذاهبة إلى تلك الحانة، وسأقرر كيف أتصرف من هناك."

سألها:

– "لن تحاولي صدمه أو الاحتكاك به، أليس كذلك؟"

توجهت نحو حقيبة أدوات الزينة الخاصة بها على المكتب:

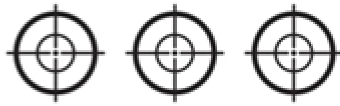
– "لا أعلم. يمكنك الحضور ومراقبتي، ولكن لا تقف في طريقي."

بعد دقائق قليلة، راقب ضباط الموساد الثلاثة الصغار من النافذة روث إيتنغر وهي تعبر الساحة.

قالت لورين:

– "هذه فكرة سيئة."

ولم يجادلها أي من زميليها في ذلك.



36

وجدت روث الحانة شبه ممتلئة، لكن كان هناك مقعد فارغ على امتداد البار الخشبي المصمم على شكل حرف L بالقرب من الباب. افترضت أن السبب هو تدفق الهواء القطبي في كل مرة يُفتح فيها الباب.

ظلت بسترته وجلست بجوار زوجين أشقرين في العشرينيات من عمرهما. وحرصًا منها على عدم الالتفات حولها في البداية، عبثت بهاتفها المحمول للحظة، ثم صرخت لتطلب بيرة «فالكون بيلسنر» من الصنبور ليعلو صوتها فوق موسيقى الروك الصاخبة.

وبينما كانت تشيح بنظرها عن الساقي، ألقت نظرة خاطفة بطول الغرفة والتقطت جينتري عند منعطف البار على شكل حرف L وفي أقصى نهايته تقريبًا. ورغم أن المسافة بينهما كانت تزيد عن خمسة وعشرين قدمًا بسهولة، إلا أن هذه كانت أقرب نقطة وصلت إليها من «الرجل الرمادي». كانت تختلس النظر إليه وهي ترفع البيرة إلى شفتيها. كانت أمامه زجاجة بيرة، ورأسه مطأطأ فوقها. غطت قبعة صوفية سوداء رأسه، وكان يرتدي معطفه بسحاب مفتوح. غطت وجنتيه وذقنه لحية خشنة نمت لعدة أيام، بنية داكنة مع بضع شعيرات رمادية.

كان منحنيًا فوق زجاجته، ويبدو أنه لا يلاحظ أي شخص أو أي شيء حوله، لكن روث أدركت أنها لا تستطيع قياس مستوى انتباهه بدقة، لأنها لم تكن تنظر إليه إلا مرة واحدة كل دقيقة أو نحو ذلك.

لم تكن لديها أوهام بأنها سترى هدفها جالسًا بجوار ضابط استخبارات إيراني معروف، يستلم حقيبة مليئة بأوراق نقدية من فئة المائة دولار، لكنها شعرت أنها بحاجة للاقتراب لهذه الدرجة لتكوين فكرة عن هذا الرجل. منذ بداية هذه العملية كانت الرواية الرسمية لسيرة هذا الرجل تزعجها، وأدركت أنها كانت تسعى يائسة لمحاولة فهم دوافعه. شيء ما يثبت أنه تهديد، أو ينفي ذلك.

لكن لم يكن هناك الكثير يحدث هنا. أنهت جعتها بعد عشر دقائق أو نحو ذلك وطلبت أخرى، وفكرت الآن أن آرون ربما كان محقًا. قد

تكون هناك حاجة للمراقبة غداً، ورغم أنها تنكرت بشعر مستعار ومكياج أكثر مما تضعه عادة، سيتعين عليها استبعاد نفسها من أي تعقب قريب سيرًا على الأقدام، لأنها لا تستطيع استبعاد احتمال أن يتذكرها من الحانة.

إذا كان جيدًا كما تقول سمعته، فبالتأكيد سيتذكر وجهها رغم أفضل محاولاتها للتنكر.

نظرت لأسفل، ومررت إصبعها على حافة كوب البيرة، ثم رفعت عينيها بسرعة في اتجاهه.

كان جينتري يحدق فيها مباشرة.

انكشفت روث وعرفت ذلك. أشاحت بنظرها بسرعة، ولم تكن الحركة عفوية بما يكفي، كانت متأكدة من ذلك، لذا ذهبت في الاتجاه المعاكس بخطتها. نظرت إليه مرة أخرى، آملة أن تلتقي عيناهما مجددًا. ظنت أن هناك فرصة لجعلِه يعتقد أنها تنظر إليه فقط لأنها منجذبة إليه.

استغرق الأمر عدة ثوان، لكن سرعان ما التقت عينا جينتري بعينيها مرة أخرى. استطاعت أن تلاحظ أنه في حالة تأهب قصوى الآن، يتساءل لماذا تحدق فيه المرأة عبر البار، لكن كل ما كان بوسعها فعله الآن هو تمرير تصرفاتها على أنها مغازلة.

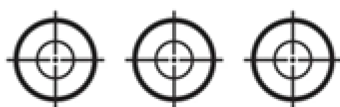
ابتسمت له ونظرت لأسفل وبعيدًا. في داخلها كانت حواسها تشتعل. لم تكن لديها أدنى فكرة كيف سيتصرف.

ألقت نظرة أخرى نحوه، فأشاح بنظره. تبًا، فكرت في سرها. لم تنطلِ عليه الحيلة.

انفتح الباب خلفها، وبعد لحظة مر آرون من ورائها واستمر في المشي حول البار على شكل حرف L إلى الطاولات على طول الجدار

البعيد للغرفة. كانت جميعها مزدحمة، لكنه اندس وسط مجموعة من طلاب الجامعة وبدأ يدردش معهم وكأنه يعرفهم منذ سنوات.

نظرت روث إلى جينتري ولاحظت أنه لا يزال ينظر لأسفل. ظنت، في البداية، أنه يركز على الزجاجة أمامه. لكن لدهشتها، أخرج هاتفاً محمولاً، وطلب رقمًا بإبهامه، ووضعه على أذنه.



هبطت طائرة راسل ويتلوك لتوها في مطار ستوكهولم أرلاندا، ومشى مع الركاب الآخرين من رحلته نحو حزام الأمتعة.

فحص هاتفه ورأى أنه ليس لديه أي تحديثات استخباراتية جديدة من «تاونسند»، وهو ما اعتبره مؤشرًا على أن الخناق لم يضق بعد حول جينتري. خطط لأخذ حقيبته ثم القفز في سيارة أجرة إلى وسط المدينة، وفي الطريق سيتصل بباركس ليرى ما يجري.

بينما كان يعيد هاتفه إلى معطفه رن الهاتف. كانت المكالمة تأتي عبر تطبيق «موبايل كريبت» الخاص به لذا لم يتمكن من رؤية الرقم. تحقق بسرعة من الوقت. كانت الساعة بعد التاسعة بقليل هنا. كان جينتري قد وعد بالاتصال، لذا كان يأمل بشدة أن يكون هو.

– "تحدث."

سمع راسل ضجيج خلفية عبر الخط أولاً. موسيقى، ربما، أيضًا. ثم تحدث كورت جينتري، بصوت خافت، وبنبرة متوترة.

– "أي شيء جديد تريد إخباري به؟"

نعم! اضطر راسل لمنع نفسه من التلويح بقبضته في الهواء، وجاهد لإبقاء رده هادئًا.

– "تمنيت لو اتصلت بي أبكر. حصلت على معلومات استخباراتية مباشرة بعد أن تحدثت إليك الليلة الماضية. مجموعة «تاونسند» في ستوكهولم. اعتقدوا أنهم حددوا موقعك في مبنى سكني شعبي، وضربوه هذا الصباح. فريق بأسلحة رشاشة، تمامًا مثل الليلة الأخرى في تالين. لا أعرف كيف فعلتها، لكنك أفلتَّ منهم."

– "من هي الفتاة؟"

– "الفتاة؟"

– "هيا يا رجل. الفتاة التي ترمقني بنظرات هائمة الآن. من هي؟"

– "لا أعرف. قد تكون من فريق المراقبة."

نظر كورت مرة أخرى إلى الشقراء الجذابة الجالسة على الجانب الآخر من البار؛ ركزت على كأس البيرة الخاص بها للحظة، ثم ألقت نظرة في اتجاهه. بقيت عيناها عليه للحظة، ثم انتقلت. كانت جيدة، كان عليه أن يعترف بذلك. بدت مسترخية، مجرد فتاة وحيدة في عطلة وقد شربت بضع زجاجات بيرة.

– "هل هناك فرصة لتكتشف الأمر بالتأكيد؟"

– "بالطبع أستطيع. أين أنت؟"

– "في حانة في غاملا ستان."

– "حسنًا. أعطني رقم هاتفك المحمول وسأعاود الاتصال بك."

قال كورت فقط:

– "سأتصل بك أنا خلال خمس دقائق."

– "قد يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق. اللعنة يا كورت. فريق تصفية خاص يطاردك، وأنت مقتنع أن هناك مراقبة عليك الآن، وأنت

قلق من أن الرجل الذي أنقذ حياتك بالفعل قد يتتبع رقم هاتفك اللعين؟ هل أنت جاد؟"

وافق كورت على النقطة بقراءة الرقم من هاتفه المحمول.

كان لدى روث عداد جارٍ لعدد المرات التي التقت فيها عيناها بعيني هدفها. عند المرة الخامسة، قررت أنه ليس لديها خيار. لقد كان متشككًا، والطريقة الوحيدة لمنعه من الفزع أكثر كانت الذهاب إليه ومغازلته. شعرت أنها قد تجعله يسترخي قليلاً، ليقبل حقيقة أن الفتاة ذات النظرات الفاحصة كانت مجرد وحيدة أو شبقة، وليست تهديدًا له. وإذا لعبت أوراقها بشكل صحيح، أخبرت نفسها، قد تعلم شيئًا أكثر عن الرجل ونواياه.

وقفت عن مقعدها، ورفعت مشروبها عن البار، وبدأت المشي نحوه.

من زاوية عينها اليسرى رأت آرون جالسًا مع طلاب الجامعة؛ نظر إليها وعدل وضعية كتفيه في اتجاهها. ورغم أنه كان محترفًا ولم يظهر أي انزعاج خارجي، تساءلت عما إذا كان سيناديها، وتساءلت أيضًا عما إذا كان سيقفز من كرسيه ويطرحها أرضًا قبل أن تتمكن من المشي والجلوس بجوار الرجل الذي تلطخت يداه بدماء الكثيرين.

لكنه لم يصرخ ولم يطرحها أرضًا. عبرت إلى هدفها دون حوادث، وركزت على الرجل وهي تصعد لتجلس على البار بجواره.

نظر جينتري لأسفل في جعته. لم يحرك عضلة.

– "هاي." (Hej)

بدت مثل "هاي!" بالإنجليزية، لكنها كانت تعني "مرحبًا" بالسويدية والكلمة الوحيدة التي كانت تعرفها في اللغة.

ببطء استدار وجه الرجل نحوها.

– "مرحبًا"، أجاب بالإنجليزية. كان صوته أخف مما تخيلت.

– "زحام"، قالت. "أعتقد أن الجميع يريد الهروب من البرد."

– "أعتقد ذلك."

– "أنت أمريكي؟" سألته.

أومأ برأسه ونظر مرة أخرى لأسفل إلى جعته، كتفاه وساقاه موجهان للأمام، نحو البار، وليس في اتجاهها. لغة جسده كانت ستدمر تقديرها لذاتها لو كانت تحاول حقًا الدردشة معه.

– "أنا أيضًا."

لم ينظر لأعلى أو يرد.

– "أنا آسفة"، قالت. "فقط اعتقدت أنني أستطيع تقديم نفسي."

– "حسنًا."

استخدمت رده كدعوة للجلوس على المقعد الذي شغر للتو بجواره، رغم أنها كانت متأكدة تمامًا أن هذا لم يكن ما قصده.

في عالم الاستخبارات، اللقاء الذي يبدو صدفة مع شخص هو في الواقع ضابط استخبارات معادٍ يشار إليه بـ«الاصطدام» (Bump). إذا كان جاسوس ذكر يركب المترو، فالفتاة الجميلة التي تسقط حقيبتها بجواره ثم تبدأ محادثة بينما يلتقط الاثنان المحتويات ربما تكون «تصطدم» به. من المرجح ألا يكون هناك شيء عشوائي على الإطلاق في اللقاء.

لم ير كورت أي علامة محددة تشير إلى أن هذا اللقاء مع هذه المرأة كان «اصطدامًا». لكن كورت كان أيضًا رجلاً شكاكًا. سيفترض أنها جزء من فريق مراقبة حتى يؤكد ذلك أو يثبت العكس بطريقة ما.

خطر بباله أن الطريقة الوحيدة الحقيقية التي سيقتنع بها أنها لم تكن «تصطدم» به هي إذا ابتعدت الآن ولم يرها مرة أخرى.

لم يتحدث معها، فبدأت هي الحديث.

– "أنا هنا في إجازة. أن أصلاً من بروكلين، ولدت ونشأت هناك."

ابتسمت.

نظر لأعلى الآن، لكن ليس إليها؛ بدلاً من ذلك نظر خلف الساقي أمامهما، يمسح الزجاجات الزجاجية، والانعكاسات عن الرفوف الزجاجية، وحتى مقابض الصنابير فوق صنبور الجعة.

– "أنا ريبيكا"، قالت، ومدت يدها.

أخذها وصافحها بخفة؛ لم يكن هناك اتصال بالعين مع الإيماءة.

رن هاتفه.

– "أنا آسف." ثم، بابتسامة خفيفة قال: "عمل."

– "بالتأكيد"، قالت بأدب، ثم دارت بمقعدها، وواجهت الأمام، وأخذت رشفة من جعتها.

أجاب كورت هاتفه بـ"مرحبًا" خافتة.

– "لدي إجابات لك."

– "حسنًا. هات ما عندك."

قال راسل:

– "النسخة المختصرة هي: لو كنت مكانك، لأنهيت شرابي."

– "أكمل."

– "سأكمل. لدي كل المعلومات التي تحتاجها الآن، أمور حياة أو موت حقيقية، لكني أريد شيئًا مقابلها."

– "ما هو؟"

قال راسل:

– "أريد أن أعرف عن كييف."

تنهد كورت قليلاً وقال:

– "وداعًا"، وبدأ في إبعاد هاتفه عن أذنه.

صرخ راسل:

– "المرأة من الموساد!"

أعاد كورت الهاتف بسرعة. تسارع تنفسه قليلاً، رغم أنه لم يبد أي إشارة خارجية على القلق.

– "هل هذه حقيقة؟" كانت الفتاة على يمينه، ترتشف من كوب الجعة وتنظر للأمام.

– "نعم. هناك فريق من الموساد ينسق مع «تاونسند». لديّ كل التفاصيل، لكن عليك أن تعطيني ما أريد أولاً. أخبرني بكل ما فعلته في كييف."

– "هذا ليس مناسبًا لي حقًا في الوقت الحالي."

– "أفهم، أنت في مكان عام. انظر، أعلم أنك رجل يلتزم بكلمته. أقسم لي أنك ستخبرني عن كييف. الحقيقة، بلا هراء. افعل ذلك وسأساعدك في الابتعاد عن الإسرائيليين."

نظر كورت إلى انعكاس المرأة في المرآة خلف البار. نظرت هي إلى انعكاسه وابتسمت.

الموساد. يا للهول. في سنوات هروبه الخمس تجنب الإسرائيليين عمدًا. كان يكن توجسًا كبيرًا لقدراتهم وأساليبهم، وحقيقة أنهم يلاحقونه الآن جعلت أحشاءه تضطرب.

تحدث بهدوء في هاتفه.

– "اتفقنا."

– "اسمع جيدًا"، قال راسل. "تحدثت للتو مع جيف باركس في «تاونسند». اسم المرأة إيتنغر. روث إيتنغر. تدير فريق استهداف مكونًا من أربعة أشخاص، ورغم أنها تعمل مع «تاونسند»، إلا أنهم لا يعملون معًا الليلة. ومع ذلك، إذا كان هناك مستهدفون يراقبونك، فأنت تعلم جيدًا أنه سيكون هناك قتلة قريبون."

– "هذا مؤسف"، قال كورت بجمود.

– "تحتاج للخروج من المدينة."

– "أسمعك."

نظر كورت خلف كتفه الأيسر؛ كان هناك ممر يؤدي إلى مخرج خلفي. كان أقرب طريق للهروب، رغم وجود ثلاثين شخصًا بسهولة يزدحمون في الأرضية بينه وبين الممر.

– "ليس الخلف"، قال ويتلوك. لم يستطع رؤية جينتري، بالطبع، لكنه استطاع تخمين ما يدور في رأس العميل المنفرد الآخر. "سيكونون قد غطوا ذلك بالأسلحة أولاً. ستكون هناك عيون في المقدمة، لكنهم لن يتوقعوا منك الاندفاع إلى العلن."

عرف كورت أن ويتلوك محق. نظر إلى الباب الأمامي الآن. كان هناك أيضًا مدخل للمطبخ بجوار البار، وكان متأكدًا أن هناك مخرجًا من خلاله.

– "حسنًا يا رجل. سعدت بسماع صوتك. اتصل بي غدًا."

توقف راسل، ثم قال:

– "إنها هناك بجوارك، أليس كذلك؟"

– "آها."

– "هل تتحدث إليها؟"

– "تقريبًا."

توقف ويتلوك، وعندما تحدث مرة أخرى، كان الانفعال في صوته واضحًا.

– "أحتاج منك أن تخلص نفسك من ذلك الموقف!"

– "أنت وأنا، كلانا."

– "سيقتلونك يا رجل. سيحرقونك بمجرد أن يحصلوا على فرصة!"

أومأ كورت برأسه والهاتف على أذنه. ابتسمت له الفتاة المجاورة مرة أخرى في المرآة، ثم أخذت رشفة من مشروبها.

– "هل أنت معي يا كورت؟"

– "نعم."

– "اخرج من هناك بحق الجحيم وعاود الاتصال بي. أعطني تفاصيل كييف، وسأتصل بـ«تاونسند» وأزودك بكل ما تحتاجه لإرشادك للخروج من المشكلة التي أنت فيها."

– "تبدو خطة جيدة. سأحدثك لاحقًا." أغلق كورت الهاتف وأعاده إلى معطفه.

تحدث للمرأة بجواره:

– "آسف بشأن ذلك."

– "لا مشكلة." التفتت إليه وترددت. ثم قالت: "ما الذي يجعلك مشغولاً في وقت متأخر هكذا من يوم السبت؟"

أدار جينتري رأسه ببطء، ممددًا رقبته. لم تكن عيناه على الفتاة؛ كانتا تواجهان الأمام، لا تزالان تنظران إلى الأسطح اللامعة للبار.

– "أعمل في إدارة النفايات."

تعثر صوت الفتاة.

– "أوه. حسنًا."

وقف الآن عن مقعد البار، وأثناء قيامه بذلك اقترب منها أكثر. كان معطفه مفتوحًا وحجب يده اليسرى، بجوار البار، عن الحشد المتمركز على يمينه.

– "وأنتِ من الموساد."

قطبت روث حاجبيها وهي تنظر إليه من مقعدها على البار.

– "عذرًا؟"

– "لماذا تلاحقينني؟"

– "اسمع يا صاح." ضحكت بغضب وهي تمسك حقيبتها وتقف عن مقعدها. "بدوتَ وحيدًا. كنت أشعر بالملل ففكرت أن آتي وأحصل على مشروب منك. أيًا كان ما تتحدث عنه فأنا..."

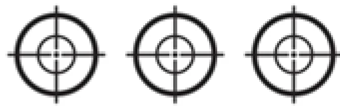
أمسكها كورت من ذراعها، من الأسفل بيده اليمنى. وجذبها أقرب.

خلفهما قفز آرون على قدميه وبدأ يشق طريقه عبر الحشد.

مال كورت إلى أذن روث ونبح فيها:

– "أشيري لرجلك بالتراجع أو سأقتله!"

شعرت بحركة داخل معطفها، ثم شعرت بكنزتها ترتفع عند الخصر. ثم، مخفية عن أنظار الجميع في الغرفة، شعرت بنصل طويل يضغط مسطحًا على بطنها.



37

استدارت روث بسرعة عن هدفها نحو آرون هاملين، وهزت رأسها يمنة ويسرة بقوة منبهة. التقط ضابط الموساد ذو الثمانية وعشرين عاماً الإشارة فأبطأ من سرعته، لكنه واصل التقدم. رفعت يدها وكفها للأعلى والأسفل في حركة آمرة بالهدوء.

توقف آرون في منتصف القاعة، محاطاً بحشد من الزبائن الذين لم يعيروا أدنى اهتمام لما يدور حولهم.

أمال جينتري رأسه نحو أذن روث وهمس:

– "أريد يدكِ اليمنى فوق المنضدة، أما معصمكِ الأيسر فسيظل في قبضتي حالياً."

لم تحرك يدها اليمنى بالسرعة الكافية، فاستجاب النصل تحت قميصها بحركة خاطفة؛ لسع حدُّه القاطع جلدها في لمسة رقيقة لكنها منذرة.

اندفعت يدها فوراً فوق منضدة الحانة؛ كانت ترتجف قليلاً، فقبضت بأصابعها على حافتها المصقولة.

قال كورت:

– "أودُّ الحديث إليكِ، لكنني لا أرغب في سماع صوته."

اكتفت بالإيماء برأسها، ثم نظرت إلى آرون مجدداً وأشارت برأسها ليترراجع أكثر، فامتثل للأمر ببطء.

تابع كورت:

– "ولا أريد أيضاً الحديث إلى القناصة في الخارج."

– "لا.. لا يوجد أحد في الخارج."

– "وماذا عن بقية فريقكِ؟"

– "لا يوجد غيرنا."

– "كفى هراءً يا آنسة."

جذبها نحوه بيده اليمنى أكثر، وبيده اليسرى ضغط بطرف النصل المدبب على أضلاعها، تحت حمالة صدرها مباشرة. شهقت روث وارتجفت شفتاها.

– "حسناً، حسناً.. هناك اثنان آخران بالخارج، لكنهما غير مسلحين، أقسم لك."

– "وأين رجال تاونسند؟"

صارعت روث كي لا تستسلم للذعر، لكن كورت لمح شيئاً آخر في عينيها؛ كانت في ذهول من معرفته بأمرها وبأمر شركة تاونسند. قالت:

– "لقد أبعدتهم عنك.. أنا.. لقد رأيتك تغادر النزل هذا الصباح. كان رجال تاونسند سيفسدون الأمر برمته، لذا لم أخبرهم بوجهتك."

أزاح النصل الذي كان يضغط على معدتها، لكنها افترضت أنه لا يزال على بُعد بوصات منها، ولم تجرؤ على النظر للأسفل.

اقترب منها ثانية، وتحدث بصوت مسموع بالكاد وسط صخب الموسيقى والزحام:

– "لماذا تتعاونون مع الأمريكيين للعثور عليَّ؟"

– "بسبب إيهود كالب."

أمال كورت رأسه متسائلاً:

– "وما شأنه؟"

لم تجب في البداية، فكرر بحدة:

– "ما – شأنه – بي؟"

– "إذا قتلتني، فلن تخرج من هنا حياً أبداً."

– "وإذا لم تجيبيني، فلن تخرجي أنتِ أيضاً."

فرت دمعة على وجنتها، لكنها أبقت رأسها مرفوعاً بتحدٍ وسألت:

– "هل التقيت بعناصر من 'فيلق القدس' في بيروت يوم الأربعاء؟"

– "فيلق القدس؟ الحرس الثوري الإيراني؟"

أومأت برأسها.

– "يا آنسة، لم يسبق لي أن التقيت بأي عنصر من فيلق القدس لأي سبب كان، ولم أطأ أرض بيروت منذ سنوات." ثم أضاف: "فـ بيروت خطرة بحق اللعنة."

ترك معصمها الآن، ومدَّ يده اليمنى ليرفع زجاجة الجعة ويحتسي جرعة منها. بدا مسترخياً من جديد، لكنها علمت أنه يتظاهر بذلك ليندمج مع المحيط رغم التوتر القائم بينهما.

وبما أنها لم تتحرك، أشار جينتري نحو مشروبها:

– "ألا تشربين؟ أم أن يدكِ ترتعش؟"

– "لا أظن ذلك."

– "جربي إذن."

مدت يدها نحو زجاجتها، ارتشف رشفة صغيرة وهمت بوضعها، لكنها عادت ورفعتها ثانية لتجرع جرعة كبيرة.

قال لها كورت:

– "معلوماتكم الاستخباراتية خاطئة."

– "أنا.. أنا ظننت ذلك أيضاً، لكن مصدرنا موثوق."

عقب كورت قائلاً:

– "يبدو أن مصدركم فاشل؛ فأنا لا أطارد أحداً، ناهيك عن رئيس وزراء إسرائيل.. كل ما أريده هو أن أتلاشى عن الأنظار." احتسى جرعة أخرى وأردف: "اتركوني وشأني وسأفعل."

ترددت قليلاً ثم قالت:

– "هناك.. هناك شيء آخر."

لم يعجبه وقع كلماتها، وأظهر ذلك في نبرته:

– "ما هو؟"

– "يعتقدون أنك كنت في نيس."

أجاب بسخرية وهو يرفع الزجاجة إلى فمه:

– "ليتني كنتُ كذلك." ثم سأل قبل أن يجرع جرعة طويلة: "متى؟"

– "اليوم."

– "اليوم؟" كاد يبصق الجعة من فمه. "وماذا سأفعل بحق الجحيم في.."

– "اغتيال أمير زاريني."

– "المُخرج السينمائي؟ هل صُفّيَ أخيراً؟"

أومأت برأسها:

– "هذا الصباح. ويقولون إنك أنت من فعلها."

– "لكنكِ قلتِ إنكِ رأيتِني هذا الصباح هنا في ستوكهولم."

أومأت مجدداً.

– "وهل يظن الموساد أنني أملك قدرة الانتقال الآني؟"

– "لا يمكنني إخبارهم أنني تركتك تفلت من بين يديَّ هذا الصباح."

– "إذن ستقفين مكتوفة الأيدي وتشاهدينهم وهم يقتلونني؟"

– "وهل يبدو لكِ فعلي هذا كأنني أقف مكتوفة الأيدي؟"

– "لا أدري ما الذي تفعلينه حقاً، لكن المؤكد أنكِ لستِ هنا لإنقاذي."

قالت:

– "دخلتُ إلى هنا لأنني أحاول فهم ما يجري بحق اللعنة. أحاول العثور على وسيلة لتبرئتك، لأنني أعلم يقيناً أنك لم تكن في نيس."

همَّ بالرد، لكنه توقف فجأة، وأمال رأسه نحو أذنها وجذب معصمها مجدداً، مما أرهبها. وازداد رعبها حين تحدث بأعلى صوت منذ بداية حوارهما:

– "نَحِّهِ عن طريقي تباً له!"

نظرت روث لليسار، فرأت آرون قد اقترب حتى صار على بُعد عشرة أقدام فقط.

لوحت له بيدها بغضب لينصرف، فتراجع بضع خطوات للخلف.

لم تكن تدري كيف لمح جينتري ما يدور خلف ظهره.

قالت:

– "إنه يظن أنك ستؤذيني."

– "لن أفعل ما لم أضطر لذلك، ولأكون صادقاً، تبدو الأمور غير مستقرة حالياً."

– "سيتوقف." أشارت إليه مجدداً، ثم أشارت نحو الجدار. تراجع آرون أكثر رافعاً يديه في إشارة استسلام.

وحتى هذه اللحظة، لم يلحظ أحد في الحانة شيئاً مريباً.

تابعت قائلة:

– "اسمع، لقد قرأت ملفك؛ رأيت نسختنا، و.. والنسخة الخاصة بوكالة الـCIA. ملف وكالتك مليء بالثغرات. منذ البداية، لم أشعر أن

هذا التحقيق يسير في الاتجاه الصحيح. أخبرتهم أن إيهود كالب ليس هدفاً لـ الرجل الرمادي، لكنهم لم يصدقوني."

– "أخبرتِ من؟"

– "كارمايكل، بابيت، ورؤسائي."

تمتم كورت بتفكر:

– "كارمايكل.. هذا الاسم يظهر دائماً حين تتعقد الأمور." ارتشف من جعبته وسأل: "ولا يزالون يعتقدون أنني كنت في بيروت؟"

– "أجل."

– "والآن في نيس؟"

– "أجل."

حدق كورت في الفراغ للحظة، ثم هز رأسه. تفرست في وجهه عن قرب؛ بدا متعباً، منهكاً.. مهزوماً. لكن عينيه ضاقتا بعزيمة مفاجئة، وكأن الغيوم الثقيلة في رأسه قد انقشعت لبرهة.

وقال:

– "حسناً. سأنفذ لكِ رغبتكِ الليلة."

– "أي رغبة؟"

– "سأعزمكِ على مشروب." ظهرت يده اليسرى ممسكة بورقة نقود من فئة المائة كرونة، ووضعها على المنضدة بين كأسها وزجاجته. ثم سأل: "هل تحملين سلاحاً؟"

– "معي رذاذ فلفل."

أمال رأسه بتعجب: "حقاً؟ هذا كل ما معكِ؟"

– "أجل."

– "إذا فتشتُ حقيبتكِ ووجدتُ مسدساً، فسأصبح حاد المزاج حقاً."

– "أنا لا أحمل سلاحاً نارياً."

ارتفع حاجبا كورت دهشةً، لكنه لم يعلق. ثم قال:

– "سأبتعد عن المنضدة الآن، وستتحركين معي. وعندما نصل إلى باب المطبخ، سأنفصل عنكِ وأنسلُّ للخارج. إذا لحقتِ بي، أو لحق بي أي من مساعديكِ الصغار، فسيتأذى شخص ما." صمت لبرهة بينما كانت تنظر إليه بذهول، ثم أردف: "هزي رأسكِ إن كنتِ تصدقين ما أقوله لكِ."

– "أنا أصدقك."

– "حسناً يا روث. آمل أن تخبري رؤساءكِ أنني لم أكن متورطاً فيما حدث في نيس."

– "إنهم لا يصغون إليَّ. إنهم يريدون محوك من الوجود يا جينتري، ولن أتمكن من تغيير ذلك."

قال كورت: "إذن أظن أن من الأفضل أن أبدأ التحرك." اتجه نحو مدخل المطبخ، وتبعته روث.

وأضاف:

– "إذا لمحتُ أيّاً من 'رعاة البقر' التابعين لـ تاونسند أو 'نينجا' الموساد، فسأعرف أنكِ كذبتِ عليَّ."

أجابت: "لا يوجد أحد منهم هنا."

ودون كلمة أخرى، استدار كورت، وتخطى حاجز المنضدة، ودخل إلى المطبخ. لم يلحظ النادلان حتى مروره بجانبهما.

وضعت روث يديها على المنضدة لتستجمع قواها، فتقدم آرون نحوها وسأل: "أأنتِ بخير؟"

أومأت برأسها وهي شاردة الذهن. وبعد ثوانٍ قليلة لاستعادة توازنها، توجهت نحو الباب الأمامي وتبعها آرون.

وبعد لحظات، عاد ضباط الموساد الأربعة إلى غرفة روث في لودج غاملا ستان. وبينما كانت روث تنزع معطفها وتحاول تهدئة أعصابها بأنفاس عميقة وبطيئة، كان عليها تحمل سيل من الأسئلة من فريقها، مغلفاً بتعابير واضحة عن آرائهم المعارضة.

سألت لورين:

– "ماذا كنتِ تفعلين بحق الجحيم؟"

– "كنتُ أحتسي شراباً والنصل مغروز في أضلاعي."

سأل مايك:

– "وماذا قال؟"

– "كان يعلم بشأننا.. وبشأن تاونسند. قال إنه لا يرغب في قتل كالب."

– "هذا ما سيقوله أي شخص يخطط فعلاً لقتل كالب."

– "صحيح، لكنه أيضاً ما سيقوله شخص بريء. أنا أصدقه."

قال مايك:

– "بإمكاننا الاتصال بشركة تاونسند لنرى إن كانت الطائرة المسيرة قد حددت مكانه."

عقبت لورين:

– "أو ربما تلتقيان غداً لتناول المشروبات مجدداً وعندها نقبض عليه."

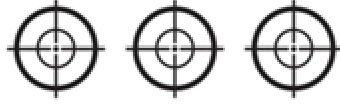
لم تكن روث في حالة تسمح لها بتقبل السخرية أو المواعظ من فريقها.

قالت:

– "لم تسر الأمور كما خططت لها، أعلم ذلك. لكنني أصدق الرجل؛ هو لا يطارد كالب ولم يكن في نيس. لن أخبر تاونسند بأننا رصدناه؛ فهم سيقتلونه فحسب."

سأل مايك: "إذن؟ ماذا نفعل؟"

– "سأتصل بـ يانيس، وسأسمع منه على الأرجح نفس الهراء الذي سمعته منكم للتو."



38

سار كورت بخطى حثيثة لكن هادئة عبر محطة القطار المركزية في ستوكهولم؛ كان غطاء الرأس مرفوعاً، وقبعته الصوفية منخفضة، ووشاحه يغطي معظم وجهه. كانت الساعة تقترب من منتصف الليل؛ ولم يكن في صالة الانتظار الكبرى بالمحطة سوى مائة شخص على الأكثر يتوزعون في مساحة تتسع لعشرين ضعف هذا العدد. كان جينتري يتفحص كل وجه يمر به وهو يسير بمحاذاة الجدار؛ فكل عابر بالنسبة له هو تهديد محتمل.

كان يدرك أنه تحت مراقبة الكاميرات الأمنية الآن، ورغم ثقته في تجنب أنظمة التعرف على الوجوه بسبب تخفيه، إلا أنه كان متيقناً أيضاً أن أي شخص يبحث عنه في هذه المرحلة سيعرف شكل معطفه وحقيبة ظهره، وبالتالي سيسهل عليهم تخمين أن ذاك الرجل الذي يسير وحيداً في المحطة هو نفسه الطريدة التي يطاردونها في ستوكهولم.

لم يكن بيده حيلة حيال ذلك؛ علم أنه سيُرى، وعلم أن الأوغاد المسلحين سينقضون على المحطة خلال دقائق، لكنه أمل أن يغادر المكان قبل وصولهم.

لكن ليس على متن قطار؛ فـ كورت لم يأتِ ليركب القطار.

ليس الآن على الأقل.

بل كانت هذه مناورة لكشف المراقبة (SDR)، وإن كانت تهدف لغرض مزدوج.

كان هدفه الرئيسي من التواجد في المحطة هو مسح المبنى، وتحديد مواقع كاميرات الأمن، وتقييم الوجود الشرطي. فلديه خطة للعودة، وحين يفعل، يريد التحرك عبر المبنى كأنه شبح غير مرئي.

مرَّ بجانب مركز شرطة صغير داخل المبنى؛ كان الضباط خلف الزجاج غارقين في حديث جانبي ولم يلتفتوا نحوه.

ركز كورت بعدها على الكاميرات الأمنية، فهي الخطر الأكبر الذي يواجهه هنا. رصد أعدادها ومواقعها المرتفعة على جدران الصالة الرئيسية. كان يعلم بوجودها، وكان بإمكانه تخمين مواقعها وكيفية تجنبها دون الحاجة للمجيء الليلة، لكن الدقة كانت مطلوبة، وكان يدرك تماماً وجود كاميرات أخرى موزعة في أرجاء المبنى سيتعين عليه مراوغتها.

لمح آلتين للصراف الآلي بالقرب من ساحة المطاعم في الطابق الرئيسي، وكلاهما مزود بكاميرات تراقب المنطقة المحيطة لمسافة خمس ياردات تقريباً. ومن حسن حظه، كانت الآلتان في جانب واحد من الصالة. كما عثر على كاميرا فوق منصة للوجبات السريعة.

رصد اثنتي عشرة "عيناً كهربائية" في المجمل، داخل صالة الانتظار وحدها، وافترض أن كل واحدة منها ترسل صورته في هذه

اللحظة إلى خادم ما، ربما في واشنطن أو كولورادو أو "وادي السيليكون"، حيث تُعالج "البتّات" و"البايتات" التي تشكل بيانات وجهه آلياً بالطبع، نظراً لوجود ملايين الوجوه التي تخضع للعملية ذاتها.

هبط عبر السلم الكهربائي ودخل ممراً مضاءً بسطوع، وهناك رأى كاميرا مثبتة عالياً فوق مطعم "برجر كنج" على يمينه. وأثناء مروره بمدخل يؤدي إلى ممر الأرصفة غير المدفأ، رصد كاميرا أخرى، لكنها كانت بعيدة وراء الرصيف الأول، فانعطف يساراً بحدة وصعد الدرج.

وعند السكك الحديدية، رأى كاميرا واحدة على كل رصيف، فتعرف على طرازها وعلم أنها رغم احتوائها على محرك للتحريك الأفقي يمكن التحكم فيه عن بُعد، إلا أن عدستها لا تغطي سوى مجال رؤية يبلغ ستين درجة، وبإمكانه تجنبها إذا سار بمحاذاة الحافة اليسرى للرصيف أثناء مروره.

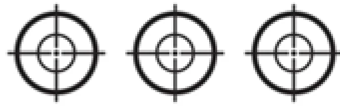
لم يستغرق مسحه الشامل للمحطة المركزية سوى أقل من خمس دقائق، وعند انتهائه سار بعيداً على طول الرصيف، متجاوزاً السقف المرتفع نحو الظلام، ثم نزل إلى السكك وبدأ السير فوق مسارات خط الضواحي المكسوة بالثلوج.

وبعد عشرين دقيقة، كان قد استقل قطاراً متجهاً لبلدة تبعد عشرين دقيقة عن ستوكهولم، ومن هناك استقل حافلة ليلية تأخذه لمسافة أبعد قليلاً. وأثناء الرحلة، أبقى وجهه مغطى وحقيبة ظهره فوق حجره، وأسند وجهه إليها، شاعراً بأنه في أقصى درجات الأمان الممكنة حالياً.

لبضع ساعات فحسب، على أي حال.

فكر في البقاء خارج المدينة ليوم أو يومين لكنه سرعان ما رفض الفكرة. فرغم أن من يراقبونه موجودون حتماً في العاصمة، إلا أن زحام العالم الحضري وفوضاه هما المخبأ الأكثر أماناً له. فلو تجول في ضاحية أو قرية ما، سيلفت الأنظار أكثر، وإذا ما رصدته كاميرا أمنية صدفة وجذب وجهه المسلحين للمنطقة، فستكون خيارات الهرب والتملص شبه معدومة.

كلا، أدرك كورت أنه يمكنه التواري في الضواحي لبضع ساعات لا أكثر، لكن عليه العودة للمدينة قبل أن يتمكن من الانسلال نحو المدينة الكبيرة التالية.



جلست روث إيتنغر مع فريقها في غرفتها بالفندق، يناقشون خطوتهم التالية. كانت قد أنهت لتوها مكالمة مع مشرفها، يانيس ألفي، الذي لم يكن راضياً عنها، بعبارة ملطفة. ورغم أنه لم يصرخ ولم ينفجر غضباً –فليس هذا أسلوبه– إلا أنه أوضح لها أنها أظهرت قصوراً شديداً في التقدير حين حاورت هدفها. واقترح أن الأفضل للجميع هو استبدالها وفريقها بمجموعة جديدة من ضباط الاستهداف، لكنه تراجع في النهاية.

كسبت روث الجدال بالكاد، رغم أنها لم تحرز أي تقدم في إقناع ألفي باستبعاد تورط جينتري في اغتيال أمير زاريني. ولم يكن مستغرباً أن كلمات جينتري لم تكن تعني له شيئاً.

أمرها بلهجة لا تقبل التأويل بالبقاء قريبة من جينتري قدر الإمكان، بحيث يكون لديهم هدف يتبعونه فور وصول فريق المراقبة

التقنية التابع لـ الموساد، والقادم من تل أبيب، في وقت مبكر من الصباح التالي.

أذعنت لرئيسها دون تمردها المعتاد، لأنها علمت أن مراقبة الموساد هي بالضبط ما تحتاجه هذه العملية. فلو تمكنت من وضع طاقم مراقبة تقنية مكون من خمسة عشر شخصاً حول جينتري، فسيتبين لهم سريعاً أنه لا يخطط لأي هجوم ضد أي شخص، ناهيك عن إيهود كالب.

جلست روث صامتة بعد المكالمة، وفكرت للحظة في إخبار فريقها بأنها تعلم، يقيناً، أن هدفهم لم يقطع القارة الليلة الماضية لينفذ مجزرة وقت الغداء، ثم يعود ليُرى في متجر "سفن إليفن" بعد وقت العشاء بقليل. لكنها قررت مجدداً الاحتفاظ بالمعلومة لنفسها؛ فإذا لم تستطع إخبار يانيس –وقد تأكدت من ذلك بعد حوارها الأخير معه– فليس من العدل إقحام موظفيها الثلاثة في خداعها.

أخرجها آرون من لحظة صمتها قائلاً:

– "أشعر أن علينا العودة للميدان، على الأقل لتغطية محطة القطار في حال حاول الفرار من المدينة."

أومأت روث برأسها:

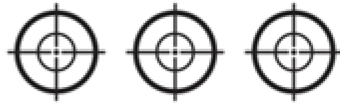
– "أوافقك الرأي، لكن علينا البقاء في وضع المراقبة الثابتة. فإذا بدأنا التحرك في أرجاء المدينة في جوف الليل، أضمن لك أنه سيرانا قبل أن نراه. ابحثوا عن موقع مراقبة ثابت في المحطة المركزية أو بالقرب منها، مكان نكون فيه متأكدين تماماً من عدم انكشافنا، وسنبدأ مناوبة دورية كل ثلاث ساعات."

ارتدى آرون معطفه ورفع غطاء رأسه خلال ثوانٍ:

– "سآخذ المناوبة الأولى."

أمسك مايك بمفاتيح الـ سكودا وقال:

– "وأنا سأتولى التوصيل."



قضى كورت ساعات الصباح الأولى راكباً حافلة متجهة إلى جاكوبسبرج، وهي بلدة تقع جنوب غرب ستوكهولم. لم يكن هناك ما يراه أو يفعله في تلك البلدة؛ فبمجرد وصوله، سيستقل حافلة أخرى تعيده إلى ستوكهولم.

لم يكن هناك سوى ستة ركاب آخرين، لكن كورت كان وحيداً في المقاعد الخلفية، ملتفاً بمعطفه وحقيبته فوق حجره. وضع هاتفه فوق الحقيبة وسماعات الرأس في أذنيه؛ وظل جالساً هكذا لنصف ساعة لأنه كان يجد صعوبة في تهيئة نفسه نفسياً للاتصال بـ راسل ويتلوك.

علم أنه بحاجة لإجراء تلك المكالمة. فـ ويتلوك هو صلته الوحيدة بالمعلومات الاستخباراتية عن الخصوم، ليس فقط شركة تاونسند بل وأيضاً فريق الموساد الذي يعمل معهم. ومهما كانت دوافع راسل ويتلوك لعرض المساعدة، ومهما كان السبب وراء فضوله الذي يبدو كأنه هوس بشأن واقعة أوكرانيا قبل ثلاث سنوات، أدرك كورت أن الدقائق الخمس التي سيستغرقها في سرد التفاصيل قد تعني ببساطة الفرق بين الحياة والموت.

طلب رقم ويتلوك عبر برنامج "موبايل كريبت" ودسَّ رأسه أكثر داخل غطاء معطفه، عازلاً نفسه تماماً عن العالم من حوله.

كان ويتلوك قد استأجر سيارة BMW في المطار ثم أخذ غرفة في فندق "جراند هوتيل" بوسط المدينة. وطوال الساعتين الماضيتين، ظل

جالساً بانتظار على الأريكة المريحة في غرفة المعيشة بجناحه الصغير. كان لا يزال يرتدي بدلته الداكنة التي تجعدت بعض الشيء، وربطة عنقه مرتخية وياقته مفتوحة. وبجانبه على الطاولة الجانبية وضعت زجاجة شمبانيا فاترة ونصف فارغة من الثلاجة الصغيرة، وعلبة دواء "أديرال". لم يتناول أي حبوب، لكنه جهزها لتكون مستعدة بحيث يمكنه الانطلاق للعمل في أي لحظة.

كان وجهه يحمل تعبيراً يقترب من الذهول. كان مستيقظاً لكن اليأس يتملكه. فكل دقيقة تمر دون اتصال من جينتري هي دقيقة تقربه من فشل العملية. راح راسل يشغل عقله بخيالات قتل الرجل الرمادي؛ فابتكر دزينة من الخطط الوحشية لفعل ذلك، كل ذلك لأن ذاك الوغد رفض تمثيل دوره في مغامرة ويتلوك والتواصل معه. كما فكر في طرق لقتل علي حسين؛ فالإيرانيون اللعناء لم يؤدوا دورهم كما يجب هم الآخرون. فبالنسبة لـ ويتلوك، قد نفذ عملية زاريني بإتقان كافٍ لإقناعهم بأنه الرجل الرمادي؛ وهم الآن يتدللون بشكاويهم السخيفة حول الخسائر الجانبية. إن طلبهم لذاك الدليل الوحيد الذي لم يتمكن من تقديمه أثار حنقه، وقال لنفسه إنه إذا فشل هذا الأمر برمته، فسيعود إلى بيروت ويغرز خنجراً في عين علي حسين.

بعد أن يفعل الشيء نفسه بـ كورت جينتري.

كان هاتفه في جيبه لكن سماعة الأذن محشورة في أذنه اليمنى. كاد ينسى وجودها، لذا حين رنت، انتفض في جلسته. وفي نبضة قلب واحدة، انتقل ويتلوك من حالة اليأس إلى حالة من الترقب الذي يخفق له القلب.

أجاب من الرنة الأولى: "أهذا أنت يا أخي؟"

– "هذا أنا."

قال راسل وهو يتناول حبتين من الـ "أديرال" من العلبة ويلقيهما في فمه: "سمعتُ أنك خرجتَ من الحانة بسلام."

– "أجل. ما الذي تسمعه أيضاً؟ هل من معلومات جديدة؟"

تجرع راسل بقية الشمبانيا الفاترة ليبتلع الحبوب معها، وقد شعر بمرارتها وهي تنزلق في حلقه:

– "أجل. لقد أنهيتُ لتوّي مكالمة مع 'محطة تاونسند'. وحدة ميتسادا دخلت المعركة. هم في المدينة الآن ويتحركون لاتخاذ مواقعهم."

لم يكن الخبر صحيحاً، لكن ويتلوك كان بحاجة لبث روح العجلة في نفس جينتري الآن.

تمتم كورت بنبرة يكسوها الوجل: "ميتسادا.. كنتُ أخشى ذلك."

– "لا تقلق بشأنهم. لقد أنقذتُك من المتاعب من قبل، وسأقودك لبر الأمان ثانية."

أجاب كورت بصوت خفيض: "حسناً."

– "هذا طبعاً.. إن كنتَ مستعداً للكلام."

ساد صمت لبرهة قبل أن يسأل كورت: "ما سر اهتمامك بـ كييف؟"

– "الأمر بسيط يا أخي. أنا أعرف كل ما تعرفه وكالة الاستخبارات المركزية عن تلك الليلة. لديهم تقارير الشرطة، وتقارير المقذوفات، وشهادات الشهود، وأطنان من التحليلات التافهة، لكنهم لا يملكون الأجوبة كلها. إنها العملية الوحيدة في مسيرتي التي لا أستطيع فهم لغزها، وإذا كانت هناك معادلة تكتيكية عجزتُ عن حلها بمفردي، فلا بأس أن يمنحني أحدهم ورقة الأجوبة. هيا يا كورت، أخبرني بالسر.. كيف فعلتَها بحق اللعنة؟"

– "أخبرني أنت بما تعرفه، وسأكمل لك التفاصيل."

– "مستحيل. سأحتفظ بما أعرفه لنفسي، كي أتأكد من أنك لا تخدعني."

زفر كورت زفيراً طويلاً وبطيئاً. وتولد لدى راسل انطباع قوي بأن جينتري لم يسبق له فعل ذلك من قبل؛ أن يتحدث بالتفصيل عن إحدى عملياته.

قال كورت:

– "سأتكلم، وبعدها تتكلم أنت. تخبرني أين توجد ميتسادا. وتخبرني أين توجد تاونسند. تخبرني بكل ما تعرفه."

– "سأفعل ما هو أفضل من ذلك. أنا هنا في ستوكهولم، وسأتدخل شخصياً لإبعاد الجميع عنك."

قال كورت:

– "هذا لا يروق لي. بالنسبة لي، يمكنك تصفية كل عميل تراه من تاونسند. لكنني لا أريدك أن تمسَّ شعرة واحدة من رؤوس الإسرائيليين. لستُ بحاجة لمزيد من طالبي الثأر أكثر مما لدي بالفعل."

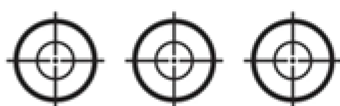
– "كما تشاء." اتكأ راسل على الأريكة وأردف: "والآن.. كييف."

قال كورت بصوت خافت: "كييف." ثم أضاف: "كنتُ أنا."

– "بمفردك تماماً؟"

– "بمفردي تماماً."

قال راسل والابتسامة تظهر في نبرة صوته: **"كنتُ أعلم ذلك يقيناً .. تباً!"**



39

قبل ثلاث سنوات

كانت تسع طائرات من طراز «ميغ-25 بي دي» (Mig-25PD Foxbat)، تحمل كل منها الشعار الأصفر للقوات الجوية الأوكرانية، تصطف في صف واحد على ساحة الانتظار في قاعدة فاسيلكيف الجوية، شمال غرب كييف. منحتها أبراج الإضاءة القابلة للقطر بجوار كل طائرة وهجًا مسلطًا من الأعلى. توقف مطر المساء قبل أقل من ساعة؛ والآن كان ضباب متقطع يعلق بين المقاتلات المبللة ومبنى العمليات في القاعدة، على بعد حوالي خمسين ياردة إلى الشمال من الساحة.

ارتفع برج مراقبة دائري وقصير من المبنى. على ممر يحيط بالبرج، تدلت كشافات ثابتة بجوار حراس مسلحين، وداخل البرج نفسه جلس رجلان يطلان على القاعدة الجوية. لم يكونا مراقبي حركة جوية؛ فلم تكن هناك عمليات طيران رسمية مقررة هذا المساء. بل كانا الرجلين المكلفين ببطارية الصواريخ المثبتة على سطح البرج. من راحة الغرفة المدفأة والمغطاة كان بإمكانهما التصويب، والإطلاق، والتحكم في صاروخ «إم-133 كورنيت» (M-133 Kornet) الموجه سلكيًا، وهو سلاح روسي مضاد للدبابات فعال أيضًا ضد المروحيات.

كانت أربعة صواريخ «كورنيت» مرئية على قضبان الإطلاق فوق البرج.

على بعد ثلاثمائة متر غرب برج المراقبة، بالقرب من البوابات الأمامية للقاعدة، كان مبنى ثكنات خرساني يعج بجنود الأمن، وكان هذا المبنى أيضًا متوجًا ببطارية صواريخ «كورنيت». المشغلان في هذا الموقع كانا محميين أيضًا من العوامل الجوية ومن أي هجوم. في حالتهما، كان مخبأ مغلق على السطح بجوار قاذفة الصواريخ يحميهما. لم تكن سوى رؤوسهما مرئية عبر النافذة، وإذا ظهرت أي بادرة مشكلة، كان بإمكان الرجلين الانحناء بعيدًا عن الأنظار وتشغيل سلاحهما بأمان باستخدام الكاميرا الموجودة في مخروط أنف الصاروخ.

بالإضافة إلى بطاريتي الصواريخ المضادة للدبابات/الطائرات، كانت هناك ثمانية مخابئ إسمنتية على طول خط سياج القاعدة، كل منها مأهول بحارسين مسلحين ببنادق وقاذفات قنابل صاروخية (آر بي جي). وإلى جانب أسلحتهم، كانوا يتحكمون في كشافات بحث قوية، وجميع المخابئ كانت على اتصال لاسلكي بقوة الحراسة في الثكنات، حيث كان ستون رجلاً آخرون مستعدين للانتشار ضد أي تهديدات لأمن القاعدة.

سارت عدة دوريات للكلاب المسلحة على محيط السياج، مضيفة حلقة حماية إضافية للمنشأة.

ورغم عدم وجود عمليات طيران مقررة وعدم وجود مراقبي حركة جوية، أضاءت أنوار المدرج الوحيد بعد منتصف الليل بقليل، وبعد دقيقة واحدة فقط، ظهرت طائرة شحن روسية من طراز «أنتونوف إيه

إن-74» (Antonov AN-74) فوق المدرج، هابطة عبر الغطاء السحابي المنخفض بشكل مستحيل.

لامست الطائرة الأرض، وتوقفت على المدرج، واتباعًا للأوامر المعطاة للطيار عبر رسالة نصية على هاتفه الخلوي، سارت نحو حظيرة مظلمة بالقرب من الثكنات.

ثم انطفأت أضواء المدرج فجأة كما أضاءت.

بينما كانت الطائرة تشق طريقها نحو الحظيرة، زحف كورت جينتري خارجًا من خندق تصريف بجوار المدرج. مرتديًا الأسود من رأسه إلى أخمص قدميه وحاملاً حقيبة ظهر سوداء، مد يده خلفه في الخندق وأمسك بحقيبة ظهر سوداء ثانية. كانت حقيبة «بيرغن» (Bergen) كبيرة من إصدارات الجيش البريطاني، وكانت زلقة بالطين. جاهد لسحب الـ«بيرغن» من الخندق ورفعها إلى حافة المدرج، لكن بمجرد وصولها إلى السطح الإسمنتي، أصبحت الثمانون رطلاً من المعدات الموجودة بداخلها والمربوطة بها أسهل في التعامل. كان قد ربط لوح تزلج بظهر الحقيبة، بعد طلاء اللوح والعجلات باللون الأسود غير اللامع، مما ساعده في دفع المعدات وهو يزحف بسرعة عند حافة المدرج.

بعد عشر دقائق من الحركة عبر الظلام، تخللها الكثير من التوقف والبدء لمحاولته جعل تمركزه أقرب ما يكون للمثالية قبل مغادرة المدرج، سحب الحقيبة معه إلى العشب المنخفض المبلل بين المدرج وساحة الانتظار حيث اصطفت طائرات «فوكسبات». تطلب الأمر كل قوته وصبره لسحب المعدات خلفه. أجهده الجهد، لكن عينيه ظلتا تتنقلان بسرعة من موقع حراسة إلى آخر.

بعد بضع دقائق أخرى، شق طريقه إلى موقع قريب في العشب، على بعد أربعين ياردة من المدرج ومائتين من ممر الطائرات وساحة الانتظار. استلقى هناك، منبطحًا وساكنًا للحظة، متيقظًا لأي إشارة تدل على اكتشاف وجوده. عندما شعر بالثقة بأن تحركاته لم تفضحه، سحب منظارًا من الحقيبة على ظهره. وبه فحص موقع الرجال الأربعة في موقعي بطاريات الصواريخ بعناية، ثم بدأ التراجع في العشب، ساحبًا الـ«بيرغن» الضخمة معه.

توقف وأعاد فحص مواقع صواريخ «كورنيت» بمنظاره. مطمئنًا لكونه في الموقع الصحيح لعمله القادم، أخذ لحظة لالتقاط أنفاسه.

كان كورت مكشوفًا تمامًا هنا في وسط القاعدة الجوية؛ أقرب ساتر ترابي يمكنه استخدامه للحماية إذا ساءت الأمور كان على بعد أكثر من خمسين ياردة. لكنه شعر بالرضا عن فرصه في البقاء غير مكتشف. كان يعرف جميع مواقع الحراس وكان بإمكانه توقع تحركاتهم، لأنه كان هنا داخل المنشأة لأكثر من أربع وعشرين ساعة. تم توصيله داخل شاحنة شحن تابعة للقاعدة عادت من ورشة إصلاح محلية. وبينما كانت في الورشة، قام شركاء الرجل الذي تعاقد مع كورت لهذه العملية بإخفائه بداخلها في حجرة سرية خلف المقاعد، ثم ربطوا معداته في التجويف المخصص عادةً للإطار الاحتياطي.

لم يواجه كورت مشاكل في الدخول للقاعدة بعد ذلك؛ كان عليه فقط الانتظار في وضعية ضيقة بشكل مستحيل في الشاحنة لتسع ساعات حتى تأكد من مغادرة جميع أطقم الأرض لمواقعهم لليلة. ثم تسلق خارجًا من الشاحنة، ساقطًا في ساحة انتظار السيارات بأرجل بدت كالمعكرونة المبللة. بمجرد استعادته لاستخدام أطرافه السفلية،

فك حقيبته من تجويف الإطار الاحتياطي وبدأ عمله، متحركًا ببطء، متجنبًا الحراس والأضواء.

بحلول الفجر، شق طريقه لمسافة ثلاثمائة متر إلى الخندق البعيد عبر الحقل بجوار المدرج، وهنا قضى ساعات النهار. كان معه راديو التقط جميع الاتصالات حول القاعدة، وراقب التعليمات المعطاة لقوات الأمن بشأن الاجتماع الذي سيجري في منتصف الليل.

أدرك من حركة الراديو أن رئيس قوات حماية القاعدة، وهو رائد في الجيش الأوكراني، اعتبر حدث الليلة كابوسًا أمنيًا محتملاً، لكنه عرف أيضًا أن المسؤولين لم يكترثوا لرأي الرائد. عرف كورت أن جنرالاً في القوات الجوية، له صلات قوية بالحكومة الأوكرانية، كان يتقاضى مبلغًا ضخمًا لتوفير القاعدة الجوية كمكان لصفقة سرية بين «فيلق القدس» الإيراني وجهاز الأمن الفيدرالي الروسي (FSB)، وأن الرائد ورجاله لن يترددوا في قتل مسلح وحيد يُضبط في القاعدة أثناء اللقاء.

نظر مرة أخرى لأعلى نحو الصواريخ. كانت جاثمة على قضبانها، موجهة نحو القاعدة.

تلك كانت أكبر تهديد له.

كان كورت قلقًا بشأن الحراس حول المطار. قلقًا بشأن القوات في الثكنات بالقرب من البوابة. غير مرتاح بشأن دوريات الكلاب على خط السياج... لكنه كان مرتعبًا من أنظمة صواريخ «كورنيت» على برج المراقبة وعلى أسطح الثكنات.

الاجتماع السري الليلة بين الروس والإيرانيين سيتضمن مقايضة نقدية مقابل أسرار نووية. الفرس يملكون المال والروس يملكون العقول – مئات الغيغابايتات من الخطط لتعظيم كفاءة برنامج تخصيب

اليورانيوم الإيراني مخزنة على ثلاثة أقراص صلبة صغيرة؛ عرف كورت كل هذا لأن جنرالاً روسيًا أخبره بذلك، رجل تم استبعاده من الترتيب وشعر بأنه خُدع في القضية برمتها. عقد الجنرال صفقة مع رجال عصابات أوكرانيين لإيقاف الاجتماع وتدمير الأقراص الصلبة المليئة بالبيانات الحاسمة. لم يكن الجنرال مهتمًا بحماية العالم من شرور الانتشار النووي. أراد فقط عقد صفقته الخاصة مع الإيرانيين ومقايضتهم بأقراصه الصلبة الخاصة المليئة بالبيانات الحاسمة.

بعد فترة وجيزة من توقف كورت عن الحركة في العشب المبلل، عادت أضواء المدرج للعمل. هذه المرة كانت طائرة «لوكهيد جيت ستار» (Lockheed JetStar) هي التي هبطت، طائرة رجال أعمال نفاثة صغيرة يمكنها حمل ثمانية إلى عشرة ركاب براحة. مرت الطائرة مسرعة عن يساره ثم أبطأت وتوقفت بعيدًا جدًا في نهاية المدرج. بعد لحظة بدأت تسير نحو الحظيرة بالقرب من الثكنات.

عرف كورت أن هؤلاء هم عملاء «فيلق القدس» الإيراني، هنا لتسليم النقود واستلام محركات الأقراص من الروس. لم يكن هناك سبب لاستغراق الصفقة بأكملها أكثر من بضع دقائق، لذا عرف كورت أنه يجب أن يستعد بسرعة لما يخبئه لهم.

فتح سحاب حقيبة الـ«بيرغن» القماشية الضخمة وسحب منها ثلاثة أسلحة ضخمة. كانت بنادق قنص روسية نصف آلية من طراز «دراغونوف إس في دي» (Dragunov SVD). كان لكل من البنادق التي تزن عشرة أرطال منظار قوة ثُماني ومخزن سعة عشر طلقات. جميع بنادق القنص هذه كانت ملقمة برصاصة في الغرفة، إذ لم يرد كورت للضجيج المميز لتلقيم رصاصة أن يتردد عبر الحقل المفتوح الكبير.

فتح القوائم الثنائية تحت سبطانات الـ«دراغونوف»، ووضعها أمامه، ثم عاد لحقيبته لاستخراج بندقية طويلة رابعة. كان هذا رشاشاً خفيفاً من طراز «كلاشينكوف آر بي كي إم» (RPKM) مطويًا. كان مشابهًا للـ AK-47 الشائع، لكن بسبطانة أطول وأثقل ومخزن سعة خمس وسبعين طلقة. كان مزودًا بمنظار بسيط قوة ثلاثة وحزام حمل.

جمّع كورت الـ RPKM ووضعه في العشب خلفه بخمسة أقدام، ثم أعاد التحقق من بطاريات الصواريخ والحظيرة حيث كانت الطائرة الإيرانية تتوقف بالقرب من الأنتونوف.

مطمئنًا لكونه جيدًا من حيث الوقت، سحب عنصرين آخرين من حقيبته. كانا قاذفي صواريخ «آر بي جي-32» (RPG-32)، عيار 72 ملم مضاد للدبابات. كل منهما موضوع في أنبوب إطلاق بطول ياردة، ويزن كل منهما ستة أرطال. فتح المناظير والمقابض على الأنابيب، ثم وضعها في العشب.

آخر عنصر أُخرج من الحقيبة كان مفجرًا إلكترونيًا، جهازًا صغيرًا يشبه الهاتف الخلوي، بعدد من الأزرار وشاشة مضاءة. أوقفه على العشب المبلل أمامه، ثم أعاد انتباهه لبنادق قنص «دراغونوف».

صوب سلاحًا واحدًا نحو الرجل الجالس في برج المراقبة، على بعد مائتين وستين ياردة، واضعًا الشعيرات المتقاطعة للمنظار على الجزء الوحيد من الهدف الذي يمكنه رؤيته من موقعه، قمة خوذته. الجندي الآخر كان واقفاً خلفه، لكنه يمشي حول برج المراقبة، مستخدمًا منظاره لمراقبة الحركة بالقرب من الثكنات.

ترك كورت هذه البندقية ترتاح على قائمتها الثنائية ثم سحب البندقية الثانية إليه. صوب هذه نحو أحد الجنود الأوكرانيين المناوبين عند البطارية فوق الثكنات، على بعد ثلاثمائة وأربعين ياردة. سحب

كيسًا كبيرًا محشوًا بالحبوب (Beanbag) من حقيبة ظهره واستخدمه لرفع كعب السلاح، مبقيًا الشعيرات المتقاطعة على الهدف.

وضع الـ«دراغونوف» الثالثة في العشب أقرب ما يمكن للثانية، وصوب بها نحو الحارس الثاني في الهيكل الخرساني أعلى الثكنات. كان هذا الرجل يمشي ذهابًا وإيابًا بمنظاره، على بعد أقدام فقط من زميله الجالس، ورغم أن كورت استخدم كيسًا محشوًا آخر لإبقاء الشعيرات المتقاطعة موجهة لنقطة قريبة من حيث يمشي الرجل، إلا أنه لم يتتبع حركاته بالبندقية.

بدلًا من ذلك، سحب كورت قضيب ألومنيوم بطول قدم من حقيبة ظهره، ومرره عبر واقيات الزناد لبندقيتي «دراغونوف» الموجهتين نحو بطارية الصواريخ المضادة للدبابات فوق الثكنات.

زفر تنهيدة طويلة.

سيكون هذا صعبًا.

في كل تحضيراته لهذه العملية، كان يعلم أن الجانب الأصعب على الإطلاق في المعادلة هو الأوكرانيون الأربعة القادرون على إطلاق صواريخ موجهة سلكيًا من حماية المخابئ المدرعة، ثم، بهدوء وسهولة، تطييرها عبر المطار ومباشرة نحو مؤخرته. الطريقة الوحيدة لمنعهم من تفجيره إلى أشلاء، كما قرر، هي القضاء على الرجال الأربعة جميعًا بينما هم في العراء. المشكلة في هذه الخطة كانت، بالطبع، أنه بمجرد إطلاقه النار ببندقيته على هدف واحد، سيكون على الرجال الآخرين فقط السقوط من كراسيهم ليكونوا بعيدين عن الأنظار، حيث لا يزال بإمكانهم تشغيل صواريخهم باستخدام كاميرات التلفزيون المدمجة.

حتى لو استخدم بندقية قنص بكاتم صوت، فإن وميض الضوء في وسط القاعدة الجوية سيكون واضحًا لأي شخص ينظر في اتجاهه العام، وإطلاق النار المكتوم ليس صامتًا؛ سيظل صوته يتردد عبر الأرض المفتوحة.

عرف أن لديه فرصة واحدة قبل أن ينحني الرجال بعيدًا عن خط ناره. إذا لم ينل منهم جميعًا في اللحظة نفسها، ستكون بقية المهمة نقطة لا قيمة لها، لأن كورت لن يكون حيًا لتنفيذها.

لذا سيطلق النار على الرجال الأربعة جميعًا في وقت واحد في بداية هجومه. قضى ساعات على الحسابات الهندسية، مستخدمًا خرائط وصورًا للقاعدة الجوية، واختار جميع معداته وفقًا لذلك.

أمسك بمنظاره وتفحص الاجتماع الجاري عند الحظيرة. يبدو أنه فوت التبادل، لأن طائرة «جيت ستار» كانت تغلق باب مقصورتها، وبعد أقل من ثلاثين ثانية، بدأت تتدحرج عائدة نحو ممر الطائرات.

خفق قلب جينتري مع اقتراب الوقت. سحب المفجر أقرب، تحت ذقنه مباشرة، ثم أخذ الـ«دراغونوف» الموجهة لبرج المراقبة، وسحبها عبر العشب، واحتضن السبطانة في ثنية ذراعه اليمنى عند موضع الساعة الثالثة. سند كعب هذه البندقية بعضلته ذات الرأسين اليسرى، وأراح سبابة يده اليسرى (إصبع الزناد) على واقي الزناد. للرؤية عبر المنظار كان عليه أن يميل لليسار وينظر مقلوبًا عبر العدسة. حرك البندقية قليلاً، ثم ركز انتباهه على البندقيتين الأخريين. كانت هاتان أمامه، بفاصل أربع بوصات فقط عن بعضهما، وزناداهما مضبوطان للإطلاق كواحد بمجرد أن يسحب قضيب الألومنيوم المستند عليهما. نظر عبر كل منظار وضغط كل كيس محشو قليلاً لوضع الشعيرات المتقاطعة في الموقع الصحيح. الرجل الجالس في المبنى كان مصطفًا

تمامًا، لكن الرجل المتجول بالمنظار كان يمشي ذهابًا وإيابًا عبر مركز الشعيرات المتقاطعة.

قضى كورت يومًا في خندق ينتظر بصبر، لكن الآن بدأت الأمور تتحرك بسرعة كبيرة. سارت الـ«جيت ستار» نحوه على المدرج. ستتدحرج للنهاية وتستدير لبدء انطلاقها للإقلاع. الأنتونوف الأكبر كانت قد حُمّلت وانتظرت في الطرف البعيد للمدرج. نظر كورت يسارًا ويمينًا، ثم خلف كتفه، متأكدًا من عدم وجود دوريات كلاب قريبة منه، ثم ألقى نظرة على الساحة وصف الـ«ميغ»، ورأى أنه لا نشاط هناك أيضًا.

كانت الطائرة الإيرانية على بعد مائة ياردة وتتدحرج صعودًا على المدرج عن يساره. بدأ كورت عدًا تنازليًا صامتًا، ثم بدأ يحرك رأسه من منظار قنص لآخر.

فحص السلاح الموجه لبرج المراقبة. كان لديه الرجل الجالس في مرماه والرجل الثاني خلفه، يمشي داخلًا وخارجًا من خط النار.

فحص السلاح الموجه للرجل الجالس عند بطارية صواريخ الثكنات. كانت الشعيرات المتقاطعة على جبهته.

فحص السلاح الآخر الموجه لبطارية الصواريخ على سطح الثكنات. الهدف المتحرك مشى قليلاً ليسار الشعيرات المتقاطعة.

عدل جينتري الكيس المحشو ثم عاد للمنظار الأول لتكرار العملية.

في غضون ثلاثين ثانية فحص كل بندقية ثلاث مرات، أجرى تعديلات مليمترية عند الضرورة، وواصل عده التنازلي، لكنه أضاف ساعة ثانية جارية في رأسه، ثم ثالثة، بينما يحاول توقيت حركات الهدفين المتحركين.

بعد نظرة واحدة أخيرة عبر مناظيره ونظرة سريعة للطائرة الإيرانية، وضع سبابة يده اليسرى على زناد البندقية الموضوعة عند الساعة الثالثة، ثم شبك إصبعًا على قضيب الألومنيوم المتحكم في زنادي البندقيتين المتجاورتين عند موضع الساعة الثانية عشرة أمامه.

فحص الأهداف الأربعة جميعًا مرة أخرى، ناظرًا في كلا المنظارين المتجاورين ثم مقلوبًا عبر المنظار على البندقية في ثنية ذراعه اليمنى.

انتظر لحظة، مريدًا للرجال المتحركين أن يدخلوا في مرماه.

– "الآن." قالها بهمس، ثم سحب للخلف على قضيب الألومنيوم بينما، في الوقت نفسه، ضغطت سبابته اليسرى زناد الـ«دراغونوف» الموجهة نحو برج المراقبة.

أطلقت البنادق الثلاث النار في وقت واحد، صانعة دويًا صاخبًا واحدًا. البندقيتان أمامه لم تكونا مسنودتين بكتفه، لذا طارتا للخلف في وجه كورت بينما غادرت الرصاصات والغازات الساخنة سبطاناتها. البندقية الموجهة لموضع الساعة الثالثة ارتدت بقوة في عضلته ذات الرأسين.

في برج المراقبة تحطم زجاج النافذة، وطار الرجل الجالس للخلف خارج كرسيه، وأسقط الرجل الواقف خلفه مباشرة منظاره وسقط أرضًا.

في المخبأ على سطح الثكنات ارتد رأس الجندي الجالس للخلف وسقط للأمام على وحدة التحكم أمامه. بجواره طار الرجل ذو المنظار في الهواء بينما قُذف للخلف فوق مكتب، وهبط ووجهه للأعلى على الأرضية الإسمنتية.

لم يعرف كورت ما إذا كان قد أصاب الأهداف الأربعة جميعًا؛ خمن أنه سيعرف بالتأكيد فقط إذا انطلق صاروخ مضاد للدبابات في

قوس بالهواء وبدأ يطارده عبر المطار. لم ينتظر حدوث ذلك؛ بمجرد إطلاقه البنادق، مد يده للمفجر وضغط زرًا.

على ساحة الانتظار انفجرت طائرة «ميغ-25 فوكسبات» الثالثة في الصف في كرة من النار. بعد ثوانٍ أطاح انفجار ثانوي بشظايا المقاتلة لمائة قدم في الهواء.

في موقف سيارات المجمع انفجرت الشاحنة التي استخدمها جينتري للدخول للقاعدة؛ ارتفعت سحابة نارية مباشرة في سماء الليل وتحطم زجاج مبنى عمليات القاعدة بالشظايا.

لم يتوقف كورت لمشاهدة صنيعه. نهض على قدميه، وانتزع رشاش RPK الخفيف من العشب المبلل، ورفعه لكتفه. صوب نحو الطائرة الإيرانية السائرة على المدرج، على بعد خمس وعشرين ياردة فقط، وأطلق ثلاث رشقات قصيرة مباشرة عبر الزجاج الأمامي لقمرة القيادة. علق البندقية الكبيرة على كتفه وجثا عائدًا في العشب، ثم أمسك بأول قاذفي القنابل المضادة للدبابات.

بعد خمس ثوانٍ اندلع زئير من الضوء من أنبوب الإطلاق، وانطلق صاروخ متوهج منخفضًا فوق القاعدة الجوية، منطلقًا نحو الـ«أنتونوف إيه إن-74» الروسية. ارتطم مباشرة ببدن الطائرة عند الجناح، مخترقًا خزان الوقود، وتفتتت الطائرة بأكملها في كرة نارية. دبت الحياة في المطار بالأضواء والظلال بينما ارتفعت الكرة النارية فوق المنطقة.

ترك كورت أنبوب الصاروخ الثاني في العشب وانطلق ركضًا نحو الـ«جيت ستار»، التي كانت ساكنة الآن على المدرج.

بينما كان يركض بدأ يتلقى النيران لأول مرة. افترض أن بعض الحراس في مواقع السياج الخارجي رأوا إطلاق الصاروخ وكانوا

يطلقون النار في الظلام على موقعه. كان ينوي أن تشتت الانفجارات الضخمة للـ«ميغ» والشاحنة والـ«أنتونوف» قوة الحراسة بعيدًا عن وسط المطار، لكن فرقعة الرصاص الأسرع من الصوت المار بجواره أخبرته أن بعض الحراس على الأقل لم ينخدعوا بالحيلة. كان على بعد مائتي ياردة من أقرب حارس، ومع ذلك، كانت النيران القادمة غير دقيقة ومتقطعة.

بدأت كشافات البحث تمسح الأرض حوله بينما كان يركض.

وصل إلى الطائرة النفاثة الساكنة على المدرج، وصوب رشاشه RPK نحو إحدى نوافذ المقصورة، وأطلق رشقة طويلة من النيران الآلية، محطمًا النافذة ومفرغًا ضغط المقصورة. ألصق عبوة ناسفة صغيرة بالباب، ثم تدحرج تحت الطائرة للابتعاد عن الانفجار. عندما انطلقت العبوة الناسفة، مازقة الباب عن مفصلاته، سحب كورت قنبلة صوتية ضوئية (فلاش بانغ) من حزامه، ورماها عبر الفتحة المفتوحة الآن. انحنى مرة أخرى وابتعد، وأسقط الـ RPK على المدرج. عندما هدأ الدوي والوميض داخل المقصورة، دار عائداً للمدخل، ساحبًا مسدسه «غلوك 17» ومصوبًا إياه نحو الرجال الإيرانيين الثلاثة المذعورين بالداخل.

اجتاحت رشقة طويلة من نيران الرشاشات المدرج، مثيرة الشرر على بعد أقدام فقط خلفه. قفز كورت لأعلى وداخل مقصورة الطائرة، وحشر مسدسه ضد جبهة أول ضابط استخبارات إيراني.

– "ثانيتان! أين الأقراص؟"

– "ماذا؟ أي أقراص؟ لا أعرف عما تـ..."

أطلق كورت النار على الرجل في رأسه، ثم سحبه للفتحة المفتوحة وركله للخارج على المدرج.

التفت للرجل التالي.

– "ثانيتان! أين الـ..."

– "إنها هنا!" صرخ، وأشار لحقيبة فضية على الأرض بجوار ركبته.

– "افتحها!"

فعل الرجل ما طُلب منه، ورأى كورت ثلاثة أقراص صلبة تشبه الصناديق.

– "كلاكما. اخلعا ستركما."

كان الرجلان يرتديان بدلات رسمية. خلعا معطفيهما بسرعة، وبقدر لا بأس به من الارتباك. في الخارج دوت صفارات الإنذار عبر القاعدة الجوية، وأطبقت كشافات البحث الساطعة على الطائرة الإيرانية. لم يطلق أحد النار عليها بعد، لكن كورت علم أنه لا يستطيع الانتظار ليقرر الأوكرانيون ما إذا كانوا سيفجرون الطائرة عن المدرج بصاروخ مضاد للدبابات.

مع خلع معطفيهما، اقتنع كورت بأنهما لا يخفيان المزيد من أقراص الكمبيوتر. أمر الرجلين بالتسلق خارج باب المقصورة المكسور. فعلا ما أُمرا به، مذهولين على الأرجح لأنه سُمح لهما بالعيش، ثم رفع كلاهما ذراعيه، ملوحين لكشافات البحث، متوسلين لأي شخص في الخارج بوقف إطلاق النار.

زحف كورت لقمرة القيادة الآن، وسحب مساعد الطيار الميت من مقعده، وبدأ يتسلق لمكانه. كان الزجاج الأمامي مثقبًا، لكن كورت تجاهل ضعف الرؤية، ودفع دواسة الوقود للأمام بالكامل.

كان لديه أقل من نصف المدرج للعمل معه، وكان يقلع مع الريح بدلاً من مواجهتها، لكن كورت أجرى حساباته، وكان يعلم أن لديه ما يكفي من الخرسانة أمامه للارتفاع في الجو.

مع اكتسابه السرعة، ضبط القلابات للإقلاع. بدأت طلقات التتبع من الأسلحة الآلية تمسح سماء الليل أمام الطائرة، وحاول خفض جسده في المقعد، لكن لم يكن لديه مساحة كبيرة للمناورة، لذا بذل قصارى جهده لزيادة سرعته بأقصى ما يمكن.

ضربت رشقة من النيران بدن الطائرة خلفه، لكنه أبقى تركيزه خارج الزجاج الأمامي المحطم أمامه، وسحب المقود لأعلى قرب نهاية المدرج.

ارتفعت الطائرة في الجو واكتنفتها السحب الكثيفة فورًا.

بينما تجاوزت الطائرة المتضررة ارتفاع خمسمائة قدم، ترك كورت أدوات التحكم، وتسلق خارج قمرة القيادة، وشق طريقه فوق جثة مساعد الطيار وعائداً للمقصورة. صرخت الريح عبر الباب المفتوح، وضغط ليل السحب الأسود مباشرة على إضاءة المقصورة الداخلية، مما أعطى جينتري انطباعًا بأنه يطير داخل وعاء من الحساء الكثيف. جثا على ركبتيه، وخلع حقيبة ظهره، وأخرج عنصرين.

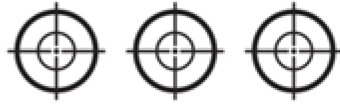
الأول كان مظلة صغيرة. احتلت نصف حجم حقيبة الظهر، وتمكن من ارتدائها في أقل من عشرين ثانية.

العنصر الثاني كان أصغر، ثلاثة أرطال فقط ولا يتجاوز حجم رغيف خبز. كان للصندوق الأسود غطاء واقٍ على أحد طرفيه، فمرر إصبعه تحت الغطاء وضغط مفتاحًا. وضع الجهاز بجوار الأقراص الصلبة الثلاثة على أرضية المقصورة، ثم، وعلى ارتفاع أقل من ألفي

قدم، تدحرج جينتري خارج مقصورة الـ«جيت ستار» وإلى السماء السوداء المبللة.

واصلت الطائرة الصعود لثلاثين ثانية أخرى، ثم انفجرت الأرطال الثلاثة من متفجرات «سيمتكس» (Semtex) البلاستيكية، ماحية الطائرة وكل ما بداخلها من الوجود.

هبط جينتري في حقل مفتوح بعد أقل من تسعين ثانية من قفزه من الطائرة المنكوبة.



نقل راسل ويتلوك القصة التي سمعها للتو من جينتري، واضعًا التفاصيل الضرورية بصيغة المتكلم. على الطرف الآخر من الهاتف، لم ينبس علي حسين بكلمة واحدة بينما كان الأمريكي يتحدث، لكن عندما انتهى راسل، منهيًا القصة في الحقل غرب كييف ومخبرًا حسين أن بقية عملية هروبه ليست من شأن الإيراني، تحدث علي حسين أخيرًا.

– "سيد رمادي، أنا أكثر من راضٍ الآن. نسختك تتطابق تمامًا مع شهادة عميلينا الناجيين. العقد لك. أحتاج فقط لمعرفة أين تود مني تسليم الدفعة عند إتمام العقد."

ابتسم راسل ويتلوك. كانت هناك صعوبات، ونكسات، لكن عمليته عادت أخيرًا للمسار الصحيح.

– "سأرسل لك معلومات الحساب عبر رسالة نصية."

– "حسنًا جدًا."

قال راسل:

– "هناك شيء آخر. عندما يكتمل العقد، بغض النظر عن الظروف... ظروفي أنا... بغض النظر عما تسمعه عني... ستدفع المال."

لم يفهم علي حسين.

– "رجاءً وضح شروطك يا سيد جينتري."

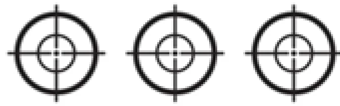
– "ببساطة، سأحتاج للتوارى عن الأنظار بعد هذا. قد تسمع أنني قُتلت. بالطبع من الممكن ألا أنجو من محاولتي ضد رئيس الوزراء كالب، لكن الأرجح أن ما ستراه في الأخبار سيكون معلومات مضللة منظمة جيدًا."

– "فهمت."

– "منظمتكم ستغرى بالاحتفاظ بالمال المستحق لي." توقف طويلاً قبل أن يقول: "سيكون ذلك خطأً."

– "أفهم. كن مطمئنًا. إن شاء الله، عندما تفي بالتزاماتك في العقد، سنفي نحن بالتزاماتنا. سواء كنت موجودًا لسحب المال من الحساب أم لا، المال سيكون هناك."

– "جيد جدًا يا علي حسين. سأرسل لك رقم الحساب"، قالها وأنهى المكالمة.



40

كانت غرفة الإشارة في «تاونسند هاوس» تعمل أربعًا وعشرين ساعة يوميًا خلال المطاردات التي تجري على نطاق عملية جينتري. الفنيون، وأخصائيو الاتصالات، والمحللون، وخبراء تكنولوجيا المعلومات، وغيرهم من الموظفين، كلهم متصلون عبر اتصالات آمنة بالطائرات المسيرة وفرق العمل المباشر في الميدان، كانوا يبحثون طوال الليل، بالتوقيت المحلي، عن طريدتهم لشهور.

في وقت سابق من اليوم، حصل محلل يراقب برمجيات التعرف على نمط المشي والأنماط الجسدية على تطابق من عدة تغذيات كاميرات سُحبت من محطة قطار ستوكهولم المركزية. لم يكن شيئًا قاطعًا؛ خلال أكثر أوقات اليوم ازدحامًا كانت هذه التكنولوجيا الجديدة تجد في المتوسط تطابقًا خاطئًا واحدًا في الدقيقة من الكاميرات في المدينة، لكن المشي في وقت متأخر من الليل عبر المحطة من قبل رجل وحيد يرتدي معطفًا وحقيبة مشابهين لتلك التي يرتديها هدفهم ويمتلك مشية مشابهة كان كافيًا لاستنفار فريق «جامبر» واستدعاء «سكاي شارك» من جزء آخر من المدينة.

بحلول وصول الطائرة المسيرة لم يكن هناك أثر للرجل خارج المحطة، وتم استدعاء «جامبر» للعودة لمنزلهم الآمن.

نام جيف باركس على الأريكة في مكتبه، المجاور لغرفة الإشارة، كل ليلة منذ رُصد جينتري يطير بطائرته الشراعية فوق خليج فنلندا قبل أسبوع. كان قد خلع حذاءه للتو ورفع قدميه لبضع ساعات من

النوم عندما رن هاتف مكتبه بالرنة المميزة التي تشير لمكالمة قمر صناعي مشفرة واردة.

مشى حافي القدمين عبر الأرضية وأجاب باسمه الرمزي.

– "هنا ميترونوم."

– "هنا ديد آي."

فوجئ باركس بسماع صوت ويتلوك؛ كان يحاول الوصول إليه لأكثر من أربع وعشرين ساعة. لم يتحدث باركس معه شخصيًا منذ تبادل إطلاق النار في تالين.

قاما بإجراء التحقق من الهوية، ثم أخبر راسل، باركس أنه في وسط المدينة.

– "لماذا لم تجب على هاتفك؟"

– "كنت مشغولاً."

– "تفعل ماذا؟"

– "عملاً ميدانيًا. أنت تعرف كيف تجري الأمور، أليس كذلك؟"

افترض باركس أن هذه إهانة ما، تلمح إلى أن باركس نفسه ليس لديه خبرة ميدانية. جلس الرجل الثاني في قيادة «تاونسند» إلى مكتبه وفكر في سرد قائمة مواقع العالم الثالث التي خدم فيها مع الـ CIA في جميع أنحاء العالم، لكنه قرر عدم فعل ذلك. المشغلون الفرديون (NOC) مثل «ديد آي» و«الرجل الرمادي» يعتقدون أن كل من ليس مثلهم، أي أولئك الذين لا يمشون على الأرض بمسدس وسكين ومهمة قتل في جعبتهم، هم أشخاص تافهون. رغم أن باركس كان ضابط حالة في مديرية العمليات، إلا أن ذلك لن يكسبه احترام مجنون يعمل كذئب وحيد مثل راسل ويتلوك.

تجاوز باركس الأمر وقال فقط:

– "ماذا تحتاج؟"

– "هل عثرتم على «الرجل الرمادي»؟"

– "سالب. نعرف أنه في السويد، ربما لا يزال في ستوكهولم، لكن هذا كل شيء حتى الآن."

– "متى وأين كانت آخر مشاهدة؟"

– "إذا كنت هناك في ستوكهولم، لماذا تتصل بي؟ لماذا لا تنسق مع «جامبر» وفريق الطائرات المسيرة؟"

– "لأن آخر مرة حاولت فيها التنسيق مع فريقك في الموقع، ماتوا، وأصبت أنا بالرصاص، وهرب جينتري."

– "سأرسل لك عنوان المنزل الآمن. تحتاج للذهاب إلى هناك. «جامبر» ورجاله ليسوا خبراء مراقبة. يمكنهم الاستفادة من مساعدتك."

– "بالتأكيد"، قال ويتلوك. "سأذهب لهناك وأنزع قبعات البيسبول عن رؤوسهم حتى لا يبدوا كأمريكيين. ماذا عن الموساد؟"

– "غير معروف. لسنا على اتصال بفريق الاستهداف في ستوكهولم. يبدو أن الفتاة التي تدير العرض لصالحهم لم يعجبها شكل بومونت وأولاده، لذا قطعت العلاقة."

مثير للاهتمام، فكر راسل، لكن لم يكن لديه وقت حقاً للغوص في خبايا التنسيق الاستخباراتي الأمريكي الإسرائيلي في الوقت الحالي. كان لديه مشكلة أخرى.

استطاع سماعها في صوت باركس. تردد. نبرة أكثر تحفظاً. بدا الأمر وكأن باركس لا يصدق ما يقوله ويتلوك، وهذا أثار قلق ويتلوك.

ماذا تعرف «تاونسند»؟

لم تكن هناك سوى طريقة واحدة لويتلوك ليعرف.

سيذهب لمقابلة «جامبر».

بعد الخامسة صباحًا بقليل طرق ويتلوك باب منزل «تاونسند» الآمن. بعد بضع ثوانٍ انفتح الباب، وأومأ لعميل ملتحٍ يرتدي قبعة بيسبول وسترة جلدية. لم يعرف راسل اسم الرجل، لكنه ميزه من فريق «جامبر».

نادى الرجل للغرفة خلفه فقط.

– "بومونت؟ المنفرد وصل."

لكن راسل كان يعرف جون بومونت. مد يده للجنوبي الضخم وهو يدخل غرفة المعيشة المظلمة للشقة الكبيرة، وأومأ لكارل ولوكاس عند محطة الطائرات المسيرة في الوقت نفسه.

سأل ويتلوك:

– "كيف حال الصيد؟"

لم يمد بومونت يده.

– "هل هناك مشكلة؟"

قال الرجل الملتحي الضخم:

– "أنهيت مكالمة مع بابيت للتو."

كان الرجال الآخرون في الغرفة يربطون فراشهم ويشربون القهوة في الغالب. جلس رجلان خلف مكتب الطائرات المسيرة، حيث كانا يشاهدان كارل يطير بـ«سكاي شارك»، لكن كل العيون تحولت الآن نحو الرجلين في وسط الغرفة.

– "حقًا؟ بخصوص ماذا؟"

– "بخصوص جويل لورانس."

– "من؟"

بصق بومونت عصير التبغ في كوب بلاستيكي يحمله بيده.

– "«تريسل 7»."

أبقى راسل وجهه خاليًا من التعبير، مغطيًا قلقًا طفيفًا حول وجهة هذه المحادثة.

– "كيف حاله؟"

– "سيتعافى. عظام مكسورة وقرف من هذا القبيل. سيقضي بعض الوقت هناك، لكن ليس كثيرًا. الـ CIA تغدق الرشاوي في النظام القضائي الإستوني ليحصل على سنة، كحد أقصى."

– "هذا جيد."

بعد بصقة أخرى قال بومونت:

– "بابيت أدخل أحد محاميه للتحدث مع جويل في تالين. إنه في المستشفى، تحت الحراسة، لكن المحامي تمكن من استجوابه عما حدث خلال معركة جينتري الليلة الأخرى. عليّ أن أقول لك يا رجل. جويل يقول أشياء لا معنى لها البتة."

اللعنة، فكر راسل. أجرى بسرعة إحصاءً للرؤوس في الغرفة، تحسبًا لتحول الأمور للعنف. كان هناك ثمانية من رجال «جامبر» ومهووسا الطائرات المسيرة. استبعد راسل فورًا كارل ولوكاس، وحدد أنه يواجه ثمانية تهديدات حقيقية، ومسح الرجال بحثًا عن أسلحة. كلهم حملوا مسدسات على وركهم. استطاع رؤية رشاشات «أوزي» الخاصة بهم مصطفة على صناديق بمحاذاة الجدار، وصناديق أخرى قريبة تحوي قنابل، بنادق صيد، ودروعًا واقية سيستخدمونها لعملية اعتقال أكثر صخبًا.

كان راسل يحمل أسلحة، خنجره ووتر الخنق. لكن بلا أسلحة نارية.

سأل راسل بلامبالاة:

– "ماذا قال؟"

– "يقول إنك أبلغت بعدم وجود مدخل للعلية من الطابق الثالث للفندق."

أومأ راسل.

– "هذا صحيح."

– "يقول إنه كان هناك سلم قابل للسحب على الجانب الشرقي من ممر الطابق الثالث."

– "لابد أنني فوته." هز ويتلوك كتفيه. "لا يمكنني فعل كل شيء بحق الجحيم."

– "همم"، قال بومونت، ونظر لفريقه. بدأ بضعة رجال بالاقتراب، لكن كان من المبكر لراسل تحديد ما إذا كانوا يفعلون أكثر من محاولة ترهيبه.

– "هناك شيء آخر. جويل يقول إنه عندما دُفن في الثلج، كان لا يزال يضع راديو في أذنه. سمع «تريسل 2» يبلغ أنه رأى هدفين."

– "هدفين؟"

بصق بومونت العصير في الكوب مرة أخرى، دون أن يرفع عينيه عن ويتلوك الأصغر حجمًا وهو يفعل ذلك.

– "أجل."

قال راسل:

– "ربما رآني عندما اشتبكت مع جينتري."

– "أنت أخبرت بابيت أنك كنت خلف الحدث. كيف تفترض أنه حصل على انطباع بأنكما كنتما معًا؟"

قال راسل:

– "لا أعرف يا جون. أعلم أنني لم أكن لأرتكب ذلك الخطأ، لكن فريق «تريسل» كان مجموعة من الأغبياء. اللعنة، ليس لدي أي فكرة عما يعتبر تفكيرًا في أدمغة أي منكم يا أكلة الثعابين."

تباطأت لكنة بومونت الجنوبية المنخفضة أكثر الآن.

– "سمعت أنك أُصبت."

– "نعم."

– "كيف حال الجرح؟" أخذ بومونت نصف خطوة تجاه «ديد آي» الآن.

لم يتراجع راسل.

– "إنه بخير. لماذا؟"

– "أريد رؤيته." كان هناك اتهام في النبرة، والتقطه راسل.

– "لماذا بحق الجحيم؟"

– "هيا يا أخي. أنت تلقيتَ لمسة حب من «الرجل الرمادي» ونجوت منها؟ يجب أن تستعرض ذلك الشرف في كل فرصة تتاح لك."

لم يتحرك الرجال حوله، لكن راسل شعر بوجودهم يقترب بينما ازداد جو الغرفة قتامة.

قال بومونت:

– "جينتري كان يحمل «غلوك 19»".

– "و؟"

– "فريق «تريسل» حملوا «إم بي 7». رصاصة أصغر بكثير." مال أقرب، مخيمًا بظله فوق الرجل الأصغر. "تصنع ثقبًا أصغر بشكل ملحوظ."

– "هل تلمح إلى أنني أصبت بنيران صديقة؟"

بصق بومونت عصير التبغ على حذاء ويتلوك.

- "ألمح إلى أنه لم يكن هناك أي شيء ودي في الأمر. ألمح إلى أنك وجينتري كليكما اشتبكتما مع «تريسل»."

وقف رجال «جامبر» الثمانية جميعًا الآن. لم يرَ راسل أي أسلحة خارجة من الحافظات، لكنه علم أنه في ورطة حقيقية.

- "أنت مجنون بحق الجحيم يا بومونت."

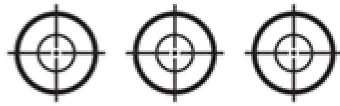
- "لنرى إن كنت مجنونًا. أرني جرحك."

ضحك راسل، لكنه كان مجرد استعراض، لم يكن هناك أي شيء مضحك في أي من هذا. اصطنع السخط.

- "تريد مني إنزال بنطالي وأريك جرح الرصاصة؟ هل هذا ما يعتبر مرحًا في ثكنات فريق «جامبر»؟"

ضاقت عينا قائد «جامبر».

- "عشر ثوانٍ يا «ديد آي»، أو سيفعلها رجالي لك."



41

في مقر شركة تاونسند، التقطت نوبة المساء في غرفة الإشارة إشارة رصد أخرى قبل دقائق قليلة، وكانت هذه المرة أكثر يقينًا من سابقتها.

استدعى أحد المحللين جيف باركس في مكتبه، فهرع الأخير إلى غرفة الإشارة بعد لحظات.

سأل باركس:

- "ماذا لديكم؟"

أجاب المحلل:

– "لدينا رصد مؤكد لـ جينتري في محطة سيتي تيرمينالين؛ وهي محطة الحافلات الرئيسية في ستوكهولم."

تقدم باركس إلى مقدمة الغرفة وتفحص مقطع فيديو محببًا لرجل يقف أمام نافذة كشك التذاكر، وهو يهمُّ بشراء تذكرة. كان يرتدي قبعة صوفية سوداء ومعطفًا أسود ضخمًا، لكن دون وشاح هذه المرة. كان من الواضح أنه جينتري.

سأل باركس:

– "هل هذا بث مباشر؟"

تفقد المحلل الطابع الزمني للبث وقارنه بساعته قائلاً:

– "قبل دقيقتين تقريبًا. نحن نراقب نقاط المواصلات الخارجة من المدينة، وهذا ما حدث لتوّه."

– "هل يمكننا معرفة وجهته؟"

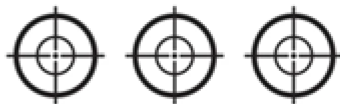
– "نحن نعمل على ذلك."

لم يستغرق الأمر سوى لحظات حتى تمكن أحد مخترقي غرفة الإشارة من سحب البيانات من كشك التذاكر ومطابقة عملية البيع مع الطابع الزمني للصورة، وبمجرد عثوره عليها قال:

– "تذكرة ذهاب فقط إلى غوتنبرغ. ستغادر الحافلة خلال أربعين دقيقة."

صفق باركس بيديه بحماس:

– "أبلغوا فريق جامبر فورًا. أريد الطائرة المسيرة فوق الموقع أيضًا. لنقبض على جينتري لحظة صعوده الحافلة."



كان راسل ويتلوك يدرك تمامًا أن جرحي الدخول والخروج في وركه الأيسر ليسا بحجم رصاصة عيار تسعة مليمترات؛ فهما أصغر بكثير، ويكفي أن يلقي بومونت نظرة واحدة عليهما ليعرف أنه أُصيب بنيران فريق تريسل، وعندها ستنقلب الأمور جحيمًا فوق رأسه. كان يعلم أن بمقدوره مواجهة أي ثلاثة رجال في هذه الغرفة آن واحد؛ فقد خضع لتدريبات قتالية مكثفة حولت جسده إلى سلاح دفاعي فتاك، ورغم أن هؤلاء الرجال يحملون أسلحة جانبية، إلا أن راسل كان يثق بقدرته على سحق الموجة الأولى أو الثانية منهم بالسرعة والمباغتة وعنف الأداء.

لكنه لن يتمكن من القضاء على الثمانية جميعًا، خاصة مع ذاك الجرح في جنبه الذي لا يزال يعيق حركته.

وعندما لم يتحرك، ولم يفك أزرار سرواله، قال بومونت:

– "سأعتبر صمتك هذا رفضًا."

رن هاتف فوق مكتب مشغلي الطائرات المسيرة؛ لم يلتفت أي من رجال فريق جامبر الواقفين، لكن كارل أجاب عليه ووضعه سريعًا على مكبر الصوت.

– "نحن جميعًا هنا يا ميترونوم. تفضل."

انبعث صوت باركس عبر المكبر الصغير:

– "جينتري موجود في مكان ما بالقرب من محطة الحافلات المركزية. لقد اشترى تذكرة من الكاونتر قبل خمس دقائق تقريبًا، وحافلته المتجهة إلى غوتنبرغ ستغادر بعد نصف ساعة بقليل."

قال كارل:

– "عُلم. سأرسل طائرة سكاي شارك إلى هناك الآن، لكننا لن نحصل على رؤية واضحة إلا إذا كان يقف في الخارج."

عقّب باركس:

– "لا بأس. يا فريق جامبر، أريدكم في الطريق فورًا. اذهبوا إلى هناك واصطادوه."

سأل بومونت:

– "ماذا عن ديد آي؟ يمكنني إبقاؤه هنا تحت الحراسة."

كتم باركس صوت الهاتف لبضع ثوانٍ، وعندما عاد قال:

– "بابيت يريد فريقك بالكامل خلف جينتري. يريدك أن تطلق سراح ويتلوك، لكن قبل ذلك، جرده من سلاحه واقفل عليه من الخارج كي لا يتمكن من الوصول إلى مخزن الأسلحة. سنتعامل معه بعد أن ننتهي من جينتري. تأكد من أن فريق الطائرات المسيرة مسلحون."

أمر بومونت أحد رجاله بتفتيش راسل، ففعل ذلك بسرعة وبغلظة، ضاربًا بيده على الجرح المضمّد في ورك راسل أثناء التفتيش. لم يكن راسل يحمل مسدسًا، لكن تم مصادرة سكين صغير كان معه، ثم تراجع العنصر قائلاً:

– "هذا كل ما معه يا رئيس."

ظل بومونت يحدق في راسل لثوانٍ أخرى قبل أن يقول بوعيد:

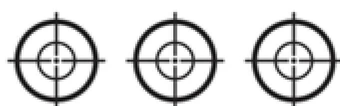
– "الأمر لم ينتهِ بعد يا صاح."

بادله راسل النظرات بتحدٍ، وقد استرد ثقته بعد أن تغير الموقف جذريًا:

– "أجل، لم ينتهِ. وأنت مدين لي بزوج من الأحذية."

منح بومونت الرجل الأصغر حجمًا نظرة احتقار أخيرة، ثم أشاح بوجهه عنه وصاح في رجاله:

– "حسناً يا رفاق.. استعدوا للتحرك!"



استيقظت روث إيتنغر في الخامسة وخمس وعشرين دقيقة صباحًا على اهتزاز هاتفها المحمول. اعتدلت في جلستها بسرعة ووضعت الهاتف على أذنها.

– "أجل؟"

– "معك مايك."

– "هل رصدته؟"

– "لديَّ شيء ما. سيارتا دفع رباعي مرتا بالمحطة وركنتا في الجهة المقابلة عند محطة سيتي تيرمينالين."

– "محطة الحافلات؟"

– "بالضبط. وخمني من ترجل من السيارات؟"

– "قناصة تاونسند؟"

– "أصبتِ. لا أرى أسلحة ظاهرة عليهم، لكنني لا أظن أنهم هنا لاستقلال حافلة سياحية."

سأل مايك:

– "هل تريدين مني الاقتراب؟ أنا في محطة القطار ولديَّ رؤية للصالة الرئيسية والشارع في الخارج."

– "كلا، أريدك أن تبقى في مكانك. نحن سنتولى تفقد محطة الحافلات."

أغلقت الهاتف، وأمسكت بساق لورين وهزتها بقوة:

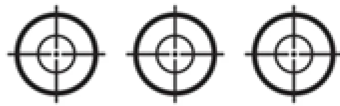
– "انهضي! سنغادر خلال ستين ثانية."

كانت الضابطة الشابة، مثلها مثل روث، قد نامت بملابسها. ومثل رئيستها أيضًا، اكتسبت مهارة الاستيقاظ السريع والحركة الفورية بعد

سنوات من العمل في المراقبة. اعتدلت الآن ودست قدميها في حذائها حتى قبل أن تفتح عينيها.

طرقت روث على الجدار الفاصل مع الغرفة الأخرى، فجاءها رد آرون بطرقة مماثلة. لم يكد يغفو إلا لساعة واحدة بعد عودته من نوبته في محطة القطار، لكنه صار مستعداً خلال ثوانٍ.

وفي أقل من دقيقة، كان العناصر الثلاثة في الخارج عند ساحة انتظار السيارات.



غادر راسل ويتلوك منزل تاونسند الآمن بسيارته الـ BMW المستأجرة في الوقت نفسه الذي انطلقت فيه حافلة فريق جامبر نحو محطة الحافلات، ولكن رغم أنه وفريق جامبر يطاردون الهدف نفسه، إلا أن ويتلوك لم يتبعهم.

كان في ذهنه وجهة أخرى.

ركن سيارته في ساحة الصالة الرئيسية لمحطة قطارات ستوكهولم المركزية في الخامسة وخمس وعشرين دقيقة.

لم يخبره كورت عن خطته لمغادرة المدينة، لكن قرار الذهاب إلى هنا بدلاً من الجهة المقابلة كان سهلاً بالنسبة لـ ويتلوك. فبمجرد أن أعلن باركس عن رصد جينتري وهو يشتري تذكرة حافلة، استبعد ويتلوك تماماً توجهه لمحطة الحافلات؛ إذ يستحيل أن يقع كورت في خطأ كهذا. فإذا اشترى تذكرة حافلة، فقد فعل ذلك لتضليل أي شخص يراقبه عبر كاميرات الأمن.

كان راسل يدرك يقيناً أن جينتري سيغادر المنطقة بطريقة أخرى. كانت محطة القطار قريبة، إلى الجنوب من محطة الحافلات مباشرة؛

كانت ضخمة وتتمتع بمساحات شاسعة تحت الأرض توفر أماكن جيدة للاختباء، والأهم من ذلك، أنها المكان الذي كان راسل نفسه سيتوجه إليه لو كان مكان كورت.

دخل الصالة الرئيسية للمحطة ثم توجه نحو الطوابق السفلية، وعيناه مفتوحتان تترقبان أي مراقبين من الموساد قد يتواجدون داخل المبنى.

انعطفت سيارة الـ سكودا التابعة للسفارة الإسرائيلية إلى موقف السيارات في الجانب الغربي من محطة الحافلات، وعلى الفور ترجل ضباط الموساد الثلاثة وبدأوا السير بين السيارات المكسوة بالثلوج نحو مبنى المحطة.

كانت روث تتواصل مع فريقها عبر سماعة البلوتوث:

– "مايك، هل ترانا؟"

أجابها مايك من الجهة المقابلة للشارع، من طابق علوي بمحطة القطار وهو يطل عبر نافذة ضخمة:

– "أراكم. رجال تاونسند في الخارج، إلى الشمال منكم، يسيرون بمحاذاة صف الحافلات. أقترح أن تدخلوا إلى المحطة وتتخذوا مواقع مراقبة ثابتة."

– "عُلم."

نظرت روث إلى ساعتها؛ كان من المقرر أن تغادر الحافلة في أقل من خمس عشرة دقيقة.

حتى في هذه الساعة المبكرة، كان هناك عدد لا بأس به من الناس في المحطة، بين من يشترون التذاكر ومن ينتظرون حافلاتهم داخل

دفء المبنى بدلاً من الصقيع في الخارج. تفرق فريق روث، وتحركوا على نطاق واسع بمحاذاة الجدران، وبذلوا قصارى جهدهم لفحص كل شخص في الحشد أثناء حركتهم.

وبينما كانت روث تسير بمحاذاة الجدار الشرقي قالت:

– "هذا لا يبدو صحيحًا. لن يكون هنا، واقفاً هكذا ببساطة. لورين، ابقي هنا، ابحثي عن نافذة تطل على فريق جامبر. سأذهب أنا وآرون إلى الطابق السفلي؛ فإذا كان موجودًا، فسيكون في مكان هادئ."

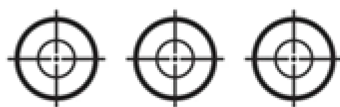
نزل الضابطان الإسرائيليان الدرج نحو المستوى السفلي من محطة الحافلات، وفور وصولهما شعرت روث بالقشعريرة تسري في جسدها. كان المكان عبارة عن ممر واسع، يشبه الكهف، وخالٍ تقريبًا في هذه الساعة، مع مقهى يفتح أبوابه للتو في مواجهة بئر السلم مباشرة.

وإلى يمين الضابطين، كان الممر يمتد بطول مبنى المحطة ويتصل بنفق يمر تحت الشارع ليؤدي إلى المنطقة السفلية من محطة القطار. وقف بضعة أشخاص أمام أكشاك التذاكر الآلية وجلس موظف واحد في كشك التذاكر في منتصف المكان، ولكن أبعد من ذلك، كان الجانب الشرقي من الممر غارقًا في الظلام. يبدو أن ثمة أعمال بناء جارية هنا؛ إذ تم إغلاق جزء كبير من الممر، ومنع دخول غير العاملين بواسطة أشرطة تحذيرية وستائر بلاستيكية.

قالت روث بهمس لـ آرون:

– "إذا كان هنا.. فهو في الداخل."

أومأ آرون برأسه، وعبر الاثنان الممر نحو المقهى وجلسا هناك.



كان كورت جينتري يقف في منطقة البناء المظلمة خلف سقالة معدنية مكدسة بألواح الجدران، ومن مكانه كان يرى روث وشريكها وهما يظهران من بئر السلم. كانا على بُعد حوالي أربعين ياردة منه، وقد نزعت روث الشعر المستعار الأشقر الذي ارتدته في الليلة السابقة. لم يتعرف عليها كورت إلا لأنه لاحظ في الحانة أن معطفها الأسود ذو بطانة رمادية يمكن ارتداؤها على الوجهين، لذا ظل يترقب أي امرأة ترتدي معطفًا رماديًا منذ مغادرته الحانة.

ظل واقفًا هناك لعدة دقائق، يراقب بحثًا عن أي ملاحقة. لقد تعمد استدراج مطارديه إلى محطة الحافلات، كاشفًا وجهه للكاميرات ومشترِيًا تذكرة، وكان يعلم أنهم سيأتون خلفه، لكنه لم يملك وسيلة ليعرف كم سيستغرق الأمر حتى يحددوا مكانه ويرسلوا رجالهم.

وقد أُعجب بسرعتهم؛ فلم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً. قبل دقائق كان في الطابق العلوي ورأى مجموعة الرجال وهم يتحركون في ساحة الحافلات بالخارج. كان تخفيهم يشبه "تخفي دبابات أبرامز"، وبمجرد أن بدأ في تتبعهم أدرك أنهم ليسوا هنا للتسلل بهدوء كالغبار؛ بل هم فريق تصفية، ورغم أنه قدر قدراتهم في العمل السري بأنها متواضعة، إلا أنه لم يكن يرغب في الانتظار لتقييم مهارتهم في قتل البشر.

والآن ظهرت امرأة الموساد. لقد أخبرته روث في الليلة السابقة أنها لم تعد تعمل مع تاونسند، لكن الرجال في الأعلى لا يبدون كعناصر العمليات الخاصة في الموساد، لذا افترض أنها كذبت عليه وأن "ديد آي" هو من صدق معه؛ فـ الموساد وتاونسند ينسقان مطاردتهما بالفعل.

عندما تحركت روث وزميلها إلى يمين مجال رؤيته، أدرك جينتري أنهما توجها إلى المقهى الصغير. اعتبر هذا خبرًا سيئًا؛ فما لم يكونا

ضابطي استخبارات في غاية الكسل، فإن السبب الوحيد لأخذهما استراحة هنا فور وصولهما هو استنتاجهما بأن منطقة البناء المظلمة والمغطاة بالبلاستيك هي مخبأ محتمل لطريدتهما. سيبدآن بمراقبة هذه المنطقة الآن، مما يعني أنه لا يستطيع عبور الممر عائدًا للدرج ليصعد للأعلى.

لكن هذا لم يكن يمثل مصدر قلق كبير، لأن كورت لم يكن يخطط للعودة لمحطة الحافلات أصلاً. فالجدار الجنوبي لهذا الممر يؤدي إلى نفق يمر تحت الشارع وصولاً لمحطة القطار، وأدرك كورت أنه يمكنه التحرك عبر منطقة البناء حتى يختفي عن أعين الجالسين في المقهى، ثم يتجه نحو النفق.

لقد كانت محطة القطار هي وجهته الحقيقية منذ البداية.

نظر كورت إلى ساعته، وقدر أن توقيته مناسب تمامًا، وبدأ التحرك وسط الظلام.

كانت روث وآرون يراقبان حوالي 85 بالمئة من منطقة البناء من مكان جلوسهما في المقهى؛ ولم يغب عن أنظارهما سوى الطرف الجنوبي من المنطقة المظلمة المغلقة. وهذا الجزء يمتد وصولاً للنفق المؤدي لمحطة ستوكهولم المركزية عبر الشارع، لذا أدركت أن هدفها قد يشق طريقه إلى هناك دون أن تراه.

خطرت لها فكرة أن هذا ربما كان مخططه منذ البداية.

– "لورين، ما الذي يحدث عندكِ في الأعلى؟"

– "الأمريكيون لا يزالون في الخارج في الساحة. فتشوا المنطقة ثم انقسموا لفرق؛ وهم الآن يقفون وسط الحشد محاولين الاندماج."

قالت روث:

– "لابد أن لديهم معلومات تفيد بأنه سيغادر في حافلة." ثم نظرت مجددًا نحو الممر: "أنا لا أصدق ذلك. ربما رصدوه هنا في المحطة، لكنني أراهن أنه جاء لهنا فقط ليضللنا."

جاء صوت مايك عبر الشبكة الآن:

– "لديَّ ثمانية قطارات هنا ستغادر جميعًا ما بين الآن والساعة السادسة صباحًا."

قالت روث:

– "حسناً، علينا نقل جزء من عمليتنا إلى محطة القطار. مايك، أريدك أن تنزل للطابق السفلي، وتتوجه للنفق المؤدي لمحطة الحافلات؛ فربما يأتي عبر الممر الأرضي. إذا فعل، أريدك أن تسبقه وتتخذ موقع مراقبة ثابتًا. لورين، اعبري الشارع وتولي المراقبة في الصالة الرئيسية."

ثم التفتت روث إلى آرون:

– "أريدك أن تعود للأعلى، وتراقب بومونت لترى ما سيفعله هو ورجاله."

وقفت روث وبدأت تسير وحيدة ببطء نحو النفق المؤدي لمحطة القطار، وهي تخطط لتعقب هدفها من الخلف إذا كان قد سلك ذاك الطريق فعلاً.

نزل مايك ديلمان الدرج في الصالة الرئيسية للمحطة مستوى واحدًا ثم استدار متجهًا شمالاً، متوقعًا العثور على النفق المؤدي لمحطة الحافلات عبر الشارع. كان هناك حشد كبير من المسافرين في

الصباح الباكر، يتحركون عبر الممرات نحو مخارج الأرصفة؛ كثيرون يهرعون من قطارات الضواحي ليلحقوا بقطارات الرحلات الطويلة المتجهة لوجهات بعيدة داخل البلاد أو خارجها.

قطع حوالي خمسين قدمًا في المنطقة المضاءة بسطوع قبل أن يجد خارطة للمحطة، وهناك رأى أنه بحاجة للنزول مستوى آخر. توجه نحو باب مخصص للموظفين فقط، وجرب المقبض فوجده غير موصد. في الداخل كان هناك ممر خافت الإضاءة به مصعد خدمة ضخم. دخل العربة بسرعة وضغط الزر الذي سينزله طابقًا واحدًا.

انفتح باب مصعد الخدمة على منطقة خافتة الإضاءة ومن الواضح أنها تحت الإنشاء. وبجانبه، كانت هناك حاوية نفايات بحجم سيارة مليئة بقطع الطوب المحطم وأنابيب الصرف المهملة، وكان هناك شريط لاصق طويل يعزل هذه المنطقة عن الممر المضيء الذي يقع أمامه مباشرة. رأى مايك زوجين مسنين يمران أمامه، من يساره إلى يمينه، يجران حقائب خلفهما. لابد أنهما قادمان من محطة الحافلات، ويتجهان نحو السلالم الكهربائية في نهاية الممر التي تؤدي للصالة الرئيسية.

قرر مايك أن هذا الموقع مثالي للمراقبة الثابتة. فما لم يمر جينتري من هنا وهو يرتدي نظارات رؤية ليلية، أو يسلط ضوءًا على منطقة الإنشاء صدفة، فلن يكون بمقدوره رؤية شخص يقف بجوار الحاوية في الظلام على بُعد خمسين قدمًا.

خرج ديلمان إلى العتمة ونظر نحو الضوء في البعيد. لمح حركة، خيالاً منفردًا يقترب، لكنه كان لا يزال بعيدًا جدًا ليجزم إن كان هو هدفه أم شخصًا آخر.

استقر مايك في بقعة بين المصعد والحاوية، ثم همس في سماعة البلوتوث:

– "أنا في وضع الثبات عند مصعد الخدمة، جنوب الممر مباشرة. ثمة رصد محتمل هنا. انتظروا قليلاً.. سأؤكد الإشارة وأعاود الإرسال بعد مروره."

قالت روث:

– "عُلم. أنا على بُعد دقيقتين من موقعك، قادمة من الممر السفلي."

لم يؤكد مايك استلام رسالة روث. كان كل تركيزه الآن منصبا على الرجل المقترب.

ولكن، بينما كان يقلص عينيه ليحصل على رؤية أفضل، شعر بحركة أمام وجهه مباشرة. وقبل أن يتمكن من رفع يديه لحماية نفسه، شعر بشيء حاد ينهش عنقه وانسداد فوري لمجرى الهواء؛ اندفعت يداه نحو المكان محاولاً تخليص عنقه مما يقبض عليه، لكنه كان محكمًا، محكمًا لدرجة استحال معها نزعه.

أدرك عقله ما يحدث، لكنه رفض التصديق. ثمة شخص –لابد أنه جينتري– قد تسلل من خلفه في الظلام ولف سلكًا حول عنقه.

إنه يتعرض للخنق بسلك "الجاروت".

صارع مايك بكل ما أوتي من قوة. تشبثت كعاب حذائه المطاطية بالأرضية المصقولة؛ دفع بجسده للخلف، ضاربًا برأسه نحو الخلف في الوقت نفسه، في محاولة يائسة لتهشيم وجه مهاجمه بجمجمته، لكن المهاجم تفادى هذا التكتيك البديهي بإبقاء رأسه بعيدًا عن متناول الضربة. طارت سماعة ديلمان من أذنه وسقطت فوق الأرض مصدرة رنينًا معدنيًا قبل أن تختفي في الظلام.

دفع مايك بساقيه مجدداً، ومزقت أصابعه السلك الرفيع الملتف حول حنجرته، فشعر ببلل الدماء. لم يشعر بسقوطه، لكنه أحسَّ بارتطام جسده بالأرض مع الرجل الذي خلفه. شعر بمهاجمه يشد الخناق أكثر بالسلك وفي الوقت نفسه يثبت قدميه بقوة على الأرض، سحبًا لنفسه ولـ مايك إلى عمق الظلام، جره خلف حاوية النفايات المعدنية.

ضعفت أذرع مايك المتخبطة وهوت لأسفل. شعر بالدماء تغطي معطفه الجلدي بالكامل، وعندما امتدت يداه لتبحثا عن أي شيء في الظلام يمكن استخدامه كسلاح، تلطخت يداه في الدماء اللزجة الدافئة التي غطت الأرض من حوله.

وفي البعيد، رأى الرجل المقترب عبر الممر المضيء يقترب أكثر؛ سيمر على بُعد لا يزيد عن خمسين قدمًا خلال لحظات.

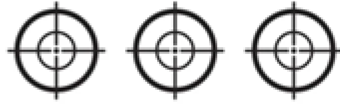
حاول مايك الصراخ، محاولاً طلب النجدة، لكن مجرى تنفسه كان مغلقًا تمامًا. تخبطت ساقاه يمنة ويسرة في محاولة يائسة لإحداث أي ضجيج، لكن مهاجمه كان يميل به يميناً ثم يساراً، محبطًا محاولاته بدحرجة جسده فوق أحد وركيه.

مر العابر من أمام مايك، لكنه لم يكن يدرك البتة ما كان يجري في عتمة الممر بجوار مصعد الخدمة. حاول مايك النداء مرة أخرى، لكنه لم يستطع إخراج أي صوت سوى حشرجة هواء منخفضة، وعندها انشدَّ سلك الخنق بقوة أكبر حول عنقه.

وبينما كانت رؤيته تضيق، وعقله يغيم ويتبلد، وقلبه المذعور ينتقل من دقات عاصفة إلى اضطراب في النبض ثم توقف تام.. رأى الحقيقة.

لم يفهمها، لكنه رآها.

الرجل الذي كان يمر من أمامه هو كورت جينتري.



42

ظل راسل يشد سلك الخنق حول عنق الرجل الميت لفترة أطول مما يلزم، لكنه كان لاهث الأنفاس، والألم في وركه كان لا يُطاق. خشي أن يتحرك أو يجثو على ركبتيه ثم يقف، فبقي مستلقيًا هناك، والجثة فوقه.

كان هذا الرجل مقاتلاً شرسًا، وقويًا بشكل مخادع.

ومع ذلك، فقد قضى نحبه. لقد مر كورت دون أن يدري بما كان يحدث في الظلام، ولابد أنه الآن في طريقه عبر السلالم الكهربائية صعودًا نحو مستوى الأرصفة.

لقد أخبر جينتري أنه لن يمس الموساد بسوء، ولكن تمامًا كما حدث في نيس، قرر راسل أن الموقف التكتيكي يتطلب تعديلاً بسيطًا في خططه الأولية. لقد صار الآن بعيدًا عن دائرة معلومات تاونسند، ولم يعد بإمكانه الحصول على أي معلومات منهم حول تحركاتهم، فما بالك بتحركات الموساد. لذا قرر ويتلوك الارتجال لمساعدة جينتري على مغادرة المدينة.

وبقليل من الحظ، سيكون كورت على متن قطار خارج ستوكهولم خلال دقائق، متحررًا من المراقبة التي كانت تلاحقه هنا، وعندها ستعود عملية راسل إلى مسارها الصحيح.

كافح راسل لينهض؛ أعاد سلك الخنق الملطخ بالدماء إلى جيب معطفه، ثم مسح يديه في سرواله.

عندها شعر بالدماء على وركه.

سحقًا. لم تكن دماء الرجل الميت؛ بل كانت دماؤه هو. لقد تمزق جرح الرصاص مجدداً.

انتهى دور راسل، حاليًا على الأقل. لم يعد بإمكانه تقديم مزيد من المساعدة لـ جينتري دون المخاطرة بكشف أمره، وهو يترنح وسط الحشود وبقعة دم متزايدة تنحدر على ساقه.

كلا، عليه الخروج من هنا الآن.

تعثر في مشيته نحو مصعد الخدمة واتجه صعودًا.

تحركت روث ببطء عبر الممر المضاء بسطوع؛ ظلت عيناها مثبتتين على أقصى مدى يمكنها رؤيته، تبحث عن أي لمحة لهدفها.

لم يرسل مايك أي إشارة منذ أكثر من دقيقة. صمت تمامًا بعد ادعائه رصد موضوع محتمل. كان من المعتاد خلال عمليات المراقبة القريبة قطع الإرسال حفاظًا على السرية العملياتية (OPSEC)، لذا لم تعر روث تأخره في الرد أي اهتمام.

ولكن بينما كانت تسير في الممر، وصلت إلى النقطة التي ينفتح فيها الممر عند الطرف الشمالي من المستوى السفلي لمحطة القطار، ومع ذلك لم ترَ ديلمان ولم تسمع منه شيئًا. لاحظت هنا في المحطة منطقة بناء محاطة بأشرطة تحذيرية على يمينها، وفي الخلف، وسط الظلام، رأت مصعد الخدمة، لكنها لم ترَ رجلها.

توقفت عن السير. وهمست في سماعة الأذن:

– "مايك؟ لقد أخبرتك أن تلتزم بالمراقبة الثابتة فقط. إذا كنت تتعقب الهدف راجلاً، فأريدك أن تتراجع."

لم يأتها رد.

– "مايك، إن لم تكن قادرًا على الإرسال، هل يمكنك على الأقل النقر على سماعة الأذن؟"

توقعت سماع سلسلة من الخبطات الخشنة تشير إلى أن ديلمان ينقر على ميكروفون البلوتوث، ولكن مرة أخرى، ساد الصمت.

كان آرون يصغي للحديث، فحاول الاتصال بزميله:

– "ديلمان، روث تحاول التواصل معك. هل تسمعنا؟"

بدأ القلق يتسرب إلى روث. تخطت شريط التحذير ودخلت إلى المنطقة المظلمة المغلقة.

– "مايك، أريدك أن تقطع المراقبة وتتصل بي الآن."

جاء صوت لورين عبر الشبكة من موقعها في الأعلى:

– "لديَّ رصد للهدف، أكرر، رصد مؤكد. جينتري عند مستوى الأرصفة؛ أنا أراقبه من الشرفة."

سألت روث:

– "هل يتعقبه مايك؟"

أجابت:

– "كلا، أنا لا أراه."

قال آرون:

– "أنا في طريقي للمحطة."

وصلت روث إلى مصعد الخدمة، ثم ضغطت الزر لاستدعاء العربة، ظانة أنها ربما فقدت الاتصال بضابطها الصغير بسبب ضعف تغطية الهاتف المحمول.

ولكن بينما كانت تنتظر المصعد، نظرت حولها، رأت مواد البناء، رأت الحاوية بجوار الجدار، ورأت زوجًا من الأحذية يبرز من خلفها.

للحظة ظنت أنه ربما يكون أحد المشردين ينام في المحطة؛ فالمشردون منتشرون في كل أنحاء أوروبا بعد كل شيء. ولكن شيئًا ما في وضعية الأحذية، وهي متجهة للأعلى، جعلها تخرج المصباح من حقيبتها وتشعله.

عرفت الأحذية فورًا. خرجت شهقة مكتومة من صدرها ثم ركضت للأمام، دارت حول الحاوية، ووجدت مايك ديلمان. انعكس ضوء مصباحها على عينيه الزجاجيتين المفتوحتين وعلى الدماء اللامعة حول عنقه. ارتمت على الأرض وبدأت تتفقد علاماته الحيوية.

سمعت صوت لورين في سماعة الأذن:

– "الهدف عند الرصيف رقم اثني عشر، أكرر، واحد اثنان."

قال آرون:

– "روث، هل تريدين مني البقاء معكِ أم اللحاق بالهدف؟"

لم ترد روث. انهمرت الدموع من عينيها وكتمت صرخة وهي تتحقق من نبض ديلمان.

– "روث؟ أجيبيني من فضلك."

لكن روث لم تجب. لم تنبس ببنت شفة. جلست على الأرض ببطء، متجنبة بقعة دماء واسعة بجانب جثة مايك، ووضعت وجهها بين كفيها.

لم يكن هناك أدنى شك في عقلها عما حدث. لقد صادف جينتري مايك وقتله بطريقة ما ليتمكن من الهرب نظيفًا. لم تفهم كيف حدث ذلك؛ فالأمر يتناقض مع كل البيانات النفسية والتاريخية التي جمعتها

عن هدفها في الأيام الماضية، لكن لا مجال للشك. أي تفسير آخر يمكن أن يكون هناك؟

لقد كانت مخططة. جينتري كان تهديدًا، تهديدًا لرئيس وزرائها، وتهديدًا لرجالها.

بدا أن عقلها قد استعاد هدوءه وقدرته على الحسابات، وأدركت أنها لا تستطيع إخبار زميليها الآخرين. ليس الآن. يجب أن يبقيا مركزين على المهمة، يجب أن يتعقبا جينتري خارج المدينة؛ فإذا أخبرتهما أن مايك ملقى هنا، ووجهه للسماء، ميتًا بجوار كومة قمامة، فسيفقدان كل تركيزهما على المهمة.

نادى آرون عبر الشبكة: "روث؟"

مدت يدها داخل معطف مايك وأخذت محفظته، ثم سحبت هاتفه. وجدت سماعة الأذن على الأرض، فالتقطتها ودستها مع الأغراض الأخرى في جيبها.

أرسلت لورين رسالة الآن، ونبرة القلق واضحة في صوتها: "روث؟ مايك؟"

مقتت روث نفسها في تلك اللحظة؛ كرهت ذاك الركن البارد والمتحجر في عقلها الذي سمح لها بكبح كل عواطفها والبقاء في أجواء المهمة.

قال آرون:

– "روث، أنا نازل للطابق السفلي. سأكون عندكِ خلال دقيقتين."

بإمكانها الحزن لاحقًا، أجل، لكنها كانت تعلم أنها لن تزداد إلا مقتًا لنفسها لاحقًا، عندما تتذكر ما فعلته الآن.

صارعت لتخرج رسالتها التالية بنقاء ودون أي تلميح للرعب الذي تعيشه:

– "مرفوض. ابقَ خلف الهدف. أنا قادمة للأعلى."

– "وماذا عن مايك؟"

أغمضت عينيها والدموع تسيل على وجهها. عضت شفتها بقوة، ورفعت ذقنها وقالت:

– "سماعة مايك تعطلت. سأرسله للسيارة ليحضر سماعة أخرى."

أجاب آرون: "عُلم. أنا متجه للرصيف اثني عشر."

تركت روث جثة مايك خلفها، ثم بدأت تسرع نحو السلم الكهربائي المؤدي لمستوى الأرصفة في المحطة.

كان الرصيف رقم اثني عشر يغص بالمسافرين نظرًا لوجود قطارين دوليين طويلين مكونين من اثنتي عشرة عربة يقفان على الجانبين.

كانت روث قد صعدت الدرج للرصيف لتوّها عندما جاء صوت لورين عبر الشبكة؛ كانت تراقب الهدف من الشرفة العلوية خلف موقع روث.

– "جينتري على متن القطار في الرصيف اثني عشر-أ. أتفقد اللوحة هنا.. إنه متوجه إلى أوسلو، وسيغادر فورًا."

سألت روث:

– "آرون، أين أنت؟" لم يكن صوتها آمرًا كالمعتاد، رغم أملها في أن اندفاع الأدرينالين جراء المطاردة القريبة سيحجب أي خطأ يلاحظه ضابطاها الصغيران.

قال آرون:

– "أنا أصعد للقطار الآن، العربة الأمامية." كان يسبقها بخمسين ياردة، فبدأت تضغط على نفسها لتصل للقطار قبل أن يغادر المحطة. سألها: "هل صعدتِ؟"

– "ليس بعد. أحتاج لثلاثين ثانية."

أطلق الكمساري صفارته عند مقدمة القطار.

قال آرون: "عليكِ الإسراع."

لحسن الحظ، انفتح ممر وسط الحشد أمامها فاندفعت للأمام، وهي تقلص عينيها وسط بخار مئات الأفواه التي تتنفس الهواء المتجمد، محاولة الحفاظ على تقدمها قبل أن تُغلق الأبواب وينطلق القطار نحو أوسلو.

في تلك اللحظة رأت رجلاً يرتدي معطفاً داكناً ويحمل حقيبة ظهر ينزل من العربة قبل الأخيرة من القطار المتجه لـ أوسلو. كان غطاء رأسه مرفوعًا ولم تستطع رؤية وجهه، لكنها ظنت أنه جينتري. عبر الرصيف بسرعة واستقل قطار "إس جي" السريع (SJ express) المواجه للاتجاه الآخر.

توقفت روث في مكانها. وسألت في الميكروفون:

– "أهذا هو؟ لورين؟ هل نزل من القطار؟"

جاءها الرد: "كلا". ثم أردفت: "لا أدري، لم أرَ أحدًا يغادر، لكن هناك دستة عربات وحشد هائل من البشر."

كانت اللوحة الإلكترونية فوق الرصيف بجوار القطار الثاني تشير إلى هامبورغ ووقت المغادرة قد حان. نفخ الكمساري في الطرف الآخر من القطار صفارته اليدوية. قالت روث: "سحقًا!"، وهي غير متأكدة أي قطار تستقل.

لم تملك روث وقتًا لاتخاذ القرار. أُغلقت الأبواب على قطار أوسلو وبدأ يتحرك ببطء مبتعدًا. لن تلحق به. كان الخيار إما البقاء هنا في ستوكهولم أو المخاطرة بأن هدفها على متن قطار هامبورغ.

قفزت داخل العربة الأخيرة من قطار "إس جي" السريع. وفي غضون ثوانٍ، بدأ هذا القطار بالتحرك هو الآخر.

بقيت في مكانها في مؤخرة القطار داخل عربة الدرجة الأولى، وعيناها مثبتتان على الباب الأمامي الذي يؤدي للممر الواصل بين العربات. فلو رأت أي حركة هناك كانت مستعدة للنهوض والتوجه للمرحاض في مؤخرة عربتها.

جلست بهدوء لبضع دقائق بانتظار أن ينهي آرون تفتيش قطار أوسلو ببطء وحذر. وبينما كانت تنتظر، حدقت في سواد الصباح الباكر، وفكرت في عثورها على مايك، وتجريده من كل ما يثبت هويته أو يشير لطبيعة عمله، ثم تركه هناك. فكرت في مهمتها، المهمة التي فشلت فيها بالفعل حين تسببت في مقتل أحد رجالها بسبب ثقتها بأن هدفها لا يشكل تهديدًا.

لم تكن ثقة، قالت لنفسه الآن، بل كانت انعدام كفاءة.

فكرت في روما.

لقد خرجت من موقعة روما بيضاء كالثلج؛ أثنى الموساد على أفعالها لمحاولتها تحذير قسم العمليات بأن المراقبة لم تكن مكتملة، لكنها كانت تعلم دائمًا أنها لا تستحق الخروج بمسيرة مهنية سليمة. كان بإمكانها بسهولة تذكر الأوقات التي كان بإمكانها فيها التحدث بقوة ووقف ضربة ميتسادا التي قتلت المدنيين الأبرياء. لم يكن الأمر يتطلب رسالة إلكترونية لرئيسها في تل أبيب تقول فيها إنها تريد مزيدًا من الوقت لبناء صور الأهداف؛ بل كان يتطلب احتجاجًا صارخًا على

الهجوم الوشيك. الصراخ في وجه الأقسام والتخصصات، الوقوف في طريق وحدة التصفية، بل وتنبيه سكان المنزل ومنحهم وقتًا للهرب.

لكنها لم تفعل شيئًا من ذلك، لسبب واحد بسيط.

كانت تريد تنفيذ الضربة. نعم، كان بإمكانها إثبات عكس ذلك لاحقًا برسالتها الإلكترونية، لكنها لم ترفع علامة التحذير إلا لأنها كانت تحاول حماية رجال ميتسادا؛ للتأكد من عدم وجود مسلحين آخرين بالداخل أو تهديد محتمل.

لم تظن للحظة واحدة أن هدفها كان أي شيء سوى مذنب أثيم. كانت تريده ميتًا، ولم تكن تبالي إن مات أصدقاؤه في المنزل معه. ورغم أنها لم تملك وقتًا لتحديد هويتهم، إلا أنها شعرت باليقين أن صلتهم به تجعلهم مذنبين أيضًا.

لم تكن تعلم بوجود عائلة بريئة داخل المنزل، لكن ذلك لم يبرئها في عيني نفسها. فقد كان عملها هو أن تعلم.

لقد نفدت بجلدها لأن رسالتها الإلكترونية كانت مصاغة بوضوح كافٍ لتبرئتها. وعلاوة على ذلك، شعرت أن لجنة التحقيق في "الكنيست" كانت تبحث عن بصيص أمل في تلك الفوضى العارمة، فتمسكوا بالرواية الملهمة لضابطة شابة صدحت بالحق في وجه القوة وبذلت قصارى جهدها لإنقاذ الأرواح، والمساعدة في تحسين صورة منظمتها الملطخة.

لطالما عرفت أنها كانت على بُعد رسالة إلكترونية واحدة فاترة من مصير بقية المتورطين في كارثة روما.

والآن هذا؟ يا إلهي.. الآن هذا؟

وضعت رأسها بين يديها.

"أنا آسفة حقًا يا مايك."

استغرق آرون خمس عشرة دقيقة ليفتش القطار ببطء وعناية. وعندما انتهى، جاء صوته عبر الشبكة:

- "روث، أعتقد أنه معكِ. لم أجده هنا."

وقفت روث من مقعدها، غير متأكدة إن كان عليها محاولة العثور على جينتري. كلا، جلست مجددًا؛ فالمخاطرة كبيرة. ستجلس هنا وتراقب التوقفات لترى إن كان سينزل. التقطت كتيب الرحلات من جيب المقعد وتفحصته. صارعت لتهدئة صوتها مجددًا، وتطلب الأمر مجهودًا كبيرًا لتفعل ذلك.

- "فهمت. سنصل إلى كوبنهاغن في الحادية عشرة وعشر دقائق صباحًا. استقلوا طائرة؛ أريدكم أن تكونوا هناك بانتظارنا عند وصولنا. إذا نزل قبل كوبنهاغن، فسنعدل خطتنا."

أجاب آرون: "عُلم."

وقالت لورين: "فهمت."

بعد ثوانٍ قليلة قال آرون: "مايك، هل تسمعنا؟"

انتظر آرون الرد بصبر.

كانت روث تجلس في مقعدها في العربة الأخيرة من القطار. كان الصف لها وحدها، ولكن أمامها مباشرة جلس رجل يواجهها، يقرأ جريدة.

وضعت روث يديها على ركبتيها، وشعرت برعشة في جسدها. حموضة في معدتها تندفع نحو صدرها؛ بدأت طفيفة ثم راحت تزداد.

جاء صوت لورين عبر الشبكة:

- "ثمة شيء يحدث هنا في المحطة. أسمع أصوات صفارات. سيارة إسعاف وعدة سيارات شرطة توقفت لتوّها."

نادى آرون الآن: "روث. هل يمكنكِ التواصل مع مايك؟" سمعت نبرة الذعر في صوته.

وفجأة، وبشكل شبه مباغت، صار الأمر فوق طاقتها.

فقدت روث إيتنغر أعصابها تمامًا.

انطلقت من مقعدها، واتجهت لمؤخرة العربة، وهرعت عبر الباب للممر الصغير. رمت باب الحمام خلفها وتقيأت في الحوض.

انهمرت الدموع مع القيء، واستمر نشيجها طويلاً بعد ذلك.

بعد عشرين دقيقة، وقفت روث إيتنغر خارج الحمام في قسم الممر بمؤخرة القطار، الهاتف على أذنها، وجهها محمر من البكاء، وغطاء معطفها مرفوع في محاولة لإخفاء مشاعرها عن أي شخص قد يأتي لاستخدام المرحاض.

على الطرف الآخر من الخط كان يانيس ألفي. لقد أخبرته بكل شيء. أخبرته عن عثورها على مايك، وعن كذبها على مرؤوسيها، ولكن لم يكن هذا كل شيء؛ فقد كشفت له أنها رأت جينتري في الصباح السابق وتعمدت تركه يفلت من فريق التصفية التابع لـ تاونسند.

لم تدافع عن نفسها كثيرًا. تمتمت بشيء عن رغبتها في تجنب مجزرة على يد بومونت وفريقه، لكن كان بإمكانها الدفاع عن وجهة نظرها بقوة أكبر.

إلا أن مقتها لنفسها لم يسمح لها بذلك. لن يتكرر ما حدث في روما. لن تنسل كالأفعى من الملامة هذه المرة.

عندما لم يعد لديها ما تقوله، وبعد أن توقف البكاء، تحدث يانيس بهدوء ولكن بحزم:

– "روث. لقد انتهى الأمر. صدر قرار باستدعائكِ، وسيتم استبدالكِ. سأبلغ وحدة ميتسادا أن هدفهم على متن القطار وسأعطيهم الضوء الأخضر لعملية قتل أو اعتقال."

– "أمرك يا سيدي."

– "أريدكِ فقط أن تجلسي هناك حتى المحطة القادمة، ثم تنزلي، وسنرسل أحدًا لاصطحابكِ. أنا متجه إلى كوبنهاغن، سأغادر خلال ساعة. سأقابلكِ هناك وسأضعكِ على متن رحلة عائدة إلى تل أبيب."

أومأت روث للهاتف: "أمرك يا سيدي. أنا آسفة يا سيدي."

قال: "أنا آسف أيضًا." ثم أردف: "آسف لأجل مايك."

وأغلق الخط.

نزعت سماعة الأذن ودستها في حقيبتها، ثم أطفأت هاتفها ووضعته معها. عادت للحمام لتغسل وجهها.

لقد غيمت أحداث روما على حكمها للأمور. فمنذ اليوم الذي قُتلت فيه تلك العائلة بنيران عناصر ميتسادا في إيطاليا، أخبرها يانيس أنه قلق من عودتها للميدان، لكنها كانت تسخر من مخاوفه.

إلا أنه كان محقًا، وكانت هي المخطئة. لقد دمرتها روما.

لقد استُبعدت من عملية جينتري. تقبلت هذا الأمر؛ فلا خيار أمامها. ومن الواضح أن يانيس لم يملك خيارًا سوى استدعائها.

ولكن مع إدراكها أن دورها قد انتهى، تولد لديها يقين بأنها لم يعد لها أسياد الآن. لا أحد لتقدم له تقاريرها.

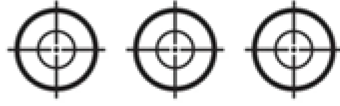
وليس لديها ما تخسره.

في مكان ما أمامها على هذا القطار، يوجد الرجل الذي قتل زميلها. كان لا يزال طليقًا، وسواء كان قتلة تاونسند في الطريق أم لا،

فهي تعلم أن جينتري قد غلب رجال تاونسند من قبل وهرب ليقتل مجددًا.

قررت روث أنها لن تترك المراقبة لهم. أما عملية الإيقاع به؟ بالطبع، بقدر ما كانت تود أن تطوق عنقه بيديها وتخنق الحياة فيه، كانت تعلم أن ذلك لن يحدث. وعندما يصل بومونت ورجاله، ستتنحي هي جانبًا.

ولكن حتى ذلك الحين، لن تبرح هذا القطار اللعين حتى يفعل كورت جينتري.



43

جلس كورت في العربة الرابعة من القطار، وهي عربة درجة ثانية ممتلئة بنصف سعتها فقط بالركاب. كان قد استقل القطار دون تذكرة، لكن ذلك لم يكن أمرًا غير مألوف في السويد. اشترى تذكرة كاملة عندما مرت المحصلة، مخبرًا المرأة بالألمانية أن وجهته النهائية ستكون هامبورغ.

لم يكن لديه أي فكرة عما إذا كان سيبقى في القطار حتى محطته النهائية؛ سيستكشف الوضع مع تقدم اليوم، لكنه كان يأمل في وضع أكبر عدد ممكن من الأميال بينه وبين ستوكهولم.

وبينما هو جالس ورأسه مستند على النافذة وغطاء رأسه مرفوع، بدأ هاتفه يهتز في حقيبة ظهره الموضوعة على الرف فوق رأسه. وقف

وأخرج الهاتف، وقرر الرد تحسبًا لوجود معلومات استخباراتية لدى ويتلوك عن مطاردته.

أجاب كورت على هاتفه:

– "مرحبًا."

– "هل أنت بخير يا أخي؟"

تحدث بصوت خافت، رغم عدم وجود أحد قريب.

– "رأيت عميلة الموساد مرة أخرى هذا الصباح، لكن أعتقد أنني أفلتُّ منها. ماذا تسمع من أصدقائك؟"

بعد توقف قصير، قال ويتلوك:

– "لقد أُبعدت عن العملية."

– "ماذا يعني ذلك؟"

– "يعني أنني لا أتلقى معلومات استخباراتية من «تاونسند هاوس» في الوقت الحالي."

زمجر كورت:

– "حسنًا، هذا سيئ بالنسبة لي، أليس كذلك؟ تخليت عن كييف والآن تقول لي إنك لا تستطيع مساعدتي؟ لا تعرف ما إذا كانوا يتبعونني الآن؟"

– "آخر ما سمعته هو أن «جامبر» كان يبحث عنك في محطة الحافلات."

أومأ كورت، مسرورًا لأن الحيلة قد سحبت أي مراقبة بعيدًا عن محطة القطار، لكنه كان يدرك أيضًا أن هذا التضليل سينتهي مفعوله بمجرد مغادرة الحافلة المتجهة إلى غوتنبرغ المحطة دون وجود جينتري على متنها.

أضاف ويتلوك:

– "الموساد كان لديه تغطية ثابتة في محطة القطار."

أمال كورت رأسه.

– "أي محطة قطار؟"

– "محطة القطار حيث ركبت قطار الخامسة والخمسين المتجه إلى هامبورغ."

اللعنة. قفز كورت من مقعده، وأمسك بحقيبته من الرف فوقه، وبدأ يمشي نحو مؤخرة القطار. إذا كان تحت التهديد هنا على متن القطار، فإنه يفضل أن يكون في أحد طرفيه حتى لا يضطر للدفاع في الاتجاهين.

بينما بدأ يتحرك، قال راسل:

– "اهدأ. لا أحد في «تاونسند» يعلم. أنا فقط."

– "كيف عرفت؟"

– "لأنني رأيتك. لم أرَ أي قطار ركبت، لكن كان هناك أربعة فقط غادرت في الوقت الذي غادرت فيه، وثلاثة منها اتجهت إما شمالاً أو غربًا. افترضت أنك سترغب في التوجه جنوبًا؛ سترغب في التخلص من إسكندنافيا تمامًا في هذه المرحلة مع كل الضغط عليك لتتمكن من العودة إلى القارة الأوروبية والاختفاء." أضاف: "هذا ما كنت لأفعله. لذا هذا ما تفعله أنت."

تحرك كورت عبر الممر بين عربتين، ودخل عربة طعام، واستمر نحو المؤخرة.

– "لماذا كنت في المحطة؟"

– "أخبرتك. «تاونسند» تشك بي، وقد عزلوني عن العملية."

– "وماذا في ذلك؟"

– "لذا... كان عليّ إيجاد طريقة أخرى لمساعدتك."

شعر كورت بقلق بارد يتصاعد بداخله. شيء ما في نبرة صوت الرجل، شيء ما حول إدراك أن «ديد آي» (عين الموت) كان يراقبه. شيء ما حول معرفة كورت العميقة بتدريب ومهارات وقدرات رجل بخلفية «ديد آي»، كل ذلك قاد لهذا الشعور بالنذير السيئ.

مر عبر العربة قبل الأخيرة الآن وسأل:

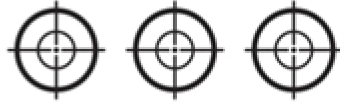
– "كيف، بالضبط، ساعدتني؟"

الرهبة التي شعر بها في الإجابة تجسدت في مرارة تحرق معدته.

– "هذا غير مهم يا «فايوليتر». أنت في وضع آمن، وهذا كل ما تحتاج لـ..."

نبحه كورت بهمس حاد:

– "ماذا فعلت بحق الجحيم؟"



أمضت روث الدقائق العشر الماضية في حمام بمؤخرة العربة الأخيرة تتنكر لتتمكن من التحرك عبر القطار للعثور على جينتري. وضعت شعراً مستعاراً أسود قصيرًا، ووضعت مكياجًا أكثر دراماتيكية مما كانت ترتديه في الليلة السابقة عندما كانت وجهًا لوجه معه في الحانة. وضعت نظارات بإطار عظمي (صدفي)، بإطارات غير طبية، مما أضاف طابعًا دراسيًا، يكاد يكون باهتاً، لتنكرها.

كما خلعت معطفها. كانت قد ارتدت الجانب العكسي هذا الصباح، محولة إياه من الأسود إلى الرمادي، لكنها علمت أن رجلاً بتدريب جينتري ربما لاحظ هذه الميزة في معطفها، وسيكون متيقظاً لكلا اللونين.

العثور على كورت على متن القطار دون أن يراها سيكون مهمة صعبة. كانت كل من عربات الدرجة الأولى والثانية مقسمة بحيث يواجه نصف المقاعد اتجاهًا واحدًا والنصف الآخر يواجه الاتجاه الآخر، مع خط فاصل في وسط العربة. هذا يعني أنه في كل مرة تخطو فيها إلى عربة جديدة، كانت هناك فرصة بنسبة خمسين بالمائة أن يكون جينتري مواجهًا لاتجاهها، رغم أنه لو كان كذلك فسيعني أيضًا أنه على بعد أربعين قدمًا على الأقل.

وضعت يدها على مقبض الباب المؤدي من الممر إلى العربة الأولى ونظرت عبر الزجاج، وهناك، في الطرف البعيد من العربة، كان جينتري يقترب، وهاتف محمول في يده. كان يرتدي قميصًا داخليًا حراريًا أسود وجينز أزرق، وحقيبة ظهره معلقة على كتفه ومعطفه مربوط بها.

استدارت روث بعيدًا، آملة بحق الجحيم أنه إما لم يرها على الإطلاق أو رأى فقط شعرها الأسود القصير وحركتها عبر المدخل البلاستيكي (البليكسي غلاس). تراجعت بسرعة إلى الحمام، وأغلقت الباب خلفها، وقفلته.

في تلك اللحظة، خارج باب الحمام، سمعت الصوت المميز لفتح وإغلاق باب العربة. بعد لحظة سمعت تمتمة منخفضة لصوت ذكر، ورغم أنها لم تستطع تمييز كلمة منه، استطاعت معرفة أن جينتري كان يقف في الممر، خارج بابها مباشرة، يتحدث في هاتفه.

قاومت موجة من الذعر. الرجل الذي قتل لتوّه مايك ديلمان يقف على بعد أقدام منها الآن. لم تظن أنه يعرف بوجودها هنا – بدا من غير المرجح أن يستمر في مكالمته لو كان يعرف – لكنها قلقة من أنه

سيقف هناك لبعض الوقت، ويرى علامة "مشغول" على الباب، ويبدأ في التساؤل لماذا لا يغادر الشخص الموجود بالداخل.

مدت يدها في حقيبتها بحثًا عن رذاذ الفلفل (Mace)، رغم عدم إيمانها الحقيقي بقدرتها على شل حركة «الرجل الرمادي» الأسطوري برذاذ.

استند جينتري على الحائط في ممر العربة الأخيرة، مبقيًا عينيه على عربة الركاب أمامه تحسبًا لاقتراب أي تهديدات. أبقى صوته منخفضًا لأن شخصًا ما كان في الحمام بجواره.

– "لن أسألك مرة أخرى. ماذا حدث في ستوكهولم؟"

كان راسل مراوغًا، لكنه استسلم بتنهيدة طويلة.

– "كان الموساد يا صاح. لم يكونوا ليدعوك تقفز في قطار وترحل ببساطة."

– "و؟"

– "وكان هناك رجل واحد بينك وبين الحرية." توقف قصيرًا. "قمت بتحييده."

– "قتلته؟"

– "الطريقة الوحيدة يا كورت. أعلم أن هذا ربما ينتهك قانونك الأخلاقي الغريب وحساسيتك المفرطة، لكنه كان تهديدًا كبيرًا لك، تهديدًا أكبر لك، في الواقع، من أي من رجال «تاونسند» أو رجال سيدورينكو الذين قتلتهم الأسبوع الماضي."

ضرب كورت مؤخرة رأسه بحائط عربة القطار في إحباط.

– "قتلت ضابط استخبارات إسرائيليًا؟ أيها الغبي اللعين!"

– "انتبه لنبرتك يا «فايوليتر»! أنقذت حياتك. تمامًا كما فعلت في تالين. يجب أن تُقبّل قدمي لكل ما فعلته لأجلك."

فهم كورت الآن. ليس كل شيء، لكن ما يكفي. أراد راسل بقاء جينتري حيًا، لأن راسل يحتاج جينتري حيًا.

– "الأمر يتعلق بكالب، أليس كذلك؟" لم يكن هناك رد، وضرب جينتري مؤخرة رأسه بالحائط مرة أخرى. "إنه أنت. أنت من يلاحق كالب."

بعد توقف قصير، أصبح صوت راسل أكثر قتامة وهو يجيب:

– "أخمن أنك وصديقتك اليهودية أجريتما محادثة طويلة الليلة الماضية."

– "كان ذلك أنت في نيس، أليس كذلك؟ أنت من صفّيت أمير زاريني."

– "لم يكن أنا يا كورت. اسأل حولك. اسأل أي شخص." ضحك، ثم قال: "كان ذلك أنت."

– "تلك كانت خطتك؟"

بضحكة مكتومة قال:

– "إيجاب."

– "لماذا؟"

– "فكر في الأمر يا عبقري."

فكر كورت، ولم يستغرق الأمر طويلاً.

– "تريد قتل كالب. احتجت لاسمي للحصول على العقد. ولتنجو بعد الفعلة، تحتاج مني أن أتحمل اللوم."

قال راسل:

– "ظننت أن لدي خطة محكمة. لكنها لا تنجح إلا طالما بقيت أنت حيًا. بصراحة يا «فايوليتر»، كنت أنت الحلقة الضعيفة في هذا الأمر برمته. أعتقد أنه لم يكن عليّ تصديق كل الضجيج المثار حولك. لديك رعشة، وتتحدث عن التقاعد، وهناك الكثير من الناس يتبعونك الآن لدرجة أنه يبدو وكأنك تقود موكب «ماردي غرا» في الشارع اللعين. أسطورة «الرجل الرمادي» نكتة سخيفة."

– "ما الذي يمنعني من الاتصال بالـ CIA، أو الموساد، أو «تاونسند»، وإخبارهم عن مؤامرتك هذه؟"

– "تفضل. سأصل لكالب رغم ذلك، لذا لن تمنع هذا. بالتأكيد، قد تشطبني الـ CIA من قائمة بطاقات المعايدة الخاصة بهم، لكن ذلك لن يساعد وضعك معهم. الموساد لن يصدقك؛ لقد زرعت الكثير من الآثار التي تقود إليك، لدرجة أنك لا تستطيع الاتصال بهم ببساطة والقول إنك متفرج بريء. و«تاونسند» ستكون غاضبة، لكنهم يتقاضون أجرًا لقتلك، وليس قتلي، لذا سيظلون يلاحقونك بكل ما لديهم."

– "هل كل هذا من أجل المال فقط؟"

ضحك راسل بصوت عالٍ.

– "ها! هذا مضحك جدًا، قادمًا من القاتل المأجور الأكثر شهرة على الكوكب. بالطبع الأمر يتعلق بالمال."

لم يصدقه كورت. كان هناك شيء أكثر. لابد أن يكون. هذا الرجل غير مستقر.

– "كيف تسللت عبر الشقوق؟ كيف نجحت في برنامج الأصول المستقلة (AADP) ووصلت للخدمة الفعلية مع الوكالة؟ هل انخفضت المعايير بعد مروري؟"

– "ماذا تعني؟"

– "جعلوني أجري مجموعة من الاختبارات للتأكد من أهليتي العقلية. واجتزتها جميعًا."

– "أجريت نفس الاختبارات."

– "إذن كيف تم تجنيدك؟"

أخذ راسل وقته في الرد. نظر كورت من النافذة. أشرق الصباح ليوم رمادي، كاشفًا عن مشهد متجمد لغابة تمر بسرعة 125 ميلاً في الساعة. أخيرًا قال راسل:

– "في المارينز قضيت عامين في العراق، وحظيت بفرصة المشاركة في اثنين وعشرين اشتباكًا قتاليًا. الفلوجة[16]، مدينة الصدر. كل الأماكن الممتعة.

"ثم كانت أفغانستان. خاضت سريتي أكثر من خمسمائة اشتباك في أحد عشر شهرًا. أُصبت مرتين، لكني وزعت الكثير من الموت على العدو.

"ثم في أحد الأيام سحبوني إلى جلال آباد، ثم إلى الولايات المتحدة. أخبروني أنني مقاتل شرس لدرجة أنهم يفكرون بي للقوات الخاصة (SOF)."

–"SOF؟ "

– "قوات العمليات الخاصة (SPEC-OPS Force)."

– "أعرف ماذا تعني أيها الأحمق. ألم يخضعوك لتقييم نفسي؟"

– "نعم، فعلوا."

[16] معركة الفلوجة: واحدة من أعنف معارك حرب العراق، وقعت أساسًا في نيسان/أبريل ٢٠٠٤ (الفلوجة الأولى) ثم تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤ (الفلوجة الثانية – عملية *Phantom Fury*). اندلعت بعد مقتل متعاقدين أمريكيين والتمثيل بجثثهم، فتحولت المدينة إلى معقلٍ للمسلحين. تميّزت المعركة بقتالٍ حضري شرس، استخدامٍ مكثف للقصف والاقتحام من بيتٍ إلى بيت، واعتُبرت من أعنف الاشتباكات التي خاضتها القوات الأمريكية منذ حرب فيتنام.

نظر كورت متجاوزًا الحمام إلى النافذة في باب القطار. مرت التلال المغطاة بالثلوج في ضبابية.

– "دعني أحزر الجزء التالي. تقييمك النفسي كان... مشكوكًا فيه."

– "سالب، لم يكن مشكوكًا فيه على الإطلاق. في الواقع، أجبتُ على أسئلتهم بشكل رائع. حددت الاختبارات أنني..."

– "معتل اجتماعيًا (Sociopath)؟"

– "خطأ مرة أخرى."

أغمض كورت عينيه. يا إلهي.

– "أنت معتل نفسيًا (Psychopath)، أليس كذلك؟"

التأخير في رد ويتلوك أخبر كورت أنه أصاب كبد الحقيقة. أخيرًا قال راسل:

– "حاولت المجادلة بأن الأمر نتاج التنشئة، لا الطبيعة. أربعة وعشرون شهرًا في الصحراء يليها عام في قاعدة عمليات متقدمة في مقاطعة كونار يمكن أن يحرف التقييم النفسي إذا لم يأخذ في الاعتبار الحقائق التي كان عليّ مواجهتها – كل يوم لعين كان إما قاتل أو مقتول."

– "لكن الأطباء النفسيين لم يستمعوا لشرحك."

– "هم يتقاضون أجرًا ليتحدثوا، لا ليستمعوا لجندي مارينز عاد للتو من الجحيم."

– "إذن لا قوات خاصة لك."

– "لا قوات خاصة لي."

راقب كورت المشهد المتجمد يمر، وعقله في ماضيه مع الـ CIA. عرف الفصل التالي من قصة ويتلوك كما لو أنه حدث له هو. قال كورت:

– "ثم هبطت الـ CIA. ربتت على رأسك وقالت إنها تتفهم."

– "بالطبع فعلوا. كان لا يزال هناك اختبارات يجب إجراؤها، وأجريتها، لكن بالنسبة لشخص ذكي مثلي، مع القليل من التحذير المسبق عما هو متوقع، التلاعب بالاختبارات لم يكن مشكلة كبيرة. كانت هناك مقابلات أطباء الوكالة، لكن مرة أخرى، كنت أذكى من أي من أولئك الأغبياء الذين يقيمونني. يمكن لمعتل نفسيًا ذكي بما يكفي أن يبدو بسهولة مجرد معتل اجتماعيًا بقليل من الجهد. ثم أجلسني مسؤولو التجنيد في الـ CIA. أنا متأكد أنك حصلت على نفس الخطاب. قالوا: «يمكننا أن نجعل لحياتك قيمة، لكن بمجرد أن تقول نعم، فأنت ملكنا»."

تذكر كورت اللحظة التي حدث فيها ذلك له. سُحب من سجن في فلوريدا، حيث كان يواجه حكمًا بالسجن مدى الحياة لإطلاقه النار على ثلاثة من رجال العصابات الكولومبيين. نُقل إلى منزل جميل في كيندال – منزل آمن للـ CIA، كما عرف لاحقًا – وخضع لأيام من الاجتماعات والاختبارات. شد وجذب. جعلوه يشعر كأنه «سوبرمان»، ثم جعلوه يشعر كأنه قذارة على أحذيتهم. كان تجنيدًا وتقييمًا في الوقت نفسه.

– "لكنهم سمحوا لك بالدخول رغم أنهم ظنوا أنك معتل اجتماعيًا؟"

توقف راسل مرة أخرى قبل أن يقول:

– "كورت، أكره أن أصدمك... كان ذلك شرطًا مسبقًا."

– "كان شرطاً مسبقاً أن تكون مجنوناً؟" هز جينتري رأسه غير مصدق. "متى تغير ذلك؟"

– "لم يتغير."

كان راسل محقاً. كورت لم يفهم.

– "هل أنت أعمى بحق الجحيم يا كورت؟ تم اختيارنا جميعًا لبرنامج الأصول المستقلة لأن الأطباء النفسيين حددوا أننا الملائمون النفسيون الصحيحون. منعزلون بلا ندم."

– "هذا... هذا ليس صحيحًا. أنا لست معتلاً اجتماعيًا."

– "أنت على حافة الاعتلال الاجتماعي. إنه في ملفك غير المنقح. أعطني عنوانك، سأرسل لك نسخة."

قال جينتري بهدوء:

– "أنا لست كذلك."

– "هذا ما كان يدور حوله برنامج الأصول المستقلة. أخذ المنبوذين الذين ليس لديهم ما يخسرونه، الشباب الذين يمتلكون المواد الخام الجسدية والنفسية لصنع آلات قتل فعالة، ثم بناؤهم وتدريبهم وبرمجتهم لاتباع الأوامر، وأخيرًا إرسالهم إلى العالم كروبوتات لعينة لتذوب في أراضٍ أجنبية وتقوم بالعمل القذر دون التشكيك في الأوامر أو بناء علاقات أو ارتباطات ذات طبيعة شخصية."

– "هذا ليس أنا. أنا لست مجنوناً."

ضحك راسل.

– "بالتأكيد يا كورت. أنت قطعة الحلوى الوحيدة في صندوق القاذورات، صحيح؟ كم شخصًا قتلت على مر السنين؟ فكر في ذلك. هل يبدو ذلك كحياة فرد سوي؟"

– "تبًا لك يا ويتلوك. أفعل ما أفعله لأنني مضطر لذلك."

– "هراء يا كورت. كان بإمكانك الهروب بعد أمر القتل الفوري والاختفاء في أي مكان في العالم. كان بإمكانك ترك اللعبة، لكنك لم ترد قيادة سيارة أجرة أو تنظيف السمك. أردت قتل الناس. كونك تبرر تعطشك للدماء باستهداف الأشرار فقط هو أمر غير ذي صلة. تفعل ذلك لتشعر بتحسن تجاه نفسك، ليس لأنك نوع من الأبطال. صدقني، إذا نفد الأشرار، ستتحرك عوارض المرمى فقط، وستبدأ في قتل أشخاص أكثر هامشية."

أراد جينتري تجاهل ادعاءات ويتلوك باعتبارها لا تزيد عن أوهام مجنون، لكن الحقيقة هي أن راسل بدا وكأنه يعرف عما يتحدث.

قال كورت:

– "أردت مني البقاء على اتصال معك. لماذا؟"

– "ألا تعجبك دردشاتنا الصغيرة؟"

– "أنت تستدرجني. تحاول ضمي إليك. الأمر لا يتعلق فقط بتلفيق التهمة لي. تحتاجني لشيء ما. لِماذا، لا أعرف."

– "لا أحتاجك"، قال راسل، لكن كورت استطاع سماع الذعر في صوته.

قال جينتري:

– "لن ألعب دورًا في خطتك. سأغلق الخط الآن، وسأرمي هذا الهاتف."

قال ويتلوك بسرعة:

– "لا! ما زال بإمكاني مساعدتك."

– "كيف؟"

– "سألقي باللوم في ضربة كالب عليك، لكن كيف سيؤثر ذلك حقًا على يومك؟ دولة أخرى تلاحقك؟ أمر جلل. بمجرد أن تفقد هؤلاء

الأشخاص الذين يلاحقونك الآن، ستكون بخير. عد إلى أمريكا الجنوبية، أو جنوب شرق آسيا، أو جرب المناطق النائية في أستراليا. اخرج عن الشبكة وابقَ خارج الشبكة. عندما أنتهي من عمليتي، لنقل بعد ثلاثة أو أربعة أسابيع من الآن، سأتصل بك مرة أخرى، وسأعطيك كل المعلومات حول عقوبة القتل الفوري التي وضعتها الـ CIA عليك قبل خمس سنوات. أنا أدين لك بذلك." ضحك في الهاتف. "أنت، في النهاية، تساعدني في كسب خمسة وعشرين مليوناً، حتى لو كان ذلك عن غير قصد."

هز كورت رأسه.

– "انتهيت منك."

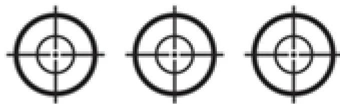
– "كورت. استمع إلي. تحتاج للتفكير بحذر شديد..."

– "أنت لا تسيطر عليّ يا «ديد آي». لقد بدأت أتساءل عما إذا كنت تستطيع حتى السيطرة على نفسك."

فصل كورت المكالمة وأخرج البطارية من الهاتف. وضع القطعتين في حقيبة ظهره وخطط لتدمير الهاتف عندما ينزل من القطار ويجد مكاناً هادئًا للقيام بذلك.

علق حقيبة ظهره ومعطفه على كتفه وغادر المقصورة الخلفية. سيكون القطار في كوبنهاغن قريبًا، ثم سيعبر بحر البلطيق على متن عبّارة ويكمل طريقه إلى هامبورغ.

أراد كورت البقاء على متن القطار طوال الرحلة، لكنه كان بحاجة لإبقاء عينه مفتوحة لأي من التهديدات المتزايدة بسرعة ضده.



44

بعد عشر دقائق من مغادرتها الحمام، وجدت روث إيتنغر، جينتري في العربة الرابعة من نهاية القطار. لم ترَ سوى مؤخرة رأسه، لكنها ميزت معطفه الأسود العادي وحقيبة الظهر السوداء العادية في الرف فوقه. رغم شعورها بأن تنكرها جيد بقدر ما يمكنها جعله، إلا أنها علمت أنها استفادت من حقيقة أن هدفها كان جالسًا ووجهه بعيدًا عنها.

كان جالسًا وحيدًا، ينظر من النافذة إلى الصباح الضبابي الذي يمر بسرعة عالية، ورغم أنه لم يبدُ في حالة تأهب خاصة، إلا أنها استدارت خارجة من العربة بعد بضع ثوانٍ وعادت لمقعدها في الدرجة الأولى.

لأول مرة في مسيرتها تمنت لو كانت تحمل سلاحًا ناريًا. لم يكن لديها أدنى شك في أنها لو كانت تملك مسدسًا في حقيبتها لسحبته الآن، ومشت في ممر عربة القطار، وأفرغته في جسد «الرجل الرمادي» بمجرد أن تحاذيه.

لكنها لم تملك مسدسًا، والآن لم تكن تملك حتى مسؤولية توجيه وحدة من ضباط العمليات الخاصة في «ميتسادا». شعرت بالعجز دون القدرة على استدعاء طاقم من القتلة، وهي تعلم أن تهديدًا خطيرًا يجلس على بعد ياردات فقط.

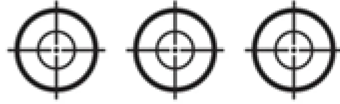
بعد بضع دقائق توقف القطار في هسلهولم. وكما فعلت في كل محطة، شقت طريقها إلى الباب في مؤخرة القطار وأطلت برأسها، مبقية عينيها على طول العربات تحسبًا لنزول جينتري. بحلول هذا الوقت

كانت تتوقع منه السفر طوال الطريق إلى مالمو على الأقل، وربما حتى إلى كوبنهاغن، لذا فوجئت عندما رأته ينزل من القطار على بعد أربع عربات للأمام، معطفه عليه وحقيبته على ظهره.

ركضت عائدة لمقعدها، وأمسكت أغراضها من الرف فوقه، ثم تبعت جينتري خارج القطار إلى وابل من الصقيع المتساقط.

تحركت روث خلف مجموعة صغيرة من المتقاعدين يمشون على طول المسار نحو المحطة المركزية، مادة عنقها فوقهم لإبقاء جينتري في مرمى نظرها. فقدته للحظة لكنها التقطته وهو يمشي على الرصيف نحو قطار بين المدن متوقف تحت المسارات المغطاة أقرب للمحطة.

صعد على متن القطار بالقرب من المقدمة، وقفزت روث إلى العربة الأخيرة بينما أطلق السائق صافرته.



كان القطار بين المدن متجهًا إلى هلسينغبورغ، على الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة السويدية. وجدت مقعدًا بالقرب من المؤخرة. وبينما غادر القطار المحطة طلبت من محصل مار تذكرة، ودفعت نقدًا.

اتجه القطار غربًا، متوقفاً بشكل متكرر. في كل محطة على طول الطريق نظرت روث من النافذة، لكن في غضون ساعة كان لديها شعور بأن جينتري يتجه طوال الطريق إلى هلسينغبورغ. كانت مدينة ساحلية تقع مباشرة عبر مضيق أوريسند من الدنمارك. من هنا عرفت روث أن كورت يمكنه أخذ عبّارة سريعة عبر الماء وتجنب الطريق من السويد إلى البر الرئيسي الأوروبي: عبور عبّارة طويل فوق بحر البلطيق إلى الجنوب، والذي من المؤكد أن «تاونسند» ستغطيه.

واثقة من معرفتها بوجهته الآن، سحبت هاتفها من حقيبتها للاتصال بيانيس. لكن في اللحظة التي فعلت فيها ذلك نظرت لأعلى وأدركت أنها على بعد أقدام فقط من الرجل الذي قتل مايك ديلمان قبل ساعات. مشى جينتري في الممر الأوسط للقطار، ثم أشاح بنظره وواصل سيره، خارجًا من العربة وإلى التالية.

خفق قلبها بشدة. مر بجوارها دون أن يلقي نظرة ثانية، وشعرت بتأكد معقول أن وجهها ظل خاليًا من التعبير أثناء التقاء الأعين. لم تظن أنه تعرف عليها في تنكرها الكثيف، لكنها لن تترك الأمر للصدفة. قامت من مقعدها وتوجهت للحمام في الاتجاه المعاكس لهدفها.

تحركت روث طوال الطريق إلى أقصى مؤخرة القطار ثم دخلت الحمام وخلعت شعرها المستعار الأسود. ستعتمد على شعرها الكستنائي الطبيعي الآن، بما أن جينتري قد رآها بالفعل شقراء وسمراء.

تمنت لو كان فريقها معها. بأي معيار طبيعي لمهنتها، كانت قد انكشفت؛ لم تكن لتظهر نفسها لجينتري مرة أخرى، حتى بتنكر جديد. لكنها كانت وحدها، وعليها بذل قصارى جهدها لتغيير مظهرها تمامًا.

خلعت نظارتها ذات الإطار الصدفي، وربطت شعرها للخلف في ذيل حصان، وأزالت كل ذرة من مكياجها بمزيل مكياج ومنشفة صغيرة تحتفظ بها في حقيبتها لمثل هذه الطوارئ. خلعت أيضًا سترتها السوداء واستبدلتها بطبقة أساسية رقيقة لكن دافئة من ماركة «باتاغونيا» خضراء داكنة، محولة مظهرها من مسافرة عمل في قطار دولي إلى شابة ذات مظهر رياضي تتنقل من بلدة لأخرى.

راضية عن مظهرها الجديد، وضعت مزيل المكياج وملابسها في حقيبتها، ثم فتحت القفل وفتحت الباب وبدأت تخطو إلى الممر.

فجأة اندفع رجل إلى المساحة المفتوحة أمامها، وضع يده على وجهها، ودفعها عائدة لداخل الحمام الصغير. اقتحم المكان معها وصدمها بقوة بالحائط، مغلقًا الباب خلفه.

حاولت الصراخ، لكن يده ضغطت على فمها وقطعت كل الصوت تقريبًا. سقطت للخلف إلى يسارها، جسدها نصفه فوق الحوض الصغير ومؤخرة رأسها مضغوطة ضد المرآة الباردة. سمعت مهاجمها يقفل الباب خلفه، وقاتلت في المساحة الضيقة لإخراج رذاذ الفلفل من حقيبتها. سحبت يده الحرة حقيبتها بعيدًا ودستها خلف جسده حيث لا تستطيع الوصول إليها.

عرفت من هو، بالطبع، حتى قبل أن تتمكن عيناها من التركيز على وجهه.

إنه جينتري.

أرخى قبضته على فمها قليلاً، واستغلت ذلك. دفعت وجهها للأمام وعضت بقوة على المنطقة اللينة بين إبهامه وسبابته. كبت جينتري صرخة وارتفعت يده الحرة للكمها في الفك، لكنه أوقف نفسه واكتفى بانتزاع يده بعيدًا عن أسنانها المطبقة.

– "توقفي!" قال، لكنها كانت قد خلقت مساحة الآن، كافية لتلف يدها حول موزع صابون معدني على الحائط. انتزعته ولوحت به نحوه، لكنه أرجع رأسه للخلف وبعيدًا عن الطريق في الوقت المناسب، وارتطم الموزع بالنافذة الصغيرة إلى يساره.

– "توقفي!" قال مرة أخرى، لكن يدها اليمنى كانت حرة الآن ولوحت بها نحو وجهه. اتصلت قبضتها جزئيًا بذقنه، لكنه تمكن من الإمساك بكلتا يديها وتثبيتهما ضد الجدار فوق رأسها. ضغط جسده

بقوة على جسدها، مثبتاً إياها للخلف فوق الحوض، واستخدم جبهته لتثبيت جبهتها ومنعها من الحركة. "اسمعيني! فقط اسمعي!"

بدأت روث في الصراخ مرة أخرى، لكن كورت ترك ذراعها الأيمن وأطبقه مرة أخرى على فمها. بدأت فورًا في لكمه في جانبه وظهره بيدها الحرة، لكنها لم تستطع إرجاع ذراعها للخلف بما يكفي في المنطقة الضيقة لإحداث أي ضرر حقيقي. في الوقت نفسه حاولت ضربه بركبتها في فخذه، لكنه قيد ساقيها بساقيه.

وبينما كانت تضربه مرارًا وتكرارًا قال:

– "توقفي! فقط اسمعيني لدقيقة واحدة بحق الجحيم!"

توقفت عن توجيه اللكمات القصيرة بيدها اليسرى، لكن يدها امتدت لخصره وتحسست حوله، محاولة بوضوح العثور على السكين الذي هددها به في الليلة السابقة.

لكن جينتري كان قد استعد لهذا بإزلاق النصل المغمّد في حذائه قبل مواجهة عميلة الموساد.

استسلمت روث. أسقطت ذراعها لجانبها وارتخت، تتنفس بصعوبة من جهد القتال.

كان كورت نفسه يتنفس بصعوبة من العراك.

– "أعرف كيف يبدو الأمر – يبدو سيئًا. لكني لم أقتل رجلك في ستوكهولم. لم أكن أنا. هناك رجل آخر في الخارج. إنه يستخدمني. يلفق لي التهمة."

– "هراء!"

– "لو قتلت صديقك، لماذا أنكر ذلك؟ لماذا لا أقتلك أنت الآن وحسب؟"

قالت من خلال أنفاس لاهثة:

– "لأنك تريد إقناعي بأنك لست تهديدًا، لأعود لقيادتي وأخبرهم بالتراجع عن المطاردة."

– "إذا استمررتم في ملاحقتي، فسيموت كالب، لأن الرجل الذي قتل عميلكم لديه خطة لقتل كالب. صدقيني، إنه يعرف ما يفعله."

لم تصدق روث. وبينما تنظر إلى جينتري، وعيناهما لا تفصل بينهما ست بوصات، لم تستطع رؤية سوى عيني مايك ديلمان الزجاجيتين، المفتوحتين في الموت.

– "أنت قتلت مايك."

هز كورت رأسه.

– "قُتل بواسطة رجل يدعى راسل ويتلوك. هو من يجب أن تلاحقوه." أضاف: "إنه عميل سابق للوكالة. الآن هو عميل لـ«تاونسند»."

أمالت روث رأسها.

– "«تاونسند»؟"

– "نعم. استخدموه لتعقبي، لكنه خرج عن السيطرة. قَبِلَ عقدًا من الإيرانيين لقتل رئيس وزرائك. يخطط لقتل كالب وتلفيق التهمة لي، لكن هناك المزيد في هذا الأمر لا أفهمه."

– "أنت تكذب. أنا لا أصدقك."

– "يجب أن تحاولي تصديقي. لأنه في الخارج، وسيقتل كالب، وأنتم تسهلون الأمر عليه بحق الجحيم بتركيز رجالكم عليّ."

أخذت لحظة، لا تزال تتنفس بصعوبة، لكن تفكر فيما يقوله. ناظرة في عينيه رأت جدية لم تتوقعها، وكانت نبرته مقنعة بالتأكيد.

– "كيف تعرف كل هذا؟" سألت. "عن ويتلوك؟"

– "لأنه أخبرني." أرخى كورت قبضته على المرأة، لكن ليس تمامًا. "«تاونسند» لاحقتني في إستونيا، وراسل قاتَلَ بجانبي. أخبرني أنه يستطيع مساعدتي في الهروب منهم، لذا بقيت على اتصال به. عرفت أن لديه أجندة ما، لكن لم أربط الأمور ببعضها إلا الليلة الماضية عندما أخبرتني عن زاريني والعقد على إيهود كالب، واليوم عندما أخبرني أنه قتل رجلك لأتمكن من الهرب."

أرادت روث تصديق جينتري. إذا كان يقول الحقيقة، فهذا يعني أنها كانت محقة طوال الوقت. جينتري لم يكن التهديد.

وموت مايك لم يكن خطأها.

أرادت تصديقه لأنه يساعدها؛ عرفت ذلك. عرفت أيضًا أن جينتري قد يكذب لحماية نفسه. لكن قصة القاتل المارق الثاني هذه، بقدر ما بدت بعيدة الاحتمال، كانت السيناريو الوحيد الذي بدا منطقيًا لها. لم يقنعها، ليس بعد، لكنها كانت في طريقها للتصديق.

– "ويتلوك في السويد؟" سألت.

– "لا أعرف أين هو الآن. أخمن أنه ذاهب إلى حيث إيهود كالب." نظر كورت إلى روث. "أين رئيس وزرائكم؟"

بنبرة غير مصدقة قالت:

– "لن أخبرك بخطط سفر رئيس وزرائي."

قلب كورت عينيه.

– "إنه ذاهب إلى نيويورك الأسبوع المقبل. رأيت ذلك على التلفزيون. لكن إذا كان راسل سيلفق التهمة لي، فلن يفعل ذلك في نيويورك."

فهمت روث.

– "لأنك هدف للولايات المتحدة، ولا يمكنك الذهاب لنيويورك."

– "نعم. أعتقد أنه يمكنه فعلها في تل أبيب"، قال جينتري. وجد نفسه يستخدم عملية تفكيره الخاصة لتحديد أفعال شخص آخر. "لكنني متأكد أنه يفضل فعلها خارج إسرائيل، النيل منه في أرض محايدة."

قالت روث بصوت خافت:

– "لندن."

– "كالب ذاهب إلى لندن؟"

ترددت لحظة، ثم قالت:

– "إنها معلومة عامة. سيكون هناك بعد غد."

– "هذا هو إذن"، قال كورت. "راسل لابد أنه يخطط لضربه هناك."

– "إنه مؤتمر تجاري لعموم أوروبا"، قالت. "عشرات من قادة العالم سيحضرون. هل لديك أي فكرة كم ستكون الإجراءات الأمنية مشددة؟"

– "صدقيني. راسل وأنا تلقينا نفس التدريب." نظر في عينيها. "أنا أستطيع فعلها. هو يستطيع فعلها."

وجدت روث نفسها تصدقه.

قال كورت:

– "لقد أسديتِ لك خدمة بتلك المعلومة. متفقان؟"

– "إذا كانت صحيحة."

– "إنها صحيحة. عليك جعله يلغي رحلته. الآن، أحتاج منك أن تسدي لي خدمة."

– "أي خدمة؟"

– "أخبريني من سيكون بانتظاري في هلسينغبورغ."

– "لا أحد. لم أتصل بأحد."

نظر كورت إليها طويلاً، مقيمًا إشاراتها غير اللفظية لقياس صحة إجابتها.

– "جيد."

– "لكن هذه المعلومات الجديدة. يجب أن تدعني أبلغ عنها."

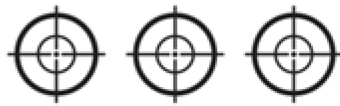
– "ليس قبل أن أنزل من هذا القطار."

– "أرجوك، ليس هناك وقت لنضيعه."

لكن كورت تمسك بموقفه.

– "لديك يومان. هذا وقت وفير لكالب ليلغي خططه."

لم تقل روث شيئًا، رغم قلقها من أنها لا تملك، في الواقع، يومين.



45

حطت طائرة راسل ويتلوك في مطار جتويك بلندن قبيل الثانية ظهراً. كان يرتدي زياً رسمياً لرجال الأعمال، ولا يحمل سوى حقيبة أوراقه وحقيبة صغيرة للمبيت؛ فبدا تماماً كأي مسافر شاب آخر في طابور مراقبة الحدود.

في العادة، لا يضطر المسافرون داخل أوروبا للمرور عبر الجمارك، فثمة ست وعشرون دولة أوروبية تنضوي تحت لواء "منطقة شنغن"؛ وهي منطقة تعاون تأسست بموجب معاهدة تسمح لمواطني الدول الأعضاء بالتنقل فيما بينها دون قيود حدودية.

بيد أن المملكة المتحدة –على نقيض السويد– ليست عضواً في منطقة شنغن؛ ولهذا السبب تعين على راسل الانتظار في طابور الهجرة عند وصوله. لم يكن هذا الإجراء يثير قلقه؛ فأوراقه الثبوتية الصادرة عن شركة تاونسند كانت لا غبار عليها، كما أن جواز سفره الأمريكي الأزرق جعل العملية برمتها مجرد إجراء روتيني. رمقه ضابط وكالة الحدود البريطانية بنظرة خاطفة، ثم تفحص وثيقته، ومررها عبر الماسح الضوئي لقراءة المعلومات المخزنة في شريحة الهوية الإلكترونية (RFID)؛ ليتأكد من تطابق ملامح الرجل مع الأوراق والبيانات الرقمية. وبما أنه لم يكن هناك أي قيد أمني على اسم ألين موريس –وهي الهوية التي انتحلها ويتلوك في ذلك اليوم– فقد تمنى له الضابط إقامة طيبة وأشار له بالمرور.

حاول راسل إخفاء عرجته الخفيفة وهو يسير في ردهة المطار؛ فقد كان الألم في وركه لا يُطاق، لكنه علم أن بوسعه التحامل على أوجاعه لإنجاز مهمته هنا في لندن. كان أمامه ثمان وأربعون ساعة للاستعداد لتصفية كالب. لم يكن الوقت مثالياً –إذ كان يفضل اثنين وسبعين ساعة على الأقل– غير أنه أنجز بالفعل قدراً كبيراً من العمل التحضيري لهذه العملية في رحلة سابقة له إلى لندن.

ومع اقترابه من موقف وسائل النقل، رن هاتفه فأجاب عليه، رغم يقينه بأن المتصل هو شركة تاونسند، ورغم توقعه للمتاعب. ومع ذلك، كان يثق بقدرته على الإقناع، تماماً كما يثق بقدرته على القتل؛ فقد برع في كليهما طوال حياته الراشدة، لذا كان اعتداده بنفسه أمراً مفهوماً.

قال المتصل:

– "معك غريفسايد. رمز الهوية: ثمانية، اثنان، أربعة، أربعة، تسعة، سبعة، اثنان، تسعة، ثلاثة."

أجاب ويتلوك:

– "تم التأكيد. معك ديد آي. رمز الهوية: أربعة، ثمانية، واحد، صفر، ستة، صفر، خمسة، اثنان، صفر."

سأل بابيت:

– "أين أنت الآن يا راسل؟"

– "في ستوكهولم."

ساد صمت لبرهة، ثم سأل بابيت:

– "ماذا كنت تفعل؟"

أجاب ويتلوك:

– "تواصلتُ مع فريق جامبر هذا الصباح، ثم اتصل باركس بمعلومات تفيد بأن الرجل الرمادي كان في محطة الحافلات المركزية. وبما أنك أمرت بتجريدي من سلاحي وعزلي، فقد عدتُ إلى فندقي."

– "كان ذلك قبل ست ساعات.. ماذا فعلت منذ ذلك الحين؟"

واصل راسل سيره قائلاً:

– "أخذتُ غفوة."

بعد صمت قصير، قال بابيت:

– "علينا أن نتحدث."

وجد راسل مكاناً للجلوس في المطار بعيداً عن المارة.

قال بابيت:

– "يخبرني بومونت أنه واجهك بخصوص العضو 'سبعة' في فريق تريسل."

أجاب ويتلوك بحدة:

– "أنت محق تماماً، علينا التحدث فعلاً. سأرسل إليك فاتورة حذائي؛ فقد بصق ذاك الريفي عليه."

استغرق بابيت وقتاً للرد، وحين فعل قال:

– "هل رأيت هدفاً ثانياً في تالين كما ورد في التقارير؟"

– "مرفوض. كانت هناك عاصفة ثلجية شعواء، لذا لم أرَ الكثير حتى أطلق جينتري النار عليّ."

– "ثمة شكوك إضافية أثيرت حول أحداث تلك الليلة."

– "مثل ماذا؟"

– "لقد طلبت مسدساً من مخزن أسلحتنا في برلين، أليس كذلك؟"

– "أجل، وماذا في ذلك؟"

– "مسدس غلوك عيار تسعة مليمترات.. طراز 19."

– "هذا صحيح."

– "تاريخياً، هذا هو السلاح الذي يستخدمه كورت جينتري."

– "إنه مجرد مسدس غلوك، 'المعجزة البلاستيكية' التي يستخدمها الجميع."

عقب بابيت قائلاً:

– "ليس أنت يا راسل. لطالما طلبت مسدس SIG عيار 40. لقد فحصنا سجلات عملك السابقة مع وكالة الاستخبارات المركزية، ووجدنا أنك كنت تستخدم العيار ذاته. علينا العودة عشر سنوات للوراء لنجد أي سجل لك تفضل فيه عيار التسعة مليمترات، وحتى حينها، كنت تحمل مسدس SIG Sauer، ولم تحمل مسدساً من نوع غلوك قط."

أجاب ويتلوك بلهجة متهكمة:

– "لقد أضعتني يا لي. هل تريد نقلي للعمل مع جيرالدينا في قسم التجهيزات والإمداد؟ هل ملأتُ النموذج الخاطئ أم ماذا؟"

تابع بابيت قوله:

– "ثمة شكوك لدى قائد فريق جامبر ولدى جيف باركس بأنك أردت حمل سلاح مطابق لسلاح الهدف في تالين لأنك أردت الاشتباك مع فريق تريسل بأسلوب سري؛ لتبدو النيران وكأنها صادرة من جينتري بينما كنت أنت من يطلق النار على الفريق."

زفر راسل زفيراً طويلاً مسموعاً وقال:

– "ولأي سبب قد أفعل ذلك؟"

– "لا نعلم. أود منك المساعدة في توضيح الأمور. لقد صدر قرار باستدعائك فوراً. عُد إلى ديارك؛ وسنجلس في غرفة الاجتماعات لإجراء مراجعة دقيقة وشاملة لأحداث إستونيا."

– "وماذا عن جينتري؟"

– "لم نعد بحاجة إليك في قضية جينتري. سنمسك به قريباً جداً. لقد تلقينا اتصالاً من مشرف ضابطة الاستهداف التابعة لـ الموساد في هذه القضية؛ والضابطة الآن على متن قطار تراقبه بصرياً."

قبض راسل على حافتي الكرسي بقوة. سحقاً! صارع ليحافظ على هدوء صوته وسأل:

– "ولماذا اتصل بك الموساد؟"

– "لقد قتل جينتري أحد ضباط الاستهداف التابعين لهم هذا الصباح. أصبح الأمر شخصياً الآن بالنسبة لـ الموساد. أراد السيد ألفي، المسؤول في الموساد، إطلاعي على الأمر لنسحب فريقنا ونتجنب أي.. اشتباك خاطئ بين الحلفاء."

– "لكنك لن تسحب فريق جامبر، أليس كذلك؟"

أجاب بابيت بلهجة واثقة:

– "بالطبع لا. على أية حال، هذا لا يعنيك. فقط عُد إلى ديارك؛ وسنسوي كل شيء. وسنطلب من أطبائنا فحص جرحك أيضاً."

كان راسل لا يزال يفكر في جينتري، أو بدقة أكثر، كان يفكر في عمليته ومدى قدرة جينتري المستمرة على إفسادها.

فسر بابيت صمته بشكل مغاير وقال:

– "اسمع يا راسل، نحن قاب قوسين أو أدنى من تأمين عقد مع وكالة الاستخبارات المركزية لاستهداف جنرال في أمريكا الجنوبية يثير حنق البيت الأبيض. أريد الاعتماد عليك في هذه المهمة، لذا أحتاج إلى تبرئة ساحتك لتكون في كامل لياقتك."

نهض راسل؛ فقد كان بحاجة للحاق برحلة جوية فوراً ولا يملك وقتاً للدردشة.

– "أنا في الطريق.. انتهى الاتصال من ديد آي."

قطع الاتصال وهرع تقريباً نحو أقرب لوحة للمغادرين في المطار. مسح قائمة الرحلات بعينيه حتى وجد ما يبحث عنه.

وبعد خمس وعشرين دقيقة، كان يقف في الطابور عند البوابة استعداداً لصعود الطائرة.

لكن الوجهة لم تكن واشنطن؛ فلن يعود راسل إلى منزل تاونسند.

بل كان متجهاً إلى بروكسل، وكان عليه الوصول إلى هناك بسرعة.

أدرك راسل أنه لا يملك فعل المزيد لحماية جينتري. فمن المرجح أن ينال منه الموساد أو فريق جامبر عاجلاً غير آجل، ولا يملك راسل سلطة إيقافهم أو حتى تعطيلهم. الطريقة الوحيدة التي قد تمكنه من

إنقاذ عمليته هي تعجيل عملية اغتيال كالب؛ ليقتله قبل أن يقتل الموساد جينتري، وبذلك يظل جينتري هو المتهم بالجريمة.

كان من المقرر وصول كالب إلى بروكسل في ظهر اليوم التالي، أي بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من الآن. كان راسل يعلم أن كالب يسافر كل عام في هذا التاريخ إلى بلجيكا لزيارة قبر "بيت دي شيبر"؛ وهو طبيب بلجيكي أنقذ حياة مئات اليهود البلجيكيين عبر إخفائهم عن النازيين مخاطراً بحياته.

وكان اثنان من هؤلاء اليهود هما والد كالب ووالدته.

ومنذ وفاة "دي شيبر" لأسباب طبيعية في عام 1999، اعتاد كالب الحج إلى قبره في مقبرة "ديويغ" في حي "أوكل" جنوب بروكسل. كانت الرحلة غير معلنة لأن الفريق الأمني لـ كالب كان يعارض بشدة ذهاب رئيس وزرائهم إلى الموقع المكشوف ذاته في الوقت نفسه من كل عام.

لكن وكالة الاستخبارات المركزية كانت على علم بتحركات رئيس الوزراء؛ وكانت المعلومات مصنفة "سري للغاية"، وهو تصنيف لم يكن محكماً تماماً لعدم اهتمام الولايات المتحدة البالغ بالأمر. كان لدى ويتلوك وصول سهل لهذه المعلومات عبر شبكة تاونسند المؤمنة، وعلم بأمر هذه الزيارة السنوية أثناء بحثه عن كالب.

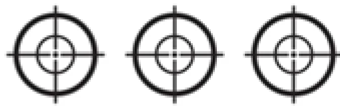
كان راسل قد استبعد في البداية ضرب كالب في بلجيكا لأن الرجل الرمادي سيفضل لندن على الأرجح؛ إذ يشك كالب أن جينتري يملك وصولاً لخطط السفر السرية للزعيم الإسرائيلي. ومع ذلك، تعين على راسل اتخاذ قرار ميداني سريع وتغيير الموقع. أمل أن تساعد أسطورة "القدرات الخارقة" لـ الرجل الرمادي العالم في تصديق أنه كان على علم بزيارة كالب السنوية السرية.

كان ويتلوك يثق في مهارته لتنفيذ عملية اغتيال سريعة. وكما كان الحال في المملكة المتحدة، كان لدى راسل وصول إلى مخزن أسلحة تابع لشركة تاونسند في بروكسل. فإذا تمكن من إنجاز المهمة قبل أن يُقتل جينتري على يد الإسرائيليين أو رجال تاونسند، فسيخرج من الأمر سالماً دون أدنى شبهة.

بالطبع، كانت هناك مشاكل محتملة في هذه الخطة؛ فإذا مات جينتري أولاً، أو إذا كانت هناك مراقبة على الرجل الرمادي وقت وقوع عملية اغتيال كالب غداً، فسيصعب على ويتلوك إقناع أي شخص بأن الرجل الرمادي هو القاتل. لكن راسل علم أن جينتري في طريقه إلى القارة الأوروبية؛ فإذا استطاع كورت بطريقة ما عبور بحر البلطيق ودخول ألمانيا، فسيكون على بُعد ساعات فقط من موقع الاغتيال، وأمل راسل أن تروج سمعة الرجل الرمادي المبالغ فيها لقدرته الخارقة على قتل رئيس الوزراء في زيارة سرية.

كان ويتلوك يتمنى بصدق أن تطول حياة جينتري البائسة لليلة واحدة إضافية فحسب.

وبعد نصف ساعة، استقل "ديد آي" رحلة تابعة للخطوط الجوية البريطانية متجهة إلى بروكسل، وهو لا يزال يلعن كورت جينتري في سره لأنه جعل كل شيء أكثر تعقيداً مما ينبغي.



وصل كورت وروث إلى مدينة هلسنبورغ في جنوب السويد وسط تساقط خفيف للثلوج. ترجلا من القطار معاً واتجها نحو المحطة، بينما كانت عينا كورت تجولان في كل اتجاه، في حالة تأهب قصوى لرصد أي مراقبة أو بوادر عدوانية ممن حوله. لم يكن مسلحاً سوى بسكين

تقشير ذي نصل بطول أربع بوصات، وهو دفاع هزيل أمام مجموعة من الرجال المسلحين ببنادق رشاشة، رغم أن كورت لن يستسلم دون قتال.

وبمجرد دخولهما المحطة، قالت روث:

– "هل لي أن أتصل برئيسي؟"

أجاب كورت:

– "لكِ ذلك.. سأنصرف الآن." وبدأ في الابتعاد.

نادت عليه:

– "انتظر.. هذا الرجل المدعو ويتلوك هو موظف حالي في تاونسند، أليس كذلك؟"

– "أجل."

ترددت للحظة، ثم قالت:

– "إيهود كالب سيتوقف في مكان آخر قبل لندن."

سأل كورت:

– "أين؟"

– "المعلومات سرية."

هز كورت كتفيه:

– "لا يهم، ليست مشكلتي."

قالت بهدوء، وهي تشعر بشيء من عدم الارتياح لنقل هذه المعلومة لـ جينتري:

– "بروكسل.. لم يُعلن عن الزيارة، ولكن إذا كان ويتلوك يعمل لصالح متعاقد استخباراتي أمريكي، فقد يملك وصولاً لتلك المعلومة."

قال كورت:

– "يمكنكِ التأكد من أنه إذا كانت وكالة الاستخبارات المركزية تعلم بالرحلة، فإن ويتلوك يعلم بها أيضاً. متى يصل كالب إلى بروكسل؟"

– "غداً وقت الغداء، وسيغادر المدينة في حوالي الثالثة ظهراً."

فكر كورت مجدداً فيما سيفعله لو كان مكان ويتلوك.

– "هذا جدول زمني ضيق. إذا كان راسل يعلم بشأن بروكسل، وكان لديه سلاح مُعد هناك بالفعل.. فربما." ثم هز كتفيه وأضاف: "اجعلي كالب يلغي الزيارة."

هزت رأسها قائلة:

– "هو لا يلغي زيارة بروكسل أبداً. يذهب هناك كل عام، فهي بمثابة حج شخصي له. لقد توسل إليه فريقه الأمني للتوقف عن هذه الرحلات، لكنه يرفض الانصياع لهم."

قلب كورت عينيه قائلاً:

– "إذن لديكِ مشكلة عويصة."

– "هل ستساعدنا؟ يمكنك التواصل مع 'ديد آي'؛ وتخبره أننا نعلم بتوجهه إلى بروكسل. أخبره أن وحدة ميتسادا ستكون هناك ولن تتاح له أدنى فرصة للنجاح."

فكر كورت في الأمر. فبواسطة برنامج "موبايل كريبت" يمكنه فعل ذلك دون أن يعرض نفسه للخطر.

– "سأتصل به. هاتفيني بعد ساعة وسأخبركِ بما قاله." مد يده في حقيبته وأخرج هاتفه وبطاريته. استغرق لحظات لتشغيله، ثم قرأ لها رقم الهاتف من على الشاشة. سجلت روث الرقم في هاتفها، رغم أنها لم تدرك خطته في البداية.

قالت متسائلة:

– "هكذا ببساطة؟ تعطيني رقم هاتفك؟ كيف لي أن أعرف أنك ستفعل ما قلت؟ كيف أعرف أنك ستجيب حين أتصل؟"

أجاب وهو يبتعد:

– "لا يمكنكِ ذلك."

ثم توارى وسط جموع المسافرين في المحطة.

عثرت روث على مكان هادئ في مركز تسوق قريب من المحطة، وطلبت رقم يانيس ألفي. أجاب من الرنة الأولى، وصوته ينم عن لهاث، ولم تدرِ روث إن كان ذلك من الغضب أم القلق.

سأل:

– "أين أنتِ؟"

– "لا تلعب معي يا يانيس. أنت تملك القدرة على تعقبي عبر هاتفي. كما أن هاتف مايك معي، لذا فلديك وسيلتان لفعل ذلك."

سألها:

– "ماذا تفعلين في هلسنبورغ؟ كان من المفترض أن تنزلي من القطار فور توقفه هذا الظهر، لا أن تبدلي القطارات وتتجهي نحو الحدود."

ترددت في الإجابة، لكنها علمت أنها لا تستطيع الكذب على يانيس؛ فالطريقة الوحيدة لإقناعه بالحقيقة هي الشفافية المطلقة. أخبرته عن حوارها مع جينتري، وعن عميل الوكالة الثاني المتمرد المدعو راسل ويتلوك، الملقب بـ "ديد آي"، ومخططه لتوريط جينتري في مقتل إيهود كالب. وأوضحت أن "ديد آي" يعمل لصالح شركة تاونسند، وأنها وجينتري يشعران باحتمال محاولته قتل كالب في بروكسل.

سأل يانيس:

– "وأين جينتري الآن؟"

كذبت هذه المرة قائلة:

– "استقل قطاراً، ولم أرَ وجهته."

– "لا تتحركي من مكانك. سآتي لاصطحابكِ بنفسي."

– "وماذا عن المعلومات التي أخبرتُك بها؟ عليك أن تكون في طريقك إلى بروكسل. أنا أستطيع تدبر أمري."

تحدث يانيس بنبرة أبويّة:

– "روث.. لقد فقدتِ رجلاً اليوم. أنتِ عائدة إلى هنا. نحن سنتولى أمر أي تهديدات ضد رئيس الوزراء."

– "إذن أنت لا تصدقني، أهذا ما في الأمر؟"

– "أنا لا أصدقه هو، بالطبع لا. لكنني سأتحقق من الأمر. مكالمة بسيطة لشركة تاونسند تكفي للتأكد إن كان هذا.." –من الواضح أنه كان يقرأ الاسم الذي دونه لتوّه– ".. المدعو ويتلوك يعمل لصالحهم. إذا كان الأمر كذلك، سأبحث بمزيد من التفصيل."

– "يانيس.. أنت تعرفني. تعلم أنني لا أنخدع بكلام الخصوم."

– "أعرفكِ يا روث. أنتِ من أذكى ضباطنا وأبرعهم. لكني أعلم أيضاً وقع فقدان رجل في الميدان. أنتِ الآن تتخبطين، وتتشبثين بأي طوق نجاة، بأي دليل يثبت أنكِ لستِ المسؤولة عن موت مايك."

– "الأمر ليس كذلك.."

قاطعها قائلاً:

– "لو أنكِ قمتِ بعملكِ في ستوكهولم أمس، لكان كورت جينتري –ذاك الرجل المطلوب من وكالة الاستخبارات المركزية، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، والإنتربول، والمخابرات الفرنسية، والشرطة

الفيدرالية المكسيكية، والأمن الروسي، والله وحده يعلم من غيرهم- قد أُزيح من فوق رقعة الشطرنج، وما كان مايك ليقف وحيداً في دهاليز المحطة المظلمة هذا الصباح وسلك الخنق حول عنقه. يمكنكِ صبغ ترهات قاتل مطلوب بصبغة تبرئة أفعالكِ، لكني لا أعبأ بذلك الآن. كل ما يعنيني هو سحبكِ من الميدان. بقية أعضاء فريقكِ في طريق عودتهم إلى تل أبيب بالفعل. ابقِ مكانكِ وسآتي لآخذكِ."

بات واضحاً لها أنها ستُستبعد من العمل، وأن الموساد لن يحرك ساكناً تجاه التهديد الحقيقي لـ إيهود كالب.

وبينما كانت جالسة في مركز التسوق، قررت اتخاذ خطوة استباقية أخيرة قبل التوقف عن العمل. اتصلت بـ ليلاند بابيت في شركة تاونسند للخدمات الحكومية. أجاب بابيت على الفور وسألها من أين تتصل.

ساورها الشك في أنه يعلم بملاحقتها لـ جينتري، لكنها لم تقر بذلك. وبدلاً من الإجابة على سؤاله، قالت:

– "سيد بابيت، لقد تأكدتُ من أن التهديد ضد إيهود كالب حقيقي، ولكن كورت جينتري ليس هو القاتل المحتمل."

– "اشرحي لي."

– "هناك رجل آخر. هو من أخذ العقد من الإيرانيين مدعياً أنه الرجل الرمادي. وقتل مخرج الأفلام في نيس، على ما أظن، ليثبت جدارته."

– "يا للهول! هذه رواية عجيبة. ومن يكون هذا الرجل؟"

– "اسمه راسل ويتلوك."

لم يصدر عن ليلاند بابيت أي رد فعل.

قالت روث ببرود:

– "أظن أنه أحد موظفيك."

– "ومن أين حصلتِ على هذه المعلومات؟"

– "من كورت جينتري شخصياً."

ساد صمت طويل تخللته بعض البدايات المتعثرة، حتى استجمع بابيت كلماته أخيراً:

– "لقد التقيتِ بـ الرجل الرمادي وأخبركِ أن عميلاً آخر هو المشكلة الحقيقية." من الواضح أنه صُدم من الخبر الذي نقلته، ورغم محاولته إظهار عدم تصديقه للأمر ولو لثانية واحدة، إلا أنه كان مهتز الثقة بوضوح.

قالت روث:

– "جينتري لم يكن في نيس. هذا أمر مؤكد."

– "وكيف تأكدتِ؟"

– "لقد رأيته في ستوكهولم صبيحة يوم اغتيال نيس."

– "رأيتِ جينتري صباح أمس؟"

– "هذا صحيح."

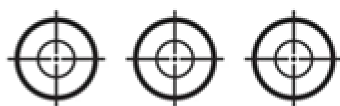
– "بينما كنتِ تنسقين مع فريق جامبر؟ كانت هذه المعلومة لتكون مفيدة جداً."

– "أنت تحيد عن الموضوع الأساسي. موظفك هو التهديد الحقيقي، وليس كورت جينتري."

لم يرد بابيت.

– "هل أنتَ معي؟"

استغرقت قرابة دقيقة لتدرك أن بابيت قد أغلق الخط في وجهها.



46

للمرة الثانية اليوم، وقف راسل ويتلوك عند نقطة مراقبة الحدود وجواز سفره الصادر عن شركة تاونسند في يده. كانت بروكسل ببلجيكا عضواً في منطقة شنغن، ولكن بما أن المملكة المتحدة لم تكن كذلك، كان عليه الانتظار في الطابور ليفحص ضابط الحدود جوازه ويمسحه ضوئياً؛ وهو ضابط من المؤكد أنه يستهدف فئة سكانية تختلف تماماً عن فئة رجل الأعمال الأمريكي ذي الأربعة وثلاثين عاماً.

كان جميع ركاب رحلته على الخطوط البريطانية تقريباً مواطنين بريطانيين، وبدا أن إجراءات التفتيش تسير بسرعة وسلاسة. شق راسل طريقه نحو المقصورة وسلم جواز سفره بابتسامة متعبة، وهي اللامبالاة المهذبة التي يتسم بها رجال الأعمال كثيرو السفر الذين يعبرون خطوط الهجرة برتابة تقتل الروح، فلا يملكون سوى إظهار هذا اللطف العابر.

لقد فعل راسل هذا آلاف المرات من قبل. كانت أوراقه متقنة وتدريبه مكتملاً لدرجة أنه سمح لذهنه بالشرود، مفكراً في أخذ حمام ساخن طويل في الفندق، وقضاء بعض الوقت في تنظيف جرح وركه المؤلم، ثم طلب وجبة عشاء فاخرة من أربعة أصناف مع زجاجة شمبانيا عبر خدمة الغرف.

نظر الشرطي البلجيكي إلى الجواز ومرره عبر الماسح الضوئي. قارن ملامح الوجه في الصورة بملامح راسل، فابتسم له الأخير مجدداً.

نظر الشرطي إلى شاشته ثم جمدت ملامحه للحظة. رفع إصبعه ببطء طالباً من راسل الانتظار برهة.

ثم مد يده نحو الهاتف الموجود على مكتبه، فتلاشت أحلام راسل بالاستحمام والشمبانيا في لمح البصر.

ظهر رجلان بملابس مدنية عند كتف ويتلوك بعد ثوانٍ قليلة. كانا شابين مفتولي العضلات، يرتديان سترات بقلنسوة وسراويل جينز، ويضع كل منهما سماعة أذن في أذنه اليمنى. صنفهم راسل فوراً كرجال شرطة. قال أحدهم بلكنة فلمنكية:

– "سيد موريس، هل تتفضل معنا للحظة؟"

سأل راسل بقلق مصطنع، ملتزماً تماماً بدوره:

– "لماذا؟"

فقد كان –ظاهرياً– رجل أعمال من أوهايو، ومن الطبيعي أن يشعر مثل هذا الرجل بالارتباك لاقتياده من طابور الهجرة بيد رجلين بملابس مدنية.

– "فقط تعال معنا، وسنوضح لك كل شيء."

سار ويتلوك وحقيبة أوراقه في يده. لم يلمسه أي من الرجلين، لكنهما تحركا قريباً منه لدرجة توضح استعدادهما لأي حركة حمقاء قد يبدر منه.

وقف شرطيان بزيهما الرسمي في الرواق وبأيديهما أجهزة لاسلكي. طلب أحدهما حقيبة أوراق ويتلوك فسلمها له. ثم واصل الخمسة سيرهم في الرواق.

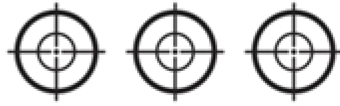
وبينما كانوا يقطعون الردهة، صدمت الحقيقة رأس ويتلوك كأنها مطرقة ثقيلة.

*با*بيت. كاد ينطقها علانية. ليلاند بابيت هو من فعل هذا. لقد وضع علامة أمنية على جواز سفر ويتلوك.

يا له من وغد. تملكه غضب عارم جعل يديه تنقبضان كقبضتين، واصطك فكه، واضطر لمقاومة رغبة جامحة في قتل الرجال الأربعة من حوله. فكر في تهشيم رؤوسهم جميعاً، والاستيلاء على مسدس أحدهم، وشق طريقه بالرصاص خارج المطار.

لكنه واصل سيره، محفظاً على حركات المسافر المرتبك والممتعض.

اقتادوه إلى غرفة احتجاز، وفتشوه ذاتياً، وجردوه من هاتفه ومحفظته وأغراضه الشخصية الأخرى. أخبره أحدهم أن ثمة مشكلة بسيطة في جواز سفره. أُغلق الباب وجلس هو على كرسي بلاستيكي أمام مكتب صغير، ورغم شدة غضبه، ظل متمسكاً بدوره لأن كاميرا مثبتة عالياً في الزاوية كانت تراقب كل حركاته.



قضى كورت معظم نصف الساعة الماضية منذ فراقه لـ روث في محاولة التواصل مع راسل ويتلوك. ولسبب ما، فإن الرجل الذي بذل قصارى جهده للتواصل مع كورت طوال الأسبوع الماضي وجد فجأة ما هو أهم من الرد على مكالمته.

لم يترك كورت رسالة صوتية؛ بل أعاد هاتفه لحقيبته وبدأ مناورة كشف مراقبة بالقرب من ضفاف مضيق "أوريسند". كان متأكداً إلى حد معقول أن أحداً لا يتبعه، لكنه كان أقل تأكداً من كيفية مغادرة هذه البلدة.

لقد قرر عدم العودة لمحطة القطار؛ فمن يدري لعل روث لا تزال هناك، ولعل عناصر الموساد قد انقضّوا عليها. فكر في استقلال حافلة، لكنه رأى من رجال الشرطة في المحطة ما لا طاقة له بالتعامل معه.

لذا جاء إلى هنا، إلى المرفأ. كان يبحث عن قارب يمكنه استئجاره ليقطع به المضيق نحو الدنمارك. فبمجرد وصوله للجهة الأخرى، سيسهل عليه دخول الأراضي الأوروبية عبر جسر يقع غرب كوبنهاغن.

لكنه حتى الآن لم يجد قارباً بطاقمه. بدا أن الجميع إما في عرض البحر أو في بيوتهم يحتمون من البرد القارس.

وبينما كان يراقب المرفأ من الجهة المقابلة للشارع، اهتز هاتفه في حقيبته. وضع سماعاته السلكية وواصل سيره في مناورة كشف المراقبة وهو يجيب:

– "أجل؟"

– "معكِ روث."

– "لم أتوقع سماع صوتكِ بهذه السرعة."

– "أريد التحدث إليك مجدداً.. وجهاً لوجه."

– "لماذا؟"

– "حدد مكاناً وسأكون هناك. يمكنك مراقبتي لتتأكد من أن أحداً لم يتبعني."

تنهد كورت. كانت فكرته الأولى هي الرفض، لكنه وافق على طلبها. كان من الواضح أنها في موقف يائس، وأي مساعدة يقدمها لـ الموساد الآن قد تعود عليه بفائدة مزدوجة؛ كف أذاهم عنه، وتوجيههم نحو ويتلوك.

التقيا بعد دقائق في حديقة مكسوة بالثلوج بجوار مكتبة البلدة. كانت عينا كورت تترقبان أي تهديد، لكن الأشخاص الوحيدين الذين رآهم كانوا متجمهرين حول مباراة هوكي عارضة على بُعد مائة ياردة، بالإضافة لبعض الأطفال العائدين من مدارسهم.

سألت روث:

– "هل تحدثت مع ويتلوك؟"

– "لم يجب على هاتفه."

– "سحقاً.. هل ستواصل المحاولة؟"

– "أجل."

قالت روث:

– "لقد تحدثتُ مع رئيسي."

– "وماذا حدث؟"

– "هو لا يصدق كلمة واحدة مما تقول."

عقب كورت:

– "توقعت ذلك. لا يمكنني مساعدتكِ في هذا الأمر." ثم أضاف: "أقترح عليكِ محاولة دفع الإيرانيين لإلغاء العقد علانية. أخبريهم أنكم تعلمون بتورطهم، وأرهبيهم بالتهديد بشن حرب إن نجحت العملية."

ابتسمت روث لسذاجة كورت وقالت:

– "لقد فعلنا ذلك بالفعل. تواصلنا مع إيران مباشرة وأخبرناهم أننا نعلم بتعاقدهم مع الرجل الرمادي لقتل كالب. وأبلغناهم أن خطتهم لقتل رئيس وزرائنا دون تبعات قد فشلت، وأننا سنقصفهم لنعيدهم للعصر الحجري إن مُست شعرة من رأسه."

قال كورت بنبرة يملؤها التهكم:

– "إذن، انتهى الأمر."

– "ليس تماماً. لقد قدم لنا الإيرانيون الأسطوانة المشروخة التي توقعناها؛ زعموا أنهم لا يملكون أدنى فكرة عما نتحدث عنه، وأن هذا محض حملة تضليل من قبلنا نهدف لاستغلالها لتبرير الحرب."

– "وبعد ذلك؟"

– "وبعد ذلك، توصلنا في الموساد إلى استنتاج مفاده أنهم سيلتزمون بالعقد. عندما يُقتل كالب، سيقولون إنهم لا علاقة لهم بالأمر. وسيلقون باللوم علينا، أو على الولايات المتحدة. فالقاتل، في نهاية المطاف، أمريكي. إنها المؤامرة الصهيونية المثالية. سيصدقها 100% من سكان الشرق الأوسط، و80% من الأوروبيين، ونصف الأمريكيين. بل إن الكثيرين في إسرائيل ستساورهم الشكوك تجاه الموساد؛ ولن يصعب على البعض في الجناح اليساري تصديق أن هذه عملية للموساد لقتل كالب وإشعال حرب تخدم مجمع الصناعات العسكرية أو ترهات من هذا القبيل."

قال كورت:

– "بإمكانكم قصفهم وإعادتهم للعصر الحجري على أية حال."

– "إذا قتلوا كالب فسنفعل ذلك حتماً، أنا واثقة. لكن هذا ليس شغلي الشاغل الآن؛ ما يهمني هو ألا يُقتل كالب أصلاً."

قال كورت:

– "أما شغلي الشاغل فهو ألا أُقتل أنا. لذا سأنصرف الآن." ومد يده مودعاً.

لم تمد يدها لتصافحه وقالت:

– "أريدك أن تظل معي في هذا الأمر. أنا وأنت الفرصة الوحيدة لنجاة رئيس الوزراء."

– "لقد أخبرتِني أنه تم استدعاؤكِ إلى تل أبيب."

- "أنا لن أذهب إلى تل أبيب؛ بل ذاهبة إلى بروكسل. وأريدك أن تأتي معي. إذا أوقفنا ويتلوك، فسيتم تبرئة اسمك. ولابد أن هذا الأمر يهمك."

أجاب كورت:

- "ليس كثيراً. لقد أُلصقت بي تهم كثيرة لم أرتكبها، لذا فإضافة قتيل آخر للقائمة لن يزعجني في شيء."

هزت رأسها قائلة:

- "لا أصدقك لثانية واحدة. أنت لا تريد وحدة ميتسادا خلفك إن كان بمقدورك تجنب ذلك."

- "ولماذا يلاحقونني؟ أنتِ من سيخبرهم أن ويتلوك هو من قتل رجلكِ، وقتل زاريني، ويستهدف كالب. عليكِ إخبارهم بذلك لتدفعيهم للتحرك ضد ويتلوك قبل فوات الأوان."

قالت روث ببرود:

- "بإمكاني إلصاق تهمة قتل مايك بك."

نظر إليها كورت وسألها:

- "أتفعلين ذلك؟"

أجابت روث:

- "سأفعل إن اضطررت. أنا بحاجة لمساعدتك، ومستعدة لفعل أي شيء للحصول عليها."

حدق فيها كورت طويلاً. كان غاضباً لاستغلالها له، لكنه لم يكن متفاجئاً.

قال:

- "كان ذاك هو السوط. وبحسب خبرتي، فعادة ما يتبعه الجزرة أيضاً."

أومأت برأسها وقالت:

– "إذا ساعدتنا، سأبذل كل ما في وسعي. ستنال احترام منظمتي، وسنستخدم ذلك للضغط على وكالة الاستخبارات المركزية. ربما يمكننا إقناعهم بـ.."

انقض عليها جينتري فارتدت للخلف من حركته المباغتة.

صرخ فيها:

– "إياكِ! لا تنطقيها! لا أريد سماع كيف يمكنكِ حل كل مشاكلي إن تعاونتُ معكم. لقد سمعت هذا الهراء لسنوات من أشخاص كانوا إما يخونونني في ذلك الوقت أو يديرون ظهورهم لي لاحقاً."

رفعت يدها قائلة:

– "أعتذر. أنت محق. لا أملك فعل أي شيء حيال وضعك مع وكالة الاستخبارات المركزية." مدت يدها الآن ووضعتها على كتفه وأردفت: "ولكن يا كورت، من خلال ملفك، أعلم أنك قضيت السنوات الخمس الماضية في صنع الأعداء فقط. وفي الساعات الأربع والعشرين القادمة، يمكنك أن تجعل لنفسك صديقاً ذا قيمة. افعل هذا من أجلي، وسأقدر لك ذلك.. وسيُحفظ لك الجميل."

سأل كورت:

– "وماذا تريدين مني أن أفعل؟"

– "في عملي كضابطة استهداف للموساد، كان ذراعي التنفيذي دائماً هو وحدة ميتسادا. أنا أحدد الهدف وأثبته، وهم ينهون المهمة. والآن لا أملكهم."

أجاب كورت:

– "ولكنك تملكينني."

ابتسمت قائلة:

- "آمل ذلك."

هكذا حُسم الأمر؛ لقد أوقعت به في شباكها، وهي تعلم ذلك. فإذا كانت ثمة فرصة للتخلص هو والإسرائيليين من راسل ويتلوك، فعليه المحاولة.

قال:

- "حسناً، سأساعدكِ."

- "شكراً لك."

قال كورت:

- "أول ما علينا فعله هو الخروج من هنا قبل وصول رجالكِ. سيتعين عليكِ اتباع طريقتي في العمل. أريدكِ أن تتخلصي من هواتفكِ أو أي وسيلة أخرى يملكها الموساد لتعقبكِ."

- "حسناً." مدت يدها في معطفها وأخرجت هاتفها وعطلته، ثم أخرجت هاتف مايك ديلمان من حقيبتها وفككته هو الآخر. وقالت: "عادة ما أكون أنا من يأمل ألا يتخذ الشخص الذي أتتبعه إجراءات مضادة.. هذه أول مرة أكون فيها أنا الطريدة."

أقر كورت بذلك قائلاً:

- "الأمر يتطلب بعض الاعتياد.. وماذا بعد؟"

أجاب كورت:

- "سنبحث عن قارب."

سار كورت على طول رصيف الميناء، مركزاً نظره على يخت بطول خمسة وثلاثين قدماً يتمايل في مرساه. كانت روث تتبعه من الخلف دون محاولة للتخفي. لم يكن اليخت بأفضل ولا أسوأ من مئات

القوارب الأخرى هناك، لكنه كان الوحيد الذي يظهر عليه شخص ما فوق سطحه، ومن الواضح أنه كان يتأهب للإبحار، لذا توجه جينتري نحوه مباشرة قبل أن يفوته القطار.

نادى الرجل الموجود على متنه:

– "يخت جميل. هل تتحدث الإنجليزية؟"

أجاب الرجل بابتسامة:

– "أجل. لقد كان هنا لإجراء بعض الإصلاحات، وأنا أعيده الآن إلى كوبنهاغن."

– "وكم يستغرق ذلك؟ ساعة تقريباً؟"

– "هذا صحيح، بل أقل قليلاً."

سأل كورت:

– "أأنت القبطان؟"

نزل الرجل من ممر الصعود قائلاً:

– "أجل. هل من خدمة؟" لم تظهر في كلماته أو أفعاله أي بادرة ارتياب.

سأله كورت:

– "ما رأيك في جني ألف يورو؟"

جذب هذا العرض انتباهه، فابتسم بدهشة وسأل:

– "مقابل ماذا؟"

– "نحتاج للذهاب إلى ألمانيا.. الآن. إذا عبرت بنا بحر البلطيق وأنزلتنا هناك، يمكنك العودة بيختك إلى كوبنهاغن متأخراً بضع ساعات فقط."

– "أعتذر، فأنا لست زورق أجرة."

– "ألفا يورو."

بدا وكأنه يفكر في الأمر للحظة، ثم كرر قوله:

– "لست زورق أجرة. هل أنتم في ورطة ما؟"

أجاب كورت بجدية تامة:

– "لا أبداً. صديقتي تمقت الطيران، ونحن نملك المال."

لم يصدقه القبطان وقال:

– "هناك عبّارة 'سكاندلاينز' تقوم بهذه الرحلة، وسعر التذكرة خمسة وعشرون يورو للشخص الواحد، وليس ألفين."

تصنع كورت الحرج قائلاً:

– "لقد حُظرتُ من ركوب العبارة مدى الحياة؛ فقد أفرطتُ في الشرب قليلاً في حفلة توديع عزوبية.. أنت تعرف كيف تسير هذه الأمور."

تفرس الرجل في وجه جينتري طويلاً. كان من الواضح أنه لا يعرف "كيف تسير الأمور". ومع ذلك، حدد سعره ليسايره في اللعبة:

– "ثلاثة آلاف."

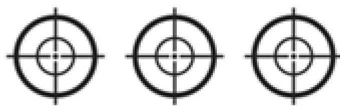
أومأ كورت برأسه:

– "إذا أعطيتُك ثلاثة آلاف، فلن تكون زورق أجرة، بل ستكون زورق 'ليموزين'. سنغادر في هذه اللحظة."

قال القبطان:

– "تفضلا بالصعود."

فأشار كورت لـ روث بالاقتراب.



47

انفتح باب زنزانة احتجاز ويتلوك، موقظاً إياه من تخيلاته حول قتل ليلاند بابيت. لم تُصادر ساعته منه، فنظر للأسفل ورأى أن الوقت قد تجاوز السادسة مساءً بقليل.

لقد علق هنا لأكثر من ثلاث ساعات.

قاده ضابط شرطة عبر ممر وإلى غرفة صغيرة بدت مطابقة تقريبًا لتلك التي غادرها للتو، باستثناء اختلاف رئيسي واحد. جلس رجل يرتدي بدلة زرقاء مقلمة عند طاولة صغيرة وأمامه ملف أصفر، وحقيبة مستندات عند قدميه.

لم يتعرف راسل على الرجل، لكنه قدر فورًا أنه قادم من السفارة الأمريكية.

تهاوى راسل في الكرسي أمامه، دون محاولة لإخفاء تعبير وجهه الغاضب. لم تكن هناك حاجة للبقاء في شخصية مزيفة أمام هذا الرجل؛ سيكون ذلك مضيعة لأمسية كليهما. بدلاً من ذلك، انتظر مغادرة الشرطي البلجيكي وإغلاقه للباب، ثم انتظر أن يتحدث الرجل الآخر.

قال الرجل:

– "أنا من السفارة." ثم صمت.

تباً لكم، فكر راسل، لكنه لم يقلها. اكتفى بالجلوس هناك، عابسًا، بانتظار المزيد.

أضاف الرجل ذو البدلة المقلمة:

– "لقد أغضبت شخصًا ما بالتأكيد. كنت تسافر بمجموعة من وثائق الهوية التي كان يجب أن تكون نظيفة. لكن تم الإبلاغ عنها في الولايات المتحدة." ضحك الرجل ضحكة خافتة. "لا أستطيع القول إنني رأيت «لانغلي» تسحب أحد رجالها بهذه الطريقة من قبل."

فكر ويتلوك في سحق قصبة الرجل الهوائية بضربة يد مفتوحة على الحنجرة، لكن ذلك لن يجعله يشعر بالتحسن إلا لبضع دقائق، ولن يفعل شيئًا لتحسين وضعه، لذا قاوم الرغبة.

– "على أية حال، يبدو أيضًا أن لديك بعض الأصدقاء الأقوياء."

اعتدل راسل في كرسيه الآن.

مد رجل السفارة يده عبر الطاولة وسلم ويتلوك الملف الأصفر. أفرغ محتوياته وتفحصها. كان جواز سفر جديدًا، ورخصة قيادة من ولاية ميتشيغان، وعدة بطاقات ائتمان.

أمال راسل رأسه.

– "لست هنا لتعيدني؟" كان يعرف أفضل من أن يقول المزيد، ومع ذلك، رفع الرجل يده لإيقافه.

– "أنا مجرد فتى توصيل. هذا كل ما تحتاج لمعرفته."

أومأ راسل.

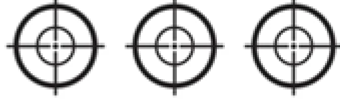
– "إذن أنا حر في الذهاب؟"

وقف الأمريكي القادم من السفارة.

– "يمكنك استلام متعلقاتك، باستثناء جواز سفرك، عند النافذة بالخارج. سيكون لدى البلجيكيين استمارة لتوقع عليها، تقول في الأساس إنك عوملت بلطف واحترام. وقّعها" – مد الرجل يده واستعاد جواز السفر، فقط لإلقاء نظرة سريعة – "وقّعها باسم ديفيد بارنز." سلمه جواز السفر مرة أخرى. "لا أعرف من أنت أو ما الذي تنوي

فعله، لكني سألعب دوري فقط." ابتسم. "أتمنى لك عطلة سعيدة، سيد بارنز."

بادله راسل الابتسامة ووقف. لم يكن متأكدًا مما حدث للتو، لكنه كان سعيدًا جدًا بالعودة للعمل.



قضى ليلاند بابيت صباحًا محبطًا في غرفة الإشارة بـ«تاونسند هاوس». عندما أخطأ عملاؤه في الموقع بستوكهولم هدفهم، بحث بومونت ورجاله بلا جدوى لبضع ساعات، حتى كشفت مكالمة مفاجئة من يانيس ألفي في تل أبيب لبابيت أن جينتري كان على متن قطار إلى كوبنهاغن، وأن خطة قد وُضعت من قبل العمليات الخاصة الإسرائيلية للإيقاع به عند وصوله هناك.

سارع لي بإرسال فريق «جامبر» لاعتراض القطار أثناء توقفه في مالمو، لكن عندما صعدوا اكتشفوا أن جينتري والمرأة الإسرائيلية قد نزلا على ما يبدو في محطة سابقة.

بعد ساعة، تلقى بابيت مكالمة من روث إيتنغر نفسها. أخبرته عن ادعاء جينتري بأن «ديد آي» يخطط لاغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي نيابة عن إيران. لم يعرف بابيت ما إذا كان هذا صحيحًا، لكن حقيقة أن جينتري يعرف عن راسل ويتلوك أصلاً كانت مريبة بما يكفي لكي يطلب بابيت من باركس معرفة ما إذا كان ويتلوك قد استقل الطائرة إلى الولايات المتحدة كما اتفقا. عندما فحص جميع هويات التغطية المتاحة لويتلوك علم أنه، بدلاً من ذلك، في طريقه إلى بروكسل.

هذا، وغني عن القول، أطلق أجراس الإنذار في «تاونسند هاوس».

أمر بابيت فورًا بالإبلاغ عن جواز السفر واحتجاز ويتلوك. كان لديه ما يكفي للقلق بشأنه مع مطاردة جينتري، ولا يحتاج لإضافة إيقاف أحد موظفيه عن اغتيال إيهود كالب اللعين إلى القائمة.

بينما كان بابيت يتشاور مع أحد محلليه، نادته سكرتيرته عبر نظام النداء العام وطلبت منه الإسراع بالعودة إلى مكتبه. عندما وصل، وجد مكالمة على الانتظار من ديني كارمايكل.

تأوه بابيت، لكنه التقط الهاتف وتحدث بنبرة متفائلة.

– "مرحبًا ديني."

كان كارمايكل مقتضبًا ومباشرًا كعادته.

– "أمرت للتو بإطلاق سراح «ديد آي» من الحجز في مطار بروكسل."

اضطر بابيت للسيطرة على نفسه لكي لا يصرخ.

– "لماذا بحق السماء فعلت ذلك؟"

– "لأن كورت جينتري طليق في مهب الريح. ولأن الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها التقاط جينتري مرة أخرى هي من خلال «ديد آي». وفقًا ليانيس ألفي في الموساد، يسافر جينتري مع روث إيتنغر، ويبدو أنهما يطاردان ويتلوك بمفردهما."

– "ديني، ألا ترى ما يحدث؟ ويتلوك كان يستخدمنا. إنه يخطط لقتل رئيس وزراء إسرائيل! لقد حمى جينتري ليكون موجودًا لتحمل اللوم عن الضربة!"

– "أعرف هذا، وأشعر باليقين أننا نستطيع تجنب ذلك. أريدك أن تجد «ديد آي» في بروكسل، وتضع عليه مراقبة، وتراقبه حتى يظهر جينتري."

لم يصدق بابيت ما يسمعه.

– "تريد استخدام رئيس وزراء إسرائيل كطُعم؟"

– "لا، لا أريد. أريد استخدام عميل مارق، خارج عن السيطرة، وسابق للوكالة كطُعم للقبض على عميل أسوأ، مارق، وخارج عن السيطرة، وسابق للوكالة. لديك تصريح بتصفية ويتلوك بالإضافة إلى جينتري، لكن هدفك الأساسي يظل جينتري. لا نلمس شعرة من «ديد آي» حتى يموت «الرجل الرمادي»."

مال بابيت للأمام على مكتبه ومرر يده على وجهه.

– "يا إلهي يا ديني." حتى بالنسبة لمحارب قديم في العمليات مثل ليلاند بابيت، كانت هذه مؤامرة عميقة وغامضة.

التقط ديني التردد.

– "اهدأ. إجراءات يائسة لأوقات يائسة. ننظف الفوضيين معًا. مفهوم؟ سننهي هذا الأمر قبل أن يكون رئيس الوزراء في أي خطر."

– "أنت تظل تقول «نحن». هل سترسل عملاء من الـ CIA؟"

– "يا إلهي، لا! بالطبع لا. هذا أمر حساس للغاية لإشراك الـ CIA مباشرة."

فكر بابيت أن هذا كلام مثير للسخرية، قادمًا من أحد رؤساء الـ CIA.

أضاف كارمايكل:

– "أريدك أن تذهب شخصيًا إلى بروكسل. خذ كل أصل عمل مباشر متاح لديك، واذهب إلى هناك، وجد «ديد آي». سيقودك إلى جينتري."

– "ماذا عن الموساد؟"

– "تحدثت مع مناحيم أورباخ، رئيس جناح عملياتهم، وأقنعته أن امرأته، الآنسة إيتنغر، مخطئة بشأن جينتري. شرحت له أن راسل

ويتلوك هو، في الواقع، أحد الأسماء المستعارة لـجينتري. إنهم يعتقدون أن ضابطتهم الشابة، وهي امرأة تضررت بشدة من الكارثة الإسرائيلية في روما العام الماضي، قد انحرفت ببساطة عن المسار بعد وفاة رجلها في ستوكهولم. إنها تتعرض للخداع من قبل جينتري، وتسمح لنفسها بذلك بسبب التحيز التأكيدي. ببساطة، هي تريد أن تصدق أنها كانت محقة بشأنه طوال الوقت."

رد بابيت:

– "ما تطلب منا فعله... هناك الكثير من المخاطر الناجمة عن الإطار الزمني الضيق، والحجم الكبير للعملية، والـ..."

بدا كارمايكل مستعدًا للمقاومة.

– "بابيت. فواتير التكلفة الإضافية الخاصة بك لن تخضع للتدقيق."

ارتفع حاجبا بابيت. كان يُعرض عليه شيك على بياض.

ببطء، ومع بعض التحفظات الداخلية، قال:

– "سنكون في طريقنا خلال الساعة."

– "جيد. أشكرك، وأمتنا تشكرك."

– "ديني. سنقوم بالمهمة. بأسرع وأنظف ما يمكننا. لكني لم أعد أصدق."

تحولت نبرة كارمايكل إلى الحذر.

– "لا تصدق ماذا؟"

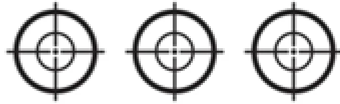
– "لا أصدق أن قتل كورت جينتري له أي علاقة بأمريكا."

بعد صمت طويل قال كارمايكل:

– "فقط اقتله. اقتله وستتجنب «تاونسند» للخدمات الحكومية المصير الذي عانى منه العديد من متعاقدي الدفاع والاستخبارات خلال هذا الوقت من التخفيضات القاسية في الميزانية."

تهديد، فكر لي، لكنه لم يقل ذلك. كم هو تصرف نموذجي لعين. نحى غضبه جانبًا وقال:

– "حسنًا يا ديني. سأجهز رجالي وأنطلق. سأتصل بك من بروكسل."



نشر جون بومونت، عميل «تاونسند» المعروف أيضًا بـ«قائد جامبر»، فريقه المكون من ثمانية عملاء في جميع أنحاء أرصفة العبارات في ميناء ترافيمونده، ألمانيا، بانتظار وصول عبارة السابعة مساءً من الدنمارك. لم يكن لديه معلومات استخباراتية محددة تشير إلى أن جينتري سيكون على متنها، لكنه وفريقه وصلوا على متن عبارة الخامسة مساءً، وفتشوا السفينة من أعلى إلى أسفل ولم يعثروا على شيء.

كان يومًا محبطًا لفريق «جامبر». بدأوا الصباح بالفشل في محطة الحافلات، ثم تلقوا الأخبار السيئة من واشنطن بعد بضع ساعات بأن هدفهم فر من المدينة. رحلة الهليكوبتر المستعجلة إلى مالمو كانت مضيعة للوقت أيضًا، إذ صعدوا قطار ستوكهولم إلى كوبنهاغن ليجدوه، تمامًا مثل محطة الحافلات، صيدًا فارغًا.

بقوا في المحطة في كوبنهاغن لبضع ساعات، يصعدون وينزلون من أكبر عدد ممكن من القطارات المارة لإجراء عمليات تفتيش سريعة وسطحية، لكن شخصًا ما اتصل بالشرطة المحلية، طالبًا منهم المجيء

لمعرفة ما يفعله الرجال الأمريكيون ذوو المظهر القاسي بحق الجحيم، لذا استقل رجال «تاونسند» قطارًا سريعًا إلى هامبورغ. تدحرج القطار على متن عبارة ضخمة تابعة لخطوط «سكانلاينز» لرحلة عبور بحر البلطيق التي تستغرق خمسًا وأربعين دقيقة، ثم رسا هنا في بلدة ترافيموندة الساحلية الصغيرة.

كانت ترافيموندة منتجعًا شاطئيًا شهيرًا للغاية في أشهر الصيف، لكنها الآن كانت لوحة رمادية متجمدة، خالية تقريبًا من الناس باستثناء المتجهين شمالًا إلى كوبنهاغن أو أبعد في إسكندنافيا على العبارات، أو العاملين في قوارب الصيد في المرسى أو المطاعم على طول المتنزه.

تلقى بومونت مكالمة من بابيت قبل ساعة تفيد بأنه وباركس وفريق «داجر» في «تاونسند هاوس» في طريقهم الآن إلى بروكسل. سيلتقي «جامبر» بهم عند وصولهم في الصباح، لكن قبل التوجه جنوبًا، قرر بومونت إعداد رجاله لعملية طارئة هنا لمراقبة المغادرين من العبارة القادمة التالية.

عند وصولهم هنا في ترافيموندة أرسل بعض الرجال لاستئجار شاحنتين، وبعد عودتهم، أقام كارل ولوكاس، فريق الطائرات المسيرة، محطة تحكم أرضية للطائرة في مؤخرة إحداهما. أطلقوا طائرة «سكاي شارك» من موقف سيارات المحطة وهي الآن تحوم فوق المنطقة، تراقب القوارب أثناء رسوها في المرسى بانتظار وصول العبارة.

بينما كانت العبارة تدخل الرصيف، قاد كارل الطائرة المسيرة جنوبًا فوق المرسى لتفقد يخت لاحظ أنه يتحرك نحو مرسى صغير. قرب الصورة على راكبين يغادران القارب ويمشيان على الرصيف.

تقريبًا على الفور ظهر مربع أحمر حول أحد الأشكال المتحركة البعيدة، مشيرًا إلى تطابق محتمل في نمط المشي مع الهدف.

اندفع لوكاس نحو الراديو على أرضية الشاحنة.

– "مشغل الاستشعار إلى قائد جامبر. لدينا مشاهدة محتملة، النسبة 55 بالمائة. نتحرك للحصول على رؤية بصرية الآن وسنوافيكم."

كان بومونت على بعد نصف ميل، واقفًا في موقف سيارات ممتلئ تقريبًا بالقرب من رصيف العبارة. بلكنته الجنوبية المنخفضة رد بومونت:

– "ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم؟ العبارة لم تبدأ حتى في التفريغ."

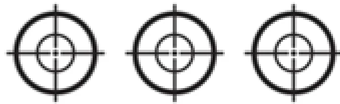
– "لم يكن على العبارة. نزل راكبان من يخت. ذكر وأنثى. إنهما يمشيان الآن على طول المتنزه شمال موقعك، انتهى."

قال بومونت فورًا:

– "سأرسل اثنين سيرًا على الأقدام للتحقق من الأمر. وجههم نحو الهدفين."

– "علم."

اتصل بومونت بـ«جامبر 7» و«8»، اللذين كانا على بعد بضع مئات من الياردات جنوب المرسى، وأرسلهما نحو المتنزه.



ارتجف كورت جينتري وروث إيتنغر في رياح متجمدة قادمة من بحر البلطيق بينما كانا يمشيان على طول متنزه ترافيموندة. استطاع كورت تخيل هذا المسار مليئًا بمصطافي الصيف عندما يكون الطقس

أدفأ بحوالي ستين درجة، لكن الآن لم يكن هناك سوى عدد قليل جدًا من النفوس الشجاعة بالخارج. سأل رجلاً يكافح للبقاء على دراجته في الثلج عن الاتجاهات لمحطة القطار، وأشار الرجل للطريق، موضحًا بالألمانية أن الـ«بانهوف» (Bahnhof) تبعد أقل من كيلومتر.

مشى كورت وروث في صمت، كل منهما وحيد مع أفكاره، روث تفكر الآن فقط في التداعيات التي ستواجهها لخروجها عن سيطرة ألفي، وكورت يفكر في «ديد آي» وكشفه أن كورت قد اختير للقبول في برنامج الأصول المستقلة التابع للـ CIA لأسباب غير ردود فعله وذكائه.

لم يشعر أي منهما برغبة كبيرة في الحديث الآن.

بينما كان جينتري والمرأة الإسرائيلية-الأمريكية يشقان طريقهما بصعوبة صعودًا لتل متجاوزين مجموعة من مطاعم الأسماك الصغيرة والمقاهي، لاحظ رجلين يتسللان صعودًا من زقاق مظلم من الجزء الجنوبي للأرصفة. بعد دقيقة استخدم الانعكاس في نافذة فندق لتأكيد أن الرجلين قد انضما خلفه وخلف روث، على بعد حوالي أربعين أو خمسين ياردة.

تحدث كورت بهدوء.

– "هل هؤلاء رجالك؟"

– "من؟"

– "لقد التقطنا ذيلاً (مراقبة)."

كانت تعرف أفضل من أن تستدير لتنظر.

– "هل أنت متأكد؟ لم أرَ أحدًا."

– "أنتِ تتبعين الناس. أنا يتم تتبعي. أنا نوعًا ما خبير في الموضوع. أحتاج منك أن تخبريني ما إذا كانوا من الموساد أم لا."

واصلا المشي. كان بإمكانهما رؤية الـ«بانهوف» الآن، أمامهما مباشرة على اليمين.

قالت روث:

– "لأفعل ذلك سأضطر للنظر للخلف."

– "لا. انتظري حتى ننعطف لصعود الدرج للمحطة ثم ألقِ نظرة سريعة لليمين، لكن افعليها بسرعة وبشكل طبيعي. إنهم على بعد أربعين ياردة. إذا أسرعنا قليلاً يمكننا توقيت الانعطاف للقبض على الرجلين في ضوء الشارع الذي نحن تحته الآن."

– "أنت تتقن هذا كعلم، أليس كذلك؟"

– "ابقي معي"، مازحها. "سأعلمك كيف يعيش النصف الآخر من البشر."

زادا من سرعتهما ثم انعطفا عند مدخل الـ«بانهوف». لم ينظر كورت ليمينه، لكن روث ألقت نظرة في ذلك الاتجاه. لم تقل شيئًا حتى أصبحا داخل المحطة تمامًا.

– "تبًا. إنهم رجال «تاونسند». جزء من فريق العمل المباشر الذي كان في ستوكهولم. وأنا متأكدة أنهم كشفوني للتو."

لم تكن هناك قطارات على الرصيف الآن، لكن حشدًا خفيفًا من الناس وقف في البرد بانتظار قطار السابعة وعشر دقائق إلى هامبورغ. أمسك كورت بيد روث وقادها بسرعة عبر الركاب. تعجبت من الطريقة التي انسل بها بين الناس دون عناء، وبقي في الإضاءة الخافتة، وأبقى رأسه منخفضًا وهو يمشي. حتى أنه جعل الأمر يبدو طبيعيًا وهو يتجاوز كاميرات المراقبة المتمركزة فوق كشك في وسط الغرفة.

خرجا من المبنى من الجانب البعيد، ثم عبرا المسارات بعيدًا عن أضواء المحطة، ليدخلا أولاً في بستان صغير من الأشجار ثم حيًا

سكنيًا. مشيا بسرعة في شارع مضاء ثم قطعا عبر فنائين خلفيين، ليخرجا إلى طريق مسدود صغير.

لم يكن لدى روث أي فكرة إلى أين يذهبان، وشكت في أن جينتري يعرف أيضًا، لكنها قرأت ما يكفي من الأجزاء غير المنقحة من ملفه لتعرف أن هذا رجل يعرف كيف يفلت من الخطر.

رغم أن هذه كانت بوضوح مهارة قيمة ليمتلكها رجل مثل جينتري، لم يسعها إلا أن تجد الأمر محزنًا لتخيله يقضي حياته يتسلل وحيدًا عبر الأفنية الخلفية للغرباء مثل لص منازل وضيع أو يشق طريقه عبر المناطق المشجرة في ظلام دامس، محاولًا البقاء متقدمًا على الصيادين الذين يقتفون أثره، كما لو كان ثعلبًا تطارده كلاب الصيد على رائحته.

كانت روث تفضل دور الكلب الصياد أكثر بكثير.

– "حسنًا"، قال كورت بينما كانا يغادران الطريق المسدود ويبدآن المشي في شارع تصطف على جانبيه منازل متلاصقة. "أعتقد أننا فقدناهم في الوقت الحالي."

خطر شيء ببال روث ونظرت فورًا لأعلى.

– "لديهم طائرة مسيرة." كانت السماء سوداء وأضواء الشوارع جعلت من الصعب رؤية أي شيء فوقهم.

نظر كورت للأعلى هو الآخر.

– "لا أرى شيئًا."

– "لن تراها. إنها صغيرة، وشبه صامتة."

– "كم هي صغيرة؟"

– "أقول بحجم علبة بيتزا."

زفر كورت بخارًا متجمدًا.

– "الآن تطاردني بيتزا."

فكر في الأمر للحظة، ثم مر بمنزل به سيارة «فولكس فاجن جي تي آي» في الممر، وبجوارها، مقطورة صغيرة بعجلتين عليها دراجة نارية مغطاة ومربوطة.

توقف.

سألت روث:

– "ماذا؟"

توجه كورت للممر الصغير، ومزق الغطاء، وفك رباط الدراجة النارية. كانت «كيمكو بولسار 125» (Kymco Pulsar 125)، دراجة منخفضة التكلفة لطيفة بما يكفي.

في ثوانٍ كان يدفعها بهدوء عبر الشارع السكني، وروث تتبعه.

– "إذا كانت هناك طائرة مسيرة، لا يمكننا الاختباء منها. كل ما يمكننا فعله هو وضع أكبر مسافة ممكنة بيننا وبين الرجال ذوي الأسلحة، حتى لا تتمكن الطائرة من قيادتهم إلينا. هل هذا منطقي؟"

كانت مرتبكة.

– "لكن ليس لديك مفتاح للدراجة."

أنزل كورت المسند وجثا في الشارع.

– "أوه، أرجوك."

في الضوء الخافت لمصباح الشارع بالأعلى تحسس أسلاك الإشعال، متتبعًا إياها للمحرك، حيث تنتهي بواصل بلاستيكي. فك الواصل، كاشفًا عن ثلاثة أسلاك سائبة، ثم لف اثنين من الثلاثة معًا وترك الثالث يتدلى بحرية.

مد يده وشغل الإشعال الإلكتروني للدراجة.

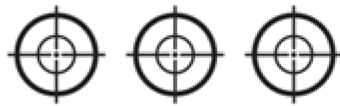
استغرقت العملية برمتها أقل من ثلاثين ثانية.

صعد كورت على الدراجة وصعدت روث خلفه. نظر للخلف ليرى ما إذا كانت مستعدة، ولاحظ ظلالاً طويلة تتحرك في اتجاهه. ركز بصره أعلى الشارع ورأى الرجلين اللذين تبعاهما للمحطة. كانا لا يزالان على بعد خمسين ياردة، لكنهما يركضان الآن في اتجاه كورت.

صرخ كورت:

– "تمسكي!"

وزاد سرعة المحرك. انزلقت مؤخرة الدراجة على الشارع الجليدي وهما ينطلقان.



48

– "مشغل الاستشعار إلى قائد جامبر. الهدفان يتجهان شرقًا في شارع موريدر شتراسه."

صرخ «جامبر»:

– "وجهني إليهم!"

جلس في مقعد الراكب الأمامي للشاحنة القائدة بينما قاد «جامبر 2». خلفهما، جلس «جامبر 5» و«6» في الخلف. الشاحنة الأخرى حملت فريق الطائرات المسيرة و«جامبر 3» و«4»، لكنها كانت متأخرة كثيرًا عن المطاردة الآن حيث توقفت لالتقاط «7» و«8».

من الجزء الخلفي للشاحنة الخلفية، أبقى كارل ولوكاس الطائرة تلاحق الهدف على ارتفاع مائتي قدم. مع التغطية البصرية كانا قادرين على إبقاء الجميع على اطلاع بتحركات الهدف.

نادى لوكاس عبر الراديو:

– "انعطاف يمين." كان قادرًا على رؤية كل من الدراجة النارية والشاحنة القائدة، على بعد كيلومتر واحد فقط خلف هدفها.

قال بومونت:

– "علم. هل يمكن للطائرة المسيرة مجاراة الدراجة؟"

– "سالب. يمكننا البقاء معه لبضعة أميال، كحد أقصى. سنفقده بعد ذلك."

أمر بومونت:

– "ابقوا معه طالما تستطيعون."

– "علم. لقد انعطف للتو يسارًا في شارع فيدنبيرغ شتراسه. ستصلون للتقاطع في ستين ثانية."

– "إلى أين هو ذاهب؟"

نظر لوكاس إلى حاسوبه المحمول الآخر. عليه، أظهرت خريطة متحركة المنطقة بتضاريس أوسع.

– "أعتقد أنه يركض وحسب. طالما استمر في التوجه شمالاً، ستقل خياراته. سيحاصره البحر من الشرق، والغرب مجرد أراضٍ زراعية." ضحك بدهشة في الميكروفون وهو ينظر للخريطة. "لا يوجد الكثير هناك على الإطلاق. أعتقد أنه أخطأ بحق الجحيم."

بدأ كورت يفكر أنه ربما أخطأ بحق الجحيم. كان يعلم أن «تاونسند» في مطاردة ساخنة؛ لقد رأى شاحنة بيضاء تسرع خارجة من ترافيموندِه خلفه قبل بضع دقائق. اختار التوجه شمالاً، للسباق

على طول الساحل، لكن عندما غادر البلدة رأى التضاريس تتحول لأراضٍ زراعية مفتوحة، بلا مكان للاختباء.

كان بحر البلطيق على يمينه، وإلى يساره لم ير شيئًا سوى حقول منخفضة وقرية صغيرة بين الحين والآخر. لم يكن متأكدًا إلى أين يذهب، ودون حتى مسدس لم يكن لديه أمل في القتال. كان في وضع الهروب والمراوغة الآن، وهذا تعقد بشكل كبير باحتمالية وجود طائرة مسيرة في مكان ما بالأعلى تتبع كل حركة له.

في تلك اللحظة مرت طائرة صغيرة منخفضة عن يساره متجهة جنوبًا، أضواؤها تضيء تساقط الثلوج الخفيف أمامها وهي تصعد.

كان هناك مطار في الأمام مباشرة؛ افترض أنه سيكون مهبط طائرات صغيرًا جدًا، لأن أكبر بلدة بحجم معقول في المنطقة، لوبيك، كانت بعيدة إلى الجنوب من موقعه.

حاول فتح دواسة الوقود أكثر للحصول على بضعة أحصنة إضافية من الدراجة الصغيرة.

بعد خمس دقائق انحرف بقوة لليسار وصعد مسرعًا طريقًا حصويًا، موقفًا الدراجة خارج البوابات المفتوحة لمطار سيركسدورف، حقل صغير بمدرج عشبي وحظيرة واحدة ومبنى ركاب ليس أكبر من مطعم وجبات سريعة. ترك هو وروث الدراجة خلفهما وبدآ يركضان عبر الثلج في الظلام نحو أضواء مبنى الركاب.

سألته وهما يركضان:

– "سنطير من هنا؟"

– "أجل."

– "أنت طيار؟"

أعطى كورت هزّة كتف صغيرة قبل الإجابة.

– "بالتأكيد."

– "قرأت ملفك."

– "من لم يقرأه بحق الجحيم؟"

لم يكن لديها فكرة عما يعنيه ذلك، لكنها لم تسأل. بدلاً من ذلك قالت:

– "ملفك لم يذكر أنك طيار."

– "ربما حصلت على النسخة المختصرة."

لم تضغط أكثر.

تجاوزا مبنى الركاب والأضواء التي تضيء موقف السيارات الإسفلتي أمامه وتوجها متجاوزين إياها، إلى الحظيرة. امتد موقف السيارات هنا، لكن لم تكن هناك أضواء في الحظيرة أو حولها.

كانت ثلاث طائرات صغيرة بمحرك واحد متمركزة بإحكام في الحظيرة المظلمة وغير المأهولة. ميز كورت طائرتي «سيسنا 152» وطائرة «بايبر شيروكي».

سألت روث:

– "هل يمكنك تشغيل طائرة بأسلاك التوصيل؟"

أطل كورت برأسه في طائرتي «سيسنا» واحدة تلو الأخرى، ثم فحص الـ«بايبر».

– "لست مضطرًا. هذه بها مفاتيح." خلع حقيبته ورماها بالداخل.

كانت طائرة ذات محرك واحد بأربعة مقاعد بدت وكأنه تم الحفاظ عليها بشكل جيد وحلقت مؤخرًا. فحص الوقود والزيت، ثم دفعاها خارج الحظيرة وإلى الليل الحالك السواد، متحركين ببطء قدر الإمكان

لأن عجلة الأنف أصدرت صريرًا عاليًا ومزعجًا إلى حد ما عندما حاولا استعجال العملية.

سألت وهي تمشي حولها، تتحسس أسطح التحكم لأنها بالكاد ترى شيئًا:

– "متى كانت آخر مرة طرت فيها بواحدة من هذه؟"

– "عندما تقولين «واحدة من هذه»، هل تعنين هذا الطراز، أم تقصدين أي طائرة؟"

– "فقط أجب على السؤال بطريقة تجعلني أشعر بتحسن."

لم يجب كورت في البداية. أخيرًا قال:

– "لقد قدتُ طائرة من قبل."

تمتمت روث:

– "يا إلهي."

تحركت شاحنة «جامبر» الأولى ببطء وأضواؤها مطفأة وهي تمر عبر بوابات المطار وإلى مهبط الطائرات؛ ممر مستقيم ومستوٍ مغطى بالثلج مقطوع من وسط حقل عشبي وصخري.

التفت بومونت لـ«جامبر 2» خلف عجلة القيادة.

– "اركنها في منتصف المدرج حتى لا يتمكنوا من سرقة طائرة والإقلاع. سنقترب من الحظيرة سيرًا على الأقدام." ضغط زر الاتصال في راديوّه. "«جامبر 3»، كم تبعدون عن المطار؟"

– "ننعطف للطريق الحصوي الآن. قل دقيقتين."

– "علم. أغلقوا البوابة خلفكم، ثم اركنوا خلفنا على الشريط."

– "سأنفذ."

قفز بومونت من الشاحنة. من تحت معطفه سحب رشاشه «مايكرو عوزي»، وفعل الرجلان اللذان خرجا من مؤخرة المركبة الشيء نفسه.

نظر للخلف لـ«جامبر 2».

– "إذا رأيت طائرة تحاول الإقلاع، اقفز من الشاحنة وأطلق النار عليها. سننتشر ونقترب من الحظيرة عبر الحقل، لكننا سننتظر الشاحنة الأخرى قبل الهجوم."

مشى كورت حول الـ«شيروكي» في الظلام، يتحسس أسطح التحكم لأنه بالكاد يراها. بعد الاطمئنان إلى أن هيكل الطائرة في حالة جيدة، صعد إلى الباب على الجانب الأيمن للطائرة ثم انتقل لمقعد الطيار.

صعدت روث خلفه.

– "كم من الوقت بعد؟"

– "سأجري فحوصات ما قبل الطيران لخمس دقائق أو نحو ذلك ثم..."

– "ماذا؟"

رأى شاحنة تتدحرج على المدرج من بعيد؛ وأمامها، شاحنة أخرى ساكنة.

– "بعد التفكير، لنخرج من هنا بحق الجحيم."

أدار المحرك. سعل لكنه بدأ العمل فورًا تقريبًا.

رأت روث المركبتين في الظلام الآن.

– "إنهم يسدون المدرج! كيف سنـ..."

دفع كورت دواسة الوقود للأمام، وبدأت الطائرة الصغيرة تندفع للأمام.

– "إلى أين أنت ذاهب؟"

انطلق خارجًا من الظلام أمام الحظيرة وعلى طول موقف السيارات أمام مبنى الركاب. كان المدرج على يمينه، وعبره رأى رجالاً يركضون في اتجاهه.

خفف كورت الوقود، ثم نظر خلف كتفه. أدار الطائرة في منعطف ضيق هنا عند حافة موقف السيارات وضغط على فرامل أصابع القدم بأقصى قوته. ثم دفع دواسة الوقود بالكامل للأمام حتى الجدار الناري.

زأر المحرك وجاهدت فرامل الطائرة ضد القوة.

– "ماذا تفعل؟"

– "على الأرجح لا تريدين أن تعرفي."

– "ستقلع من ممر الطائرات؟"

– "هذا ليس ممر طائرات حقًا. إنه أشبه بموقف سيارات."

رأيا وميض إطلاق نار من قرب الشاحنة الخلفية، رغم أنهما لم يتمكنا من سماع الطلقات فوق زئير محرك الـ«شيروكي».

شدت روث كل عضلة في جسدها، مدركة أنه لا خيار لديهم سوى محاولة الارتفاع في الجو.

تمزقت النافذة البلاستيكية بجوار روث وانفتحت بينما اخترقت رشقة من طلقات رشاش. صرخت في صدمة؛ أمسكها كورت من رأسها وجذبها لأسفل بشكل جانبي بيده اليمنى، كومها فوق ذراع القلابات بين المقعدين، لأن المقود بين ركبتيها منعها من الانحناء للأمام.

أبقى يده اليسرى على مقوده، باذلاً قصارى جهده لتجاهل إطلاق النار الذي أثار الثلج والشرر على الرصيف أمامه.

حرر كورت الفرامل وانتفضت الطائرة الصغيرة للأمام. على بعد مائة ياردة أمامهم مباشرة كان السياج ذو الثمانية أقدام في الجانب البعيد لموقف سيارات الحظيرة.

بينما كانا يرتدان للأمام في الظلام قال:

– "ابقي منخفضة حتى نصبح في الجو. بمجرد أن نرتفع، سأحتاج لسحب ذراع القلابات تلك تحتك."

– "ألا يفترض بك تمديد القلابات للإقلاع؟"

– "إنها تسبب مقاومة. الآن نحن بحاجة للسرعة."

– "ألا تساعد في الرفع؟"

أقر كورت بالنقطة.

– "نعم."

نظرت روث إليه.

– "نحن بحاجة للرفع، أليس كذلك؟"

– "سنسقط على الجانب الآخر من السياج. نأمل أن أتمكن من تسويتها على ارتفاع خمسة أقدام عن الأرض، وتمديد القلابات، واكتساب السرعة، وإخراجنا من هنا بحق الجحيم."

– "يا إلهي"، هتفت.

– "هيا!" صرخ كورت في الطائرة، حاثًا إياها على اكتساب السرعة.

مشط الرصاص مؤخرة بدن الطائرة الآن.

ألقى كورت نظرة على مؤشر سرعته الجوية، لكن للحظة فقط. لم تكن سرعته مهمة. سيسرعها لأقصى مسافة ممكنة ثم يسحب لأعلى.

إذا كانت لديه السرعة، فسيطيران؛ وإذا لم تكن، فلن يتمكنا من التوقف قبل الارتطام بالسياج، ولن يحصلا على فرصة ثانية.

– "هيا!" صرخ مرة أخرى.

تتبعت المزيد من طلقات الرشاشات جانبي قمرة القيادة.

صرخ كورت:

– "الآن! اجلسي!"

سحب أدوات التحكم للخلف، كاد يقتلعها عائدًا إلى حجره.

ترنحت الطائرة للخلف، وقفزت عجلة أنفها لأعلى، وصرخت روث من صوت الارتطام الذي أحدثه ذلك. بينما ارتفعت الطائرة بسرعة، مد كورت يده بين المقعدين وسحب ذراع القلابات للخلف، جاذبًا إياها لأعلى نحو إبطه بكل قوته.

استوت الـ«شيروكي» مباشرة فوق السياج وبدت وكأنها ستتوقف (Stall) هناك تمامًا، على ارتفاع لا يتجاوز ثلاثين قدمًا عن الأرض. المزيد من طلقات التتبع انطلقت، قوسية في الليل. دفع كورت أدوات التحكم للجدار الناري ومال الأنف للأمام؛ صرخت روث بينما شد حزام الأمان على جسدها، ومثل أفعوانية، هبطوا نحو الحقل المغطى بالثلج.

حاول كورت تسوية الأنف، يائسًا لإعادة الطائرة المتسارعة بسرعة إلى الطيران المستوي قبل أن يغوصوا في الحقل الثلجي.

– "هيا! هيا! هيا!"

حتى فوق أنين المحرك سمع كورت نيران أسلحة آلية محمومة تحته على يساره.

كانت معدة روث تشعر وكأنها في حلقها، لكن الآن بدا أنها تندفع لأسفل إلى أمعائها، وانتظرت التحطم المحتوم.

عندما وصلت الأجنحة لارتفاع أقل من خمسة عشر قدمًا، بدأ تأثير الأرض (Ground effect) يساعده في مهمته؛ بدأت الطائرة الهابطة في الطيران، وسحب كورت المقود للخلف، موترًا جسده للارتطام لكن مصليًا أن يتمكن من إبقاء الطائرة في الجو.

استووا عندما كانت العجلات على بعد أقل من ثلاثة أقدام من الأرض. ركلت المروحة ثلجًا جديدًا حول الـ«شيروكي» في دوامة عنيفة؛ جاهد كورت للرؤية وإبقاء أجنحته مستوية بينما فرقعت رصاصة أخرى عيار تسعة ملم في جسم الطائرة خلف جينتري ومرت المزيد من الطلقات بسرعة بجوار الزجاج الأمامي.

لكنهم كانوا يطيرون الآن، لم يرتطموا بالتضاريس، والآن عرف كورت أنه فقط يجب أن يخرج من منطقة القتل بأسرع ما يمكن.

انطلقت الطائرة الصغيرة فوق الطريق الحصوي على ارتفاع عشرة أقدام؛ انحرف كورت للغرب وصعد، طائرًا بسرعة مائة عقدة الآن ومتسارعًا. سحب يده المغطاة بالعرق عن المقود وشغل جميع أضواء المقصورة، ماسحًا العدادات للتحقق من أي ضرر واضح من إطلاق النار.

أثناء قيامه بذلك قال:

– "هل أُصبتِ؟"

أجابت روث ببطء:

– "لا أعتقد ذلك. لا."

– "هل أنتِ متأكدة؟"

– "أنا متأكدة". قالتها بضحكة بينما غمرها الارتياح. نظرت حولها؛ خارج النافذة المكسورة على يمينها كان بحر البلطيق سوادًا شاسعًا مع بضع نقاط ضوء فقط. سفن في البعيد.

انحرفوا لليسار بينما يصعدون، وأثناء قيامهم بذلك أنهى كورت فحصه لجميع العدادات في قمرة القيادة، ولم يجد دليلاً على أن الطائرة الصغيرة تلقت إصابات في خطوط الوقود أو نقاط حرجة أخرى.

سألته:

– "هل نحن بخير؟"

– "يبدو كذلك."

– "إلى أين نذهب، بالضبط؟"

– "لا أعرف"، اعترف بينما يصعد وينحرف. "دعيني أفكر دقيقة."

بصق جون بومونت في الثلج أمامه. كان قد أفرغ رشاشه «عوزي» في الطائرة المغادرة، لكن الرشاش الصغير عيار تسعة ملم لم يكن سلاح أرض–جو مناسبًا.

تجمع رجاله حوله بسرعة في موقف السيارات، وتسابقت الشاحنات للأمام من المدرج لتقل الرجال.

– "إلى أين تعتقد أنه متجه؟" كان «جامبر 5» هو السائل.

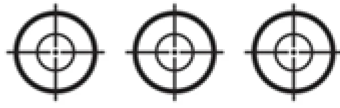
– "ألم تقرأ ملف ذلك الوغد؟ انظر للخريطة. إنه ذاهب إلى هامبورغ. نحتاج لهليكوبتر."

– "لماذا يذهب لهامبورغ؟"

– "إنها قريبة ومزدحمة ويمكنه القفز في قطار أو حافلة هناك. لا يستطيع الطيران طوال الطريق إلى بروكسل. سيضطر للهبوط في غضون نصف ساعة وإلا سيطارده سلاح الجو الألماني (Luftwaffe) بأكمله."

أومأ بومونت لنفسه.

– "سنقتل مؤخرته في هامبورغ."



49

حلق كورت وروث جنوباً فوق ولاية شليسفيغ هولشتاين الألمانية، محافظين على ارتفاعهما دون الألف قدم، مع تجاهل تام لجهاز اللاسلكي. كانت أعينهما تترصد الأفق أمامهم، وتمسح السماء بتوتر بحثاً عن أي طائرة قد تعترض طريقهما.

استخدمت روث لفة من الشريط اللاصق وجدتها في المقصورة لتغطية ثقوب الرصاص في النافذة، لكنها التزمت الصمت منذ إقلاعهما بفترة وجيزة؛ فقد نال منها رعب الدقائق الماضية. طوال مسيرتها في "قسم الجمع" بـ الموساد، لم تكن يوماً بهذا القرب من الخطر، سواء من الرجال المسلحين الذين يطاردونها أو من تكتيكات الطيران غير التقليدية التي يتبعها طيارها.

دفعتها هذه الأحداث أيضاً إلى التشكيك في قرارها بالمضي قدماً ومطاردة ويتلوك دون غطاء من تل أبيب. إن ربط مصيرها برجل مطلوب مثل جينتري وملاحقة شخص خطر مثل ويتلوك، وكل ذلك دون دعم من الموساد، كان قراراً مندفعاً. ربما أملته عليها حاجتها لتصحيح وضع بدا وكأنه يخرج عن السيطرة طالما ظلت تلتزم بالقواعد.

نفضت عن كاهلها هذه الأفكار لتعود إلى الحاضر، واستجمعت شتات نفسها لتكمل الطريق حتى النهاية؛ فقد كانت مقتنعة بأن رئيس الوزراء لن ينجو إذا ما ظلت حبيسة الخطوط التي رسمتها منظمتها.

سألت، وهي تدرك مدى عجزها في هذا الموقف:

– "هل حددتَ وجهتنا؟"

بصفتها مفترسة، كانت في بيئتها الطبيعية، أما كطريدة، فقد تركت كل شيء لـ جينتري، الخبير في هذا المضمار.

أجابها بثقة:

– "هامبورغ.. أو على الأقل سنصل إلى مشارفها."

سألت مستفسرة:

– "ولماذا؟"

– "حالياً، لستُ متأكداً إلا من شيء واحد؛ وهو أنني سأحتاج إلى سلاح في بروكسل."

– "وهل يمكنك الحصول على واحد في هامبورغ؟"

– "كان ذلك ممكناً في الماضي، وآمل أن يظل كذلك."

– "كم من الوقت سيستغرق وصولهم إلينا؟"

أجابها متهكماً:

– "تقصدين جماعة تاونسند؟ سحقاً، ربما يسبقوننا إلى هناك. لا نملك حيال ذلك شيئاً؛ فبإمكانهم استئجار مروحية والطيران مباشرة إلى قلب المدينة، أما نحن فعلينا اتباع نهج أقل كفاءة."

ثم أردف قائلاً:

– "لكن تاونسند ليسوا مشكلتنا الكبرى الآن، بل الألمان؛ فسيرسلون طائرات خلفنا بسرعة، وعلى الأرجح مروحيات تابعة للشرطة يمكننا التفوق عليها، لكن سلاح الجو الألماني سيحرك شيئاً ما عما قريب. أريد أن نكون على الأرض قبل أن يحدث رد فعل واسع النطاق."

عقبت قائلة:

– "كلمة 'على الأرض' تبدو غامضة بعض الشيء."

– "سنضطر للهبوط على امتداد طريق ما أو في حقل ما. سيكون من الجيد العثور على مكان به إضاءة. هذا الجزء من ألمانيا مسطح، لذا لا داعي للقلق بشأن التضاريس كثيراً، طالما أنني أستطيع رؤيتها."

قالت روث:

– "أرجوك، كفَّ عن إظهار حقيقة أنك طيار قليل الخبرة بهذا الشكل الواضح."

ضحك كورت على قولها لكنه سرعان ما عاد لتركيزه:

– "سنفترق في هامبورغ؛ ستذهبين أنتِ مباشرة إلى بروكسل، بينما سأحصل أنا على سلاح وألحق بكِ هناك بحلول الصباح. وعندما أصل، سأتصل بـ 'ديد آي' لأرى إن كان بإمكاني تحديد موقعه بدقة."

– "ديد آي؟"

– "أجل.. هذا هو الاسم الحركي لـ ويتلوك في الوكالة."

سألت بتوجس:

– "هل ستأتي إلى بروكسل حقاً؟"

أومأ برأسه:

– "سآتي."

حدقت فيه روث، ووجهه الجامد يتوهج باللون الأحمر بفعل أضواء المقصورة، وسألته:

– "لماذا تفعل هذا؟"

– "أنسيتِ؟ لقد قلتِ إنكِ ستلفقين لي تهمة القتل إن لم أفعل."

هزت رأسها قائلة:

– "أعلم أنني هددتُ بتسليط وحدة ميتسادا عليك، لكني لا أصدق أن هذا هو السبب الوحيد. كان بإمكانك الهرب من كل هذا والاختفاء.. كما تفعل دائماً."

تردد كورت، وألقى نظرة خاطفة عليها. دهشت لرؤية ضعف مفاجئ في تعبيراته الرصينة المعتادة:

– "بالأمس قال 'ديد آي' أشياءً.. أشياءً عن المكان الذي جئنا منه أنا وهو. أشياءً آمل ألا تكون حقيقية، لكني أشك في صدقها."

– "أي أشياء؟"

ملأ طنين محرك طائرة الـ "شيروكي" المقصورة وهمهمة مستمرة ومنخفضة.

– "أظنني كنتُ أعلم دائماً في قرارة نفسي أنني إنسان معطوب."

– "ماذا تعني بذلك؟"

– "لا يهم.. أحتاج لإنهاء هذا الأمر المتعلق بـ ويتلوك وكالب حتى أثبت لنفسي أنه كان مخطئاً بشأني. هناك الحق وهناك الباطل، وأحياناً أجد نفسي أتأرجح على الحافة، وكأنني قد أسقط في أي من الاتجاهين. لذا أنا أحارب ذلك؛ أحارب السقوط في الجانب الخاطئ عبر فعل الصواب كلما استطعت. هذا لا يجعلني طاهراً، بل هو فقط.. فقط أفضل من البديل."

قالت روث:

– "ما تفعله.. وما صنعوه منك.. لا يجب أن يكون هو حقيقتك."

ابتسم كورت قليلاً:

– "هذا الكلام يبدو جميلاً ومثاليّاً، لكن الحقيقة هي أنكِ لا تريدينني أن أتوقف. تريدينني أن أطارد راسل ويتلوك، وتريدينني أن أقتله."

تنهدت بتعب:

– "هذا صحيح.. أنا أستخدمك تماماً كما استخدموك هم." ثم نظرت خارج النافذة وأردفت: "أظن أنني لستُ أفضل منهم في شيء."

قال كورت:

– "لِمَ لا نقلق بشأن الأربع وعشرين ساعة القادمة الآن، ثم نتعامل مع ما يأتي بعدها في وقته؟"

– "اتفقنا."

هبطا بعد خمس عشرة دقيقة على طريق وسط ملعب جولف مضاء بالقرب من قرية جيرسبيك. قام كورت وروث بدفع الطائرة بعيداً عن الطريق نحو أخدود، ثم شرعا في السير عبر البلدة الصغيرة. وبحلول العاشرة مساءً، كانا على متن حافلة تقلهما إلى مدينة هامبورغ الصاخبة.

كانت مروحية "سيكورسكي S-92" سوداء تشق السماء على ارتفاع مائتي قدم فوق نهر إلبه، ومراوحها الأربع تضرب الهواء البارد لتستمد قوة الرفع والسرعة.

حصلت الطائرة على تصريح بالتحليق فوق المناطق الصناعية في هامبورغ مثل "هافن سيتي" و"كلاينر غاسبروك" على ارتفاع منخفض؛ وتحت بطن المروحية امتدت أميال مربعة من المستودعات الضخمة وخطوط السكك الحديدية الرقيقة، وساحات الحاويات المفتوحة المحاذية لشبكة معقدة من قنوات المرفأ، حيث كانت سفن الشحن العملاقة تحتل كل زاوية وركن في تلك الممرات المائية الضيقة.

تجاهل الطيار المناظر الطبيعية في الأسفل وركز على التحليق فوق رافعات الحاويات الشاهقة التي تفرغ وتشحن السفن، وظلت عيناه

معلقتين بأضواء المدينة في الجانب الشمالي من المرفأ. كان قد أبلغ برج المراقبة الجوية أنه لم يحدد وجهته بعد، لكنه افترض أنه سيتجه نحو منطقة بالقرب من المحطة المركزية (Hauptbahnhof).

داخل المروحية، جلس خمسة عشر إسرائيلياً يغمرهم ضوء المقصورة الأخضر. كان معظمهم من الرجال، ورغم ارتدائهم ملابس مدنية، إلا أن بنادق "XM35" المتدلية من أحزمة فوق معاطفهم كشفت حقيقتهم؛ فهم ليسوا مواطنين عاديين.

لقد كانوا من وحدة ميتسادا، عناصر العمليات الخاصة في الموساد.

في الوقت الحالي، لم يكن أمام فريق الهجوم سوى الاستمتاع بالرحلة. جلسوا منزوين مع أفكارهم؛ بعضهم يرقب أضواء المدينة في الأسفل عبر النافذة، والبعض الآخر يعبث بمعداته بملل.

في مؤخرة المقصورة، جلست ضابطتا استهداف معاً أمام حاسوب محمول، تقرآن البيانات الواردة من ضباط الميدان في الموساد الموجودين بالفعل في المدينة، وتنسقان تدفق البيانات مع مخترقي الحواسيب في تل أبيب الذين اخترقوا شبكة كاميرات المرور البلدية في هامبورغ. وحتى الآن، لم يحالفهم الحظ في تحديد موقع هدفهم، لكن العملية لم تبدأ إلا منذ دقائق معدودة.

وبجوار المرأتين كان هناك رجل إضافي؛ إنه يانيس ألفي، الأكبر سناً بينهم بخمسين عاماً، لكنه قضى عقوداً كأحد الرجال الذين يحملون البندقية حول أعناقهم مع تفويض بقتل أعداء إسرائيل. أما الآن، فهو في منصب إداري لا ميداني؛ حلقة وصل بين "قسم الجمع" و"العمليات الخاصة"، وهو منصب يمنحه سلطة القيادة على ضباط الاستهداف وسلطة الأمر والتنفيذ على فتيان العمليات الخاصة.

كان ألفي يحمل سلاحاً هو الآخر، مسدس "CZ" في جراب تحت معطفه، لكنه في هذه المرحلة من مسيرته لم يكن سوى مظهر شكلي. لم يعد رجلاً يضغط على الزناد، لكن حمل السلاح نصف الآلي كان بمثابة تذكير لنفسه ولفريقه بأنه سيظل دائماً "ميدانيّاً" في جوهره. كما كان يرتدي سترة بسيطة من "الكيفلار" تحت قميصه، تماماً مثل رجال ميتسادا، رغم أن أيام إطلاق النار والركض في البيئات الخطرة قد ولت منذ زمن بعيد.

كانت إحدى ضابطات الاستهداف على تواصل مع مخبر في الشرطة المحلية. أومأت برأسها وهي تتحدث في الهاتف ثم التفتت إلى ألفي:

– "عُثر على الطائرة بجانب ملعب للجولف شمال شرق المدينة مباشرة. هل آمر الطيار بالتوجه إلى هناك؟"

أجاب ألفي:

– "مرفوض.. لابد أنهما غادرا موقع الطائرة منذ زمن. سنبقى محلقين فوق المدينة حتى نرصدهما عبر كاميرات المرور أو نتلقى بلاغاً من الشرطة."

بدأ يانيس ألفي يتقبل الحقيقة المرة المتمثلة في أن روث إيتنغر تعمل الآن مع الرجل الرمادي. بدأت الشكوك تساوره منذ أن تواصلت معه بعد ظهر اليوم من هلسنبورغ. كانت تؤمن تماماً ببراءة جينتري، وروث ليست ممن يتبعون الخط الرسمي إذا تعارض مع قناعاتها، ومع ذلك كانت صدمة لـ ألفي أن يراها قد فقدت صوابها بهذا الشكل بعد موت ديلمان.

تأكد له تعاونها مع جينتري عندما اتصل به بابيت قبل ساعة وأبلغه بهروبهما معاً من ترافيموندة. وجد يانيس نفسه يتمنى، من

أجل الجميع، أن يكون هناك دليل على أن جينتري يحتجز إيتنغر رغماً عنها، لكن ذلك لم يكن سوى محض خيال؛ فليست هذه عملية اختطاف، بل على العكس، وبمعرفة يانيس لـ روث، كان يشك في أنها هي من تقود جينتري من أنفه في هذه المرحلة من اللعبة.

ألقى باللوم على نفسه لأنه لم يرغمها على الابتعاد عن العمل الميداني بعد واقعة روما. والآن، تصدر تل أبيب أوامر لـ يانيس بقتل جينتري وإعادة روث. كانوا يريدون موت جينتري لأنهم صدقوا ادعاء وكالة الاستخبارات المركزية بأن جينتري قد بدأ التحرك لاغتيال إيهود كالب. أما أسباب إعادة روث فلم يكن لها صلة بالإيثار؛ بل كان "الحكماء" في الموساد قلقين من انتشار خبر مفاده أن ضابطة مرموقة في الجهاز تتعاون مع الرجل الرمادي للتآمر في اغتيال رئيس الوزراء.

فهذا أمر لا يمكن السماح به.

كان هذا جنوناً محضاً، وألفي يدرك ذلك، لكنه عجز عن إقناع رؤسائه بأن ضابطتهم في الميدان لم تفقد عقلها تماماً. وبالطبع نقل تحذيرات روث بشأن ويتلوك إلى تل أبيب، لكن تل أبيب كانت متواطئة مع لانغلي في هذا الأمر، وكان لدى لانغلي رد سريع على كل ادعاء من ادعاءات روث. صدق الموساد وكالة الاستخبارات المركزية لا ضابطتهم الميدانية، وهذا ما وضع ألفي هنا، الآن، فوق هامبورغ مع تفويض بقتل الرجل الرمادي.

كان هذا التوجيه هو مهمته الأساسية الفعلية، لكنه لم يكن أكبر همومه الشخصية. فرغم أن تل أبيب لم تكن تبالي بـ روث، إلا أن يانيس كان يبالي، وسيفعل كل ما في وسعه لانتشالها من خطر هذا الموقف بكل الموارد المتاحة له.

علم أن مسيرتها المهنية قد انتهت، لكنه سيبذل كل ما في وسعه الليلة لإنقاذ حياتها. فقد كان يشك في أن رجال تاونسند سيتوانون عن إطلاق النار إذا لمحوا جينتري، وقد تروح روث إيتنغر ضحية جانبية في ذلك الاشتباك.

كان عليه العثور على جينتري قبل أن تفعل تاونسند. رأى ألفي في نفسه الفرصة الوحيدة لنجاة روث.

ترجل كورت وروث من الحافلة عند محطة مترو "هامبورغ شتراسه" ونزلا فوراً إلى الأنفاق السفلية نحو القطارات. من هنا، ستتوجه روث إلى المحطة المركزية لتلحق بقطار متوجه إلى بروكسل، بينما سيغوص كورت في أعماق الجانب المظلم من هامبورغ بحثاً عن سلاح.

تصافحا، ووعد كل منهما الآخر بلقاء قريب بعد ساعات، ثم افترقا في محطة المترو المزدحمة.

بعد دقائق، كانت روث تسير في المحطة المركزية ورأسها مطأطأ يغطيه غطاء الرأس. استقلت قطاراً متجهاً إلى باريس عبر بروكسل. اشترت سريراً في عربة النوم، وبمجرد مغادرة القطار للمحطة، انزوت في سريرها واستلقت على ظهرها، وغطت في النوم خلال دقائق، تطاردها أحلام عما ينتظرها في بروكسل.

ظلت مروحية الموساد "سيكورسكي S-92" تحوم فوق مدينة هامبورغ لنحو نصف ساعة، محاولة الحصول على أي معلومة استخباراتية مفيدة عن موقع جينتري. ترك يانيس ألفي معظم

الاتصالات مع العناصر المحلية لضابطات الاستهداف، بينما ظل يحدق من النافذة ويفكر في روث.

انتبه من شروده عندما شعر بالمروحية تصعد للأعلى. وضع سماعة الرأس وانتقل إلى قناة قمرة القيادة عبر نظام الاتصال الداخلي.

– "أيها الطيار، لماذا نصعد؟"

– "لقد تلقينا أوامر من برج المراقبة الجوية بالصعود لارتفاع ألفي قدم؛ فهناك مروحية أخرى تحوم فوق المدينة، وقد مُنحت هي الارتفاع الأدنى."

نظر ألفي من النافذة على يمينه، ثم عبر المقصورة لينظر من الجهة اليسرى. هناك، على بُعد ألف قدم للأسفل وميل واحد غرب موقعهم الحالي، كانت مروحية زرقاء من طراز "يوروكوبتر EC175" تتحرك في قوس واسع فوق حي سانت باولي.

– "أيها الطيار، هل تستطيع سماع اتصالات المروحية الأخرى؟"

– "نعم يا سيدي."

– "من هم؟ وماذا يفعلون؟"

– "إنهم أمريكيون؛ يزعمون أنهم طاقم تصوير وسيقومون ببعض الأعمال على ارتفاع منخفض خلال الساعة القادمة."

التفت ألفي نحو ضابطتي الاستهداف الجالستين معه، وقال بنبرة قاتمة:

– "جماعة تاونسند هنا."

وبسرعة طلب رقماً مخزناً في هاتفه الفضائي. وبعد لحظات جاءه الرد، لكن الإرسال كان ضعيفاً ومشوهاً.

– "معك بابيت."

– "سيد بابيت، معك يانيس ألفي."

– "كيف يمكنني مساعدتك يا سيد ألفي؟"

– "لديكم عملية تجري الآن فوق وسط هامبورغ."

– "لستُ مخولاً بالحديث عن.."

قاطعه ألفي بحدة:

– "لم يكن هذا سؤالاً يا سيد بابيت. أريدك أن تعلم أننا هنا أيضاً. لديَّ فريق من عناصر العمليات المباشرة، وبالنسبة لنا، أنتم تتعدون على منطقة عملياتنا."

أجاب بابيت:

– "رجالي يسيطرون على الموقف تماماً يا ألفي. عليك التراجع وتركهم يقومون بعملهم."

قال ألفي:

– "أود تذكيرك بأن لدينا ضابطة قيمة ولا تُعوض قد تكون الآن على مقربة شديدة من هدفكم."

ضحك بابيت ضحكة خفيفة:

– "طريقة لبقة لتقول إن امرأتكم قد انحازت لجانب سفاح، وأنهما يعملان معاً الآن."

– "ربما تكون مخطئة بشأن جينتري، لا أدري. لكني أشك كثيراً في أنها مخطئة بشأن شركة تاونسند للخدمات الحكومية؛ فقد كان تقييمها أن منظمتكم ليست سوى عصابة من القتلة المنفلتين الذين لا خلاق لهم."

لم يبدُ على بابيت أي استياء من هذا التعليق، بل أجاب ببرود:

– "هل أحتاج لتذكيرك بأننا نحظى بالدعم والتفويض الكامل من وكالة الاستخبارات المركزية؟"

– "كلا، لستَ بحاجة لتذكيري بذلك." ساد الصمت على الخط لبرهة بينما ظل المعنى المبطن لقول ألفي معلقاً في الهواء.

قال بابيت:

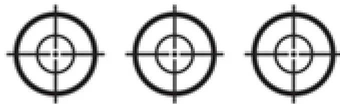
– "نحن لا نريد إيتنغر، بل نريد جينتري. حالياً، لدينا مراقبة تقنية على عدة أشخاص يُعرف بصلتهم به في المدينة. إنها مسألة وقت فقط قبل أن نجده. فإذا كانت إيتنغر معه، فسنبذل قصارى جهدنا لضمان سلامتها." ثم صمت هنيهة وأردف: "يجب أن يتمكن جهازانا من تجنب الاصطدام في هذه العملية."

قال يانيس ألفي:

– "إذا أصيبت روث بأي سوء، فسأحملك المسؤولية شخصياً."

– "سيد ألفي، أنا الآن على متن طائرة فوق المحيط الأطلسي. أنت تملك سيطرة على الموقف أكثر مما أملك أنا. أبقِ رجالك بعيداً عن رجالي، وبذلك يمكنك تجنب وقوع كارثة.." ثم صمت برهة وأضاف: ".. كتلك التي تجرعتم مرارتها في روما العام الماضي."

قطع ألفي الاتصال وعاد لينظر من النافذة.



50

على بُعد مئات الياردات شرقي محطة هامبورغ المركزية في حي سانت جورج، كان كورت جينتري يسير وحيداً وسط الظلام، يتنقل بحذر ليبقى بعيداً عن وهج مصابيح الشوارع وواجهات المتاجر. مرَّ بمجموعة من المومسات في زاوية الشارع، يعملن في الهواء الطلق رغم

انخفاض الحرارة، وشق طريقه متجاوزاً تجار المخدرات الذين وقفوا كأقماع المرور في طريقه يحاولون إغواءه بشراء الحشيش أو الحبوب أو حقن الهيروين.

سبق لـ كورت العمل في هامبورغ قبل سنوات في عملية منفردة. آنذاك، قام المسؤول عنه، السير دونالد فيتزروي، بتجهيزه ببندقية بعيدة المدى لاغتيال رجل أعمال صربي ثري يعمل هنا، كان في حياته السابقة مجرم حرب في البوسنة. ولكن عندما تغيرت توقعات الطقس ليوم التنفيذ، أدرك كورت أن الضباب سيكون كثيفاً لدرجة تمنعه من رؤية هدفه عبر المنظار من مسافة خمسمائة ياردة. لذا عدل خطته في منتصف الطريق وقرر تنفيذ المهمة عن قرب، ولهذا كان بحاجة لمسدس. قضى يومين كاملين في الحانات المريبة والأزقة الخلفية لحي سانت جورج، عالماً أن المنطقة تغص بالعصابات الأجنبية التي تملك وصولاً للأسلحة.

تمكن أخيراً من التواصل مع رجل تركي في منتصف العمر يُدعى أوزغور، باعه مسدساً من طراز "والثر P99". كان سلاحاً ممتازاً، وهو بالضبط ما احتاجه للعملية، وقد أفاده كثيراً عندما قتل الصربي برصاصة في مؤخرة الرأس في رواق شقته الفاخرة.

والآن، كان كورت يتمنى بشدة أن يكون أوزغور لا يزال موجوداً ومستعداً لجني بضعة آلاف من اليورو بسرعة وسهولة قبل وقت النوم.

عثر على المبنى المتهالك وتجاوز المصاعد نحو بئر سلم سيئ الإضاءة في الخلف، تفوح منه رائحة تشير إلى استخدامه كمرحاض بانتظام. صعد الدرج المعدني حتى الطابق الخامس من المبنى المكون من سبعة طوابق، ثم سار في ممر طويل وضيق. عندما كان هنا قبل سنوات، كان أوزغور يضع مراقباً في الممر، مجرد صبي تركي يحمل

هاتفاً محمولاً، أما الآن فالممر خالٍ إلا من أكياس القمامة والدراجات الرخيصة.

وجد كورت الشقة وطرق الباب.

سمع جلبة بالداخل، وتوقع وابلاً من الأسئلة المريبة من وراء الباب.

لكن الباب انفتح بسرعة.

وقف أوزغور هناك مرتدياً قميصاً داخلياً أبيض؛ كان يحمل رضيعاً بين ذراعيه وهاتفاً على أذنه. اتسعت عيناه قليلاً عندما رأى كورت، ثم قال شيئاً بالتركية في الهاتف بنبرة لم تكن تنم عن ذعر أو تهديد.

تخيل كورت أنه يقول شيئاً من قبيل: "سأعاود الاتصال بك."

قال أوزغور بالألمانية بعد أن أغلق الهاتف:

– "طاب مساؤك. ماذا تريد؟"

راح يهز الرضيع على ساعده، وهو صبي صغير بشعر أسود كثيف، وأدرك كورت فوراً أن عيني الطفل كانتا أكثر فضولاً تجاهه من عيني أوزغور.

سأله كورت بالألمانية:

– "هل تتذكرني؟"

– "بالتأكيد.. ماذا تريد؟"

– "إذا كنت تتذكرني، فأنت تعلم ما أريد."

ظهرت امرأة خلف أوزغور. من الواضح أنها ليست تركية؛ فشعرها أشقر باهت وعيناها زرقاوان. خمن كورت أنها بولندية، فالمهاجرون البولنديون كثر في ألمانيا. سلم أوزغور الرضيع للمرأة؛ فأخذت الصبي ومنحت كورت نظرة جافة.

خرج أوزغور للممر وأغلق الباب خلفه.

تحول للإنجليزية وسأل:

– "مسدس؟ أأنت جاد؟ لم أعد أتعامل بالأسلحة."

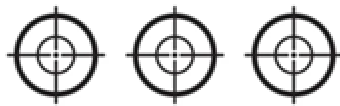
لم يكن كورت في حالة تسمح له بالتمادي في الأخذ والرد مع شخص يحاول جني بضعة يوروهات إضافية عبر الادعاء بندرة بضاعته.

– "معي المال يا أوزغور. لكن ما لا أملكه هو الوقت. حدد سعرك، ولكن افعل ذلك الآن."

– "الأمر ليس لعبة يا رجل. لا أملك أي مسدس. أبيعك شيئاً آخر، ربما؟ هاتف محمول؟"

– "اسمع.. لقد قطعتُ طريقاً طويلاً، وكان يومي شاقاً. أعلم أنك الرجل الوحيد هنا الذي يمكنه تدبير ما أحتاجه."

في البعيد، تناهى لمسامع كورت صوت خفقان مروحية، لكن الأمر لم يبدُ غريباً في وسط ثاني أكبر مدينة في ألمانيا.



استدعى أحد عناصر ميتسادا يانيس ألفي إلى مقعده في الجانب الأيسر من المروحية وأشار نحو النافذة بجانبه.

في البعيد، راقب ألفي مروحية تاونسند وهي تهبط لتصبح فوق قضبان السكة الحديدية مباشرة على بُعد ربع ميل من المحطة المركزية.

– "ليعطني أحدكم منظاراً!"

وُضع منظار في يده بعد ثوانٍ. نظر من خلاله في الوقت المناسب ليرى رجلين يهبطان بالحبال من المروحية نحو القضبان، على بُعد

عشرين قدماً للأسفل. وسرعان ما بدأا في الركض نحو منحدر، وبعد ثوانٍ اختفيا في الشوارع الضيقة لحي سانت جورج.

عادت مروحية "يوروكوبتر" للصعود في السماء، ثم توجهت نحو قلب سانت جورج وبدأت تحوم حول مبنى سكني.

راقب ألفي المشهد عبر المنظار وتحدث في ميكروفونه:

– "سيهبطون بالحبال فوق مبنى هناك. الاثنان الأولان كانا قوة سد في الطابق الأرضي." نظر إلى الرجال من حوله وقال: "لقد وجدوا جينتري." ثم هرع نحو قمرة القيادة: "أيها الطيار، إلى أي مدى يمكنك الاقتراب من ذاك الحي دون إثارة انتباه تلك المروحية؟"

بدأ الطيار الهبوط والاقتراب من المنطقة على الفور:

– "على بُعد بنايات قليلة جهة الشمال توجد حديقة بجوار جسر كينيدي فوق بحيرة أوسين ألستر. يمكنني الدخول بارتفاع منخفض فوق الماء عندما تنعطف المروحية الأخرى جنوباً. سأهبط بجوار الجسر مباشرة، ويمكنكم جميعاً الذهاب سيراً على الأقدم."

– "افعل ذلك. سننزل جميعاً، لكني سأكمل الطريق بمفردي."

سألت إحدى ضابطات الاستهداف وهي تصغي للاتصال من مؤخرة المقصورة:

– "ماذا تنوي أن تفعل؟"

– "لا يمكنني المخاطرة بدخول دستة رجال لذاك المبنى دون معرفة ما يجري بحق الجحيم. خاصة مع اقتحام مسلحي تاونسند له في الوقت نفسه. سأدخل بمفردي، سألتزم بالتخفي وأقيم الوضع. سأستدعي الفريق فور العثور على إيتنغر."

بعد دقيقة أخرى من الإلحاح، لم يصل كورت لأي نتيجة مع أوزغور، لكنه لم يكن مستعداً للاستسلام.

– "إذا أرشدتني لشخص يمكنه تدبير ما أحتاجه، فسأدفع لك عمولة وساطة بكل سرور."

قال أوزغور:

– "أنت لا تفهم يا رجل. لقد اعتزلتُ هذا العمل. دخلتُ السجن وخرجتُ منه، وأريد فقط أن أحيا حياة طبيعية. لا أريد التعامل مع مجانين أمثالك يظهرون عند بابي، ويرهبون طفلي وزوجتي. لا أريد أي صلة بك بعد الآن.. ارحل فحسب.."

توقف التركي عن الكلام ونظر للأعلى. كان صوت خفقان المروحية خارج المبنى يزداد قوة.

أدرك كورت أنها تحوم فوق السطح مباشرة، فسأل:

– "أهذا أمر طبيعي؟"

نظر أوزغور للرجل في الممر المظلم وقال:

– "أرأيت؟ أنت لا تجلب إلا المتاعب! أنا لا أريد أي مشاكل!"

أمسك كورت بـ أوزغور من ياقة قميصه ودَفعه بقوة نحو الجدار:

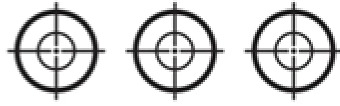
– "أنا بحاجة لمسدس لعين!"

– "لا أملك أي مسدس! ولا واحداً! صفراً! اتركني وارحل من هنا، أيها الأمريكي المجنون اللعين!"

دفع جينتري التركي مرة أخرى نحو الجدار بإحباط، ثم استدار وانطلق راكضاً نحو بئر السلم.

هبطت مروحية "سيكورسكي" بجوار حركة المرور الخفيفة فوق الجسر في الحادية عشرة ليلاً، وترجل منها الفريق المكون من اثني

عشر رجلاً، ومعهم يانيس ألفي. كان عناصر ميتسادا يحملون مسدساتهم فقط، فبنادقهم لن تمر دون ملاحظة في هذا الحي المكتظ. وبينما انعطفت المروحية وحلقت فوق مياه البحيرة مغادرة نحو الشمال، أمر ألفي الشبان بالانتشار بهدوء في حي سانت جورج حول المبنى المستهدف، وإبقاء قنوات الاتصال مفتوحة بينهم. كان ألفي يحمل هاتفه المحمول وسيتواصل مع قادة فريق الهجوم إذا ما حدد هدفاً لهم.



تمكن جينتري من هبوط طابقين من السلالم قبل أن يسمع ضجيجاً يأتي من الأسفل، من الطابق الأرضي. لقد دخل رجال إلى بئر السلم؛ ظن أنهم اثنان على الأقل، لكنه لم يجزم بذلك، لأنه سمع الآن أصواتاً أخرى فوقه، رجال يدخلون بئر السلم من الطابق السابع.

غادر كورت الدرج في الطابق الثالث، وفتح الباب ليجد المساحة غارقة في أعمال البناء. كان المكان مظلماً، عبارة عن متاهة من غرف نصف مكتملة وأسقف مكشوفة تظهر من خلالها العوارض المعدنية والعوازل. وكانت مواد البناء والمعدات موزعة في كل مكان.

أُغلق الباب خلفه بطقة قوية.

توقف كورت وأدار نظره في المكان. كانت هناك أماكن جيدة للاختباء، لكنه علم أن الوقت يداهمه. عليه الخروج من المبنى قبل أن يملك خصومه فرصة لسد المخارج والبدء في تفتيش شامل.

تحرك للأمام، وسط الظلام، وهو يتمنى من كل قلبه لو كان يملك مسدساً لعيناً.

اتجه يانيس ألفي جنوباً عبر حي سانت جورج. في الدقائق الأولى تلقى بضع نظرات فضولية من المارة وأصحاب المتاجر الذين رأوه يترجل من مروحية ضخمة، وهو حدث غير مألوف هنا، لكنه سرعان ما ابتعد لعدة بنايات واندمج مع زحام المشاة في الحي المريب. عرض عليه تجار المخدرات بضائعهم علانية، ونادته المومسات الملتفات بمعاطفهن اتقاءً للبرد من المداخل وهو يمر، بينما رمقه أوباش من الشرق الأوسط كضحية محتملة للسرقة، لكن مشيته الواثقة وغير الهيابة جعلتهم يبحثون عن صيد أسهل.

كان كل تركيزه منصباً على روث إيتنغر. لم يكن يدري إن كانت هنا أم لا، لكنه كان يتحرك بناءً على هذا الافتراض. فمن الواضح أن تاونسند يشكون في وجود جينتري هنا، ويخشى يانيس ألا تتمكن روث من النجاة بسلام من اشتباك بين طاقم من القتلة وأشهر قاتل مأجور مستقل على وجه الأرض. لم يكن واثقاً من قدرته على تصحيح الموقف بمجرد وجوده، لكن المجيء بمفرده كان قراراً سهلاً بالنسبة له.

فقد كان يقيناً لا يريد إضافة عنصر جديد للمزيج الخطر عبر استدعاء دستة قتلة إضافيين.. ليس بعد.

تمركز العنصران "سبعة" و"ثمانية" من فريق جامبر كقوة سد في الطابق الأرضي من المبنى، وفي الأصل خططا للبقاء في الردهة، لكن صوت انغلاق الباب القادم من بئر السلم القريب دفعهما للبحث عن هدفهما. وبعد إلقاء نظرة على ممرات الطابقين الأول والثاني ووجدوها هادئة، دخلا الطابق الثالث ليجداه منطقة بناء غير مضاءة.

– "العنصر 'سبعة' إلى قائد الفريق."

– "تفضل."

– "سنقوم بتمشيط الطابق الثالث. إنه قيد الإنشاء والمساحة مفتوحة. لا توجد أبواب مغلقة. سنبقي بئر السلم تحت المراقبة."

– "عُلم. الطابق السابع نظيف والمروحية تراقب مستوى الشارع. سأرسل اثنين آخرين إليكم عبر بئر السلم الجنوبي الشرقي."

التفت "سبعة" نحو "ثمانية" وهمس:

– "لا أظن أنه امتلك الوقت للتوغل في الداخل كثيراً. غطِّ ظهري من هنا، وأبقِ عينك على الدرج تحسباً لعدم وجوده هنا."

أومأ "ثمانية" برأسه، وسلط "سبعة" ضوء مصباحه المثبت تحت مسدسه وبدأ بتفتيش المكان.

رأى هيكلاً معقداً من العوارض المعدنية، وأنابيب السباكة، وقنوات التدفئة. كان الطابق بأكمله عبارة عن هيكل عظمي ضخم، خالٍ من ألواح الجدران ومليء بالزوايا المظلمة. راح يشم الهواء بحثاً عن أي أثر لوجود بشري، لكن رئتيه لم تمتلئا إلا برائحة الجص والغبار. تحرك ببطء في وضعية القتال، مرهفاً السمع لأي صوت، لكنه لم يسمع سوى دقات قلبه.

نادى "ثمانية" عبر اللاسلكي الداخلي للفريق:

– "لا أستطيع رؤيتك. عُد وانتظر بقية الفريق."

لم يرد "سبعة"؛ بل توغل أكثر في الظلام. تخطى بسرعة منصة خشبية لمواد البناء، مسلطاً ضوءه على المساحة الخالية خلفها. أين هو بحق اللعنة؟ رفع مسدسه عن الأرض ووجهه نحو الرواق. خطا خطوة أخرى للأمام وركز نظره على أقصى مدى يصل إليه ضوؤه، حيث توجد شقة غير مكتملة في نهاية الممر.

بلا صوت ولا سابق إنذار، انقض شكل أسود أمام وجهه. كان قريباً جداً، لا يبعد سوى قدمين عن طرف أنفه. كادت حدقتاه تدوران لتغيير التركيز من المدى البعيد المضاء إلى القرب المظلم، لكن قبل أن يدرك ماهية ذاك الشيء الذي سقط من السقف، شعر بضربة على يديه. فقد قبضته على المسدس حين ارتطم شيء بمعصميه. كان ذاك الشكل الأسود قد انقض عبر الهواء من الأعلى، متأرجحاً من يساره إلى يمينه. طار المسدس عبر الغرفة وتوارى عن الأنظار، وانطفأ الكشاف التكتيكي حين أفلتت سبابته زر التشغيل.

عادت الحركة المظلمة لتخطف أمام عينيه مجدداً، هذه المرة من اليمين إلى اليسار. سمع صوتاً يشبه "الفحيح" وشعر بضربة أخرى، مجرد جذبة رقيقة تحت ذقنه. ترنح للخلف، مبتعداً عن الظل المتحرك، ورفع يده ليضعها على حنجرته.

شعر العنصر "سبعة" برذاذ دمائه قبل أن تصل أطراف أصابعه لعنقه بمسافة قدم. ظهر الشكل مجدداً، ورأى أنه رجل، معلقاً رأساً على عقب من ركبتيه فوق عارضة معدنية. اعتدل الرجل في الهواء بخفة وصمت، وهبط على الأرض.

أراد "سبعة" النداء على "ثمانية" خلفه، لكنه لم يستطع إخراج أي صوت. خطا خطوة أخرى للخلف، مبتعداً عن الهدف، لكنه انزلق في دمائه وسقط على ظهره. ثم اختفى الهدف في الظلام. حدق "سبعة" في السقف محاولاً استيعاب ما يجري له؛ وسرعان ما أدرك أنه لم يتنفس منذ عدة ثوانٍ، وحين حاول، غصَّ بفم مليء بالدماء.

رفض عقله تقبل حقيقة أن الرجل الرمادي قد نحر عنقه لتوّه ومضى في حال سبيله.

بعد خمس دقائق من السير في الشوارع المظلمة، وصل يانيس ألفي إلى المدخل السفلي لشقق "بريمر هاوس". وجد الباب مفتوحاً، فأفضى به إلى ردهة مظلمة وقذرة في الطابق الأرضي تفوح منها رائحة طعام متعفن. بالنسبة لـ ألفي، كان جو المكان يشبه أحياء تونس الفقيرة أكثر من كونه ألمانياً، واشتبه في أن أغلبية سكان المبنى هم بالفعل من الشرق الأوسط أو شمال أفريقيا. وبالنسبة ليهودي، وخاصة يهودي يعمل في الموساد، لم يكن الجو ترحيبياً بالمرة.

تجاوز صف المصاعد المريبة وعثر على بئر سلم في الزاوية الجنوبية الشرقية للمبنى. وبمجرد دخوله، نظر للأعلى. كان لكل بسطة سلم مصباح صغير مكشوف مثبت عالياً على الجدار فوقها، لكن الدرج نفسه كان معتماً. كانت السلالم معدنية أيضاً، لذا خلع ألفي حذاءه وحمله في يديه كي لا يصدر صوتاً وهو يبدأ في الصعود. أبقى مسدسه في جراب الكتف، لعلمه بوجود احتمال كبير لمصادفة رجال تاونسند أو مدنيين، وكان بحاجة للبقاء بعيداً عن الأنظار.

– "العنصر 'ثمانية' إلى 'سبعة'.. هل تسمعني؟"

كان "ثمانية" واقفاً في بئر السلم يسند الباب بحذائه ليبقيه مفتوحاً، وكشافه التكتيكي تحت سبطانة مسدسه يضيء المساحة أمامه.

رفع يده المساندة عن المسدس ليحول جهاز اللاسلكي لوضع البث العام لجميع العناصر، ولكن بينما كان ينظر للأسفل ليجد القناة الصحيحة سمع ضجيجاً أمامه مباشرة. رفع نظره في الوقت المناسب ليرى شكلاً يظهر من الظلام إلى يمين حزمة ضوء كشافه. جذب

سلاحه نحو التهديد لكنه ترنح للخلف، وسقط مسدسه على البسطة المعدنية، ووضع يديه على عنقه.

كان خنجر قد انغرس في حنجرته. حاول الصراخ، لكن صرخته كُتمت فوراً بيد وضعت فوق فمه.

ثبَّت الرجل الرمادي الرجل أرضاً واستل الخنجر منه، ثم غرز النصل مرة أخرى في جانب عنق العنصر "ثمانية"، مسكتاً إياه تماماً وإلى الأبد.

التقط كورت مسدس الـ "سيج ساور" الخاص بالرجل من فوق البسطة المعدنية، ودسه في حزام سرواله، ثم جرَّ الجثة عائداً إلى منطقة البناء، وأخفاها بشكل سريع. عاد إلى بئر السلم وأرهف السمع لأي ضجيج. سمع باباً يفتح عالياً فوقه، وبدأ رجال في النزول؛ خلع حذاءه بسرعة، وحمله بيده وبدأ يركض هابطاً الدرج بأقصى سرعة ممكنة، متيقناً أن كل التهديدات المتبقية موجودة فوقه.

صعد ألفي الدرج بجواربه، متسلقاً ببطء، ومصغياً لأي صوت حركة في الطوابق التي يمر بها.

كان المصباح فوق مخرج بئر السلم في الطابق الثاني محترقاً والبسطة مظلمة. توقف ألفي عند الباب، وأصغى إليه، وقرر أنه لا يوجد فريق من رجال تاونسند يركضون في الممر على الجانب الآخر.

استدار وهمَّ بالصعود مجدداً، لكن رجلاً اندفع فجأة حول البسطة بين الطابقين الثاني والثالث، هابطاً الدرجات ثلاثاً في المرة الواحدة، فاصطدم الرجلان بعنف في الضوء الخافت.

ارتمى كلاهما نحو جدار بئر السلم وتدحرجا لنصف طابق قبل أن يستقرا فوق بسطة الطابق الثاني.

سقط كورت على جنبه ثم انقلب على ظهره. وأثناء ذلك، مسح بعينيه يدي الرجل الموجود معه في الظلام، محاولاً تحديد في جزء من الثانية ما إذا كان يشكل تهديداً أم أنه مجرد ساكن مسكين يصعد الدرج بعد يوم عمل طويل. رأى يدين فارغتين، مما أراحه، ولكن بمجرد أن دفع الرجل الآخر نفسه ليجلس في مواجهته، رأى يده اليمنى تتحرك تحت سترته.

تفحص كورت عيني الرجل؛ كانتا مثبتتين على عينيه وتتسعان بإثارة.

انطلقت يد كورت اليمنى غريزياً نحو خصره.

صرخ قائلاً: "كلا!"، لكنه لمح مقبض مسدس أسود باهت يبرز من تحت السترة. استل كورت المسدس الذي أخذه لتوّه من رجل تاونسند القتيل من حزام سرواله ومال بالسبطانة للأعلى نحو التهديد، دون أن يضيع وقتاً في رفع السلاح لمستوى العين أو تمديد ذراعه نحو هدفه.

أرجح الرجل ذو البدلة مسدسه الأسود نحو كورت بينما بدأ هو الآخر بالصراخ.

أطلق كورت رصاصتين من مستوى الخصر، بلا تردد بينهما، فدوى دويّان سريعان ومحطمان في بئر السلم. أصابت الرصاصتان عيار تسعة مليمترات هدفهما، فارتطم الرجل الآخر بالجدار وسقط على ظهره فوق البسطة.

أبقى كورت سلاحه مصوباً نحو هدفه بينما نهض واقفاً. اجتاز البسطة، وركل المسدس بعيداً عن يد الرجل الجريح الممدودة، ثم وجه سلاحه نحو الأعلى عبر الدرج، بحثاً عن أي تهديدات أخرى.

يبدو أن الرجال الذين كانوا في بئر السلم فوقه قد غادروا الدرج لتفقد طابق آخر.

أعاد كورت مسدس الـ "سيج ساور" لجرابه، وأخرج مصباحاً من حقيبته وسلط ضوءه على الرجل.

تمتم قائلاً:

– "أنت لا تبدو من جماعة تاونسند.. يا إلهي، أنت من الموساد، أليس كذلك؟"

اكتفى الرجل بالرمش بعينيه؛ ولم يجب.

جثا كورت على ركبتيه وفتح معطف الرجل ثم مزق قميصه ليجد سترة من "الكيفلار". إحدى الرصاصات أصابته في صدره، وتكفلت السترة بصدها تماماً.

إلا أن الرصاصة الثانية أصابت منطقة أسفل الحماية الباليستية، وتحديداً في أسفل البطن. كانت الدماء تتدفق مع تعاقب شهيق وزفير الرجل الجريح.

سلط كورت ضوءه على وجه الرجل وسأل مجدداً:

– "موساد؟"

هذه المرة أومأ الرجل برأسه. كان وجهه مغطى بالعرق، ولون بشرته شاحباً كالرماد، وحدقتاه غير مركزتين.

قال كورت بصوت خافت:

– "سحقاً."

سحب معطف الرجل المحشو بالريش، فقاوم الرجل بضعف، غير مدرك لما يحدث. ومع ذلك، نزعه كورت في ثوانٍ، ولفه على شكل كرة ضيقة وضغط بها فوق الجرح. وضع يدي الرجل فوق تلك الضمادة الارتجالية وقال:

– "اضغط بقوة. سأتحقق من ظهرك بحثاً عن جرح خروج."

دحرجه كورت على جنبه؛ فأطلق الرجل الجريح أنة عذاب. تحسس كورت أسفل ظهره في البداية، ثم وسع دائرة بحثه، متلمساً القميص بحثاً عن أي أثر لدم أو نسيج ممزق.

قال كورت:

– "حسناً، لا يوجد جرح خروج. إذا نقلك رجالك لغرفة العمليات بسرعة، فربما ينجحون في إنقاذ حياتك. أما إذا قضوا بقية الليل يطاردونني.." هز كورت كتفيه وأردف: ".. فمصيرك الهلاك لا محالة."

انتصب كورت واقفاً. ظل الإسرائيلي شاحب الوجه يحدق فيه فحسب.

رأى كورت علامات الذهول على وجهه.

أهذا هو القاتل الذي لا يعرف الرحمة الملقب بـ الرجل الرمادي؟

سمع كورت صياحاً آتياً من الطابق الثالث الآن. من الواضح أن رجال تاونسند قد وجدوا زملاءهم القتلى. استل كورت سلاحه مجدداً وأمسكه بجانبه. نظر للأسفل نحو الرجل المصاب وقال بهدوء:

– "كان يجدر بك الاستماع لـ روث. إنكم ترتكبون خطأً فادحاً؛ أنتم تطاردون الرجل الخطأ." ثم هز كتفيه وأضاف: "لو كنت مكانك، لما رغبتُ في الموت في خضم خطأ كهذا."

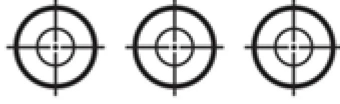
ودون كلمة أخرى، التقط حذاءه من البسطة، ثم استدار وهبط الدرج، ومسدسه أمامه يمسح المكان بحثاً عن أي تهديد.

حافظ يانيس ألفي على الضغط فوق معدته بيد واحدة بينما مد يده الأخرى داخل جيب سرواله. أخرج هاتفه، وضغط على زر بإبهامه الملطخ بالدماء، ورفعه إلى أذنه.

قال بضعف:

– "معكم ألفي.. لقد أُصبت. أنا في بئر السلم." أخذ نفساً بطيئاً وتابع: "اقتربوا بحذر."

ثم أفلت هاتفه ليتمكن من استخدام كلتا يديه الآن ليُبقي ما تبقى من دمائه داخل جسده.



51

قضى راسل ويتلوك ليلته في بيتٍ آمن مهجور تابع لمؤسسة «تاونسند»، يقع في مبنى سكني عتيق بشارع رو كيل في حي سان بيير وولووي جنوب بروكسل. كانت «تاونسند» تستأجر عشرات المواقع في تلك المنطقة، وكان يعلم تمام العلم أنهم لن يتمكنوا من تفتيشها جميعًا في الوقت القصير الذي سيقضيه هنا؛ لذا لم ينل منه القلق بشأن احتمال انكشاف أمره. استيقظ مبكرًا، وتناول إفطاره في مخبز قريب، ثم عاد إلى شقته لتنظيف جرح وركه وتغيير ضماداته.

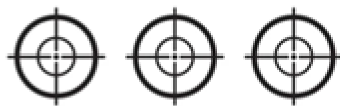
وقف أمام مرآة الحمام، وتقلص وجهه ألمًا وهو ينزع ضمادات الأمس؛ فقد كانت صفراء من الصديد وسوداء من الدم المتخثر. كان جرحه قد تعفن وتورم نتيجة أسبوع من العلاج المتهاون وكثرة الترحال والحركة. وبينما كان ينظفه ويُعيده تضميده، حدث نفسه قائلًا:

بعد اليوم، سآخذ كل ما أحتاجه من وقت للاستراحة والتعافي.

عاد إلى غرفة نومه وسحب صندوقًا أسود من الخزانة، وضعه على الأرض ثم فتحه.

كان بداخله بندقية قنص من طراز Accuracy International L115A3 عيار 338. كان قد استعاد السلاح في الليلة السابقة من مقطورة مغلقة في مزرعة مملوكة لـ «تاونسند» تقع خارج المدينة مباشرة. كان هذا البيت الآمن مهجورًا في الوقت الحالي، لكن راسل كان يعلم بوجود مخبأ للأسلحة هناك؛ لذا مر به، وكسر قفل مقطورة التخزين، وأخذ البندقية ومسدسًا من طراز Glock 19، بالإضافة إلى الذخيرة اللازمة لكلا السلاحين.

والآن، انزلق ببندقية القنص داخل حقيبة مخصصة لزلاجات التزلج الطويل، وألقى معها عدة مخازن محشوة بالرصاص. لن يبدو مظهره مريبًا على الإطلاق وهو يتجه نحو وجهته والبندقية في المقعد الخلفي لسيارته المستأجرة من طراز BMW الفئة الخامسة؛ فضواحي بروكسل كانت تغص بالمسارات المغطاة بالثلوج، وهي مثالية لقضاء ظهيرة في التزلج.



حطت طائرة «غلف ستريم» التابعة لخدمات «تاونسند» الحكومية في مطار بروكسل الدولي في تمام الساعة الخامسة صباحًا. نزل من الطائرة اثنا عشر رجلًا وسط زخات ثلجية كثيفة قبيل الفجر. وبسرعة، احتمى ليلاند بابيت وجيف باركس، برفقة رجال "فريق داجر" العشرة وفريق آخر مكون من رجلين لتشغيل الطائرات المسيرة (UAV)، داخل سيارتي "ميني فان" وسيارة مرسيدس، ثم انطلقوا شرقًا عبر عتمة ما قبل الفجر في ليلة غاب قمرها.

بحلول الساعة السادسة والنصف صباحًا، كانوا قد أقاموا قاعدة عملياتهم في مزرعة ببلدة أوفيريجسي، وهناك التقوا بالأعضاء الستة الناجين من "فريق جامبر". بدا بومونت ورجاله منهكين يعلوهم النصب بعد فقدان عنصرين في هامبورغ والقيادة طوال الليل، لكن بابيت ألحق اثنين من رجال "داجر" بفريق "جامبر" ليستعيد فريق بومونت كامل قوته.

تفقد بابيت وباركس الأوضاع مع غرفة الإشارة في مقر «تاونسند»، بينما عمل لوكاس وكارل مع فريق الـ UAV الثاني لتجهيز محطتي تحكم أرضيتين متنقلتين في خلفية السيارتين. وفي الوقت نفسه، فحص عناصر العمليات المباشرة مخبأ الأسلحة الموجود في مقطورة خيول بجوار الحظيرة في الخارج، حيث وزعوا المسدسات والرشاشات على رجال "داجر" وجردوا بقية الخيارات المتاحة.

وفي غضون دقائق، أدركوا أن ثمة مشكلة.

استدعى بومونت كلًا من بابيت وباركس إلى الخارج، ووقف الرجال وسط الثلوج بجوار مقطورة الخيول.

قال بومونت:

– "نفتقد بندقية قنص."

رد بابيت مستفهمًا:

– "نفتقدها؟"

تابع بومونت:

– "نعم، بندقية AI عيار 338، ومسدس غلوك 19، وذخيرة لكليهما."

قال باركس:

– "إنه ديد آي."

بصق بومونت عصارة التبغ على الثلج وقال:

– "ذلك المجنون ابن العاهرة يخطط لاغتيال رئيس وزراء إسرائيل اللعين."

هز بابيت رأسه قائلًا:

– "سنخرج إلى هناك وننهي هذا الأمر."

استدعى الجميع إلى مطبخ المزرعة وقال:

– "أريد فريق داجر بالقرب من مقبرة ديويغ. لن يصل كالب إلى هناك حتى الواحدة ظهرًا، ولكن إذا كان ذلك هو المكان الذي يخطط ويتلوك لضربه فيه، فأريدكم في المنطقة لتحديد المواقع المحتملة التي قد يطلق منها النار. ادرسوا أفضل الخيارات ثم ابحثوا عن مخابئكم؛ اجعلوا أنفسكم غير مرئيين."

بدأ فريق "داجر" على الفور في تجهيز معداتهم.

التفت بابيت الآن إلى بومونت وفريقه وقال:

– "أنتم ستبقون معي؛ سندعم فرق الـ UAV. سيتعين عليهم التحرك لتغطية المدينة، وإذا رصدوا أي إشارة لـ «الرجل الرمادي»، فنريد أن نكون مستعدين لمطاردته فورًا."

ثم توجه بابيت إلى فريقي الـ UAV اللذين عادا للتو من تجهيز محطة التحكم في الحافلة:

– "أريد تغطية كاملة بالطائرات المسيرة اليوم. أريد من جو وكيث البحث عن ويتلوك، ومن لوكاس وكارل البحث عن «الرجل الرمادي»."

رفع لوكاس يده مترددًا وقال:

– "ماذا عن إيتنغر؟"

رد بابيت:

– "ما شأنها؟"

أجاب لوكاس:

– "إذا كانت مع جينتري، فربما نجدها أسرع مما نجده."

استفسر بابيت:

– "وكيف ذلك؟"

قال لوكاس بشيء من القلق:

– "عندما كنا في ستوكهولم، جعلت الحاسوب يسجل نمط مشيتها (Gait Pattern) لنتمكن من العثور عليها وسط الحشود. لم أكن أراقبها، بل فعلت ذلك فقط لأتمكن من تتبع أثرها وتسهيل توجيهنا نحو أي رصد لـ جينتري."

قال بومونت:

– "هل تقصد أنك تستطيع تتبع فتاة الموساد تمامًا كما تفعل مع جينتري؟"

أجاب لوكاس:

– "نعم، بل وبشكل أفضل في الواقع؛ لأنها – على عكس جينتري – لا تعلم أننا نستخدم الـ UAV للبحث عنها."

أومأ بابيت برأسه وتحدث وكأن الفكرة كانت فكرته منذ البداية:

– "حسنًا، جِدوا لي إيتنغر. يمكنني استغلالها."

قاد ويتلوك سيارته جنوبًا خارج مركز المدينة، وسط زحام ساعة الذروة الصباحية؛ كانت سيارته الفضية المستأجرة تندمج بسلاسة مع حركة المرور في الأحياء الراقية.

وبينما كان يقود، اهتز هاتفه المحمول في حامل الأكواب، فوضع السماعة في أذنه وقال:

– "تكلم."

جاءه الرد:

– "أهلًا بك أيها الوغد."

كان هذا صوت كورت جينتري، ووجد ويتلوك في هذا الاتصال فرصة سانحة بقدر ما كانت مفاجئة. لقد فقد الاتصال بـ «الرجل الرمادي» في اليوم السابق، ولم يكن متأكدًا حتى من بقائه على قيد الحياة.

ابتسم راسل وقال:

– "من الجيد أن أعلم أنك لا تزال حيًا."

أجاب كورت:

– "اليوم لا يزال في بدايته."

قال راسل:

– "هذا صحيح."

تابع كورت:

– "لدي أخبار سيئة؛ خطتك الصغيرة ولدت ميتة."

استفسر راسل:

– "ولماذا ذلك؟"

أجاب كورت:

– "لأنك تحتاجني لإنجاحها. أنت تريد قتل كالب، ثم قتلي في موقع الحادث لأكون أنا كبش الفداء."

قال راسل:

– "في عالم مثالي، كان ذلك ليكون خيارًا نموذجيًا. أردتُ منك أن تتبعني في عملية اغتيال كالب. كنت أعلم أنك لن توافق أبدًا على قتل رئيس الوزراء الإسرائيلي؛ فأنت تحب التظاهر بأن نسختك من القتل الجماعي غير المصرح به مغلفة بنوع من النظام العادل والسامي، وكالب لا ينطبق عليه هذا المعيار. لذا كنت سأخبرك أنني أطارد هدفًا آخر في لندن؛ فهناك حشد من الطغاة والأوغاد الذين سيحضرون ذلك المؤتمر، وكان بإمكاني الاختيار من بينهم. كنت آمل أن تكون قريبًا عند تنفيذ العملية، وعندها كنت أعلم أنك ستدرك أنني أستهدف كالب وستحاول منعي، لكنني كنت أعلم أيضًا أنني سأرديك قتيلًا. وهكذا، يموت كالب، وتموت أنت، وماذا سأكون أنا؟ سأكون العميل الأمريكي المعتمد الذي كان يطارد «الرجل الرمادي»، وسأقف هناك فوق جثتك الممزقة بالرصاص بينما يحيط بي رجال الموساد، والدموع في عيني وأنا أعترف بأنني وصلت متأخرًا بلحظة واحدة فقط لإنقاذ كالب. سنبكي جميعًا معًا، وسيشكرونني لأنني بذلت قصارى جهدي ولأنني قتلت السفاح الشرس الذي اغتال زعيمهم العظيم."

قال كورت:

– "لكن خطتك باءت بالفشل الذريع عندما أخبرت روث إيتنغر الموساد بكل شيء عنك. قد لا يصدقون الآن أنك الرجل الذي يطارد كالب، ولكن عندما تظهر في مسرح الجريمة، سيدركون أن روث كانت على حق طوال الوقت. خيالك الصغير لن يتحقق أبدًا."

اعترف راسل قائلًا:

– "كان طموحًا أكبر من اللازم، لكنني سأستمر في تنفيذ العملية، وسأقبض ثمني."

ثم صمت قليلًا وأردف:

– "وأنت، ستكون مقتولًا في النهاية على كل حال."

رد كورت:

– "يؤسفني أن أحطم آمالك، لكنني حر طليق، لقد رحلت."

قال ويتلوك:

– "لا أصدق ذلك. أنت هنا، أشعر بوجودك."

فكر راسل في الأمر وهو ينظر إلى تلة غابوية في الأفق الضبابي، حيث وجهته المنشودة، وقال:

– "كان هذا أمرًا حتميًا يا كورت. أنا وأنت، قطاران منطلقان في اتجاهين متعاكسين على السكة نفسها."

قال كورت:

– "أريدك أن توقف هذا؛ اترك كالب وشأنه وارحل."

لم يكن رد راسل سوى ضحكة ساخرة.

قال كورت:

– "تقول إن هذا أمر حتمي، لكنه ليس كذلك. أنت من يتحكم في هذا الموقف."

قال راسل بنبرة تنذر بالسوء:

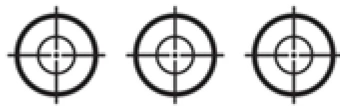
– "هذا صحيح، أنا من يتحكم. أنت هو الشخص الذي لا يملك من أمره شيئًا. لا يمكنك الهرب، عليك أن تطاردني، تمامًا كما خططت. وداعًا يا كورت، سأراك في المرة القادمة حين أقتلك."

أنهى ويتلوك المكالمة والابتسامة ترتسم على وجهه؛ فقد سمع ذلك في نبرة صوت جينتري. كان «الرجل الرمادي» ملتزمًا بالقضية، وسيلعب دوره المرسوم حتى النهاية.

بعد خمس عشرة دقيقة، ركن ويتلوك سيارته في شارع فيريوينكلسترات، وسحب حقيبة التزلج من المقعد الخلفي، وبدأ يسير في الشارع. وفي لحظات، دخل إلى قطعة أرض خاصة حرجية في منتصف منحدر تلة شديدة الوعورة، وخاض في الأرض المتجمدة تحت مظلة من الأشجار العارية. طارت الغربان فوقه وهو يتوغل في الغابة متجهًا نحو الغرب، وبعد مائة ياردة سلك طريقًا ضيقًا يمر فوق تلة تطل على بركة متجمدة مليئة بنفايات الحي السكني المرتفع خلفه. استمر في المسير لدقيقة أخرى، لينتهي به المطاف عند خط الأشجار المطل على الفناء الخلفي الواسع لمزرعة. خلف الفناء، ينحدر المشهد نحو وادٍ ضحل، وفي قاعه تمر قضبان القطار ثم يبدأ حي سكني. وخلف ذلك، تبرز تلة أخرى يسكنها حي أوكل في بروكسل ببيوته المتفرقة، وعلى بعد حوالي ألف ومائتي ياردة، بالقرب من قمة هذه التلة، تقع مقبرة ديويغ العتيقة، في رؤية مثالية من موقع راسل هنا عند حافة الأشجار.

كانت هناك دفيئة زجاجية صغيرة تقع في الفناء الخلفي للمزرعة عند حافة الغابة؛ دخل راسل المبنى الصغير وخبأ حقيبة التزلج التي تحتوي على بندقيته.

بعد عشرين دقيقة، عاد إلى سيارته الـ BMW وانطلق شمالًا نحو المدينة.



أشرقت شمس الضحى ساطعة على بساط الثلج الذي يغطي بروكسل. خرجت روث من مدخل جانبي صغير لمحطة قطار غار دو

نورد، وهي ترتدي نظارات شمسية ضخمة تحميها من الوهج، وقبعة جديدة تغطي عينيها من الشمس.

بمجرد وصولها إلى المحطة، دخلت متجرًا واشترت ملابس جديدة من الرأس إلى أخمص القدمين، ثم توجهت مباشرة إلى الحمام لتعمل على تغيير تنكرها. وضعت شعرها المستعار الأشقر، وأصلحت مكياجها، وغيرت ملابسها. أسدلت شعرها مع غرة منخفضة فوق عينيها مباشرة، وأكملت المظهر بنظارات طبية أنيقة.

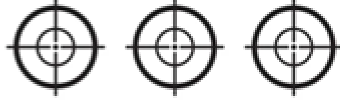
عندما غادرت المحطة، كانت متأكدة من عدم تعقبها، ومتأكدة تمامًا من أن ملامحها أصبحت غير قابلة للتمييز.

استقلت سيارة أجرة إلى «لا ميزون ديغاند»، وهو خياط حصري للبدل الرجالية في شارع أفينيو لويز، وهناك عبرت الشارع إلى مقهى وطلبت قهوة وكرواسون. جلست بجوار النافذة وأبقت عينيها على الشارع وهي تتناول إفطارها.

كان إيهود كالب يمر عادةً بمتجر «ديغاند» لتجربة القياسات عندما يكون في بروكسل. كان هذا معلومًا للموساد، لكنها لم تكن تعرف إن كان معلومًا لوكالة المخابرات المركزية. فكرت أنه إذا كان الأمر كذلك، فمن المحتمل أن يستخدم ويتلوك نقطة الوصول المعروفة هذه كموقع لمحاولة الاغتيال.

ومع ذلك، كانت روث تعلم أن مقبرة ديويغ هي المكان الأكثر احتمالية للضربة؛ فهي المكان الأكثر انفتاحًا وبالتالي الأكثر عرضة للخطر. وبينما لم يكن كالب يذهب دائمًا إلى «ديغاند»، فإن سبب مجيئه بالكامل إلى بروكسل كان الذهاب إلى المقبرة لزيارة ضريح بيت دي شيبر.

ومع ذلك، وبينما كانت تنتظر وصول جينتري إلى المدينة ليكون ذراعها الضاربة، علمت أنها بحاجة إلى مراقبة القاتل الأمريكي الآخر.



52

بعد نصف ساعة في المقهى دون ظهور لـ ويتلوك أو كالب، قررت روث السير في شارع أفينيو لويز لتوسيع نطاق مراقبتها حول متجر الخياط. لم تكن قد قطعت سوى بضعة مربعات سكنية حتى توقفت سيارة مرسيدس سوداء ذات أربعة أبواب عند الرصيف أمامها مباشرة.

انفتح الباب، وترجل منها ليلاند بابيت بمفرده.

توقفت روث في مكانها، ثم استدارت في الاتجاه المعاكس وبدأت تسير بهدوء مبتعدة. سمعت السيارة تنطلق، ثم جاءها صوت من الخلف يقول:

– "آنستي إيتنغر. أنا وحدي، أريد التحدث فقط. لقد أرسلت بقية رجالي بعيدًا."

التفتت إليه، فرفع يديه معتذرًا وقال:

– "حاولت الاتصال بكِ، لكن يبدو أنكِ أضعتِ هاتفكِ."

سألته روث:

– "كيف عرفت أنني هنا؟"

أجابها:

– "أحد رجالي رآكِ في المقهى أمام متجر ديغاند."

لم تصدقه روث؛ فقد كانت تعلم أن تنكرها كامل، وهي خبيرة في المراقبة السرية. لم تلمح أي شخص مريب في المنطقة، وبالتأكيد ليس أحد رعاة البقر التابعين لـ «تاونسند» الذين واجهتهم في السويد وألمانيا.

لكنها لم تُظهر شكوكها في تفسيره لانكشاف أمرها، وقالت بدلًا من ذلك:

– "إذن، سيد بابيت، لماذا أنت هنا؟ هل جئت لتساعدني في منع موظفك من قتل رئيس وزرائي، أم أنك هنا لقتل رجل بريء؟"

قال بنبرة جادة لم تثق بها حقًا:

– "لن أدخل في نقاش حول براءة جينتري أو ذنبه؛ فانحيازكِ أقوى من حاجتي أو إرادتي لإقناعكِ، لكني أعتقد أن بإمكاننا العمل معًا."

سألته:

– "بأي طريقة؟"

أجاب:

– "أنتِ تريدين ديد آي، ونحن نريد جينتري."

استفسرت روث:

– "هل تعتقد أن ديد آي قد تمرد؟"

قال بابيت:

– "أنا متأكد من ذلك. لقد تتبعناه إلى هنا الليلة الماضية لكنه... لكنه أفلت منا. أعتقد أنه هو التهديد الحقيقي لرئيس وزرائكِ؛ أرى ذلك الآن. للأسف، أصدقاؤنا المشتركون في لانغلي بفرجينيا غير مقتنعين. أخشى أن مصفوفة التهديد لديهم لا تتسع إلا لعميل متمرد واحد. إنها قاعدة "نصل أوكام" يا آنسة إيتنغر؛ الحل البسيط هو الصحيح عادة."

ردت روث:

– "عليهم أن يوسعوا آفاقهم إذن."

نقل بابيت ثقله من قدم إلى أخرى في البرد القارس وقال:

– "أما بالنسبة لـ جينتري، فأنا أدرك أنكِ تشعرين بأنه يُعامل بظلم." صمت قليلًا ثم تابع: "السؤال الذي عليكِ طرحه على نفسكِ هو: هل حياة جينتري تساوي أكثر من حياة رئيس وزرائكِ؟"

قالت روث:

– "استمر."

قال بابيت:

– "يمكنني قيادتكِ إلى راسل ويتلوك. اليوم، قبل وصول إيهود كالب."

ردت روث:

– "والثمن مقابل هذه الجائزة، كما أفترض، هو أن أقودكِ أنا إلى كورت جينتري."

أجابها:

– "هذا صحيح."

قالت روث:

– "أنت تلعب لعبة خطيرة جدًا يا سيد بابيت. إذا أخبرت تل أبيب أنك تستخدم زعيم دولتنا كأداة للمساومة–"

قاطعها قائلًا:

– "لدي من الاتصالات مع تل أبيب أكثر مما لديكِ. إنهم لا يستمعون إليكِ الآن، وبالتأكيد لن يتغير ذلك قبل وقوع مكروه لرئيس وزرائكِ. أنا فقط أقترح أن تخبري جينتري بمكان ويتلوك. سيذهب إلى هناك، وسنقف نحن بعيدًا لنترك الطبيعة تأخذ مجراها."

نظرت بعيدًا وهي تفكر في العرض.

قال بابيت:

– "أنا أعرف المأزق الذي تقعين فيه؛ قد تذهبين إلى السجن."

ردت روث:

– "لا يهمني ذلك؛ كل ما يهمني هو إنقاذ كالب."

ابتسم قليلًا وقال:

– "وهذا هو هدفي أيضًا. هدفي الثانوي، باعتراف الجميع، لكنني لا أزال أريد تجنب أي ضرر يلحق برئيس وزرائكِ؛ فهو رجل طيب."

ترددت روث للحظة أخرى، ثم أومأت برأسها ببطء:

– "يمكنني تسليم جينتري إليكم."

قال بابيت:

– "اتصلي به الآن، يمكنكِ استخدام هاتفي."

ردت:

– "إنه لا يثق بالهواتف، يجب أن أقابله وجهًا لوجه."

سألها:

– "أين ومتى؟"

أجابت:

– "إذا أخبرتك بذلك، ستضيع ورقة ضغطي يا سيد بابيت."

قال:

– "إذن ماذا تقترحين؟"

أعطت روث بابيت رقم الهاتف الذي اشترته في اليوم السابق في السويد، ووعدت بالاتصال به بحلول الظهر.

قال بابيت:

– "سأحذركِ الآن يا عزيزتي؛ إذا حاولتِ القيام بأي خديعة، فلن نتمكن من إنقاذ رئيس وزرائكِ من راسل ويتلوك. لقد تدرب في البرنامج نفسه الذي صنع جينتري كما تعلمين؛ وكلاهما رجلان في غاية الخطورة."

قالت روث:

– "سأتصل بك، وعليك أن تكون مستعدًا لإحضار ويتلوك عندما أفعل."

قال:

– "لن يكون ذلك مشكلة."

تركت روث بابيت هناك عند زاوية الشارع ينتظر سيارته المرسيدس لتقله، وتابعت سيرها في شارع أفينيو لويز سيرًا على الأقدام.

مشت روث عدة مربعات سكنية ثم أجرت مكالمة مع كورت جينتري عبر سماعة الرأس اللاسلكية.

بعد لحظة، جاءها صوته:

– "نعم؟"

سألته:

– "هل أنت في المدينة؟"

أجابها:

– "أدخل المحطة الآن."

قالت:

– "استمع إليّ بدقة. رجال «تاونسند» هنا، وطائراتهم المسيرة تجوب السماء."

رد كورت:

– "أنا متخفٍ، يفترض أن أتمكن من–"

قاطعته قائلة:

– "كورت، لديهم تسجيل لنمط مشيتك. يمكن للطائرة المسيرة أن تميزك وسط حشود من المئات، بل الآلاف. إذا كنت بالقرب من محطة قطار، فكن على يقين أنهم يغطونها؛ ليس لديك فرصة."

سألها بجدية:

– "هل أنتِ متأكدة من هذا؟"

استمرت روث في السير وقالت:

– "متأكدة. إنهم يتتبعونني الآن. الطريقة الوحيدة التي مكنتهم من ذلك هي مشيتي؛ ثق بي."

بينما كان كورت يتحدث إلى روث عبر سماعته، نظر خارج واجهة محطة قطار غار دو ميدي في وسط مدينة بروكسل. فكر في السماء الصافية فوقه، وفي احتمال أن تكون طائرة مسيرة غير مرئية تقريبًا مبرمجة لتمييزه وسط الزحام وإرسال القتلة إلى موقعه.

خطرت له فكرة بسرعة وقال:

– "حسنًا، شكرًا على هذه المعلومات، سأتدبر الأمر." ثم غير الموضوع: "ماذا قال بابيت؟"

أجابت روث:

– "يعلمون أنني وأنت نعمل معًا. يريد مني مقايضتك بـ ويتلوك. يريدني أن أرسلك إلى موقع يوجد فيه ويتلوك، ثم أفترض أنه ورجاله سينقضون ويقتلونكما معًا."

سألها:

– "لماذا تخبرينني بهذا؟"

قالت:

– "لأنه فخ."

سخر كورت قائلًا:

– "بالطبع هو فخ؛ هذا هو المعنى الحرفي للكلمة."

ردت روث:

– "لا، أعني أنه يمكننا استخدامه للإيقاع بهم."

سألها:

– "كيف؟"

قالت روث:

– "أحضر منظارًا جيدًا وعاود الاتصال بي. طائرات الـ UAV التي يستخدمونها حديثة، وبطاريتها تكفي لنصف ساعة فقط، ومداها لا يتجاوز بضعة أميال. سأسمح لهم بتتبعي إلى مكان بعيد خارج مركز المدينة حيث سيضطرون لاستخدام سيارة للبقاء معي. ادخل أنت إلى أحد المباني وراقب الطائرة، ثم تتبعها إلى قاعدتها عندما تعود للشحن."

أومأ كورت برأسه وقال:

– "حيث سأجد رجال «تاونسند»."

قالت روث:

– "بالضبط؛ سيقودونك هم إلى ويتلوك."

اعترف كورت:

– "أعجبتني الفكرة، أنتِ مراوغة حقًا."

قالت روث:

– "أنا كذلك بالفعل."

نزل كورت إلى مرآب السيارات أسفل المحطة وسار بين الصفوف حتى وجد دراجة نارية نالت إعجابه؛ كانت من طراز BMW R1200 صالحة للطرق الوعرة. فتح القفل بأدواته، ثم قام بتوصيل الأسلاك لتشغيلها تمامًا كما فعل مع الدراجة في شمال ألمانيا الليلة السابقة. دفع رسوم الموقف وانطلق خارجًا متجهًا شمالًا، بعيدًا عن مركز المدينة، ورأسه مغطى بالكامل بالخوذة.

قاد الدراجة حتى وجد متجرًا للمستلزمات الرياضية في ضاحية تبعد حوالي عشرة كيلومترات عن المدينة. هناك اشترى منظارًا فاخرًا من طراز «نيكون»، وبدلة دراجة نارية جلدية من قطعتين وخوذة، كلاهما باللون الأسود. كما اشترى حقيبة ظهر جديدة تختلف في الحجم والطراز عن حقيبته الحالية، ونقل ملابسه ونقوده ومعداته وحقيبة الإسعافات الأولية إليها.

اتصل بـ روث مرة أخرى ليعرف موقعها، ثم امتطى دراجته المسروقة وبدأ يشق شوارع بروكسل بسرعة.

توجهت روث إلى خارج المدينة مستخدمة "الترام"، وهي تأمل بشدة أن تتمكن طائرة «سمكة السماء» التابعة لـ «تاونسند» – والتي كانت متأكدة من تتبعها لها – من اللحاق بها. كانت تنزل في عدة محطات ثم تستقل قطارات أخرى، وفي كل مرة تنتظر عند المحطة وتنظر حولها، متظاهرة بأنها تقوم بإجراءات مراقبة روتينية وأنها غير مدركة لأي عيون في السماء. في الحقيقة، كانت تمنح الفريق المتنقل للطائرة المسيرة كل الوقت الذي يحتاجونه للعثور عليها، وتبديل الطائرات عندما تنفد طاقة إحداها.

تعمدت ألا تبحث عن الطائرة؛ فآخر ما تحتاجه هو كشف أوراقها وإعلام «تاونسند» بأنها كشفت أمرهم.

عندما عاود كورت الاتصال بها، نظر كلاهما إلى خرائط الأقمار الصناعية على هاتفيهما واتفقا على موقع يناسب احتياجاتهما.

دخلت روث متجرًا متعدد الأقسام ـ في حي إيتيربيك بعد دقائق، وهو مبنى مكون من خمسة طوابق تحيط به مبانٍ أصغر من جميع الجهات. هرعت عبر المتجر إلى السلالم المتحركة، ثم صعدت إلى الطابق الثالث. هناك أسرعت عبر قسم المفروشات، ثم قسم الأثاث، وشقت طريقها نحو النوافذ.

وبحذر شديد، اقتربت للحصول على رؤية للشارع، محتمية بالأثاث والمتسوقين خشية أن تكون الطائرة المسيرة تراقب النافذة ـ في تلك اللحظة.

كان لوكاس وكارل قد أخبراها ـ في ستوكهولم أنهما ـ في حالات الزحام النهاري عادة ما يحركان الطائرة بالقرب من جدران المباني، باذلين قصارى جهدهما لجعلها تندمج مع المشهد الحضري. عندما وصلت روث إلى النافذة، بدأت ـ في فحص المباني عبر الشارع، لكنها لم ترَ شيئًا بعينها المجردة.

اتصلت بـ كورت وتحدثت معه عبر السماعة:

– "أنا ـ في موقعي. أين أنت؟"

أجابها:

– "في مستوى الشارع، على بعد حوالي ثلاثة مربعات سكنية شرقكِ. أمسح المنطقة بمنظاري، لكنني لا أرى شيئًا."

قالت:

– "استمر في البحث، لابد أنها في مكان ما هنا. يفترض أن تكون على ارتفاع ثلاثة طوابق تقريبًا."

كرر كورت:

– "لا شيء."

في تلك اللحظة، خطرت لها فكرة:

– "كورت، انظر فوق موقعي مباشرة."

سألها:

– "فوق المتجر؟"

قالت:

– "نعم."

قال:

– "قلتِ إنها ستتحرك بمحاذاة المبنى."

ردت:

– "فكر في الأمر؛ سيحتاجون لتغطية جميع المخارج في حال تسللتُ من الخلف. لا يمكنهم فعل ذلك ما لم تكن فوقي مباشرة."

قال كورت:

– "حسنًا."

وبدأ بمسح السماء الزرقاء، ينظر يمينًا ويسارًا فوق المتجر.

– "لا يزال لا شيء."

قالت:

– "استمر في البحث."

وفجأة، وفي المكان نفسه تقريبًا الذي ركز فيه انتباهه فوق المتجر، رأى جسمًا أسود صغيرًا يتحرك في السماء. كان على ارتفاع

ثلاثمائة قدم على الأقل، ولم يكن أكثر من ذرة من موقع كورت البعيد. لم يكن ليلاحظه أبدًا لو ظل ثابتًا.

قال:

– "وجدتها. إنها تغادر."

طارت الطائرة مقتربة من كورت، وانزلقت طائرة ثانية بصمت لتتخذ وضعية التحليق بالقرب من الأولى.

قال:

– "انتظري؛ ظهرت طائرة ثانية من جهة الجنوب الشرقي. لابد أن شاحنتهم المتنقلة مركونة في مكان ما في ذلك الاتجاه."

قالت روث:

– "ابدأ بالتوجه إلى هناك. سأستمر في التحرك وسنجدها."

امتطى كورت دراجته وانطلق خلف الطائرة. كان يأمل في العثور على حافلة فريق الـ UAV مركونة عند الزاوية، لكنه بدلاً من ذلك تتبع الذرة السوداء لمسافة نصف ميل ثم فقدها، ليجد نفسه خارج إيتيربيك وقريبًا من الحافة الجنوبية الشرقية للمدينة. دخل موقف سيارات لمتجر بقالة، واختبأ بدراجته تحت غطاء الموقف، ثم وجه روث إلى موقف حافلات يبعد مائة ياردة فقط عن موقعه.

وصلت روث في حافلة بعد دقائق، ومسح كورت السماء بحثًا عن الطائرة. وجدها هذه المرة على ارتفاع خمسين قدمًا فقط؛ كانت تحلق بثقة على بعد مربع سكني واحد من موقف الحافلات.

تفقد كورت ساعته بعد بضع دقائق، وكما هو متوقع عند علامة النصف ساعة، تبادلت الطائرتان المواقع مرة أخرى. انطلقت الطائرة الأولى مبتعدة، طائرة مرة أخرى نحو الجنوب الشرقي، ودخل كورت وسط حركة المرور خلفها.

وسرعان ما وجد نفسه على الطريق السريع A4، يبذل قصارى جهده لإبقاء عينيه على ذرة سوداء صغيرة تبعد مائة ياردة عن كتفه الأيمن وأمامه بقليل. مرتين كاد أن يحطم الدراجة وهو يصارع لإبقاء الجسم في بصره والتنقل بين السيارات، وكان طوال الوقت في حالة تأهب، مستعداً لرؤية الطائرة وهي تهبط بجوار سيارة أو شاحنة على جانب الطريق.

لكن الطائرة غادرت مسار الطريق السريع ودخلت قرية صغيرة. رآها تنحدر بين تلتين، ثم اختفت.

– "روث، لقد فقدتها."

قالت:

– "اللعنة."

قال:

– "سيتعين علينا الانتظار نصف ساعة أخرى."

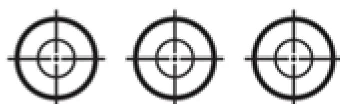
ردت بحدة:

– "تبًا! هذا سيأخذنا إلى ما بعد الظهر. لن يكون هناك وقت كافٍ للوصول إلى المقبرة إذا لم ينجح هذا."

صاح بها كورت وهو يعود أدراجه:

– "أنا قريب! في المرة القادمة التي تغادر فيها الطائرة هذه القرية وتعود الأخرى، سأكون فوق محطة التحكم الأرضية مباشرة."

انطلق مسرعًا إلى قرية أوفيريجسي، ووجد أرضًا مرتفعة في أجمة من الأشجار شرق البلدة، وركن دراجته. كان الوقت ينفد، لكن في الوقت الحالي، لم يكن هناك ما يفعله سوى الانتظار.



53

استقلت روث حافلة قادتها في نفس الاتجاه العام للطائرة المسيرة، لكنها ترجلت بعد محطتين فقط، غير راغبة في الكشف عن معرفتها بالقرية التي تعمل منها «تاونسند». وقفت على جانب الطريق، تقتل الوقت بانتظار دورة التبديل التالية للطائرة المسيرة.

أصدر هاتفها صوتًا في أذنها.

– "نعم؟"

– "أنا بابيت. لماذا لم تتصلي؟"

عرفت أنه يراقبها، أو على الأقل يتم إبلاغه بتحركاتها الغريبة.

– "أنا على اتصال بجينتري؛ إنه يقودني في جولة للتأكد من أنني لست مراقبة."

– "الساعة تقترب من الظهر؛ من الأفضل أن يسرع وإلا فكالب في عداد الموتى."

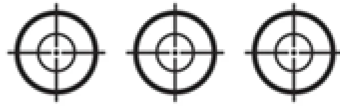
– "أعلم. لن يطول الأمر. هل لديكم «ديد آي»؟"

– "عندما يكون جينتري في جيبك، عاودي الاتصال بي. نعرف أين ويتلوك، وسأخبرك إلى أين ترسلين جينتري."

– "جيد جدًا"، قالت وفصلت المكالمة.

لكن الأمر لم يكن "جيدًا جدًا". علمت أن بابيت يماطلها. لن يكون هناك اجتماع بين جينتري وويتلوك في نهاية هذه الرحلة. لا، بمجرد أن تتبعها طائرة «تاونسند» المسيرة إلى جينتري، سينقض رجال «تاونسند» عليه.

صعدت الحافلة التالية المتجهة في الاتجاه المعاكس لكورت. حان الوقت لقيادة فريق «جامبر» بعيدًا عنه.



أمضى راسل ويتلوك الصباح يجهز لهروبه من بروكسل بعد تنفيذ خطته. رتب سيارة شمال المدينة وحجز غرفة فندق في أمستردام لتلك الليلة. من هناك سيتصرف حسب الظروف. كان يعلم يقينًا أن وثائقه الجديدة التي تلقاها من الـ CIA في المساء السابق ستكون أقل من عديمة الفائدة؛ سيتعين عليه التواري عن الأنظار هنا في الاتحاد الأوروبي والعثور على بعض الهويات المزورة. سيستغرق هذا وقتًا ومالاً، لكن راسل كان مرتاحًا لحقيقة أنه، بعد الواحدة من ظهر اليوم، سيمتلك الكثير من كليهما.

تمركز في شقته المستأجرة بالطابق الأرضي في حي سانت بيتر فولو ببروكسل. كان يعرف المنطقة لأن الشقة تقع في مبنى يضم أيضًا منزلًا آمنًا لـ«تاونسند»، وحدة في الطابق العلوي استخدمها راسل مرة في الماضي. تجنب وحدة المنزل الآمن لأنه ظن أنها قد تكون مراقبة، وعرف أن «تاونسند» قد تستهدفه في هذه المرحلة جنبًا إلى جنب مع جينتري.

أراد تناول حبة «أديرال» لرفع سرعة رد فعله ووعيه، لكنه عرف أنه سيتعين عليه تنفيذ طلقة من مسافة تزيد عن ألف ياردة، وهو ما سيكون مستحيلاً مع معدل ضربات القلب وضغط الدم المرتفعين اللذين يسببهما الدواء.

لكن هذا لم يكن مصدر قلق كبير، لأن راسل عرف أن مزاجه المبتهج تقريبًا سيحل محل المنشط النفسي. شعر بروعة تجاه اليوم، وتجاه خطته، ومستقبله.

كان الوقت قبل الظهر بقليل الآن. لديه خمس عشرة دقيقة لقتلها قبل العودة إلى مخبئه شرق مقبرة ديويغ. قرر أنه سينظف بسرعة جرح وركه النازح ويعيد تضميده.

بينما كان ينهض للتوجه إلى الحمام، أصدرت سماعة أذنه صوتًا.

– "تحدث."

– "أنا بابيت."

ضحك راسل.

– "ماذا؟ لا تحقق من الهوية؟"

– "لم تعد موظفًا في «تاونسند» للخدمات الحكومية. لا شيء رسمي في هذه المكالمة." توقف. "نحن مجرد رجلين، يجريان محادثة رجل لرجل."

استمر مزاج راسل الفوار. مازح قائلاً:

– "لا يمكنك طردي، لأنني استقلت."

لم يكن بابيت يضحك.

– "أنا هنا في بروكسل."

هز راسل كتفيه لنفسه في الشقة الهادئة.

– "أنت؟ هنا في الميدان؟ لا تقل لي أنك أحضرت باركس معك؟"

– "جيف هنا، نعم."

– "أوه لا." كانت نبرة راسل ساخرة. "الشريف ونائبه جاءا للقبض عليّ."

قال لي:

– "لو كان الأمر بيدي لفعلت ذلك بالضبط. لكن ديني كارمايكل يأمرنا بالاستمرار في مهمة جينتري."

– "ديني العجوز الطيب. إنه وغد عنيد وحقود، أليس كذلك؟"

تنحنح بابيت.

– "كنت على اتصال بالمرأة من الموساد. إنها هنا في بروكسل وتعمل مع جينتري. إنهما يحاولان تعقبك."

– "لن يجداني."

– "إنها تريد استبدال جينتري بك."

صفر ويتلوك.

– "مسكين يا كورت. لم يقابل صديقاً إلا وطعنه في ظهره."

– "صحيح."

– "حسناً، لن أسلم نفسي للموساد، ولن أسلم نفسي لكم."

– "بالطبع لن تفعل."

– "إذن ما الذي تريده مني يا بابيت؟"

– "أريد ثقتك."

أمال راسل رأسه. إلى أين يؤدي هذا؟

– "ماذا تعني؟"

– "أريدك فقط أن تستمع لما سأقوله دون رد فعل."

قبل أن يرد راسل، قال بابيت:

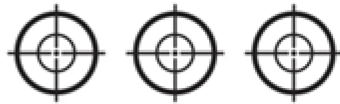
– "ظننت أنه من المحتمل أن تستخدم أحد منازلنا الآمنة المهجورة كقاعدة لعملياتك، لذا أرسلت طائرة مسيرة لتفقد جميع المواقع التي تعرفها. شوهدت في شارع كيل، والآن جون بومونت وفريقه خارج بابك مباشرة. وأنا كذلك. نريد الدخول والتحدث. ليس

لدينا تفويض أو تصريح لفعل أي شيء بك، نحتاجك فقط لمساعدتنا في القبض على جينتري."

قفز راسل على قدميه ومد يده لمسدس «غلوك» على وركه، ـفي اللحظة التي انفتح فيها باب غرفة المعيشة ودخل ثلاثة رجال بأسلحة مرفوعة. غاص راسل خارج الغرفة واندفع نحو الجزء الخلفي من العقار لكن هنا دخل ثلاثة عملاء آخرين مسلحين من «تاونسند» عبر الباب الخلفي واندفعوا نحوه بأسلحتهم الرشاشة المرفوعة عاليًا. نظر لأسفل ورأى نقاط ليزر راقصة تتحرك حول صدره بينما وجدت نصف دزينة من أنظمة التصويب بالليزر المثبتة على رشاشات قصيرة الماسورة هدفها.

رفع ويتلوك يديه مستسلمًا. اقتحم بومونت الممر الضيق، ثم رفع ركبته اليمنى بسرعة، بقوة، صادمًا إياها بالجرح الملتهب والمتهتك لطلق ناري ـفي ورك ويتلوك الأيسر.

سقط راسل على الأرض.



بعد دقائق كانت يدا «ديد آي» مقيدتين خلف ظهره بأربطة بلاستيكية، وجلس على الأريكة ـفي غرفة المعيشة. كُلف رجلان من «تاونسند» بإبقاء رشاشات «عوزي» الخاصة بهم موجهة نحو رأسه، وتحرك بقية رجال «تاونسند» حول العقار، يساعدون ـفي الغالب فريق الطائرات المسيرة ـفي نقل محطة التحكم الأرضية الخاصة بهم من الشاحنة بالخارج إلى طاولة طويلة بجوار نافذة كبيرة ـفي مقدمة غرفة المعيشة. وبينما كان مشغلا الطائرات المسيرة، طيار يدعى جو

ومشغل استشعار يدعى كيث، يجهزان معداتهما، نظرا في اتجاهه.
ابتسم راسل للشابين. وبنبرة عملية قال:

– "سأقتلكما أنتما الاثنين."

نظرا إلى بومونت بنظرات مذعورة.

قال بومونت:

– "لا تستمعا إليه يا أولاد. إنه فقط متعكر المزاج قليلاً. عندما اقتحمنا ذلك الباب خسر خمسة وعشرين مليون دولار."

دخل بابيت وباركس غرفة المعيشة وجلسا على كرسيين مجنحين قبالة راسل. بقي بومونت في الجانب الآخر من الغرفة، مستندًا إلى الجدار ورشاشه «عوزي» معلق عبر صدره.

خاطب ليلاند بابيت، ويتلوك:

– "إليك كيف ستسير الأمور. ستجري المرأة الإسرائيلية اتصالًا بـجينتري ثم ستتصل بي. سأجعلها ترسل جينتري إلى هنا. عندما يصل نقتله، ثم نجلس هنا حتى يغادر كالب المدينة.

"ثم نطلق سراحك، ويذهب كل في طريقه."

لم يصدق ويتلوك ذلك.

– "أنت مليء بالهراء كعادتك. بمجرد موت جينتري، لن يكون لدى أحد في الـ CIA حافز لإبقائي حيًا. ستقتلونني." أشار لـبومونت بجبينه. "اشطب ذلك. ستجعل أحد قرودك يفعل ذلك نيابة عنك."

تبادل باركس وبومونت ابتسامة.

– "غير صحيح"، قال بابيت، لكنه لم يحاول بجدية الحفاظ على الخدعة.

استند ويتلوك بظهره على الأريكة. كشف وجهه عن رجل مهزوم، لكن خلف ظهره، كان قد مزق جزءًا من السحاب من إحدى وسائد

الأريكة. كانت أطراف أصابعه تنزف من المهمة الصعبة، لكنه الآن مرر السحاب عبر الأصفاد البلاستيكية، واستخدم أصابعه لتحريكه ببطء ذهابًا وإيابًا، حركة ربع بوصة فقط لكل شوط، مثل منشار سلكي صغير غير حاد.

لقد فعل هذا من قبل، وعلم أنه سيقطع القيود في حوالي دقيقتين. في تلك اللحظة عرف أنه يمكنه القفز فوق طاولة القهوة والانقضاض على بابيت في أقل من ثانية.

بالتأكيد، سيقتله رجال «جامبر»، لكنه وازن هذا مقابل الرضا بغرس يديه في حلق ليلاند بابيت، وكان يجد صعوبة في إقناع نفسه بالعدول عن مسار عمل سيحوله إلى جثة مليئة بالرصاص على الأرض.

لكن فكرة أخرى دخلت عقله. واصل النشر خلف ظهره، لا يظهر شيئًا من الألم في أطراف أصابعه الممزقة أو الوجع في عضلات معصميه وساعديه. نظر إلى بابيت.

– "طائرتك المسيرة وجدتني، لكنها لم تجد جينتري؟ ألا يثير ذلك فضولك؟"

قال كيث:

– "ليس حقًا. قد يكون داخل موقع لا نملك فيه تغطية."

– "أو قد يكون يشغل تدابير مضادة للدفاع ضد تتبع الطائرات المسيرة."

ابتسم باركس.

– "أشك في ذلك."

– "إنه يعمل مع إيتنغر، أليس كذلك؟ هل تعرفون أين هي؟"

– "إنها تركض في جميع أنحاء المدينة الآن. نحن نتتبعها، تحسبًا لمحاولتها خداعنا."

ضحك راسل.

– "إنها تخدعكم بالفعل. تقودكم في مطاردة أوزة برية. إنها تعرف عن تغطية الطائرات المسيرة، مما يعني أن جينتري يعرف عن التغطية. الآن جينتري معها، يراقب من مسافة، محاولًا تتبع الطائرة المسيرة عائدًا لقاعدتها الرئيسية."

قال باركس:

– "اجلس هناك وأغلق فمك اللعين يا ويتلوك. لقد انتهيت."

لكن بابيت التفت إليه.

– "لماذا تقول ذلك يا راسل؟"

– "هذا ما كنت لأفعله، لذا هذا ما يفعله."

فكر بابيت في الأمر. التفت لباركس.

– "هذا يفسر لماذا ذهبت تقريبًا طوال الطريق نحو المزرعة، ثم بدأت تتحرك في الاتجاه الآخر."

قال ويتلوك:

– "هناك حل، بالطبع."

– "أنا أستمع."

– "كورت مخلص كجرو. فقط اقبضوا على فتاة الموساد، أحضروها لهنا، مكان تسيطرون فيه على الأرض، واجعلوها تتصل بجينتري. سيأتي راكضًا لإنقاذها."

نظر بابيت إلى بومونت. كان بابيت مديرًا تنفيذيًا؛ لم يحب أن يعطيه عماله، وخاصة موظفه السابق، أفكارًا، لكنه اعتقد بوضوح أنها فكرة جيدة.

– "التقطوا إيتنغر. أحضروها لهنا. سنفعل هذا بالطريقة القديمة."
– "علم يا زعيم."
– "وأخبر فريق «داجر» بالإسراع للمزرعة لالتقاط لوكاس وكارل. أخبرهم أن يحموا ظهورهم. جينتري موجود هناك في مكان ما."

جلس كورت على دراجته الـBMW في ساحة بجوار متجر زهور، يرتجف في البرد وهو يمسح أسطح منازل القرية الصغيرة في الوادي بالأسفل. حسب ساعته مرت نصف ساعة بالضبط منذ فقد بصره بآخر طائرة مسيرة. إذا بقي فريق طائرات «تاونسند» على نفس الجدول الزمني، ففي غضون لحظات سيرى...

هناك. نقطة سوداء صغيرة ارتفعت من مجموعة منازل على الحافة الشرقية للقرية. لم يستطع كورت تحديد أي عقار أقلعت منه، لكنه حصرها في شارع واحد بعينه، لا يضم أكثر من أربعة أو خمسة منازل ريفية. شغل الدراجة وسابق لأسفل نحو الحي.

ركن في أعلى الشارع؛ الآن كان متمركزًا بين حاويتي إعادة تدوير، وخلع خوذته لمحاولة الاستماع لأي طنين في الأعلى. قاوم الرغبة في النظر لأسفل لساعته. كان يعلم أن الوقت يمر في هذه العملية، لكنه علم أيضًا أن إشاحة نظره عن السماء ولو لبضع ثوان قد تتسبب في تفويت الطائرة المسيرة العائدة.

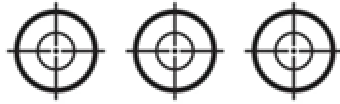
استغرق الأمر أقل من خمس دقائق لعودة الطائرة المسيرة إلى أوفريجسي (Overijse). وبينما مرت فوق القرية اقتربت أكثر فأكثر من جينتري، ثم أبطأت واستقرت خلف منزل ريفي لا يبعد خمسين ياردة عن مكان تمركزه.

لا مجال للخطأ الآن. عرف موقع فريق طائرات «تاونسند».

بدأ كورت يدفع دراجته سيرًا نحو المنزل الريفي، دون تشغيل المحرك ليبقى صامتًا تمامًا. أثناء قيامه بذلك اتصل بـروث.

رن الهاتف، لكن لم يكن هناك إجابة.

ماذا بحق الجحيم؟



كان كارل ولوكاس قد انتهيا تقريبًا لهذا اليوم، ولم يكونا ليكونا أسعد من ذلك. كانا يعملان بلا توقف تقريبًا لأيام، وهما، وكذلك معداتهما، قد دفعوا لنقطة الانهيار.

قبل عشرين دقيقة شاهدا تغذية «سكاي شارك» على شاشاتهما بينما هدفهم، روث إيتنغر، تنزل من حافلة في حي ستيربيك ببروكسل. بمجرد ابتعاد الحافلة عن الموقف، توقفت شاحنة بيضاء وقفز أعضاء فريق «جامبر» التابع لـ«تاونسند»، شاهرين مسدساتهم، وأجبروا إيتنغر على الصعود في الخلف.

لم يفهم فريق الطائرات المسيرة سبب خطف عميلة الموساد، لكنهم لم يكونوا محللين أو مشغلين، كانوا فنيين، لذا دفعوا مخاوفهم من عقولهم وواصلوا عملهم. كان باركس قد أمرهم بتفكيك عملياتهم بأسرع ما يمكن، لأن رجالاً من فريق «داجر» سيمرون بالمزرعة خلال دقائق لنقلهم.

بمجرد هبوط «سكاي شارك» في الفناء الخلفي، أنهى لوكاس عملية إيقاف التشغيل على حاسوبه وتوجه للخلف لاستعادتها.

بينما كان يفتح الباب ظهر أمامه رجل يرتدي زي دراجة نارية جلديًا أسود من رأسه لقدميه. قبل أن يتمكن من الرد لكمه السائق في

فكه، مسقطاً إياه للخلف على الأرضية المبلطة لغرفة المعيشة في المزرعة.

رأى كارل الرجل المتشح بالسواد يدخل فوق جسد لوكاس الممدد. قفز على قدميه ومد يده عبر الطاولة لرشاش «عوزي» ملقى بجوار أحد الحواسيب.

سحب كورت بهدوء مسدسه الـSIG وأطلق النار على طيار الطائرة المسيرة في مؤخرته. سقط كارل على الأرض، يتلوى من الألم. أمسك كورت الآن بلوكاس من شعره وسحبه عائداً للطاولة أمام محطة التحكم الأرضية. بمجرد جلوسه في مقعده جاء دور كارل. أجبره كورت على العودة لكرسيه وعلى مؤخرته المصابة.

تفحص كورت الرجلين بسرعة.

– "لدي قاعدة شخصية بأنني لا أقتل المهووسين (Nerds) إلا إذا اضطررت حقاً. لا أحب ذلك." دس مسدسه في حزامه. "لا تجبراني. ستريانني يا أولاد كيف يعمل كل هذا القرف الرائع، حسناً؟"

قال لوكاس:

– "نعم يا سيدي"، وأومأ كارل.

– "جيد. أريدك أن تطير بهذه الطائرة إلى حيث يوجد «ديد آي». الآن بحق الجحيم."

قال لوكاس:

– "نحن... لا نعرف أين هو."

نظر كورت لكارل.

– "ستنزف حتى الموت خلال الساعة. لن تحصل على مستشفى حتى أحصل على ما أريد، لذا من الأفضل أن تبدأ العمل."

تمالك كارل نفسه بسرعة وبدأ تحضير النظام للإقلاع الفوري.

– "أنا... قد أكون قادرًا على العثور عليه."

قال جينتري:

– "لدي إيمان بك."

أُحضرت روث إلى المنزل الآمن في شارع كيل في الثانية عشرة ظهرًا. عوملت بمهنية من قبل رجال «جامبر»، رغم أنهم أخذوا هاتفها ورذاذ الفلفل وفتشوها بدقة في الشاحنة في الطريق.

احتجت بغضب وطالبت بالتحدث لبابيت، لكنها جلست بهدوء لبقية الرحلة.

مرت عبر الباب وإلى الغرفة الكبيرة في مقدمة الشقة، وقيدت من ذراعها نحو باركس وبابيت، اللذين جلسا على كرسيين مجنحين ووجهاهما بعيدًا عنها. وقف اثنان من رعاة البقر من «جامبر» بجوار الأريكة، حاجبين رؤيتها لرجل جالس هناك يواجه مديري «تاونسند»، لذا لم تجد نفسها وجهًا لوجه مع الرجل الجالس إلا عندما كانت على بعد أقدام قليلة. كان لائقًا بدنيًا وذا مظهر خشن، لكن ليس طويلاً أو مفتول العضلات بشكل خاص. كانت يداه خلف ظهره.

تفحصته عن قرب أكثر الآن. عيناه بدتا تمامًا مثل عيني كورت. كانتا ناضجتين وباحثتين؛ تنقلتا في الغرفة في البداية، لكن عندما استقرتا على عينيها عرفت أن العقل خلفهما يقرأ كل جانب من شخصها، مستوعبًا كل البيانات ومقيمًا إياها كتهديد.

قالت:

– "أنت ويتلوك."

رد قائلاً:

– "أنت إيتنغر"، وبدأ بالوقوف، لكن أحد رجال «جامبر» دفع فوهة مسدسه في جانب رأسه.

جلس مرة أخرى وسحب الحارس سلاحه للخلف.

قال راسل:

– "اعذريني لعدم وقوفي."

التفتت روث لـبابيت الآن.

– "أنتم تدركون أنكم اختطفتم للتو ضابطة موساد، أليس كذلك؟"

هز لي رأسه ومال للخلف في كرسيه، عاقدًا ساقيه.

– "لم نفعل شيئًا من هذا القبيل. كان الوقت يضيق بينما نراقبك تتجولين في المدينة. لم تكن لديك نية لإحضار جينتري لهنا لتبادل. أدرك ذلك. لذا دعوناك للعودة لهنا لتسريع العملية فقط."

لم تقل روث شيئًا.

– "لكن الآن لدينا «ديد آي»، والأكثر إحراجًا، وربما الأهم أيضًا، لدينا أنت. ستتصلين بـجينتري، وتعطينه هذا العنوان – 33 شارع كيل – ثم سننتظر قدومه لإنقاذك وقتل «ديد آي»."

وقف راسل عن الأريكة مرة أخرى.

– "أعتقد أننا يمكننا جميعًا التوصل لاتـ..."

دفع رجل «جامبر» الآخر الذي يحرسه فوهة مسدسه ضد جانب رأس ويتلوك، وجلس راسل مرة أخرى، يداه لا تزالان مشدودتين خلف ظهره. مال بظهره على الأريكة، مواجهًا بابيت وباركس، الجالسين أمامه، وإيتنغر، الواقفة بجوار بومونت والمديرين التنفيذيين لـ«تاونسند».

في تلك اللحظة تلقى باركس مكالمة من فريق «داجر». وضعها على مكبر الصوت على الطاولة التي تحمل معدات الطائرات المسيرة.

قال قائد «داجر»:

– "نحن على بعد دقيقتين من المنزل الآمن. فريق الطائرات المسيرة هناك لا يجيب على الراديو."

قال باركس:

– "علم يا آل"، ثم نظر لبابيت. "إذا وجد «الرجل الرمادي» محطة الطائرات المسيرة في مزرعة أوفريجسي، فيمكننا إنهاء هذا الآن."

من مقعده على الأريكة قال راسل ويتلوك:

– "أعتقد أنه رهان آمن جدًا أن كورت وجد بالفعل محطة الطائرات المسيرة."

سأل بابيت:

– "ما الذي يجعلك تقول ذلك؟"

– "ذاك ما يجعلني أقول ذلك." أومأ ويتلوك نحو النوافذ الكبيرة المقوسة عبر الغرفة. التفتت روث، وبابيت، وباركس، وبومونت جميعًا إليها.

حامت طائرة «سكاي شارك» مسيرة بمستوى العين، على بعد قدم واحدة من النافذة. كانت كاميرتها موجهة عبر الزجاج نحو كل شخص في الغرفة.

– "يا يسوع!" تراجع باركس للخلف في مفاجأة وكأن جينتري نفسه يقف هناك، على الجانب الآخر من الزجاج.

ضحك ويتلوك من موقعه على الأريكة.

– "اهدأ يا باركس. ليست مسلحة. لن يطلق صاروخ هيلفاير."

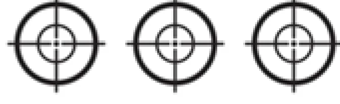
لكن حتى بابيت اهتز لإدراكه أن جينتري يراقب كل حركة له من مسافة لا تزيد عن عشرة أقدام.

قال:

– "ليبقَ الجميع هادئًا." رن الهاتف على حزامه فقفز قليلاً.

من موقعه على الأريكة، بدا راسل ويتلوك أنه يحتفظ بأكبر قدر من السيطرة بين أي شخص في الغرفة. قال:

– "أجب على هاتفك يا لي. قل مرحبًا لكورت، ولوح للكاميرا."



54

قبل أن يجيب بابيت ألقى نظرة على باركس. قال بهمس:

– "اجعل «داجر» يضربون الموقع في اللحظة التي يصلون فيها."

قال:

– "نعم سيدي"، وخرج من غرفة المعيشة.

أجاب بابيت على هاتفه.

– "من هذا؟"

بعد توقف قصير سمع:

– "أنت تعرف من هذا."

– "جينتري؟"

زمجر كورت تقريبًا.

– "بابيت."

– "ماذا حدث لفريق طائراتي المسيرة؟"

– "أقنعتهم بالعمل لصالحي."

تنحنح بابيت بعصبية، وجاهد لفرض نبرة سلطة في صوته.

– "نعم. حسنًا، كما... كما ترى بوضوح، لدينا «ديد آي» هنا."

– "أرى ذلك. أريد أن أرى كل ابن عاهرة في تلك الغرفة ومسدسه موجه لـ«ديد آي». يمكنه نزع سلاح هذين الأحمقين الواقفين بجانبه في أقل من ثانية."

لكن بابيت لم يكن ليدع جينتري يأمر رجاله. أخبر رجال «جامبر» الستة الآخرين في الغرفة بالبقاء حيث هم.

بعد ذلك ألقى نظرة لليسار، خارج نطاق رؤية الكاميرا الناظرة عبر النافذة. كان باركس هناك، ورفع الرجل الأصغر إصبعًا واحدًا. همس بشفتيه: "عشر ثوانٍ".

نظر لي عائدًا لكاميرا الطائرة المسيرة.

– "الآن يا كورت. لديك كل المزايا هنا. ماذا يمكننا فعله لتصحيح هذا الوضع؟"

– "أطلق سراح روث، وسأدخل."

– "نحن نعتني جيدًا بالآنسة إيتنغر." نظر لليسار لباركس، الذي وقف بعيدًا عن الأنظار في غرفة الطعام. حمل باركس هاتفًا لأذنه، ويده الأخرى مرفوعة بخمسة أصابع ممدودة، ثم أربعة، ثم ثلاثة، ثم اثنين.

ابتسم بابيت في كاميرا الطائرة المسيرة الآن، لكنه لم يرد.

صرخ باركس:

– "نفذ الآن!"

دفعت روث نفسها بعيدًا عن بومونت وركضت نحو النافذة المقوسة.

– "اهرب!"

في منزل «تاونسند» الآمن بأوفريجسي، اقتحم فريق «داجر» المكون من ثمانية رجال من أربع نقاط دخول مختلفة، مستخدمين

المتفجرات على الأبواب الأمامية والخلفية ومحطمين النوافذ الممتدة من الأرض للسقف في غرفة المعيشة الأمامية ونافذة أصغر في غرفة نوم بالطابق العلوي.

اندفعت الفرق الأربعة المكونة من رجلين بسرعة عبر العقار، شاقة طريقها من جميع الاتجاهات نحو طاولة الطائرات المسيرة في المركز.

– "آمن!" جاء النداء من فريق الباب الأمامي.

– "آمن!" وجد فريق الطابق العلوي الطابق الثاني خاليًا أيضًا.

طهر فريق غرفة المعيشة المطبخ وغرفة المعيشة. "نظيف."

وانتقل فريق الباب الخلفي للطاولة التي كانت تتموضع عليها الحواسيب المحمولة ومعدات التحكم بالطيران.

كان هناك دم على الأرض، لكن الطاولة كانت فارغة. المعدات اختفت.

أبلغ قائد «داجر»:

– "نظيف. لا يوجد هدف."

جلس كورت جينتري في المقعد الخلفي لشاحنة صغيرة ومسدسه موجه لمؤخرة رأس لوكاس. قاد مشغل الاستشعار المركبة نحو المنزل الآمن بشارع كيل بينما شغل كارل الطائرة المسيرة بيد واحدة وأمسك يده الأخرى بإحكام على مؤخرته اليمنى، مضطرًا للاستلقاء على جانبه في مؤخرة الشاحنة لتجنب وضع ضغط مؤلم جدًا على جرح الرصاصة.

نظر كورت للحاسوب المحمول وللصورة الواضحة بشكل مدهش لغرفة المعيشة بالمنزل الآمن في شارع كيل. وفرت له سماعته في أذنه تغطية صوتية مقبولة للغرفة عبر هاتف بابيت المحمول.

كان بابيت ينظر جانبًا لآخر ثلاثين ثانية أو نحو ذلك، غير مهتم فجأة بمحادثته مع كورت. افترض كورت أن هذا بسبب بدء اقتحام المزرعة للتو، وقريبًا سيدرك الرجال الذين يضربون العقار أن هدفهم قد تحرك مع فريق الطائرات المسيرة.

قبل عشر دقائق أمر كورت مشغلي الطائرات المسيرة بتحميل الشاحنة. أخذوا حواسيبهم وتكدسوا في المركبة. كان كورت على وشك الصعود معهم، لكن أثناء عبوره الممر لاحظ كل آثار الأقدام في الثلج المؤدية لمقطورة خيول بجوار حظيرة. أخرج الرجلين معه وأطلق النار على قفل المقطورة، وفي الداخل وجد مخبأ أسلحة ضخمًا.

استولى كورت على عدة عناصر من المخبأ. مسدس «غلوك 19» وعدة مخازن، وبندقية صيد مقطوعة الماسورة عيار 12 وصندوق خراطيش، وزوج من القنابل اليدوية، وسترة واقية من الرصاص.

ألقى بها في مؤخرة الشاحنة ثم غادر هو ولوكاس وكارل العقار، مع لوكاس خلف عجلة القيادة وتحت تهديد سلاح جينتري. بعد ثوانٍ خلفهم، انطلقت الطائرة المسيرة المشحونة لنصف طاقتها في الفناء الخلفي وبدأت السباق نحو المنزل الآمن بشارع كيل.

الآن رأى كورت الارتباك والخيبة على وجه بابيت حيث أصبح واضحًا أن رماة «تاونسند» لم يجدوا شيئًا في المنزل الآمن. في الوقت نفسه رأى ارتياحًا هائلاً في عيني روث إيتنغر. سحبها بومونت للخلف بالقرب من الكراسي المجنحة، ومباشرة خلفها، جالسًا على الأريكة

بين الحارسين المسلحين، بدا «ديد آي» نفسه مرتاحًا في البداية، ثم غارقًا في التفكير فورًا.

ببطء أعاد بابيت الهاتف لأذنه.

– "حسنًا، حسنًا، حسنًا، سيد جينتري. مرة أخرى، تظل متقدمًا بخطوة."

– "ضعني على مكبر الصوت. أريد التحدث لـ«ديد آي». إذا استطعت جعله يتراجع لليوم، وأطلقتم سراح روث إيتنغر، سأسلم نفسي لكم."

حول بابيت الهاتف لوضع مكبر الصوت، لكنه قال:

– "كورت، لم يتغير شيء؛ يجب أن تأتي لهنا."

قالت روث:

– "لا تأتِ لهنا يا كورت. دعهم يجلسون ويغلون. لديهم ويتلوك؛ لا يمكنه الوصول لكالب طالما هو هنا."

قال:

– "أفهم."

جلس ويتلوك على الأريكة، يداه خلفه. قال:

– "بابيت، لماذا تتحدث إليه؟ ليس لدي وقت لهذا الهراء."

نظر بابيت بعيدًا عن كاميرا الطائرة المحومة وعائداً لسجينه.

– "لا تظن بجدية أنك ستخرج من هنا وتقتل إيهود كالب؟"

– "بالطبع أظن."

التفت بومونت بعيدًا عن روث وصرخ في الرجل الأصغر حجمًا على الأريكة:

– "أنت مجنون لعين، أليس كذلك؟ الطريقة الوحيدة التي ستغادر بها من هنا هي في كيس جثث!"

تجاهل راسل، بومونت، مستمرًا في مخاطبة بابيت.

– "لي، خطتك لا تنجح. تريد من كورت أن يأتي لإنقاذ إيتنغر. لكني أعرف شيئًا لا تعرفه."

أمال بابيت رأسه للجانب.

– "وما هو؟"

– "كورت يقوم بالإنقاذ. أثبت أنه جيد فيه. لكن هناك شيء يفعله كورت بشكل أفضل. أسرع، وأكثر تأكيدًا."

– "ماذا؟"

نظر للكاميرا خارج النافذة، وغمز لها. بابتسامة قال:

– "إنه يقوم بالانتقام."

بدأ «ديد آي» بالوقوف للمرة الثالثة، ومرة أخرى ضغط الرجل عن يمينه فوهة رشاشه «عوزي» على جانب رأسه، لكن هذه المرة قفز ويتلوك على قدميه، وبحركة سريعة كالبرق، انطلقت يداه من خلف ظهره؛ خطف الفوهة بيده اليمنى وأدار الكعب القصير بيده اليسرى، موجهًا فوهة السلاح بعيدًا عنه ونحو روث وبابيت. نتر الـ«عوزي» الآن وفقد رجل «جامبر» توازنه بسبب حزام السلاح حول عنقه.

قبل أن يتمكن أي شخص في الغرفة من الرد، كان إصبع ويتلوك على الزناد، وأطلق رشقة آلية طويلة كاملة. ملأ الدخان والنار والضجيج غرفة المعيشة، وتقوست الخراطيش الفارغة بعيدًا عن السلاح وارتدت عن الجدران. ثم دار لليسار، ساحبًا عميل «جامبر» أمامه، وفي الوقت نفسه، مصوبًا الفوهة لوجه الحارس عن يساره. ضغط الزناد مرة أخرى وانفجر وجه الرجل في دفقة حمراء داكنة، ناثرًا مادة الدماغ على السقف بينما سقط الجسد على الأريكة البيضاء.

رفع رجل «جامبر» عبر الغرفة سلاحه وأطلق النار، لكن راسل تحرك لليمين وجلس القرفصاء، واضعًا أكبر قدر ممكن من جسده خلف عميل «جامبر» الساقط العالق في حزام الـ«عوزي»، وضربت الرصاصات ظهر الحارس، قاتلة إياه فورًا.

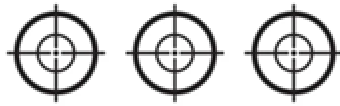
انحنى بابيت منخفضًا، مغطيًا رأسه في رد فعل بدائي للخروج من خط النار. استخدم ويتلوك التحرير السريع لحزام الـ«عوزي» لإزالته من عنق الرجل الميت، بينما يتحرك بسرعة وقوة وانخفاض ليمينه عبر الغرفة. وضع نفسه بين رجال «جامبر» الآخرين وليلاند بابيت، ثم انطلق من قرفصائه وأمسك ببابيت، واضعًا إياه في قفل رأس.

حرقت فوهة الـ«عوزي» الساخنة عنق لي البدين المتعرق، وصرخ راسل في الرجال بالغرفة أمامه.

– "تراجعوا! تراجعوا!"

سحب راسل، بابيت للخلف إلى زاوية الغرفة معه، متأكدًا أن لا أحد يستطيع الوصول خلفه.

أبقى بومونت وعملاؤه أسلحتهم على ويتلوك، لكنهم لم يتمكنوا من الاشتباك مع وجود مدير منظمتهم في خط النار.



فتح ليلاند بابيت عينيه ببطء، وكافح بضعف ضد الرجل الذي يمسكه من حلقه، واستوعب المشهد أمامه. على الجانب البعيد من الغرفة، ضبابي قليلاً عبر دخان البارود الخافت المعلق في الهواء، عند مدخل غرفة الطعام والباب الأمامي، وقف جيف باركس، وجون بومونت، وخمسة آخرون من عملاء «جامبر» جميعهم بمسدسات أو رشاشات موجهة في اتجاهه.

أمامهم، تمدد اثنان من رجال «جامبر» ميتين؛ أحدهما وجهه لأسفل في حطام طاولة القهوة الزجاجية المحطمة، والآخر مقطوع الرأس تقريبًا على الأريكة البيضاء.

كلا مشغلي طائرات بابيت المسيرة كانا ميتين أيضًا، مكومين فوق حواسيبهما المحطمة على الطاولة بجوار النافذة الكبيرة. قطر الدم من معداتهما ولمع في وهج الإلكترونيات.

نظر بابيت لأسفل لقدميه ببطء.

هناك، على الأرضية الخشبية الصلبة، استلقت روث إيتنغر على ظهرها، ثقبا رصاص في وسط صدرها.

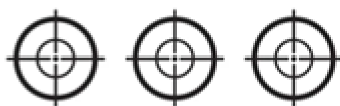
كانت عيناها البنيتان مفتوحتين في الموت.

تشرخ صوت بابيت.

– "أوه تبًا." اهتز جسده. "أوه تبًا!" صرخ بها الآن. "أوه تبًا! قتلت ضابطة موساد!"

خلفه، نظر راسل ويتلوك للمشهد أمامه بعينين وحشيتين، حادتين. نتر رأسه لليمين، نحو عدسة الكاميرا المعلقة أسفل الطائرة المحومة خارج النافذة.

– "أنت تفهم يا كورت. كانت النهاية السائبة. كان عليها أن ترحل."



في مؤخرة الشاحنة على بعد أقل من أربعة أميال شرق المنزل الآمن بشارع كيل، دفن كورت جينتري رأسه بين يديه، وجانب مسدس الـSIG Sauer مضغوط على جبهته.

حاولت الدموع التشكل في عينيه؛ لكنه ضغط عليها بقوة أكبر لمقاومتها.

– "روث"، همس لنفسه.

بعد لحظة كان لديه إحساس واضح بأن كارل يمد يده لشيء ما في مؤخرة الشاحنة، وأدرك كورت أنه لا وقت للحزن على روث. كان واعيًا جزئيًا فقط لأفعال كارل في البداية، لكن عندما سمع شيئًا يُسحب ببطء عبر الأرضية، ميزه كبندقية الصيد المقطوعة التي التقطها من مخبأ «تاونسند» في مزرعة أوفريجسي.

دون فتح عينيه قال جينتري:

– "كارل، هل تريد أن تموت؟ لأنني أشعر برغبة حقيقية في قتل شخص ما الآن."

أفلت مشغل الطائرة المسيرة الجريح البندقية ورفع يديه في الهواء.

نقر كورت الآن على مؤخرة رأس لوكاس بسبطانة مسدسه.

– "توقف جانباً."

انحرف لوكاس لجانب الطريق. عندما توقفت الشاحنة، أمر كورت، لوكاس بوضعها في وضع التوقف. لا يزال شبه مغلوب على أمره بموت روث، جاهد كورت لإبقاء رأسه صافيًا وعلى المهمة.

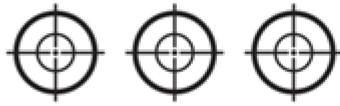
– "أريد رؤية ما بداخل جيوبكم." أفرغ الرجلان جيوب معاطفهم وبناطيلهم، رامين الهواتف المحمولة، والمفاتيح، والمحافظ، وأشياء صغيرة أخرى على أرضية الشاحنة. عندما انتهيا، جعلهما كورت يخرجان من المركبة ويقفان بجانب الطريق. تسلق كورت خلف عجلة القيادة وبدأ ببرمجة العنوان الذي قرأه على باب المنزل الآمن في وحدة

الـ GPS المثبتة على الزجاج الأمامي. أثناء قيامه بذلك خاطب لوكاس، الذي وقف خارج باب الراكب المفتوح.

– "تحتاج لنقل صديقك لمستشفى أكثر بكثير مما تحتاج للاتصال ببابيت. هل تفهمني؟"

– "نعم يا سيدي. شكرًا لك. أريدك أن تعرف أنه لم يكن هناك شيء شخصي في أي من هذا. كنا فقط نقوم بـ..."

انطلق كورت مسرعًا بالشاحنة، مغلقًا الباب بحركته وتاركًا الأمريكيين وحيدين في شارع فارغ.



في الفناء الخلفي للمنزل الآمن بشارع كيل، مشى ويتلوك ببابيت للخلف عبر الثلج الجديد، فوهة الـ«عوزي» لا تزال مضغوطة على عنق الرجل ورجال «جامبر» الستة الناجون لا يزالون في مطاردة بطيئة، أسلحتهم مرفوعة وهم يخوضون في الثلج.

تحرك جيف باركس مع العملاء؛ كان مسدسه الآلي الفضي الصغير مصوبًا في اتجاه ويتلوك. عند ملاحظة ذلك، صرخ بابيت بنائبه لينتبه أين يوجه مسدسه اللعين.

بينما يسحب صاحب عمله السابق عبر الثلج، تحدث ويتلوك بهدوء في أذن بابيت.

– "دعني أشرح كيف سيسير هذا. سترسل رجالك للخارج للسيارات، وسيستعدون للرحيل، لأن جينتري سيكون هنا خلال دقائق، وسيكون في مزاج سيئ للغاية."

– "ماذا عنك؟"

– "كنت أود البقاء، لكني وضعت خططًا أخرى."

– "ستقتل كالب؟"

– "لا. أنا على متن القطار التالي خارج المدينة. جينتري محق. أنا محروق."

عرف بابيت أنه يكذب، لكنه شعر أنه من الحكمة الامتناع عن توجيه أي اتهامات لرجل يحمل سلاحًا آليًا على عنقه.

قال راسل:

– "جينتري قادم لهنا، الآن، لذا من الأفضل أن تهرب. عش لتقاتل يومًا آخر وكل ذلك الهراء. إذا أرسلت رجالك خلفي في المقبرة فلن يكون لديك القوات التي تحتاجها للاشتباك معه."

أومأ بابيت قليلاً، وارتجف في البرد.

– "أرسل بومونت وبقية المتخلفين للسيارات. افعلها الآن."

صرخ بابيت.

– "الجميع ليذهبوا. اركبوا السيارات. سنخرج من هنا."

قال بومونت:

– "لن أتركك هنا مع هذا المجنون!"

– "هذا أمر لعين!"

خلا الفناء الخلفي بعد لحظات، وأفلت ويتلوك، بابيت من قفل الرأس.

واجهه بالرشاش الصغير مرفوعًا لمستوى العين.

– "هذه خطة جيدة يا لي. أذكى من أي هراء كان يمكنك أو باركس التوصل إليه."

أومأ بابيت فقط، وعيناه مثبتتان على السلاح.

– "نعم. نعم، كانت كذلك."

– "ستخبر الموساد أن جينتري هو من قتل الفتاة، ليس أنا. عندها لن يطاردوني بعد انتهاء هذا، ولن أعود لواشنطن وأقتلك وعائلتك بالكامل."

– "يا إلهي يا راسل."

– "تحك ظهري، لا أقتلع عينيك. متفقان؟"

أومأ بابيت.

– "سأفعل ما تقول. أقسم."

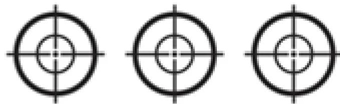
– "جيد. الآن، عليك أنت وبلطجيتك فقط قتل جينتري لأجلي، وسأعود للمسار الصحيح."

أومأ بابيت مرة أخرى بعصبية.

– "سنفعل ذلك بالضبط."

تراجع ويتلوك عبر مجموعة من الشجيرات، إلى فناء خلفي مجاور.

سقط ليلاند بابيت على ركبتيه في الثلج العميق، بنطال بدلته لا يفعل شيئًا لحماية ساقيه من البرد القارس.



55

بعد خمس دقائق من ترك ويتلوك لبابيت في الثلج، غادر رجال «تاونسند» المنزل الآمن في قافلة من ثلاث مركبات. قادت سيارة «أودي» الطريق وبها اثنان من رجال «جامبر». وخلفها كانت سيارة «مرسيدس E-Class» سوداء، مع بومونت في مقعد الراكب الأمامي

و«جامبر 2» خلف عجلة القيادة، بالإضافة إلى باركس وبابيت في الخلف. وتبعتهم شاحنة صغيرة من طراز «فورد غالاكسي» في المؤخرة وبها اثنان آخران من عملاء «جامبر». كانت جميع المركبات على اتصال لاسلكي ببعضها.

كانت لدى بومونت خريطة في حجره، ووجه السيارة القائدة إلى قطعة أرض بالقرب من دوار مروري على بعد بضعة أحياء شرق المنزل الآمن في شارع كيل. خاطب بابيت وهو ينظر للخريطة.

– "نعلم أن ويتلوك أخذ بندقية قنص من المخبأ، لذا نحتاج لتسيير دوريات في الأراضي المرتفعة بالقرب من مقبرة ديويغ. مكان خارج نطاق الإسرائيليين الذين يحمون كالب، لكنه لا يزال في مرمى البندقية. جينتري سيكون قد اكتشف ذلك بالفعل، لذا هناك سنجده. سيلتقي بنا فريق «داجر» هناك وسنفترق ونبدأ الصيد."

تشاور بومونت مع بابيت لدقيقة أخرى، ووجدا موقعًا على الخريطة على الجانب الآخر من وادٍ صغير مقابل المقبرة. اتصل لاسلكيًا بالسيارة القائدة ووجهها للموقع.

– "الوقت المقدر للوصول عشر دقائق"، قال «جامبر 4» من مقعد الراكب في السيارة القائدة.

بمجرد تحديد الوجهة، ركب الرجال الثمانية في المركبات الثلاث في صمت. وبينما كان الموكب يمر بكنيسة سان بيير، أبطأت السيارة الأمامية للانعطاف تسعين درجة لليسار في شارع صغير بمسار واحد، بيتيت رو دو إيغليز (Petite Rue de l'Église). خفض هذا سرعتها إلى توقف شبه كامل، لكن بمجرد انعطافها بدأ السائق في زيادة السرعة.

لاحظه الراكب الأمامي لسيارة الـ«أودي» أولاً. رجل وحيد يركض صعودًا في الشارع الضيق باتجاهه، على بعد بضعة أطوال سيارات فقط. للحظة ظن أن الرجل مجرد عداء مسائي، لكنه كان يرتدي الأسود من رأسه إلى أخمص قدميه، ويضع قناع تزلج، ولم يكن يهرول؛ كان يعدو بأقصى سرعة. لم يكن هناك شيء متمهل في حركاته.

مال السائق للأمام نحو الزجاج الأمامي.

– "ما الـ..."

مد العداء المقنع يده خلف ظهره الآن وأخرج بندقية صيد قصيرة الماسورة ومقطوعة. قبل أن يتمكن أي من رجلي «تاونسند» في الـ«أودي» من الكلام، صوب العداء البندقية ودوت في الشارع الضيق، فانفجر الزجاج الأمامي للـ«أودي»، واختفى رأس السائق في انفجار أحمر.

تغطى الرجل بجانبه بالدم والأنسجة من الخصر فما فوق، وصرخ بينما واصل الرجل المقنع الركض نحوه مباشرة. قفز الرجل المقنع على غطاء محرك الـ«أودي» المتحركة، ضاربًا بقدمه على السقف في خطوة عدوه التالية، محدثًا صوتًا يشبه طلقة نارية داخل مقصورة السيارة.

لم ير أي من الرجال الأربعة في الـ«مرسيدس» مطلق النار أمام الـ«أودي»، لكنهم سمعوا بالتأكيد دوي البندقية. بدأ بومونت في سحب مسدسه فورًا تقريبًا، لكن المشهد الغريب أمامه أبطأه.

ظهر رجل مقنع فوق السيارة القائدة، قافزًا لأعلى وبعيدًا عن السقف، ملوحًا بذراعيه وساقيه في الهواء لاكتساب الارتفاع والمسافة. ارتفع عشرة أقدام فوق الشارع؛ رأى بومونت البندقية المقطوعة عيار

12 في يده اليمنى وهو يبدو معلقًا هناك في الهواء، يركل ويؤرجح ذراعيه.

داس سائق الـ«مرسيدس» على فرامله ومد يده بجنون لذراع تغيير التروس على وحدة التحكم بجانبه.

هبط المهاجم عبر الهواء البارد، نحو غطاء محرك السيارة الفاخرة السوداء الكبيرة.

في المقعد الخلفي صرخ بابيت:

– "إنه هو!"

تحطم كورت على سقف الـ«مرسيدس» ثم اصطدم بالزجاج الأمامي، أمام السائق مباشرة. قلب نفسه على ركبتيه وصوب البندقية «ريمنجتون» قصيرة الماسورة، وعندها انطلقت السيارة للخلف.

طار كورت على ظهره مع زخم الـ«مرسيدس» لكن أثناء ذلك أطلق النار عبر الزجاج الأمامي من مسافة ثلاثة أقدام، قاطعًا رأس سائق هذه المركبة كما فعل مع سائق السيارة القائدة.

تدحرج عن مقدمة غطاء المحرك وإلى الشارع الجليدي بالأسفل، فاقدًا قبضته على البندقية أثناء سقوطه.

جلس «جامبر 5» خلف عجلة قيادة شاحنة «فورد غالاكسي». داس على الفرامل عندما انطلقت الـ«مرسيدس» عائدة في اتجاهه. بعد دوي البندقية الثاني لم يعد بإمكانه رؤية الرجل على غطاء محرك السيارة أمامه. استمرت الـ«مرسيدس» في التدحرج نحوه، وافترض أن السائق ميت وأن السيارة غير قادرة على إخلاء المنطقة.

أمر:

– "اخرجوا!"

وفتح باب سيارته، وقفز للخارج على الجليد، وسحب مسدسه الـ SIG. بدأ يركض جانبيًا عبر الشارع الصغير، محاولاً العثور على غطاء لنفسه في مدخل ضحل في منتصف جدار طويل من الطوب.

أثناء تحركه مسح الشارع المغطى بالثلج بالقرب من الـ«مرسيدس»، ومسدسه بمستوى العين.

تدحرج الشكل الأسود إلى الشارع، أمام الـ«مرسيدس» المتحركة للخلف مباشرة، ذراعاه ممدودتان فوق رأسه ومسدس ممسوك بقبضة قتالية.

حاول «جامبر 5» خفض مسدسه وتصويبه نحو التهديد، لكن جينتري أطلق مسدسه مرتين، مصيبًا رجل «تاونسند» على بعد خمسة وعشرين قدمًا منه مرتين في سترته الواقية من الرصاص. سقط على الأرض لكنه وصل إلى المدخل. بمجرد أن احتمى خلف الغطاء فحص سترته ورأى أنه لم يصب، ثم انتظر سماع جينتري يشتبك مع أهداف أخرى قبل أن يكشف نفسه مرة أخرى.

مسح كورت الشارع أمامه وهو مستلقٍ على صدره فوق الحصى الجليدي، لكن عندما لم ير فورًا المزيد من رجال «تاونسند» في خط ناره، رفع يداً عن قبضة الإطلاق ومدها لأسفل إلى جيب على صدره. انتزع قنبلة يدوية متشظية، وسحب الدبوس، ثم رمى المتفجرة بحجم كرة البيسبول رمية جانبية تحت الـ«مرسيدس». انزلقت من الجانب الآخر وزحفت في الشارع، متوقفة تحت شاحنة الـ«فورد غالاكسي» المتوقفة.

لم ينتظر كورت الانفجار؛ زحف مسرعًا على الجليد، منزلقًا ومتعثرًا في الاتجاه الآخر، عائدًا نحو الـ«أودي»، التي كانت لا تزال تتدحرج في الشارع، وسائق ميت خلف عجلة القيادة.

بوم!

انفجرت القنبلة تحت الـ«غالاكسي»، مفجرة خزان الغاز ومحولة المركبة إلى كرة نارية ضخمة. راكب الشاحنة كان قد احتمى خلفها، منخفضًا خلف الرفرف الأمامي الأيمن.

قُتل فورًا في الانفجار.

ظن بومونت أنه أصيب في البداية، لكنه أدرك بسرعة أن دم «جامبر 2» هو الذي غطى المقعد الأمامي للـ«مرسيدس» بالكامل، ماليًا عينيه ومصيبًا إياه بالعمى المؤقت. كان نائبه مكومًا بجانبه، خلف عجلة القيادة، غير قابل للتمييز كإنسان بعد فقدان وجهه وقمة جمجمته.

مسح بومونت الدم عن عينيه بكم معطفه بينما فرقع إطلاق النار في الشارع خارج مركبته. خلفه، صرخ كل من بابيت وباركس في رعب.

على بعد عشرين قدمًا خلفهم، انفجرت الـ«فورد غالاكسي» في كرة نارية.

قفز بومونت من باب الراكب وسقط في الشارع، زاحفًا بعيدًا عن الـ«مرسيدس» وهي تتدحرج ببطء للخلف نحو الحطام المحترق.

انتهى به الأمر في الثلج على الرصيف؛ هنا سحب مسدسه وبدأ يلوح به باحثًا عن هدف.

على بعد عشرين ياردة أمامه توقفت الـ«أودي» في مدخل مبنى سكني ضيق. كان «جامبر 8» لا يزال حيًا، يتسلق الآن فقط خارج الحطام ومسدسه في يده لكن لأسفل بجانبه وهو يترنح في ذهول.

دار بومونت بسرعة، ناظرًا أعلى الشارع في الاتجاه الآخر. على بعد عشر ياردات فقط منه، كانت الـ«غالاكسي» مغمورة في دخان أسود كثيف وسط الشارع الضيق. جثة محترقة ملقاة بجوار باب الراكب المفتوح.

لكن أين «الرجل الرمادي» اللعين؟

نهض بومونت من الثلج إلى وضع القرفصاء، واستخدم ظهر ذراعه اليسرى مرة أخرى لمسح الدم من عينيه، ثم استدار نحو حركة على يساره. فتح بابيت باب الـ«مرسيدس» الخلفي وسقط للخارج. زاحفًا على يديه وركبتيه إلى الرصيف، نهض ومشى مشية السلطعون نحو بومونت، مبقيًا رأسه منخفضًا. زحف جيف باركس خارجًا خلفه مباشرة، مسدسه الآلي الفضي يلوح في الهواء وهو يتعثر خارجًا من السيارة.

حول إطلاق نار على يمين بومونت انتباهه في ذلك الاتجاه. أطلق «جامبر 8» النار على شخص في الجانب البعيد من الـ«مرسيدس»؛ لم يستطع بومونت رؤية ما يطلق النار عليه، لكنه أبقى رأسه منخفضًا وتحرك نحو مؤخرة المركبة للاقتراب من الاتجاه المعاكس. رد إطلاق نار فرقع، طلقة تلو الأخرى في تتابع سريع، ورأى بومونت تابعه يتشنج بينما تفتحت زهرة حمراء من معطفه، ثم طار للخلف على صندوق الـ«أودي» وهو يُضرب مرة أخرى في الجزء السفلي من الجذع.

بقي بومونت منخفضًا، مدركًا الآن أن جينتري على الجانب المقابل للـ«مرسيدس»، إما مسطحًا في الشارع أو، مثله، في وضع القرفصاء.

مر بابيت وباركس عن يسار بومونت، لكنه تجاهلهما، مركزًا كل انتباهه على التحرك بسرعة حول السيارة للوصول خلف هدفه.

أسقط كورت الرجل عند الـ«أودي» بخمس طلقات من الـ«غلوك 19»، ثم التفت عائدًا للشاحنة الصغيرة في اللحظة التي اندفع فيها الرجل الذي احتمى بالمدخل إلى الشارع وأطلق النار عليه. ضربت الرصاصة سترة جينتري الواقية، أسفل عظمة الترقوة مباشرة، ودفعته للخلف على كعبيه، لكن ليس طوال الطريق إلى الجليد.

رد كورت النار، مصيبًا رجل «تاونسند» في الحوض ومدورًا إياه. أسقط مسدسه وسقط بشكل محرج على ركبتيه ومرفقيه. مد يده لمسدسه على الجليد وأطلق كورت عليه النار مرة أخرى، هذه المرة عبر قمة رأسه.

سقط رجل «تاونسند» ووجهه لأسفل على الحصى؛ وتدفق الدم في الشارع.

الآن سمع جينتري حركة عائدة في الاتجاه المعاكس؛ استدار إليها وصوب نحو رجلين في معاطف صوفية يركضان بعيدًا على طول الرصيف. أطلق طلقة واحدة، مصيبًا الرجل الثاني في الظهر. ترنح الرجل للأمام وانزلق مسدس آلي فضي على الجليد؛ أسقط جسده الرجل الأول وهو يهبط عليه. بينما وضع كورت الرجل الأول في مرماه أحس بحركة جديدة، قريبة على يمينه، خلف الـ«مرسيدس» السوداء.

أدار مسدسه لهذا التهديد ورأى رجلاً ملتحيًا ضخمًا يصوب مسدسًا نحوه.

ضغط كورت زناد الـ«غلوك» وأطلق طلقة واحدة. في اللحظة ذاتها قفزت ذراعه في الهواء ودار مسدسه خارجًا من يده. شعر وكأنه ضُرب في ساعده بمضرب بيسبول. رأى الدم يتطاير في وجهه وشعر بنفسه يدور ثم ينزلق ثم يسقط على الشارع، وعرف أنه أصيب حتى قبل أن يهبط بوجهه على الحصى الجليدي.

استلقى هناك للحظة، يهز رأسه، محاولاً العودة للقتال. رأى الطريق حوله ملطخاً بدمه، والبخار يتصاعد في الهواء. ومعه ريش الزغب الرمادي من حيث مزقت الرصاصة معطفه ينجرف حوله كتساقط ثلج لطيف.

كُسرت ذراع جينتري في منتصف المسافة بين معصمه ومرفقه؛ كانت تنمل وتوجع وتحترق وتنبض في آن واحد. دفع الألم والصدمة من عقله، مجاهدًا لقلب نفسه عائدًا نحو التهديد، مطلق النار الملتحي الضخم بجوار الـ«مرسيدس» المحطمة. رأى مسدسه على الحصى أولاً؛ غاص لمسدسه بيده اليسرى، لكن قبل أن يصله رأى أن الرجل الملتحي قد سقط هو الآخر. كان يتخبط على ظهره، ممسكًا بفخذه، بينما انطلق رذاذ شرياني لخمسة أقدام في الهواء.

واصل كورت الزحف نحو مسدسه الـ«غلوك»، ذراعه اليمنى تتدلى بلا فائدة، ونظر خلف كتفه نحو الرجل الذي كان يركض بعيدًا. إنه بابيت؛ استطاع رؤيته الآن حتى على بعد ثلاثين ياردة. اقترب مدير «تاونسند» من الزاوية في نهاية الشارع، لكن في عجلته انزلق على الجليد هناك وسقط، ثم كافح للنهوض مجددًا على قدميه.

لم يكن المسدس في يد كورت بعد. التفت عن بابيت، وركز عليه مرة أخرى، ومد يده اليسرى.

لكن بمجرد أن وضع طرف إصبعه على مقبض الـ«غلوك»، تردد صدى إطلاق نار جديد في الشارع الضيق.

كان شرطيان أمام كنيسة سان بيير في أعلى الشارع وأطلقا النار عليه، مسدساتهما تفرقع.

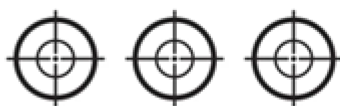
رفع كورت يده عن المسدس، واستدار، ونهض على قدميه. بدأ يركض في الشارع في الاتجاه المعاكس للشرطيين، باذلاً قصارى جهده لاستخدام الـ«غالاكسي» المحترقة والـ«مرسيدس» كغطاء أثناء ذلك. أمسك بذراعه المصابة وهو يركض.

توقف إطلاق النار؛ سمع صراخًا خلفه والشرطيان يصرخان عليه ليتوقف، لكنه واصل الركض. انعطف عند الزاوية حيث فقد بابيت ولم يجد أحدًا هناك. نظر في جميع الاتجاهات، ثم صرخ بإحباط لفقدانه رئيس «تاونسند». ركض إلى حيث ركن الشاحنة، وصعد للداخل، وجاهد للوصول للمفاتيح على الجانب الأيمن من عمود التوجيه بيده اليسرى.

في ثوانٍ كان يتحرك، والشاحنة تنزلق على الثلج الصلب في منتصف الشارع وهي تنطلق جنوبًا.

خلفه سبعة رجال ملقون موتى أو جرحى في الشارع.

كان ليلاند بابيت قد اقتحم سياجًا صغيرًا واختبأ خلف بيت لعب أطفال في الفناء الخلفي لمنزل خاص. هنا استلقى متكومًا في الثلج، يداه ترتجفان بشدة تمنعه من سحب هاتفه لطلب المساعدة.



56

قاد جينتري السيارة عبر زحام فترة ما بعد الظهر في جنوب بروكسل، تاركًا صوت صفارات الإنذار خلفه. كان يعلم أنه رغم أن تبادل إطلاق النار الذي نجا منه قبل دقائق سيكون الحدث الأكثر دراماتيكية وصدمة الذي يضرب هذه المدينة منذ سنوات، إلا أنه لن يُربط فورًا بأي شكل بالزيارة السرية لرئيس الوزراء الإسرائيلي في أوكل (Uccle)، على بعد أكثر من عشرة أميال من معركة الأسلحة.

سيصل كالب كما توقع راسل، وهذا خبر جيد لكورت.

لم يعد كورت يكترث بما إذا كان إيهود كالب سيعيش أو يموت. كان يعمل بدافع الانتقام البحت، مطاردًا ويتلوك ليس لأنه هدد زعيمًا عالميًا وليس لأنه هدد جينتري نفسه، بل لأنه أنهى حياة امرأة أحبها كورت واحترمها. امرأة كانت تبذل قصارى جهدها لما تؤمن به.

كان راسل ويتلوك محقًا – كورت سيسعى للانتقام.

خطر بباله أنه قد يتمكن من إنقاذ رئيس الوزراء بقيادة شاحنته مباشرة إلى المقبرة وإحداث فوضى تدفع أمن رئيس الوزراء لتهريب الشخصية المحمية بعيدًا، لكنه عرف أن الإسرائيليين سيطلقون النار عليه ويردونه قتيلاً ببساطة، ولن يكون لديه طريقة للتأكد من أن كالب لن يمضي قدمًا في زيارته للقبر بعد ذلك.

ومرة أخرى، لم يكن الأمر متعلقًا بإيهود كالب.

كان الأمر متعلقًا بروث.

كان ذراعه ينبض والدم يسيل بحرية على يده. كان لديه حقيبة إسعافات أولية للطوارئ (Trauma kit) في حقيبة ظهره بالمقعد الخلفي، لكنه لم يأخذ الوقت للتعامل مع إصابته بعد.

في الثانية عشرة وأربعين دقيقة اقترب من حي أوكل، ورأى فورًا الموقع الأكثر وضوحًا لقناص ليخفي نفسه. كان برج جرس كنيسة سان جوب (Eglise St. Job) يطل على المقبرة على التل في المسافة، وعلى بعد بضع مئات من الياردات فقط من المقبرة. كان موقعًا بديهيًا لويتلوك ليستخدمه.

لكنه كان بديهيًا أكثر من اللازم. سيغطيه الإسرائيليون، بلا شك، وبلا شك سيعرف ويتلوك ذلك بنفسه.

بعيدًا إلى الشرق في فترة ما بعد الظهر الضبابية، أبعد بكثير من برج جرس كنيسة سان جوب، رأى كورت تلة مشجرة مغطاة بالثلج. كانت أعلى أرض في المنطقة، لكنها كانت أيضًا أبعد بخمسمائة إلى سبعمائة ياردة أخرى عن الكنيسة، مما يجعلها تبعد ما بين ألف وألف ومائتي ياردة عن المقبرة.

هل يستطيع ويتلوك تنفيذ الطلقة؟

فكر كورت في الأمر للحظة فقط.

أنا أستطيع فعلها. هو يستطيع فعلها.

ركن الشاحنة عند صيدلية في شارع سينت جوبسيستينفيخ (Sint-Jobsesteenweg)، وترجل، وقاوم الرغبة في الاندفاع للداخل للحصول على إمدادات طبية. لم يكن لديه وقت، ولا يمكنه السماح لأحد برؤيته بهذه الحالة، لأنهم سيتصلون بالشرطة بالتأكيد.

وجد طريقًا صغيرًا بمسار واحد يؤدي صعودًا للتل نحو الغابة وبدأ التسلق بسرعة، ممسكًا ذراعه اليمنى المصابة بيده اليسرى،

موقفاً تدفق الدم ومانعًا العظام المكسورة من التحرك أثناء مشيه. تحول الطريق الصغير إلى ممر للمشاة، لا يزال يصعد التل، وأفسحت المنازل على الجانبين الطريق للغابة. غطى الثلج الجديد الأشجار وكسى الأرض.

مر كورت بكومة من الأغصان السائبة من جميع الأحجام، مكدسة هناك على طول المسار بعد تنظيفها من الغابة، وتوقف، ثم سحب حقيبة الإسعافات من حقيبته. بحث لحظة ليجد غصناً مستقيمًا إلى حد معقول بقطر نصف بوصة تقريبًا، ونظفه من الأوراق والبراعم بيده الحرة وأسنانه، ثم كسر العصا لنصفين. بعد ذلك جاهد لخلع سترته الجلدية للدراجات النارية وفك السترة الواقية من الرصاص التي أنقذت حياته، كاشفاً عن قميص داخلي حراري أبيض طويل الأكمام تحتها. رغم أن النصف السفلي بالكامل للكم الأيمن كان أحمر بلون الدم، شعر أنه سيندمج في المشهد الشتوي بشكل أفضل بكثير بالقميص الأبيض، رغم أن بنطاله وحذاءه كانا أسودين.

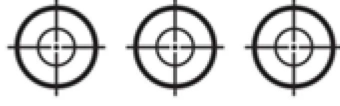
جثا على ركبتيه في الثلج الآن، ووضع ذراعه المكسورة على الأرض، ووضع قطعة من العصا على كل جانب منها. لأول مرة تفحص الإصابة. كانت تؤلم بشدة، لكنه شعر ببعض الارتياح لاكتشاف أن عظمة واحدة فقط قد انكسرت من صدمة الرصاصة. قاوم الألم، ولف ذراعه والعصوين بإحكام بضمادة ضاغطة من حقيبته. لم يستطع تجنب جرف كمية لا بأس بها من الثلج الدموي للداخل أيضًا.

أحكم الجبيرة بقوة كافية لجعله يصرخ في الغابة الصامتة وعقدها. وقف بصعوبة. حتى في الهواء المتجمد، كان العرق يقطر من

جبهته. ترك حقيبته ومعطفه وسترته المضادة للرصاص ودمه هناك في الثلج، وبدأ يتسلق أعمق في التل المشجر.

لم يكن لديه سلاح، وذراع واحدة سليمة، وعرف أن الألم سيبطئه. لكن كان عليه المضي قدمًا. لم يكن لديه خيار.

لم يكن لديه وقت.



استلقى راسل ويتلوك في مخبئه داخل الدفيئة الصغيرة على التل، وبندقيته أمامه. رغم أن جرح الرصاصة القديم منذ أسبوع في وركه كان يحترق كالنار بعد المعركة في شارع كيل والمشي عبر الغابة لمخبئه، إلا أنه شعر بحالة جيدة، متأكدًا أنه سيتمكن من تحقيق هدفه اليوم.

فحص ساعته ورأى أن هدفه من المقرر أن يصل في أية لحظة.

بعد التحديق عبر المنظار لبضع ثوانٍ، أخذ لحظة لتهدئة نفسه، والتفكير في وضع الأمور.

بقتل امرأة إيتنغر، عرف راسل أن جينتري سيتحمل اللوم على الأرجح عن ضربة كالب لأن بابيت لن يكشف للإسرائيليين أن أحد موظفيه اغتال رئيس وزرائهم. إذا أنهى عملاء «تاونسند» أمر جينتري هنا في بروكسل اليوم، شعر راسل بالثقة بأنه لن يضطر للقلق بشأن مطاردة الموساد له لبقية حياته.

ستصدر الـ CIA عقوبة القتل الفوري ضده، تمامًا كما فعلوا مع جينتري، وهذا سيئ، لكن بدا شبه حتمي لراسل أنه سيحمل الشعلة عن جينتري؛ سيكون راسل هو المنفرد الجديد الهارب، القاتل المأجور المستقل الجديد.

«الرجل الرمادي» الجديد.

تعجب راسل من المفارقة. هو سيكون «الرجل الرمادي».

نفض الفكرة من عقله، وأعاد تركيز انتباهه على مهمته. نقر مقبض تعديل الرياح على منظار «ليوبولد» لمراعاة نسيم جنوبي كامل القيمة بسرعة خمسة أميال في الساعة على مسافة سبعة أعشار الميل. ركز شبكته على البوابة الحديدية عند مدخل مقبرة ديويغ في المسافة، ثم حول تصويبه إلى ضابط أمن إسرائيلي يقف جانبًا.

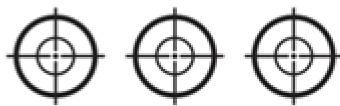
ود لو يطلق النار على الرجل الآن. لم يكن لديه خلاف مع الإسرائيلي، لكن راسل كان يستمتع حقًا بالقتل عن بعد. إسقاط رجل ميتًا بإفلات تام من العقاب. كونه بلا سبب لقتل الرجل لم يعنِ شيئًا لـويتلوك. ما سماه ذلك الأحمق العاطفي كورت جينتري أضرارًا جانبية، عرف راسل أنه ببساطة الانتقاء الطبيعي. البقاء للأصلح. تخفيف قطيع البشر غير المهمين الذين يملؤون الأرض.

ومع ذلك، قاوم الرغبة في إطلاق النار على رجل الأمن في جبهته. سيحصل على فرصته للقتل في لحظات، وتلك الطلقة ستكافئه بأكثر بكثير من دفقة الفخر التي يحصل عليها عندما ينهي حياة.

ستكافئه بخمسة وعشرين مليون دولار.

همس لنفسه، كلماته خافتة لدرجة أنها لم تصنع بخارًا متجمدًا بين عينه ومنظار بندقيته.

– "هيا يا كالب. دعنا نرقص."



رفرفت مجموعة صغيرة من الغربان بين الفروع العالية للأشجار الجرداء حول جينتري، نداءاتها الغاضبة الاتهامية تخترق الهواء، مضيفة المزيد من الشؤم للضوء الخافت المرقش للغابة الرمادية.

واصل كورت التسلق، خارج المسار وعبر غابة كثيفة الآن، متأكدًا أنه يقترب من الخطر لكن غير متأكد مما سيفعله عندما يجده. فكر في روث وأخبر نفسه أنه إذا كان يمثل أي شيء على الإطلاق، فهو يمثل شخصًا ضحى بكل شيء لإيقاف قاتل سيكوباتي.

ربما كان كورت مجنونًا هو نفسه. ربما حددته الـ CIA كشخص عديم الشعور وعديم الاكتراث وبلا ندم. لكن ما هذه العاطفة فيه الآن إن لم تكن تعاطفًا ورحمة؟

شعر أيضًا بالغضب المرير، شعر به يدفعه للأمام، لكنه لن يدع الغضب المرير يسيطر عليه.

لا، سيبطئ نفسه، ويستخدم تدريبه ومكره.

لن يستخدم ذراعه اليمنى، مع ذلك. كانت يده متورمة وبالكاد تعمل، والذراع نفسها ترتجف وتنبض داخل جبيرة الغصن المكسور.

وصل إلى فسحة، ومنها استطاع رؤية المقبرة على تلة بعيدة إلى الغرب. نظر حوله، حاول تحديد أين سيتمركز قناص، وأدرك أن أفضل مكان سيكون في الغابة على الجانب البعيد من الفسحة.

دفع كورت نفسه عائدًا للأشجار وتحرك لليسار، متبعًا أخيرًا آثار أقدام حديثة عبرت في الفسحة بعيدًا في المرعى التلي، خمسين ياردة أو أكثر أسفل قمة التل على الجانب البعيد من المقبرة، وبالتأكيد خلف أي نقطة مراقبة للقناص. من هنا شق طريقه فوق سياج شائك بارتفاع الخصر وإلى الأشجار مرة أخرى.

نعبت غربان الغابة، حركتها فوقه في الفروع الجرداء ثابتة، وكأنها تظلل تقدمه في الغابة.

جمهور للعرض الوشيك.

كان قريبًا الآن، لابد أن يكون. ثلاثون ياردة أخرى وسيكون عند الحافة الأمامية للغابة، الموقع المثالي لقناص ليخفي نفسه، مانحًا إياه رؤية واضحة لهدفه على التل البعيد وغطاء من خط الأشجار.

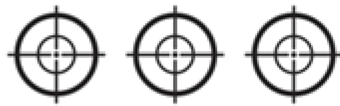
تبع الآثار متجاوزًا خندقًا صغيرًا على يساره يلتف بعيدًا للجنوب، ثم، أيضًا على يساره، بركة متجمدة تقع في قاع منحدر حاد.

تبع مسار مشي ضيقًا على تل فوق البركة؛ مع الأرض المتجمدة والست بوصات من الثلج الجديد كانت خطواته ناعمة وهادئة، لكنه عرف أنه يجب أن يترك المسار للاقتراب من هدفه. تحرك ببطء قدر استطاعته، ناظرًا مرة واحدة فقط لساعته ومكتشفًا نفاد وقته، لكنه غير راغب في الاندفاع للأمام الآن، وهو قريب جدًا من وجهته.

لم يقطع سوى بضع ياردات خارج المسار عندما وضع قدمه اليمنى على شجرة كبيرة سقطت ومخفية تحت الثلج. بدت متينة، فصعد عليها، ثم مد قدمه اليمنى لإيجاد خطوة صلبة أخرى. تحت قدمه شعر بفرع شجرة يبرز من الطين المتجمد، وقرر أنه كبير بما يكفي لتحمل وزنه. داس عليه، وأرجح ساقه الأخرى فوقه.

تشقق الفرع، الصوت صادم وعالٍ في الغابة الساكنة.

تبًا. كان الضجيج كافيًا لإرسال الغربان بالأعلى طائرة من فروعها.



57

راقب راسل ويتلوك الموكب وهو يتوقف عند مدخل المقبرة، وطرد ألم وركه من مخيلته؛ فهو يعلم أنه بحاجة إلى دقات قلب وئيدة ونبض مسترخٍ ليتمكن من إطلاق "طلقة السبطانة الباردة" من على بعد ألف ومائتي ياردة.

وبينما ظهر أوائل أفراد الوفد عند بوابة الدخول على التلة البعيدة، سمع راسل صوت تكسر غصن شجرة بشكل لا لبس فيه على بعد خمس وعشرين ياردة خلفه.

ضاقت عيناه.

ثم أغمضهما، وأخفض جبهته لتستقر على أخمص البندقية.

هكذا، وببساطة، أدرك أن خطته قد فشلت؛ فـ كورت جينتري هنا، ولم تنجح مؤسسة «تاونسند» في تصفيته.

وفي قرارة نفسه، كان ويتلوك يعلم أن هذا التصادم كان حتميًا منذ البداية.

قطاران على السكة نفسها.

لكن، لحظة. رفع جبهته عن أخمص البندقية؛ فإذا تمكن راسل من التخلص من جينتري بسرعة وهدوء، وعاد إلى بندقيته في الوقت المناسب، فربما لا يزال بإمكانه إنقاذ الموقف. بدت فكرة إطلاق رصاصة قنص من مسافة ألف ومائتي ياردة بنبضات قلب متسارعة نتيجة قتال قريب أمرًا مستبعدًا، لكن راسل كان يعلم أنه إذا أطلق ما يكفي من الرصاص نحو المقبرة، وأصاب أي شيء يقع في مرمى بصره، فقد ينجح في الأمر.

ستكون عملية قبيحة، لكنه إذا أتم المهمة فسيقبض الثمن.

حدث راسل نفسه قائلًا:

– "الأهم فالمهم."

ثم نهض ببطء، وهو يتأوه من ألم وركه.

وصل كورت إلى الحافة الشمالية الغربية للغابة، ورأى منزلًا من طابقين على بعد خمسين ياردة إلى يساره. كان الفناء الخلفي الفسيح للمبنى ينتهي بالقرب منه، وهناك دفيئة زجاجية صغيرة تقع بالقرب من خط الأشجار. نظر كورت إلى ما وراء الفناء وأدرك أن الدفيئة تتمتع بخط رؤية مثالي للمقبرة.

لابد أن هذا هو عش قناص «ديد آي».

للوصول إلى الدفيئة من الخلف، شق كورت طريقه عبر غصن شجرة، ثم انعطف نحو المسار المار فوق البركة المتجمدة، حريصًا على عدم إحداث ضجيج أو الانزلاق على الثلج والسقوط أسفل التلة.

انخفض بجسده في وضعية القرفصاء في آخر خمس وعشرين قدمًا قبل الدفيئة، وتجاوز شجرة بلوط ضخمة على يمينه، ثم ألقى نظرة خاطفة وسريعة إلى أسفل يساره، محذرًا من المنحدر المؤدي إلى البركة المتجمدة، على عمق أربعين أو خمسين قدمًا أسفل التلة.

وبمجرد تجاوزه لشجرة البلوط، سمع صوت أزيز مباغت خلفه مباشرة؛ فاستجابت ردود أفعاله الفطرية ورفع يده اليسرى بغريزة الدفاع.

أطبق سلك على يده، وجذبها بقوة نحو وجهه وحلقه، وسحبه السلك إلى الخلف نحو الأشجار على يمينه.

أدرك على الفور أنه سلك خنق؛ فقد غرز نصل السلك في عنقه من جهة اليمين وضغط يده على عنقه من جهة اليسار. بدأت ذراعه اليمنى المكسورة تتخبط داخل جبيرتها، محاولاً لمس الرجل الذي خلفه، لكنه لم يستطع الدفاع عن نفسه بفاعلية باستخدامه لها.

سحب ويتلوك خصمه جينتري فوقه؛ وكانا شبه منبطحين، لكن الشجيرات الكثيفة عند شجرة البلوط منعتهما من الارتطام بأرض الغابة.

ظل راسل يشد ويشد ويشد، مستشيطاً غضبًا من انحشار يد جينتري داخل سلك الخنق، لكنه لم يسترخِ للحظة واحدة.

ركل كورت بساقيه وقاتل ليخرج يده المحشورة من قبضة السلك؛ فكانت تلك اليد هي ما يمنعه من الموت اختناقًا، لكن بدونها لن يستطيع المقاومة أبدًا، لذا وجب عليه تحريرها بأي ثمن. ضرب برأسه إلى الخلف، محاولاً إصابة وجه راسل، لكن راسل كان مستعدًا لذلك، وأزاح رأسه بعيدًا.

أطلق كورت صرخة مكتومة مع تصاعد ذعره، وهز جذعه يمينًا ويسارًا في محاولة يائسة لتحرير يده من السلك الرفيع والقوي.

رفع كورت ذراعه اليمنى المكسورة نحو وجهه وأمسك بطرف الضمادة الملفوفة حول الجبيرة بأسنانه. وبينما بدأ ويتلوك بهزه يمينًا ويسارًا، باذلاً قصارى جهده لمنع ضحيته من القيام بأي نوع من الدفاع، نزع كورت الجبيرة بأسنانه، فسقط الغصنان المكسوران منها، وتمكن من إطباق يده اليمنى الضعيفة حول أحدهما.

وبينما كان يعلم تمامًا أن مناورته ستسبب له ألمًا مبرحًا، قذف كورت ذراعه المكسورة فوق رأسه، ليرتد الطرف الحاد والمكسور للغصن في وجه ويتلوك، ويطعنه في وجنته، ويكاد يصيب عينه.

أرخى راسل قبضته على سلك الخنق للحظة خاطفة بينما كان يتفادى الهجوم على وجهه، وكانت تلك اللحظة هي كل ما يحتاجه كورت لتحرير يده اليسرى.

ما إن تحررت يده حتى انتزع الغصن المكسور من يده اليمنى. شعر بسلك الخنق يضيق مجددًا حول رقبته، وانقطع مجرى الهواء تمامًا؛ فجحظت عيناه في محجريهما واحمر وجهه.

وبيده اليسرى، أمسك جينتري بالخشب ووصل إلى خصر ويتلوك، وغرزه تحت معطف الرجل وحزامه، ليجد الضمادة التي تغطي جرح الرصاصة وينتزعها. وبينما صرخ راسل من عذابه، غرز كورت الغصن في الثقب المتقيح، مدورًا إياه ليتوغل عبر العضلات المنهكة.

أفلت ويتلوك سلك الخنق وتخبط بعيدًا، ممسكًا بخصره بينما كان يوجه لكمة إلى جينتري في الوقت نفسه.

تدحرج كورت في الاتجاه المعاكس، وسقط بين الشجيرات وهو يمسك بحلقه ويستنشق صدرًا ملؤه الهواء الجليدي.

توقف الرجلان للحظة لتفقد إصاباتهما في خضم هذا الصراع المميت، لكن في ثوانٍ كان راسل قد جثا على ركبتيه ثم وقف فوق جينتري. مد يده إلى أسفل ظهره وسحب مسدسه من طراز Glock 19.

اندفع كورت من بين الشجيرات المغطاة بالثلوج، وخفض كتفه اليسرى، وصدم منتصف جسد ويتلوك بكل قوته. طار المسدس في الهواء وسقط الرجلان أسفل المنحدر، يتدحرجان وينزلقان ويرتطمان بالأشجار مع تسارع سرعتهما.

كان كورت يسقط بلا سيطرة، لكنه بذل قصارى جهده ليمسك بذراعه المكسورة أثناء نزوله. أما راسل فقد تدحرج بعنف، مرتطمًا بوركه المصاب بالأرض الصلبة وأغصان الأشجار القاسية على التلة.

تدحرج كلاهما خارج نطاق السيطرة، جارفين معهما الشجيرات والثلج وقطع الحجارة في انهيار صغير. مد راسل يده وأمسك بشجيرة عارية نبتت في المنحدر ليوقف سقوطه، لكن الشجيرة اقتلعت من الأرض المتجمدة وتدحرجت معه.

طار كورت وراسل في الهواء، ثم ارتطما بالبركة المتجمدة في وقت واحد تقريبًا. انزلقت جثتاهما فوق الجليد مسافة عشر، ثم خمس عشرة، ثم خمس وعشرين قدمًا؛ فزخم التدحرج من التلة مع انعدام الاحتكاك على الجليد دفعهما لمسافة ثلث الطريق نحو الطرف المقابل للبركة. توقفا أخيرًا عن الانزلاق؛ كان كورت منبطحًا على وجهه وراسل على جنبه، ولكن عندما حاول راسل رفع نفسه للبحث عن المسدس، جاء الرد بصدع مدوٍ هز المكان. تسببت القوة المشتركة لجسديهما في انهيار سطح البركة الجليدي، واختفى الأمريكيان المصابان تحت السطح.

وكما يفعل في كل عام، أنهى رئيس وزراء إسرائيل وقفته عند قبر بيت دي شيبر بصلاة وهو جاثٍ على ركبتيه. نهض، ونفض الثلج عن الجزء السفلي من معطفه، ووضع يده على عمود قوطي حديث بجوار موقع الدفن.

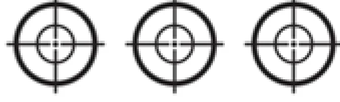
– "إلى العام القادم يا صديقي."

استدار وبدأ بالعودة عبر الممر نحو مخرج المقبرة. وبينما كان يسير، قال لعميل التأمين الرئيسي في فريق حمايته المقرب:

– "لا يمكنني القول إنني معجب بكل هذا الثلج اللعين، لكني أحب الهدوء هنا بشدة."

رد العميل الأمني:

– "نعم يا سيدي، المكان هادئ حقاً، أليس كذلك؟"



في قاع البركة الجليدية، كان كورت جينتري يغرز أصابعه في عيني الرجل الجاثم فوقه.

تحت الجليد تصارعا، وأجسادهما تدور وأرجلهما ترفس وسط الوحل الكثيف والنفايات. لم يكن أي منهما يعلم إن كان الآخر يحمل سلاحًا، لذا قاتل كلاهما وتدافعا للسيطرة على يدي الآخر. كان الأمر أصعب بالنسبة لـ جينتري، الذي كانت ذراعه اليمنى شبه عديمة الفائدة.

كان الماء عكرًا وقذرًا للغاية، والجليد الذي يغطي السطح سميكًا جدًا، لدرجة أن الرؤية في القاع كانت منعدمة تمامًا. تمسك الرجلان ببعضهما البعض، وتشابكت الأذرع والأرجل حول الجذوع، مستخدمين الأكواع والجبهات كأسلحة عندما تقيدت حركة الأيدي والأرجل.

كان البرد بمثابة هجوم مستمر ومخدر للجهاز العصبي المركزي، اخترق عقليهما وكأنهما يتعرضان لصعق كهربائي.

تحرر كورت من قبضة راسل للحظة ودفع نفسه عن الوحل، محاولاً الوصول إلى ما فوق مستوى الماء ليملأ رئتيه. لم يكن عمق هذا الجزء من البركة يتجاوز سبع أقدام، لذا لم تكن المسافة بعيدة،

ولكن بدلاً من أن يخرج إلى الهواء، ارطم رأسه بسقف من الجليد السميك الذي يغطي البركة.

أمسكه راسل من خصره وسحبه إلى العمق مجددًا.

بدأت أطراف كورت تتخدر بسرعة مع تراجع الدم للحفاظ على حرارة أعضاء جسده الحيوية. تلاشت مهاراته الحركية الدقيقة بسرعة مع فقدان الإحساس والحركة، وبدأت مهاراته الحركية الكلية في التبلد أيضًا.

لكن راسل كان في المأزق نفسه؛ فقد انتقل من محاولة خنق رقبة كورت بيديه إلى مجرد إحكام قبضته حول رأسه، آملًا في إغراقه قبل أن يغرق هو نفسه.

مضت قرابة دقيقة الآن والقاتلان تحت الماء، يصارعان من أجل حياتهما ويستنزفان الأوكسجين الثمين. أصبح الحريق في رئتيهما لا يطاق، وحاول كلاهما ترك المعركة بحثًا عن الهواء. وجدا معًا الفتحة الموجودة في الجليد، ودفعا قطعًا كبيرة مكسورة برؤوسهما وأذرعهما، وملأا رئتيهما بشهيق يملؤه الأزيز.

وبينما كان كورت يستنشق الهواء المتجمد، وجه لكمة بيده اليسرى إلى ويتلوك، أصابت فكه مباشرة. لم يشعر راسل بأي ألم بفضل التخدر شبه الكامل، لكن اللكمة جعلت رأسه يدور.

والآن ارتقى كورت ظهر راسل ودفعه مجددًا تحت الماء، ولكن قبل أن يختفي راسل تحت السطح، لمحت عيناه المسدس الغلوك ملقى على جنبه فوق الجليد في وسط البركة المتجمدة.

مد راسل يده وسحب كورت تحت الماء معه؛ وسمع صرخة الرجل من العذاب وهو يفعل ذلك، ولوى العضو المصاب لإيقاع أقصى قدر من الألم. اعتلى خصمه في الماء وبدأ يركل، أولاً ذراعه اليمنى

المصابة، ثم كل جزء من جسده، دافعًا بـ جينتري إلى العمق عبر دهسه. واستغل موقعه المتفوق أكثر باستخدام حذائه للدوس على رأس جينتري واستخدام يديه ليدفع نفسه خارج الماء المتجمد.

تسلق راسل الجليد والماء يتناثر في كل اتجاه، ثم سقط على جنبه بجوار الفتحة. انتفض جسده من البرد، لكنه قاوم الانتفاض، وأدار رأسه يمينًا ويسارًا بحثًا عن المسدس الذي رآه قبل لحظات.

ها هو ذا؛ على بعد خمس وعشرين قدمًا، بالقرب من وسط البركة.

بسط جسده لتوزيع وزنه بالتساوي، وزحف نحوه بأسرع ما يمكن. وبينما كان يتحرك، نظر إلى الفتحة المتعرجة وأدرك أن جينتري لم يظهر بعد؛ فقد ظل بالأسفل لفترة طويلة، وتمنى راسل أن يبقى هناك.

لكن راسل كان يعلم أن كورت مقاتل صلب، لذا ركز على شق طريقه عبر السطح الزلق نحو السلاح.

كان إطلاق النار من المسدس سيدمر أي فرصة ضئيلة باقية لراسل لإطلاق النار على كالب، لكن تفكيره الواعي الوحيد كان منصبًا على النجاة.

وبينما كان ويتلوك يزحف إلى الأمام، ببطء أكبر الآن لأن الجليد تحت جسده بدأ يرقّ ولم يكن يريد السقوط مجددًا في الماء، أدرك أنه حتى لو لم يضطر لإطلاق النار على جينتري، فإن درجة حرارة جسده الداخلية منخفضة للغاية بحيث لا تمنحه أي فرصة لتثبيت البندقية لإطلاق رصاصة بعيدة المدى. لقد ضاعت فرصته في إصابة كالب، فصرخ غضبًا.

أكدت نظرة أخرى خلفه أن جينتري لا يزال مغمورًا؛ فإما أنه لم يتمكن من العثور على الجزء المكسور من الجليد ويغرق الآن وهو يتلمس السطح فوقه بيأس، أو أن جسده علق بالأعشاب والنفايات والوحل في قاع البركة. وفي كلتا الحالتين، فإن كورت جينتري في عداد الموتى.

كان راسل الآن على بعد أقل من عشر أقدام من المسدس. الجليد في أرقّ حالاته هنا في وسط البركة، لكنه لم يتصدع بفضل حركته البطيئة والحذرة والضغط الواسع والموزع بالتساوي لجسده.

كان وركه يؤلمه، حتى مع التأثير المخدر للماء المثلج والهواء القارس، وكان جسده يرزح تحت وطأة الإنهاك وبدايات انخفاض درجة الحرارة الواضحة. مد يده ليسحب نفسه لمسافة أبعد، ورأى أصابعه وقد تلونت بالزرقة الشاحبة وهي ترتجف.

نظرة أخيرة إلى الخلف؛ رأى الأثر الذي تركه وهو يتحرك من الفتحة، أثرًا من الدم والماء خلفته ملابسه المشبعة بالماء ووجهه ووركه الداميان.

عادت قطع الجليد الكبيرة المكسورة لتستقر فوق الفتحة القريبة من الضفة، وبدا وكأن الفتحة بدأت تتجمد بالفعل، حابسة «الرجل الرمادي» تحت السطح.

شك راسل في أنه سيحتاج إلى المسدس الآن، لكنه استمر في التحرك نحوه، عالمًا أن السلاح سيكون مفيدًا عندما يقتحم المنزل الموجود فوق التلة ليدفأ.

في تلك اللحظة، وتحت سطح البركة مباشرة وتحت وجهه تمامًا وهو يزحف على السطح، رأى راسل يدًا تظهر، مضغوطة بقوة ضد الجليد.

كان كورت يحاول كسر الجليد للخروج.

– "يا للمسيح يا كورت! مت فحسب!"

انجرفت اليد للأسفل وبعيدًا، ثم اختفت في ظلام الماء القذر.

اندفع راسل للأمام، مقتربًا أكثر من المسدس، الذي صار على بعد خمس أقدام من أطراف أصابعه، ونهض ببطء على ركبتيه ليمد يده نحوه.

أطلقت الغربان في الأشجار فوقه نعيقًا جماعيًا غاضبًا.

توقف راسل فجأة، وتجمد في مكانه عندما رأى الجليد أمامه يتحطم، منفجرًا للأعلى وكأن قنبلة انفجرت تحته.

تناثر الماء من الفتحة الجديدة بجوار المسدس الأسود، ومن الماء ظهر جينتري؛ كان وجهه رماديًا كالمشهد من حوله، لكن عينيه كانتا متسعتين بفيض من الغضب والتصميم. ضرب بيده على المسدس ورفعه نحو راسل في حركة واحدة كاسحة.

– "لا!"

ومن مسافة تقل عن عشر أقدام، أطلق «الرجل الرمادي» النار على «ديد آي» في صدره، لتستقر الرصاصة في منتصف جسده، وتلقي به منبطحًا على ظهره. تعثرت ساقاه تحت جسده بشكل غريب، وامتدت ذراعاه على اتساعهما وهو يسقط للخلف، وارتطم رأسه بالجليد، ليتصدع في كل الاتجاهات.

ومع دوي الرصاصة، تفرق سرب الغربان المحلق فوق أغصان الأشجار العارية، وانجرف بعيدًا نحو الشرق في هدوء الظهيرة الرمادية.

تأوه كورت وصرخ من الألم والجهد وهو يسحب نفسه خارج الفتحة المتعرجة في وسط البركة. سحب نفسه بذراعه اليسرى، وقذف ساقه للأعلى فوق الجليد، مما ساعده على الحصول على قوة الدفع التي يحتاجها. نظر إلى المسدس ورأى أنه قد تعطل بعد أن أطلق منه رصاصة واحدة، ولا شك أن ذلك كان بسبب قبضته الضعيفة. انبطح على بطنه، وزحف بساقيه الضعيفين وذراعه اليسرى، يجر ويدفع جسده المخدر بعيدًا عن الفتحة.

وصل إلى ويتلوك ثم توقف، ووضع وجهه على الجليد. ورغم أن أوعية كورت الدموية كانت متقلصة من البرد، إلا أن الدم تقطر من جرح الرصاصة في ذراعه والجروح الجديدة في وجهه ورقبه، وتحرك هذا الدم عبر الجليد المتصدع من حوله، مشكلاً خطوطًا حمراء في الشقوق ونازحًا بعيدًا عنه، وكأن حياته نفسها تودعه.

كانت رئتاه تلهثان، وتدفعان هواءً دافئًا مشبعًا بالرطوبة في الجو المتجمد فيتجمد بدوره، مما ضبب مجال رؤيته. ومن خلال هذا الضباب نظر إلى «ديد آي»، ورأى دمه الكثيف يتدفق من جرح صدره، ليتباين مع الجليد الأبيض وهو يتحرك في خطوط الشقوق نفسها على سطح البركة حيث يسري دم كورت.

أخرج ويتلوك أزيزًا ناعمًا، ثم دارت عيناه وانغلق جفناه إلى منتصفهما. تجمد في هذه الوضعية، وفمه مفتوح قليلاً، ووجهه لا يزال يشير مباشرة نحو السماء.

انقلب جينتري على ظهره الآن، متأوهًا من الألم والإرهاك، ثم قذف المسدس الغلوك في الهواء بذراعه المرتجفة وشاهده وهو يسقط في الفتحة بوسط البركة.

كان كورت يعلم أنه سيموت من البرد في لحظات إن لم يجد وسيلة للتدفئة. دفع نفسه على ظهره وصولاً إلى حافة البركة مستخدمًا حذاءه المشبع بالماء. كانت أسنانه تصطك بصوت عالٍ وكان بالكاد يرى من خلال سحب البخار الكثيفة التي تخرج منه مع كل زفير ثقيل ومجهد.

استخدم الأغصان العارية لشجيرة ليرفع نفسه واقفًا، ثم بدأ يتسلق التلة ببطء وتثاقل، مستخدمًا أغصان الأشجار والشجيرات ليجر نفسه عندما لم تعد ساقاه تتحركان بشكل صحيح.

كانت ذراعه اليمنى تتدلى بجانبه، وبدأ قميصه الحراري الأبيض يتجمد على جسده، وتشكلت حبيبات ثلجية صغيرة على طرف أنفه وشحمتي أذنيه بينما كان يكافح ليحرك قدمًا تلو الأخرى عبر الغابة، متجهًا نحو المنزل. كانت أسنانه تصطك بعنف وركبتاه ترتجفان.

سار لدقائق؛ وطوال ذلك الوقت حاول نزع قميصه المتجمد عن جسده، لكنه لم يفلح بذراع واحدة سليمة فقط، ينتهي بها كف متورم تشنج ليصبح كالمخلب.

لم يستسلم كورت أبدًا، لكنه لم ينجح حتى في إخراج ذراع واحدة من القميص الحراري.

مر بجانب سيارة قديمة مرفوعة على كتل خشبية في الفناء الخلفي للمنزل، ثم شق طريقه عبر ممر حجري نحو الباب الخلفي، وكاد يسقط مرتين على الطريق، وهو يصارع بقوة للحفاظ على توازنه.

لقد أنهك البرد جسد جينتري تمامًا، لكن عقله احتفظ بالقدرة على إدراك أن السقوط على الثلج هنا، في العراء ودون وجود ما يساعده على النهوض، سيكون بمثابة حكم بالإعدام.

لكنه لم يسقط؛ وصل إلى الدرجات الخلفية للمنزل وجر نفسه ممسكًا بالدرابزين.

بيدٍ ترتعد بعنف حاول إدارة مقبض الباب، لكنه لم يستطع الإمساك به.

ارتمى بجسده على الباب، وضغط بذراعه المخدرة على المزلاج، ليجده مغلقًا.

انزلق كورت الآن حتى استقر على عتبة الباب.

– "ساعدوني."

خرجت الكلمة مشروخة وخافتة وبالكاد تُسمع. استخدم مؤخرة رأسه ليطرق الباب، دون أن يشعر بأي إحساس جراء ذلك الفعل.

– "ساعدوني."

بصوت أخفت الآن، وكأنه استسلام لعبثية موقفه. ضرب رأسه بالباب مرة أخرى.

انفتح الباب، وسقط كورت إلى الداخل على ظهره. نظر للأعلى؛ كانت الرؤية مقلوبة.

كان يقف فوقه رجل عجوز، وبجانبه صبي صغير، لا يتجاوز عمره الخامسة أو السادسة على الأرجح.

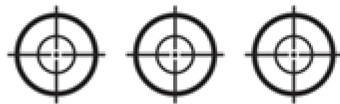
قال كورت:

– "ساعدوني."

نظر إليه الرجل والصبي بذهول وخوف لا يخلو من الفضول.

بدأ عقل كورت يشرد؛ وبدأ يغط في النوم.

كان آخر ما شعر به قبل أن يغوص في غيبوبته هو أثخن وأدفأ بطانية صوف شعر بها في حياته وهي توضع فوق جسده.



خاتمة

بعد اثنتي عشرة ساعة من قتله لـراسل ويتلوك فوق بركة متجمدة في حي أوكل بـ بروكسل، وصل كورت جينتري إلى أمستردام في ثالث سيارة استقلها في ذلك اليوم.

كان يرتدي سروال جينز أزرق نظيفاً وقميصًا حراريًا أسود جديدًا اشتراه من متجر يبعد أميالاً عن بروكسل. وهناك أيضًا وجد صيدلية فقام بتضميد ذراعه وتثبيتها بالشاش والضمادات، وجبرها باستخدام أربع قطع من قضيب ستائر مكسور سحبه من سلة مهملات خلف مجمع سكني.

لقد قام بعمل جيد في معالجة إصابته، بالنظر إلى كل الظروف، رغم أنها كانت تؤلمه بشدة وكان يعلم أنه سيحتاج إلى طبيب حقيقي لمعاينتها في أقرب وقت.

لكن ليس الليلة؛ فلديه مهام ليؤديها. ورغم أن الساعة كانت الواحدة صباحًا الآن، إلا أنه كان بحاجة لإجراء عملية مراقبة مضادة (SDR) صحيحة ثم التجول حتى يجد مكاناً ينام فيه هنا في أمستردام.

لم يجد صعوبة في البقاء مستيقظاً؛ فقد علم كورت من الخبرة أن جرح الرصاصة في ذراعه سيجعل النوم صعبًا لأسابيع إن لم يكن لشهور.

كان قد نزل للتو من السيارة، على بعد أميال قليلة جنوب مركز المدينة، عندما اهتز هاتفه المحمول في حقيبة ظهره.

أثار ذلك دهشته؛ فقد أعطى الرقم لشخصين فقط، وكان واثقًا تمامًا من موتهما. لكنه سيجيب على أي حال؛ فقد زادت ثقته في برنامج «MobileCrypt» خلال الأيام القليلة الماضية.

أخرج الهاتف وجلس في مدخل جانبي بجوار مبنى مكاتب، لا يضيئه سوى مصباح هالوجين أصفر خافت.

– "نعم؟"

كان صوت رجل ناعمًا بشكل صادم على الخط، بلكنة ثقيلة ولكن مفهومة، حتى عبر اتصال الأقمار الصناعية.

– "لقد وجدت هذا الرقم محفوظًا في هاتف روث إيتنغر. وبالنظر إلى الطوابع الزمنية، أنا واثق تمامًا أنني أتحدث الآن إلى كورتلاند جينتري."

– "عذرًا يا صاحبي، الرقم خطأ–"

– "أرجوك! من أجل روث. لحظة قصيرة من وقتك فقط."

تردد كورت، ثم سأل:

– "ماذا تريد؟"

– "لم نصدقها. بخصوصك. كان لدينا معلومات اعتبرناها أكثر مصداقية من إنكاراتك. لقد كنا مخطئين. أنا كنت مخطئًا. هي... روث... كانت على حق."

شد كورت على فكيه وقال:

– "هذا لن يفيدها كثيرًا الآن، أليس كذلك؟"

– "لا، لن يفيد."

كان الرجل إسرائيليًا، استطاع كورت تمييز ذلك بسهولة من لكنته، وبدا متألمًا حقًا لما حدث.

– "من أنت؟"

بعد سعلة ضعيفة قال الرجل:

– "لقد التقينا أنا وأنت ليلة أمس في الواقع؛ في هامبورغ."

– "أنت الرجل الذي كان في بئر السلم."

– "نعم."

– "هل ستنجو؟"

– "لقد أنقذت حياتي." سعل مرة أخرى وتابع: "والآن... سيد جينتري، لدي التقارير من بروكسل. من الواضح أنك قتلت القاتل بالقرب من المقبرة؛ الرجل الذي كان يستهدف رئيس الوزراء كالب."

لم يعلق كورت على هذا.

– "منظمتي ممتنة لك، ونريد أن نظهر هذا الامتنان."

تنهد كورت، واتكأ بظهره على نافذة مبنى المكاتب، وأخرج زفيرًا جليديًا كان مرئيًا تحت مصباح الهالوجين، وقال:

– "لماذا لا تفعلون ما تفعله المنظمات عادةً؟ صمموا لوحة تذكارية باسم روث وعلقوها على جدار ما."

– "سأهتم بذلك طبعًا، لكننا نريد أن نفعل شيئًا من أجلك أنت."

فكر كورت في الأمر للحظة وقال:

– "صمموا لوحة باسمي، واحشروها في مؤخراتكم. وداعًا."

– "انتظر!"

– "ماذا؟"

– "يمكننا أن نفعل أفضل من ذلك، أفضل بكثير."

– "عن ماذا تتحدث؟"

بعد صمت قصير قال الصوت الضعيف:

– "أينما كنت الآن، قد ترغب في أن تكون في مكان آخر. يمكننا المساعدة في هذا."

– "كيف؟"

أخرت سعلة خشنة الإجابة، ثم قال أخيرًا:

– "نحن الموساد؛ يمكننا تحقيق ذلك."

كان الربيع في بداياته بـ واشنطن العاصمة؛ كانت الشمس تشرق ساطعة فوق مبنى الكابيتول والعداؤون الصباحيون يطوفون حول المنتزه الوطني (National Mall)، مستفيدين من الطقس الجميل.

على مقعد بين الأشجار في ممر محمية الفراشات بمؤسسة «سميثسونيان»، جلس رجل ضخم في منتصف العمر وحيداً يرتدي معطفاً واقيًا من المطر أسود اللون؛ وأي شخص يمر بجانبه ويوليه اهتمامًا سيجده يبدو غير مرتاح ومضطربًا.

تحقق من الوقت في هاتفه للمرة الثانية في ثلاث دقائق، ثم دلك فخذيه لدقيقة أخرى.

أخيرًا ضغط على بضعة أزرار في هاتفه ووضعه على أذنه.

رُد على المكالمة بعد عدة رنات، وتطلع ليلاند بابيت يميناً ويسارًا في الممر قبل أن يتحدث بسرعة وهدوء، دون إضاعة وقت في المجاملات:

– "الساعة الثامنة والربع يا ديني. كان من المفترض أن تكون هنا قبل نصف ساعة."

رد ديني كارمايكل:

– "أنا لم أوافق على المجيء أصلاً، قلت فقط إنني سأفكر في الأمر."

– "أوه، هيا يا ديني. نحن بحاجة لمقابلة وجهاً لوجه."

– "لا، لسنا كذلك. لن نعقد أي اجتماعات وجهاً لوجه في أي وقت قريب. لا أريدك في «لانغلي» بالطبع، وبالتأكيد لن أطأ قدماي مؤسسة «تاونسند» في ظل كل هذا الانكشاف الذي تعرضتِ له في الأسبوعين الماضيين."

ارتفع صوت بابيت وانخفض بنبرة يملؤها اليأس:

– "أفهم ذلك؛ لهذا السبب اقترحت مكاناً خارج الموقع، مكاناً محايداً. أنا وأنت؛ يمكننا إنهاء هذا الأمر والمضي قدمًا."

قال كارمايكل:

– "يا لي، دعنا نمنح الأمر الوقت الكافي لتهدأ العاصفة."

شد بابيت على أسنانه، واهتزت وجنتاه المترهلتان مع الحركة:

– "لن تتركني وحيداً في مهب الريح في هذا الأمر."

– "هذا بالضبط ما سأفعله! رجلك قتل ضابطًا في الموساد. ألا تعتقد أنه ستكون هناك تداعيات لذلك؟"

– "ويتلوك لم يكن رجلي يا ديني! كان رجلك أنت! أنت من صنعته! أنت من أفسدته! أنت من أفسدت كل أولئك الفتيان. والآن تسبب «ديد آي» في صدام مع الإسرائيليين و«الرجل الرمادي» لا يزال طليقًا في مكان ما. يمكنك إلقاء اللوم على «تاونسند» كما تشاء بخصوص ما حدث في بروكسل، لكن الحقيقة تظل أن الطرفين السيئين في تلك العملية كانا من أصول وكالة المخابرات المركزية المتمردة. وهذا ليس خطأ «تاونسند»."

جاء صوت كارمايكل الأجش منخفضًا وسريعًا:

– "أبقِ فمك مغلقًا، واترك العاصفة تمر لبضعة أشهر، وربما تظل لديك فرصة للحصول على نوع من أعمال التعاقد منا في المستقبل. ولكن إذا نطقت بكلمة لعينة واحدة عن أي جانب من أحداث بروكسل –

وهي الأحداث التي أنا مستعد تمامًا لإنكارها تحت القسم – فلن تجد عملاً مرة أخرى أبدًا؛ لا في القطاع العام ولا الخاص."

– "لقد قطعت وصولنا إلى البيانات المصنفة. كيف بحق اللعنة تتوقع منا البقاء في العمل؟"

– "ليس لدي شك في أن «تاونسند» ستتمكن من إيجاد عقود أمنية مربحة في القطاع التجاري."

– "نحن وطنيون أمريكيون! لسنا رجال أمن لعينين في مراكز تجارية!"

لم يرد كارمايكل.

وبعد لحظة لتهدئة نفسه، قال بابيت:

– "أنت لست الخيار الوحيد في هذه المدينة، كما تعلم."

– "هل هذا نوع من التهديد؟"

– "الأمر واضح كما تراه."

زمجر كارمايكل:

– "تبًا لك يا بابيت."

– "لا يا ديني، بل تبًا لك أنت. وفي الواقع، أعتقد أنني سأفعل ذلك تمامًا الآن."

أنهى ليلاند بابيت المكالمة، ونهض من المقعد، ومد يده للخلف وكأنه سيلقي بالهاتف بين الأشجار، لكنه تراجع ووضعه في جيبه، وبدأ يسير في الممر باتجاه المنتزه الوطني.

لم يلتفت خلفه قط وهو يسير بغضب وسط العدائين والمارة، ولو فعل ذلك لما رأى أبدًا الرجل الذي يتبعه؛ لأن الرجل الذي يتبعه يمتلك المهارات التي تجعله يندمج تمامًا مع بيئته.

صعد بابيت درجات الكابيتول، واختفى بعد دقيقة في الظلال تحت الرواق الشرقي حيث دخل من أحد الأبواب.

وعلى مسافة بعيدة خلفه، متواريًا في ظلال شجرة كرز لم تكتمل أزهارها بعد، استدار المتابع جهة اليمين وعبر المنتزه متجهًا نحو الجنوب.

وبينما كان يسير، أبعد يده عن مسدس روجر الصغير الذي كان يحمله في جيب سترته الأيسر، واستخدم اليد نفسها لسحب قبعة البيسبول التي يرتديها إلى الأسفل أكثر فوق عينيه. أما يده اليمنى فقد ظلت في جيب بنطاله، مما منع ذراعه من التأرجح أثناء المشي.

اتجه كورت جينتري عائدًا إلى سيارته المركونة على بعد مربعات سكنية فقط جنوب المنتزه في مرآب تحت الأرض بالقرب من «لينفانت بلازا». لقد كان يومًا ضائعًا بعض الشيء؛ فقد جاء بحثًا عن إجابات لم يحصل عليها من هدف لم يظهر، ومع ذلك، كان شعورًا جيدًا أن يعود للعمل مرة أخرى بعد فترة تعافيه الطويلة.

توقف عند عربة لبيع النقانق، واشترى زجاجة ماء، وشرب منها رشفات قليلة بينما كان واقفًا هناك، مانحًا نفسه نظرة أخيرة لمبنى الكابيتول. ورغم المشاعر التي تعتمل بداخله، لم يكن من الحكمة التوقف والتحديق؛ فهو في مهمة تخفٍ، وهويته المموهة لم تكن سائحًا أجنبيًا مبهورًا بما يراه.

وعلى خلاف العديد من عملياته، كانت هويته المموهة في هذه الحالة النادرة تطابق هويته الحقيقية.

إنه أمريكي. لقد غاب لفترة طويلة، لكنه لا يزال أمريكيًا.

والآن، عاد إلى وطنه.

-تمت-

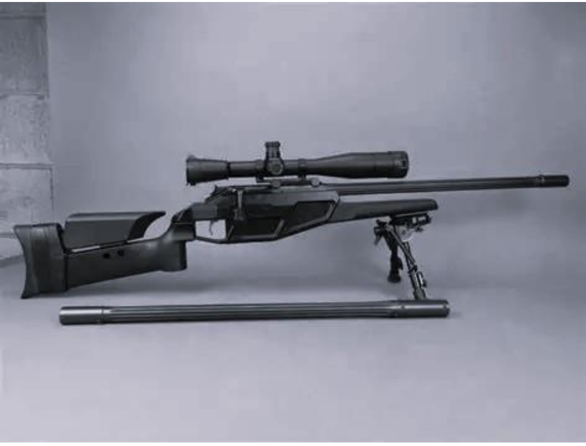
ملحق



الطائرة الشراعية (ميكرولايت ترايك MicroLight Trike)



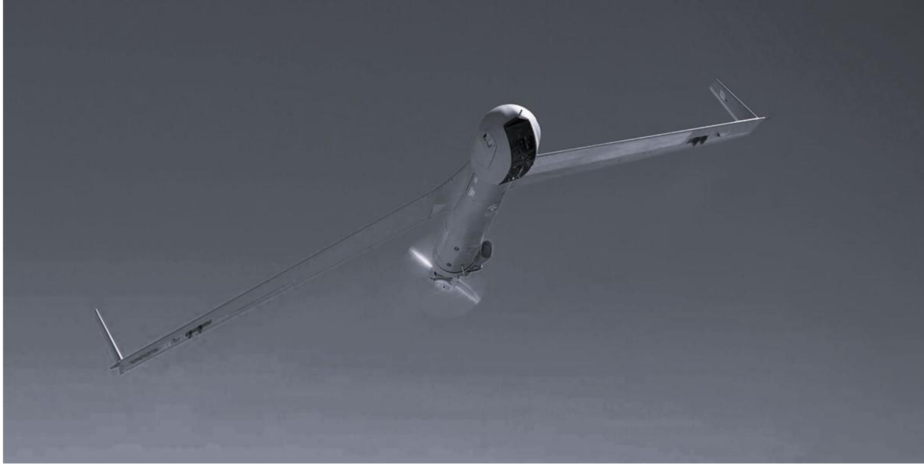
بندقية SR-25



بندقية بليزر R93



رشاش Heckler & Koch MP7



مسيّرة ScanEAGLE :

مسيّرة استطلاعية غير هجومية



مسيرة من نوع Quadcopter رباعية المراوح

عين الموت

مارك غريني

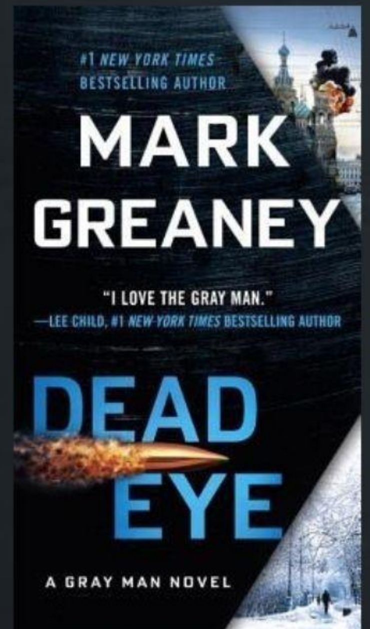
لطالما تفاخر "كورت جينتري" بقدرته الفائقة على الاختفاء متى شاء، والتحرك بعيداً عن أجهزة الرادار، والعيش في الظلال؛ ليضمن بقاءه متجسداً شخصية "الرجل الرمادي" التي تكاد تكون أسطورة. لكنه، وحين يقرر الانتقام من جهة عمله السابقة التي دبرت له مكيدة وخانته، يكشف عن نفسه ليواجه خطراً لم يسبق له مثيل قط: قاتلٌ يشبهه في كل شيء.

"راسل ويتلوك"، المعروف باسمه الحركي "عين الموت" (Dead Eye)، هو خريج نفس البرنامج السري للغاية (برنامج الأصول المستقلة) الذي تولى تدريب "جينتري" والتحكم فيه ذات يوم. غير أن "ويتلوك" يعمل الآن كعميل حر، وقد تلقى أمراً مباشراً بتصفية زميله القديم في "مدرسة الموت".

إنه يعرف تماماً كيف يفكر هدفه، وكيف يتحرك، وكيف يقتل. ويدرك أن الطريقة المُثلى لإنجاز هذه المهمة هي إجبار "جينتري" على الركض المستميت للنجاة بحياته... وصولاً إلى اللحظة الحاسمة التي يكتب فيها "العين المميتة" نهايته.







ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks